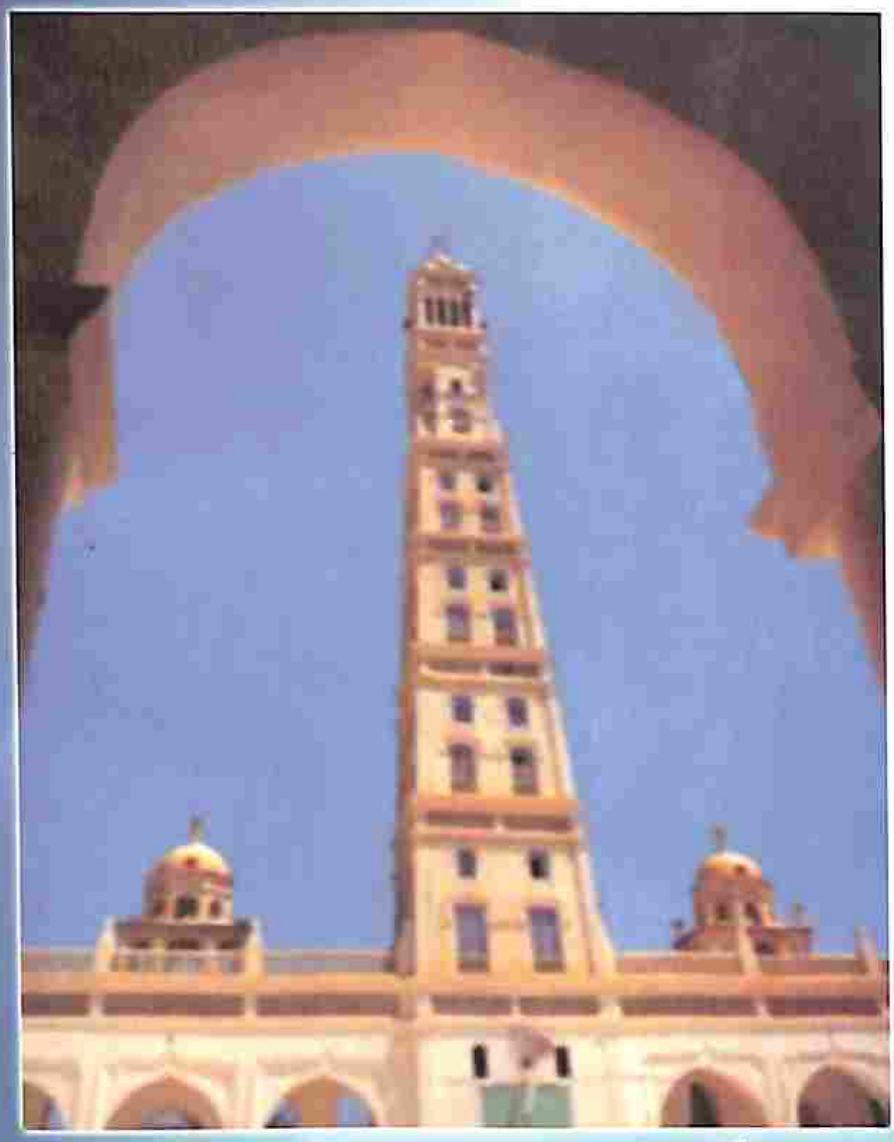


أبحاث ودراسات

فعاليات ملتقى تريم الثقافي

بمناسبة تريم عاصمة الثقافة الإسلامية

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

اللجنة العلمية لملتقى تريم الثقافي - حضرموت

منتدى ثلوثية بامحسون الثقافي - الرياض



أبحاث ودراسات

فعاليات ملتقى تريم الثقافي

بمناسبة تريم عاصمة الثقافة الإسلامية

١٤٣٣هـ - ٢٠١٠م

تحرير

د. عبدالله الجعيدي د. سعيد الجريري صالح الفردي

رقم الإيداع بالهيئة العامة للكتاب م / حضرموت (٢٢١ / ٢٠١٢م)

عنوان الكتاب :

أبحاث ودراسات فعاليات ملتقى تريم الثقافي بمناسبة تريم عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٣٣هـ - ٢٠١٠م

اللجنة العلمية لملتقى تريم الثقافي – حضرموت

منتدى ثلوثية بامحسون الثقافي – الرياض .

الحجم :(١٧ × ٢٤) سم .

الإخراج الفني : حسن أحمد بلجعد

التنفيذ الطباعي: مطبعة وحدين الحديثة للأوفست حضرموت – المكلا – ت: ١٥ / ٣١٦٦١٤

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م

ثلوثية بامحسون

مجلس الأمناء

لجنة ملتقى تريم العلمية

د. عمر عبدالله بامحسون — مشرفاً عاماً

د. عبد القادر علي باعيسى — رئيساً

م/ عمر عبيد باعارمة

أ/ عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي

د/ سعيد سالم الجريري

د/ عبد الله سعيد الجعيدي

د/ عبد الله سعيد باحاج

د/ رزق سعد الله الجابري

أ/ صالح حسين الفردي

أ/ عبد اللاه محمد هاشم السقاف

اللجنة الفنية:

نزار ناصر الكثيري

محمد سعيد بارماده



تقديم

يحتوي هذا الكتاب أبحاثا متعددة الموضوعات، تكشف عن فعل متلهف للكتابة عن حضرموت وتاريخها ورجالها، فما إن انطلقت اللجنة العلمية بالمكلا التابعة لملتقى تريم الثقافي في مطلع العام ٢٠١٠م بدعوة كريمة من الدكتور عمر عبدالله بامحسون، وتشكلت من الأستاذ الشيخ عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي عضوا، والدكتور عبدالقادر علي باعيسى رئيسا، والدكتور عبدالله سعيد الجعيدي نائبا للرئيس، والدكتور عبدالله سعيد باحاج عضوا، والدكتور سعيد سالم الجريري عضوا، والدكتور رزق سعدالله الجابري عضوا، والأستاذ صالح حسين الفردي سكرتيرا، والأستاذ عبداللاه محمد هاشم مسؤولا للعلاقات، وأعلنت عن رغبتها في استقبال الأبحاث حتى هبت عليها الكتابات من كل مكان. ولولا ما داخل فعاليات تريم عاصمة للثقافة الإسلامية للعام ٢٠١٠م من اضطراب ارتبكت معه إمكانات التفاعل والتنظيم، لكان بإمكاننا استقبال عدد أكبر من الأبحاث، وإقامة عدد أكبر من المحاضرات والندوات، وإصدار أكثر من هذا الكتاب.

لقد اهتممنا في اللجنة العلمية بالكتابة النوعية عن حضرموت، وكان ذلك وما يزال أملا كبيرا بالنسبة إلينا كأشخاص، حتى أخضعنا الأبحاث للتحكيم السري، وأقررنا ما تم اختياره من قبل المحكمين العلميين، وأعفينا أنفسنا عن نشر الأبحاث التي لم توفق، واعتذرنا لأصحابها. وعليه فإن هذه الأبحاث هي اختيارات المحكمين المختصين قبل أن تكون رغبات اللجنة العلمية، وقد لوحظ عليها أنها تفتح أوراقا جديدة، وتقدم أفكارا للمناقشة، وأن مناهجها متنوعة ربما باختلاف اهتمامات الباحثين وثقافتهم، وأن الخط البياني صاعد فيها من الكتابة الذاتية إلى الكتابة البحثية، بحيث تعطي صورة مجملة عن طبيعة الكتابة البحثية في حضرموت في هذه المرحلة، مما يمكن مقارنته بما قدمته الأجيال السابقة، ويلفت الدارسين إلى رؤية التغيرات في الكتابة البحثية في حضرموت في تطورها، أو جرأتها، أو ارتباكها.

لقد كان المبتغى إضافة دفعة جديدة إلى سلسلة الأبحاث عن حضرموت، سعدنا فيها بالتعدد، ليس تعدد موضوعات الأبحاث، وإنما إلى ذلك تعدد ما يقلق الباحثين ويشغلهم من أفكار بوصف ذلك مؤشرا لعطاء الكتابات القادمة. ومع هذا فإن الآراء في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي اللجنة العلمية كمجموعة أو كأشخاص، وإنما تعبر عن آراء كاتبيها في إطار التفاعل مع الواقع الثقافي القائم ورؤية التاريخ والجغرافيا وغيرها من لحظتنا الزمنية المعاصرة. ولعلنا على ثقة من أن هذه الأبحاث ستحظى باهتمام الدارسين والقراء وعنايتهم لبعض ما أشرنا إليه سلفا ولغير ذلك مما يمكن أن يلاحظه القراء الكرام. وكان بإمكاننا نشرها منجمة في المجلات باسم اللجنة العلمية التابعة للملتقى تريم الثقافي غير أننا آثرنا إخراجها إلى القراء دفعة واحدة في هذا الكتاب ليباشروا قراءتها كاملة.

وفي هذه الأثناء ننوه بمجمل التفاعل والحوار الذي أبداه المهتمون بهذه الأبحاث عندما قدمت محاضرات في مواقع مختلفة من المكلا وسيئون وتريم، منوهين بما أبداه أخوتنا في سيئون من تفاعل إداري وتنظيمي مع اللجنة العلمية وفي مقدمتهم الأستاذ عمر عبيد باعارمة، وبما أضفته علينا زيارات الأساتذة من المملكة العربية السعودية في أثناء العام ٢٠١٠م من حيوية أسعدنا معها أن نصغي إلى محاضراتهم وأن نتحاور معهم لاسيما محاضرة الدكتور عبدالرحمن الشبيلي التي ألقاها في كلية التربية بسيئون عن (التأثير الثقافي المتبادل بين حضرموت وبلاد الحرمين الشريفين) ووزعت كتابا في حينه.

إن ما نأمل إليه وما نرجوه هو ترسيخ منهج الكتابة البحثية عن حضرموت، قبل رغبة الكتابة عنها بوصف المنهج وسيلة بحثية للكتابة ستظل تحدونا جميعا. آملين أن نكون وفقنا فيما سعينا إليه، وأن يغفر لنا القراء من خطأ مطبعي هنا، أو سهو نحوي هناك، رغم حرصنا على المراجعة والتدقيق.

د. عبدالقادر علي باعيسى
رئيس اللجنة العلمية

خصائص مدينة تريم التاريخية

محمد عبدالله الجنيد

المقدمة :

تعتبر مدينة تريم مدينة تاريخية علمية محافظة على نَفَسٍ عالٍ من الأصالة التاريخية المستمدة قوّتها وعنفوانها من الاهتمام بسيادة السِّلْمِ الاجتماعي والمشاركة الفاعلة من الجميع والحراك العلمي والتواصل الثقافي والحضاري الذي جعلها تؤثّر في محيطها المحلي والإقليمي؛ بل والعالمي وتتأثّر به في مظاهر شتّى من أوجه الإبداع والتجديد لمواكبة الحداثة والمعاصرة الأمر الذي يجعل دراسة خصائصها يتطلب درجة عالية من التتبع والتفصيل لهذه الخصائص. على أنّ الحيّز المُتاح للبحث شكّل عامِلا مُقيدا لاستعراض الكثير من المعلومات التفصيلية المهمّة والصور الإيضاحية لتقديم صورةٍ حقيقيةٍ عن هذه المدينة العظيمة، فلذلك فإننا توخّينا التركيز والتلخيص الشديد للمعلومات واضعين نُصْبَ أعيننا أنّ هناك مَنْ قد انبَرَى للخَوْضِ بشيءٍ من التفصيل لبعض جُزئياتِ هذا البحث في إطار مَا تقوم به مؤسسة الصندوق الخيري آملين لهم التوفيق في إشباع الموضوع واغنائه بالمعلومات الكافية.

أولاً : المحور الديني العلمي

المؤسسات العلمية وأثرها في إعطاء تريم خصوصيتها وتميّزها.

حصْرٌ سرْدي بالمؤسسات العلمية بين الماضي والحاضر.

	الموقع العلمي	التأسيس	نوعية النشاط العلمي
١.	زاوية الشيخ سالم بن فضل بافضل بحارة الخليف بجانب مسجد الدويلة	أسسها الشيخ العلامة سالم بن فضل بافضل (ت ٥٨١هـ)	تعليم شرعي تقليدي
٢.	معلامة قبة أبي مريَم غربي مسجد السقاف بالسوق	أسسها السيد محمد بن عمر بن محمد بن أحمد الشهيد المعروف بأبي مريِّم (ت ٨٢٢هـ)	زاوية متخصصة في تحفيظ القرآن الكريم
٣.	معلامة بارشيد (باحرمي) بالخليف	تُنسب للإمام عبد الله بن أبي بكر العيدروس (ت ٨٦٥هـ)	تعليم النشء مبادئ التهجي وأساسيات الفقه
٤.	زاوية الشيخ علي بن أبي بكر السكران بمسجده بالسوق	أسسها الشيخ علي بن أبي بكر السكران (ت ٨٩٥هـ)	تعليم شرعي تقليدي
٥.	زاوية الشيخ حسين بمسجد باشعبان	تنسب للشيخ حسين بن عبدالله العيدروس (ت ٩١٧هـ)	تعليم شرعي تقليدي
٦.	زاوية عبد الله بن شيخ جانب مسجده بالسحيل	أسسها الشيخ عبدالله بن شيخ العيدروس (ت٩٩٠هـ)	تعليم شرعي تقليدي
٧.	معلامة باغريب بالسحيل جنوب مسجد الأبرار	القرن التاسع	تعليم النشء مبادئ التهجي وأساسيات الفقه
٨.	زاوية مسجد السقاف	ينسب تأسيس درس هذه الزاوية للإمام عبدالله بن عيدروس بن علوي العيدروس	تعليم شرعي تقليدي
٩.	زاوية مسجد الأوّابين بالنويدرة	أسسها الإمام عبد الله بن علوي الحداد في المسجد الذي بناه سنة ١٠٧٤هـ	تعليم شرعي تقليدي
١٠	زاوية مسجد نُفَيْع بحارة الخلَيف	افتتحها السيد عبدالله بن أحمد بن عمر بلفقيه (ت ١٢٩٩هـ).	تعليم شرعي تقليدي
١١	رباط تريم العلمي بحارة السوق	تأسس سنة١٣٠٤هـ/١٨٨٥م	دراسة شرعية تقليدية
١٢	مدرسة جمعية الحق غربي مسجد بروم	١٣٣٤هـ	تعليم نظامي

١٣	مدارس جمعية نشر الفضائل بمواقع متفرقة	١٣٣٧هـ	تعليم نظامي
١٤	زاوية مسجد سرجيس بحارة السحيل	يذكر أن أول مَنْ درَّس بها الشيخ محمد بن أحمد الخطيب (ت ١٣٥٠هـ)	تعليم شرعي تقليدي
١٥	مدرسة الكاف بمواقع مختلفة	١٣٥١هـ	تعليم نظامي
١٦	مدرسة الأخوة والمعاونة بالنويدرة	١٣٥٠هـ	تعليم نظامي
١٧	مدرسة الإقبال بدمون	١٣٣٥هـ تقريبا	تعليم نظامي
١٨	مدرسة الجنيد (زاوية بايعقوب) بمسجد بايعقوب بالمجف	١٣٥٥هـ	تعليم شرعي تقليدي
١٩	مجلس الإفتاء الشرعي بالسوق /دار الفقيه	١٣٦٧هـ تقريبا	مجلس للفتوى الشرعية
٢٠	المعهد الفقهي بجوار مسجد باشعبان/العيدروس ومواقع أخرى	١٣٧٧هـ	تعليم نظامي شرعي
٢١	مدرسة دار الفقيه للبنات بدار الفقيه المقدم غربي مسجد باعلوي	العقد الرابع من القرن الهجري الماضي	تعليم شرعي تقليدي نسائي
٢٢	كلية الشريعة بعيديد	١٤١٥هـ١٩٩٥م	دراسة شرعية أكاديمية
٢٣	دار المصطفى بتريم للدراسات الإسلامية بحارة الروضة بعيديد	١٤١٤هـ/١٩٩٤م	دراسة شرعية تقليدية
٢٤	دار الزهراء للدراسات الإسلامية بحارة الروضة بعيديد	١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م	دراسة شرعية تقليدية نسوية
٢٥	مدرسة العيدروس لتعليم القراءات جنوبي مسجد الشيخ علي بالسوق	١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م	دراسات قرآنية
٢٦	دار الكتاب والسنة بالحاوي	١٤٢٨هـ٢٠٠٧م	دراسات قرآنية. للذكور مساء وللإناث صباحا
٢٧	مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث في بلعشر –حارة المحضار	١٤١٧هـ/١٩٩٧م	دراسات ونشاطات علمية ودعوية وثقافية.
٢٨	مركز النور للدراسات والأبحاث بحارة الروضة بعيديد	١٤٢٣هـ/أبريل٢٠٠٢م	التحقيق والبحث العلمي – توثيق وصيانة وترميم المخطوطات.
٢٩	مركز تريم للدراسات والنشر بحارة الخليف	١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م	البحث العلمي والتحقيق والنشر
٣٠	دار العلم والدعوة بحارة الروضة بعيديد	١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م	الدراسات والبحوث بتوثيق ونشر المحاضرات العلمية

نماذج للدراسة من المؤسسات العلمية في تريم :

١) زاوية الشيخ سالم بافضل :

أسسها الشيخ سالم بن فضل بافضل (ت ٥٨١هـ) وتقع في حارة الخليف وتعتبر من أعرق المدارس العلمية التي ما من عالم من علماء تريم ومن تلقى العلم فيها من خارجها إلا وقد تلقّى على أيدي المشايخ في هذه الزاوية التي تُدَرّسُ فيها مختلف صنوف العلم الشريف كالفقه والحديث والتفسير ..الخ. جاء عن مؤسسها الشيخ سالم بن فضل بافضل في (الجوهر الشفاف) : (من كبار العلماء المعتمدين والعلماء المدققين والنظّار الأصوليين ، والمحدثين البارعين ، وكان مع ذلك من كبار الزاهدين الورعين العالمين وكاد العلم أراد أن يندَرِسَ في ناحية حضرموت فأحياه، وذلك أنه سافر في طلب العلم ومكث أربعين سنة في العراق وغيره ، كلٌّ ذلك في طلب العلم وأهله يظنون أنه قد مات، ثم بعد ذلك رأى بعض السادات في المنام كأن الإمام سالماً المذكور أتى إلى بلده ومعه جمال محمّلات ذهباً، فوصل ومعه جمال محمّلات كتب العلم من الحديث والفقه وغيرهما، ثم درّس في بلده وأقبل عليه طلبة العلم من كل مكان وحصل العلم على يديه خلْقٌ حتى أنه ربما بلغ في تريم ثلاثمائة مفتي في عصر واحد). توفي الشيخ سالم بن فضل ليلة الجمعة لثمانٍ بَقِينَ من جمادي الآخرة سنة ٥٨١هـ في ولاية شجعنة بن راشد على تريم وقبره معروف في مقبرة الفريط الشهيرة في تريم وقد ذكر العلامة الجليل عبدالله بن أبي بكر بن قدري باشعيب أن الشيخ سالم توفي مقتولاً وجاء ذلك في منظومة له حيث قال :

والشيخ سالم الذي أحيى المدارس في الحجر

قتلوه ظلما وهو في محرابه يتلو السور

وهو ما لم يؤيده البعض لأن دخول الأيوبيين إلى تريم كان سنتي ٥٧٥هـ و٥٧٦هـ/١١٧٩م و١١٨٠م ووفاة الشيخ سالم كانت سنة ٥٨١هـ /١١٨٥م[1].

٢) معلامة أبي مريّم لتحفيظ القرآن الكريم :

ويطلق عليها قبة أبي مريّم نسبة إلى مؤسسها السيد العلامة الإمام محمد بن عمر بن محمد المُكنّى بأبي مريّم (ت ٨٢٢هـ) -تصغير مَرْيَم- ابنته الصالحة القانتة العابدة وتُعتبر أوّلُ مدْرَسَةٍ مُتخصّصَةٌ في تحفيظ القرآن الكريم في المنطقة تخرّج فيها الآلاف من الحفّاظ لكتاب الله الشريف. ومما يُذكَر أنّه قد تخرج على يد مؤسس المعلامة فقط ما يقارب ثمانمائة حافظ للقرآن،

منهجية التحفظ والتعليم :

يلزم كل طالب يومياً بحفظ خمس آيات من القرآن الكريم ويبدأ الحفظ من بداية القرآن سورة البقرة – طوال السور – كما يتلقى الطلاب دروساً في الفقه الشافعي في كتاب المختصر في الفقه الذي جمعه الإمام الشهير الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بلحاج بافضل لهذه المعلامة المباركة ، كما اعتنى المؤسس بالتزكيه، الأمر الذي تجلّى في إلزام كل مَنْ أكمل حفظه بحفظ رُبع العبادات من كتاب (التنبيه) لأبي إسحاق الشيرازي.

وقد ظلّت هذه المعلامة على ممرّ العقود والقرون تخرّج حفّاظ القرآن العظيم والعلماء فما مِن عالمٍ أو طالبِ عِلْمٍ تلقّى العلْمَ في تريم إلا وقد تلقّى العلمَ في هذه المعلامة العظيمة. وقد قام السيد العلامة مفتي الديار الحضرمية عبد الرحمن بن محمد المشهور بعمارة المعلامة وبنى عليها قبة سنة ١٢٩٩هـ فأصبحت تُعرَفُ بقبّة أبي مريم ، وقد تعرّضت هذه المعلامة كغيرها من دور العلم في تريم للإغلاق ما بعد الاستقلال ثم أعاد فتحها السيد الفاضل الحبيب محمد بن علوي العيدروس الملقّب بسعد الذي يتولى الإشراف والإدارة للمعلامة كما يقوم بإمامة مسجد السقاف المجاور للمعلامة والذي يتوجّه طلاب المعلامة إليه مع أذان المغرب لصلاة المغرب وحضور حزب القرآن ما بين المغرب والعشاء، هذا الحزب الذي جرت العادة فيه قديماً وحديثاً قراءة القرآن الكريم من دون النظر إلى المصحف الشريف أي أنه لا يقرأ فيه إلا مَنْ كان حافِظاً للقرآن الكريم. وتفتح القبّة أبوابها يومياً باستثناء يوم الجمعة بعد صلاة العصر إلى ما قبيل المغرب ويتوافد الطلاب عليها من مختلف أحياء مدينة تريم وبمختلف الفئات العمرية. وقد ازداد عدد الطلبة في هذه المعلامة وكثر إقبال الناس عليها ففتحت لها فروعاً متعددة في نواحي شتّى في حارات مدينة تريم.

٣) رباط تريم العلمي :

ويعرف بأزْهَرِ حضرموت الذي يقع في قلب مدينة تريم وحصل به نفعٌ كبير ليس لتريم وحضرموت واليمن بل للعالم الإسلامي منذ تأسيسه في عام ١٣٠٤هـ/١٨٨٥م حيث أشار إلى ذلك السيد العلامة عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف في معجم بلدان حضرموت ص ٥٠٨ (أوائل القرن الرابع عشر كان بناء الرباط بتريم، ومن أكبر القائمين به والساعين له الصدر الجليل السيد عبدالقادر بن أحمد الحداد وممن ساعد على بناء ذلك الرباط السيد أحمد بن سقاف الجنيد والسيد محمد بن سالم السري والشيخ محمد بن عمر عرفان وكان إليهم النظر في مدة حياتهم، ولّما توفى السيد عبد القادر سنة ١٣١٣هـ/١٨٩٤م خلفه ولده عيسى ولّما توفي الشيخ محمد بن عمر عرفان أقيم في مقامه السيد عمر بن أحمد الشاطري) وقد تخرّج فيه مجموعة من أكابر علماء تريم وحضرموت واليمن وشرق أفريقيا وجنوب شرق آسيا وغيرها من بقاع العالم الإسلامي.

طريقة التعليم وبرنامجه :

تتم عملية التعليم عن طريق نظام الحلقات حيث يتوزّع المتعلّمون حسب مستوياتهم العلمية على الحلقات وتَضُمُّ كل حلقةٍ مابين ١٥ إلى ٢٠ طالباً تقريباً ينحصر عدد الحلقات حالياً بالرباط (٤٦) حلقة لفترة الليل بينما الصباح والعصر لا تقِلّ عن ١٥ حلقة لكل فترة حسب البرنامج التالي :

الوقت	المواد	ملاحظات
بعد صلاة الفجر وقراءة أذكار الصباح لمدة ساعة ونصف تقريبا	النحو والصرف وعلوم اللغة العربية	يومي الثلاثاء والخميس بدلاً من دروس اللغة العربية تعقد دروس في الفرائض والنكاح
قبيل وقت العصر إلى ما بعد العصر لمدة ساعة ونصف تقريبا	الفقه على مذهب الإمام الشافعي	وفيما بين عيدي الفطر والأضحى يدرس في هذا الوقت بدلاً عن الفقه علم النحو والصرف
بعد صلاة العصر	التزكية والسلوك	تقرأ يوميا من كتاب (أحياء علوم الدين) صفحة تقريباً.

بعد صلاة المغرب إلى بعد دخول وقت العشاء بنحو ساعة تقريباً	في الحديث والفقه	تعقد أيضا حلقات أخرى إضافية لقراءة القرآن الكريم وحفظه و أخرى إضافية لمن يرغب من الطلبة المجتهدين وقت الضحى وأيام العطل الأسبوعية وغير ذلك في علوم أصول الفقه والمنطق وغيرها.
المدْرَسُ العام لرباط تريم : يعقد في صباح يومي السبت والأربعاء بعد الانتهاء من دروس ما بعد صلاة الفجر وبعد الإشراق بنحو ساعة ، ويُقرأ فيه في علوم مختلفة من التفسير والحديث والفقه والتصوف والوعظ والإرشاد ، ويشارك في ذلك حضور نخبة من علماء وأعيان مدينة تريم وطلبة العلم بها وغيرهم من العوام والشباب ، ويختم المَدْرَسُ العام بقراءة سورة يس ثم الإنشاد والدعاء.		

منهج تريم العلمي والتربوي :

علماء وشيوخ تريم .. الاهتمامات والسّمات أو الخصائص العامة(العلمية والتربوية والدعوية).

إن الاهتمامات والسمات أو الخصائص العامة لعلماء وشيوخ مدينة تريم خصوصاً ما هي إلا انعكاسٌ وصورةٌ أيضا من اهتمامات وسِمات أو خصائص علماء مدرسة حضرموت عموما والتي يمكن حصرها فيما يلي[٢] :

١- ربطهم جانب التلقي العلمي الشرعي بجوانب التزكية والسلوك والدعوة والتبليغ حتى لكأن هذه الجوانب صَرْح واحد لا يتأتى قيام أحدها بمفردها لذلك سَمّوا معاهدهم بالأربطة لدلالةِ لَفْظَةِ الرِّباط الجهادية والسلوكية فيكونون لذلك قد سبقوا إلى مفهوم ربط التربية بالتعليم التي ينادى بها في هذه العصور المتأخرة.

٢- إيمانهم بعالمية الدعوة وممارستهم لذلك فهم قد شرّقوا وغرّبوا يحملون مشاعل النور والهداية وقاموا بنشر علوم الإسلام سواء في مناطقهم أو في بلاد المهجر من خلال إنشاء مؤسساته من الزوايا والأربطة فضْلا عن المساجد والإنفاق عليها ووقف الأوقاف لاستمرارية أداء دورها ، وهذا ما يلمسه الواحد منّا اليوم .

٣- ارتباطهم بالقاعدة الشعبية (العامة) أكثر من ارتباطهم بالقمة (الحكام) وترفعهم عن اللهث وراء كراسي الحكم لاعتنائهم بمهمة أجل وأكبر في منظارهم وهي مهمة تربية المجتمع

وتعليمه مع إيمانهم بضرورة قيام الحكم الرشيد في الإسلام، ولذلك كان انطلاقهم في إصلاح مجتمعاتهم من خلال النظر إلى إصلاح الفرد سواء كان رئيساً أو مرؤوساً فالحاكم محلاً لدعوتهم من حيث كونه فرداً من أفراد المجتمع لا من حيث موقعه كحاكم.

٤- غرسهم وممارستهم لحسن التعايش مع الآخر فقد ضربوا أحسن الأمثلة في تعايشهم مع أرباب الديانات الأخرى السماوية منها وغير السماوية في أندونيسيا والهند وسيلان وكذلك في شرق أفريقيا مما جعلهم معتقدين بالخير والاحترام والنفع من قبل الجميع وانزاح من تلك المجتمعات الصراعات الطائفية التي تأنّ منها بعض المجتمعات.

٥- بُعدُهم عن مظاهر الغلو وإزاحتهم للرسوم التي علقت ببعض التيارات الإسلامية من خلال تجافيهم عن وجود شعار ما يميز المنتسب لهم باستثناء ما ورد من الزي الوارد في السنة فلا يوجد لديهم شيء من تلك الرسوم أو الشكليات الظاهرة التي يحرص عليها بعض أرباب تلك التيارات.

٦- ساهموا فيما فتحوا من بلدان واستقروا بها بشكل واسع بتوسيع دائرة عقيدة أهل السنة والجماعة من خلال دروسهم ومؤلفاتهم والتي حرصت على غرس تلك العقيدة المستقاة من آيات القرآن الكريم مع تباعد عن القضايا الكلامية الفلسفية وخير نموذج على ذلك كتاب (عقيدة الإسلام) للإمام الحداد الذي يُقَرَر وَيُدَرَسُ في كثيرٍ من معاهدهم . كما يلحظ منهم تأصيلهم لمسألة حبّ الصحابة وأهل البيت والأزواج دون إفراط ولا تفريط فهو أشبه بصراط زل عنه الكثير إلى نصبٍ أو رفضٍ.

٧- سعيهم إلى تأمين المجتمع الذي يعيشون فيه من الشتات والخوض في قضايا فكرية وفلسفية لأنهم لم ينادوا بإشاعة الفكر الفلسفي الصوفي بينهم لئلا يعيش المجتمع في تناقض وتناحر، فقد نهوا أولادهم ومُريديهم من قراءة كتب ابن عربي (الفتوحات المكية والفصوص) وغيرها.. حتى لا يقعوا على أمثال تلك الألفاظ الفلسفية الصوفية فيُسيئوا فهمها أو يفهموا منها ما لا يُراد.

٨- اهتمامهم بالرحلة العلمية في سبيل تحصيل العلم الشرعي، وتوسعهم في الأخذ عن أكابر علماء الأمصار قديماً وحديثاً، فما من عالم منهم إلا وله رحلة علمية داخلية أو خارجية وتتبّع ذلك يحتاج إلى بحث مستقل.

٩- قيامهم بإصلاح ذات البين لدرء الخصومات لما يفرضه عليهم دينهم الإسلامي واستيعابهم لكافة أطياف وشرائح المجتمع في دعوتهم بل وفيما أسسوا من مشاريع خيرية ومبرّات.

١٠- قيامهم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيثما رحلوا وحيثما حلّوا. واهتمامهم بالمحتاجين والأرامل ومن شابههم من خلال أوقافهم ومبرّاتهم المتعددة.

١١- اهتمامهم بالمرأة كونها الوجه الآخر للمجتمع وشقيقة الرجل من خلال تربيتها وتعليمها وقيامها فيما بعد بدور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نطاق محيطها الأنثوي الأمر الذي يتجلى في كثير من تراجم علماء وشيوخ تريم وحضرموت وهو ما سنتطرق إليه لاحقا في نماذج من الشخصيات النسائية.

١٢- مناداتهم وتقعيدهم لحسن الظن بأهل ملة الإسلام والتحذير من التسرع بإطلاق ألفاظ التكفير والتفسيق والتبديع ونحوها حيث يحرصون على غرس احترام الاختلاف واحترام وجهات النظر المختلفة وأن يَعِيْ المنتسبون إليهم في كثير من القضايا أن ما يراه حقاً فيها يحتمل الخطأ وما عند الغير خطأ لأنه يحتمل الصواب وهو منهج جمهور أهل السنة والجماعة في غالب مسائل الشرع التي تقوم على الظن الغالب.

١٣- حرصهم على تنشئة النشء من مراحل مبكرة على حفظ كتاب الله في سن مبكر وبإتقان، وكذلك بحفظ مبادئ العلوم الفقهية والنحوية وغيرها من متون العلم كمتن (الإرشاد) في الفقه و(الألفية) في النحو وغيرها.

١٤- حثهم وسعيهم إلى تفريغ الكثير من الأولاد ممن يتفرّسون فيهم الميول إلى العلم والنجابة في تحصيل العلوم والاستزادة من معينها والتضلع فيها إلى أن يصل إلى درجة التحقيق والتخصص فيها من غير إشغالهم بأمور الدنيا وترهاتها لكي يتسنّى له الجد الكامل فيما هو بصدده من طلب العلوم الشرعية وتحقيق مسائلها.

وبالعموم فإننا عندما نتحدّث عن علماء تريم أو علماء حضرموت فإننا أمامَ نماذجٍ من علماء الأمة الذين ربطوا القول بالفعل والعلم بالعمل وكانوا على درجة عالية من العلم والمتابعة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في جميع أحواله الأمر الذي صوّره الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن أسعد اليافعي المتوفى سنة ٨١٩هـ عندما حاول أن يصفَ علماء تريم فقال:

مـــررتُ بـــوادي حـــضرموتَ مُـــسَلّماً فَألْفَيْتُـــــهُ بالبِـــشْرِ مُبْتَـــسِماً رَحْبَـــا
وَألْفَيْـتُ فِيـــــهِ مِـــنْ جَهَابِـــذَةِ العُـــلا أكَـــابِرَ لَـــا يُلْقَـــونَ شَـــرْقًا وَلَـــا غَرْبَـــا

وقد أتحفنا المؤرخ البحاثة عبد الله بن حسن بلفقيه بمحاضرته الموسومة (لمحة من زاوية التاريخ الحضرمي) أو " لمحة عن التاريخ الواقعي حول الأبيات الشهيرة للعلامة الرحالة عبد الرحمن بن عبد الله بن أسعد اليافعي" والتي ألقاها بمقر جمعية الأخوة والمعاونة بتريم سنة ١٣٧٩هـ مُستعرِضا أكابر رجالات وفحول العلماء بوادي حضرموت، في تلك الحقبة التاريخية الزاهرة الواقعة ما بين أواسط القرن الثامن وأواسط القرن التاسع الهجري، والتي من أهم رجالها وأكابر علمائها الذين خلّفوا لنا تراثاً علمياً زاخِراً :

١- الإمام محمد مول الدويلة بن علي بن علوي بن محمد بن علي باعلوي ت٧٦٥هـ.
٢- الإمام محمد صاحب العمائم بن علوي بن أحمد بن محمد بن علي باعلوي ت ٧٦٧هـ.
٣- الإمام محمد صاحب تربة المصف بقسم بن أحمد بن عبد الله بن علوي بن محمد بن علي باعلوي ت ٧٨٧هـ.
٤- الإمام حسن الورع بن علي بن محمد مولى الدويلة ت ٧٨٩هـ.
٥- الإمام عبد الرحمن السقاف بن محمد مول الدويلة ت ٨١٩هـ.
٦- الإمام محمد بن أبي بكر باعبّاد ت٨٠١هـ.
٧- الإمام فضل بن عبد الله بافضل ت ٨٠٦هـ.
٨- الإمام محمد جمل الليل بن حسن بن محمد باعلوي ت ٨٤٥ هـ.
٩- الإمام سعد بن علي مدحج ت ٨٥٧هـ.
١٠- الإمام عبد الله بن عبد الرحمن باوزير .
١١- الإمام عبد الرحمن بن علي حسان ت ٨١٨هـ.

وإنها الصورة نفسها والحقيقة ذاتها تتكرر ولم تنقطع عن هذا البلد المبارك ولا عن علمائها فتريم كما قال الشيخ عبد المعطي باكثير في وصفها[٣] :

أرْضَـــاً غَـــدَتْ تُفَـــاخِرُ الـــسّماء كَـــذَا حَـــصَاهَا فَـــاخَرَ الجَـــوْزَاءَ
أرْضَـــاً يَنَـــالُ كُـــلُّ مَـــنْ أمَّ لهَـــا كَرَامَـــةً فَـــوْقَ الّـــذِي أمّلـــهَا
قَـدْ أشْـرَقَتْ مِـنْ سَـائِرِ النّـوَاحِي عَلَـــى المـــلأ بِنُورِهَـــا الوَضّـــاحِ

ولا يزال هذا الوصف يُؤكّد لهذه المدينة ولرجالها حتى جاء الإمام عبد الله بن علوي الحداد في القرن الثاني عشر فأكّده في قصيدته (العينية) الطويلة بقوله[٤]:

وَبَقِيَّةٌ فِي العَصْرِ مِنْهُمْ عُمِّرُوا ... لِتَكُونَ فِيهِمْ مُتْعَةُ المُتَمَتِّعِ

وَيَكُونُ فِيهِمْ لِلرُّبُوعِ وَأَهْلِهَا ... أُنْسٌ وَنَفْعُ الطَّالِبِ المُتَنَفِّعِ

فَاللهُ يَحفَظَهُمْ وَيُخْلِفْ مِنْهُمُ ... أَمْثَالَهُمْ فِي حَيِّنَا وَالمربعِ

وعلى دربهم سار ويسير العلماء من هذه المدينة العظيمة التي قَدّمت وتُقدّم جيلاً إثر جيل سلسلة منهم ممن عمروا الأرض عِلْماً وعَمَلاً ويكفينا أنْ نُشير إلى أسرة واحدةٍ من الأسر الترميمية وما قدمته من العلماء لتتجلى لنا الصورة واضحة لمدينة العلم والعلماء، إنها أسرة آل أبي فضل الترميمية التي قدّمت صفاً طويلاً ومتجدداً من العلماء على ممرّ القرون عدّدَهُم معرّفا بهم لنا الأستاذ منير بن سالم بن سعد بازهير في بحثه حول (دور المشايخ آل بافضل في نشر العلم والدعوة إلى الله) وهم:

١- العلامة الفقيه عبدالرحمن بن فضل بن سالم بن فقيه بافضل[٥]:

٢- الشيخ العلامة محمد بن إسماعيل بن فضل بن عبدالله بافضل (ت ١٠٠٦هـ)

٣- العلامة الفقيه الملا زين بن الحسين بن الفقيه عبدالله بلحاج بافضل (ت ١٠٢٦هـ)

٤- الشيخ محمد بن أحمد بن عبدالرحمن بارضوان بافضل (ت ١١٨٨هـ).

٥- الشيخ أحمد بن عبدالرحمن بارضوان بافضل.

٦- الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بارضوان بافضل.

٧- الشيخ محمد بن عبدالله بن محمد بارضوان بافضل (ت ١١٨٨هـ).

٨- الإمام العلامة القاضي الورع عمر بن إبراهيم بن عمر المؤذن بافضل (ت ١٢١٥هـ).

٩- العلامة الجهبذ رضوان بن أحمد بن عبدالرحمن بن أحمد بارضوان (ت ١٢٦٥هـ).

١٠- الشيخ محمد بن أحمد بارضوان بافضل. (١١٨٨هـ).

١١- أحمد بن رضوان بن أحمد بارضوان بافضل (ت ١٢٨٠هـ).

١٢- الشيخ سالم بن محمد بن عبدالله بن علي بافضل (ت ١٢٨٢هـ).

١٣- الشيخ سالم بن أبي بكر الراقي بافضل (ت ١٢٩٨هـ).

١٤- الشيخ عبدالله بن سالم بارضوان بافضل (ت ١٣٠٤هـ).

١٥- الشيخ أبوبكر بن سالم بن أبي بكر الراقي بافضل (ت ١٣١٣هـ).

١٦- العلامة محمد بن رضوان بن أحمد بارضوان بافضل (ت ١٣٢٤هـ).

على إننا عندما نقف أمام السمات العامة لمنهج مدرسة تريم من الناحية الدعوية فإننا سوف نلاحظ أنّ علماء ومشايخ حضرموت عموماً و تريم خصوصاً كانوا سبباً مباشراً وغير مباشر في انتشار الإسلام ودخول الأفواج الكبيرة فيه على رقعة جغرافية واسعة من العالم الإسلامي، (عبرَ الهند إلى جنوب شرق آسيا والملايو وبورما وإندونيسيا و الفلبين وسيلان، وكذلك إلى ساحل شرق إفريقيا، بل وإلى جنوب أفريقيا وغيرها)[٦] وهذا موضوع طويل آخر يكفينا في هذه العجالة فقط الاستشهاد بأبرز النماذج على علوّ كعب علماء حضرموت في ميدان الدعوة إلى الله ، ألا وهو ذلك العالم الكفيف الذي أبصرت بنور بصيرته الملايين من الأمة شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً، إنه شيخ الدعوة والإرشاد الإمام عبد الله بن علوي الحداد الذي كان له ولا يزال في الأمة تأثير بالغ، فلا تزال مؤلفاته وكلماته ووصاياه وأشعاره تتناقل على ألسنة المسلمين في أقطار أفريقيا: كينيا، تنزانيا. أو آسيا: أندونيسيا، ماليزيا، سنغافورة، بل وأوروبا، فضلاً عن بلاد العرب.

قال الدكتور مصطفى حسن البدوي في كتابه (الإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر) : "ولقد كان بلا شك من مجددي الدِّين، إن لم يكن المجدد الأكبر للقرن الثاني عشر، وامتد تأثيره شرقاً وغرباً ولا يزال سارياً في الأمة إلى اليوم. فإنك إن جلست في الحرم المكي قد تسمع رجلاً من كينيا أو تنزانيا يقرأ (راتب الحداد) وإن جلست في الحرم المدني قد تسمع أحد العلماء الأفاضل يتلو (الورد اللطيف) للحداد، وإن سافرت أندونيسيا أو ماليزيا أو سنغافورة سمعت الدعاة والعلماء يقولون: (قال الإمام الحداد .. قال الإمام الحداد) ..وإن زرت اليمن سمعت منشداً ينشد قصيدة من (ديوان الإمام الحداد) وإن وصلت إلى لندن أو حتى إلى البرتغال أو الأرجنتين لوجدت أقواماً يتدارسون مؤلفات (الإمام الحداد) مترجمة إلى اللغة الإنجليزية[٧].

الدروس العلمية اليومية في مدينة تريم وتوزيعها الزمني وتنوعها العلمي:

تتوزع الدروس العلمية والسلوكية في مدينة تريم على مدار الساعة اليومية وعلى مدار أيام الأسبوع في مختلف الزوايا والمؤسسات العلمية الشرعية التقليدية كرباط تريم ودار المصطفى وغيره على النحو التالي :

اليوم	الوقت	الدرس أو مجلس العلم
السبت	بعد الفجر وصباحا	المدْرَسْ العام في رباط تريم العلمي + وقت الدروس في رباط تريم و دار المصطفى وغيرها.
	بعد الظهر	
	بعد العصر	روحة الحبيب عمر بن حفيظ بدار المصطفى + دروس التحفيظ بقبة أبي مريَم وفروعها.
	بعد المغرب	وقت الدروس في رباط تريم ودار المصطفى وغيرها + درس السيد العلامة علي المشهور بن محمد بن حفيظ في دار الفقيه + حزب حفظة القرآن الكريم بمسجد السقاف.
	بعد العشاء	وقت الدروس في رباط تريم ودار المصطفى وغيرها.
الأحد	بعد الفجر وصباحا	وقت الدروس في رباط تريم ودار المصطفى وغيرها + درس في زاوية الشيخ سالم با فضل.
	بعد الظهر	
	بعد العصر	روحة الحبيب عمر بن حفيظ بدار المصطفى + دروس التحفيظ بقبة أبي مريَم وفروعها.
	بعد المغرب	وقت الدروس في رباط تريم و دار المصطفى وغيرها + درس السيد العلامة علي المشهور بن محمد بن حفيظ في دار الفقيه+حزب حفظة القرآن الكريم بمسجد السقاف.
	بعد العشاء	دروس في رباط تريم ودار المصطفى وغيرها + مجلس ذكر وإنشاد بمسجد الإمام السقاف.

الاثنين	بعد الفجر وصباحا	درس في قبة الإمام العيدروس + وقت الدروس في رباط تريم و دار المصطفى وغيرها.
	بعد الظهر	درس في زاوية الشيخ علي بن أبي بكر السكران.
	بعد العصر	دروس التحفيظ بقبة أبي مريّم وفروعها.
	بعد المغرب	قراءة لقصة المولد النبوي الشريف بمسجد سرور + درس السيد العلامة علي المشهور بن محمد بن حفيظ في مسجد الجامع+حزب حفظة القرآن الكريم بمسجد السقاف.
	بعد العشاء	جلسة الاثنين العامة التي يقيمها الداعية الحبيب عمر بن محمد بن حفيظ ، والتي تعقد بالساحة العامة جنوبي مسجد الجامع بحارة السوق.
الثلاثاء	بعد الفجر وصباحا	درس في زاوية الشيخ سالم بافضل + وقت الدروس في رباط تريم ودار المصطفى وغيرها.
	بعد الظهر	
	بعد العصر	دروس التحفيظ بقبة أبي مريّم وفروعها + مجلس ذكر الإمام عبد الله باسودان في غرفة الحبيب عبد الرحمن المشهور.
	بعد المغرب	وقت الدروس في رباط تريم ودار المصطفى وغيرها + درس السيد العلامة علي المشهور بن محمد بن حفيظ في دار الفقيه + حزب حفظة القرآن الكريم بمسجد السقاف.
	بعد العشاء	وقت الدروس في رباط تريم ودار المصطفى وغيرها.
الأربعاء	بعد الفجر وصباحا	المدرس العام في رباط تريم العلمي + وقت الدروس في رباط تريم ودار المصطفى وغيرها.
	بعد الظهر	
	بعد العصر	روحة الحبيب عمر بن حفيظ بدار المصطفى + دروس التحفيظ بقبة أبي مريّم وفروعها.
	بعد المغرب	وقت الدروس في رباط تريم ودار المصطفى وغيرها + درس

		السيد العلامة علي المشهور بن محمد بن حفيظ في دار الفقيه + حزب حفظة القرآن الكريم بمسجد السقاف.
	بعد العشاء	وقت الدروس في رباط تريم ودار المصطفى وغيرها + مجلس ذكر وإنشاد بمسجد الإمام السقاف.
الخميس	بعد الفجر وصباحا	ختم القرآن الأسبوعي في مسجد باعلوي ورباط تريم ودار المصطفى.
	بعد الظهر	درس في زاوية الشيخ علي بن أبي بكر السكران.
	بعد العصر	دروس التحفيظ بقبة أبي مريّم وفروعها.
	بعد المغرب	قراءة لقصة المولد النبوي الشريف ببعض مساجد تريم أهمها مسجد الجامع ودار المصطفى+ حزب حفظة القرآن الكريم بمسجد السقاف.
	بعد العشاء	مجلس ذكر وإنشاد الإمام الحداد بمسجد الفتح بالحاوي.
الجمعة	بعد الفجر وصباحا	زيارة عامة في مقبرة زنبل.
	بعد الظهر	مجلس ذكر وإنشاد في دار الحضرة بجوار مسجد باعلوي.
	بعد العصر	روحة (مجلس علم) الحبيب عبد الله بن محمد بن شهاب بمسجد سرور.
	بعد المغرب	درس عام للحبيب العلامة سالم بن عبد الله الشاطري في مسجد بابطينه + قراءة لقصة المولد النبوي الشريف تتنقل بين مساجد البلدة ينظمها الحبيب عمر بن محمد بن حفيظ + حزب حفظة القرآن الكريم بمسجد السقاف.
	بعد العشاء	مواصلة الدرس العام للحبيب العلامة سالم بن عبد الله الشاطري في مسجد بابطينه.

المخطوطات والمكتبات الخطية الثروة الخالدة في المدينة[٨]:

مكتبات المخطوطات العامة والخاصة وما بقي منها في تريم:

تعتبر المخطوطات الأوعية العلمية التي تعبّر عن حالة الثراء العلمي في أي بلد من بلدان العالم، وبلدة علمية كتريم لم تخرج عن هذه القاعدة الأمر الذي يجسّدَ بروز مجموعة من المكتبات التي عبّرت عن اهتمام العديد من الأسر والشخصيات ونضوج الوعي والثراء العلمي بالبلدة إلا أن صفحات تاريخ البلدة تحمل العديد من الحوادث الأليمة التي استهدفت فيها المكتبات الخاصة الأمر الذي أدّى إلى فقد وتلف العديد من المخطوطات القيّمة التي أُحرقت ومُزقت وأتلفت بشتّى الطرق ومن أهم هذه الحوادث عندما تعرّضت مدينة تريم سنة ٥٧٥هـ لغزو حاكم عدن آنذاك "عثمان الزنجبيلي" وقام باعتقال أكابر علمائها مثل الشيخين الجليلين يحيى وأحمد بني سالم أكدر وغيرهم وزجّهم في السجون ثم قتلهم بل قام بإحراق كتبهم الأمر الذي أدّى إلى فقدان الكثير من المخطوطات الثمينة التي كانت لديهم خصوصاً وفي البلدة عموماً، وكذلك ما حدث لمكتبة آل عبدالله بن شيخ العيدروس التي تأسست سنة ٩٤٤هـ- ١٣٥٧م على يد الإمام عبد الله بن شيخ العيدروس ومكتبة السيد أحمد بن عمر الهندوان المتوفى سنة ١١١٣هـ وغيرها وما تعرضت له سنة ١٢٢٢هـ جراء ما عرف بحملة بن قملة الشهيرة على حضرموت عموماً[٩]. وآخر ما تعرّضت له الثروة العلمية في البلدة كان في فترة الاستقلال في نهاية الستّينات من القرن الماضي حيث اقتُحِمت المكتبات الخاصة الموجودة آنذاك وأُخِذَت كتبها وأُغلِقت وجُمعت محتوياتها في أقبية ودهاليز لا ترى النور مما أدّى إلى تلف الكثير منها إلا أنه وبجهود بعض الخيرين جرى تجميع ما بقِي منها ووُضعت في مكان واحد وتأسست على إثر ذلك مكتبة الأحقاف سنة ١٩٧٣م ثم فصلت محتويات المكتبة لاحقا سنة ١٩٧٧م وتأسست مكتبة الأحقاف للمخطوطات ومكتبة الأحقاف للمطبوعات .

على أن الاعتناء الشخصي من قبل العديد من العلماء وأثرياء البلدة بالاقتناء الشخصي ووجود المكتبات الشخصية في بيوتهم ساهم بنشوء مجموعة من المكتبات الأهلية خلال القرن الماضي والتي أصبحت محتوياتها لاحقا في مكتبة الأحقاف للمخطوطات ومكتبة الأحقاف

للمطبوعات مثل مكتبة آل بن يحيى ومكتبة الكاف التي وقف وراء تأسيسها السادة آل الكاف وفي مقدمتهم السيدان عبدالرحمن بن شيخ الكاف وحسن بن عبدالله الكاف فقد كانا شديدا الاعتناء بالكتب ونسخها لطلاب العلم الشريف وقد كانت المكتبة في أول عهدها بجانب ما يسمى بـ (حوش الكاف) وبعد تهدمها نقلت إلى بيت السيد عمر المحضار بن علوي بن عبدالله الكاف حسب ما أفاد به السيد حسين بن أحمد بن عبدالله الكاف عليه رحمة الله وهو بالمناسبة أحد العاملين السابقين في مكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم. ثم انتقلت إلى المبنى الذي بُني جنوبي مسجد الجامع قبل التوسعة ثم عندما جرى توسعة المسجد وأعيد بناؤه على صورته الحالية انتقلت محتويات المكتبة إبّان العمل إلى بيت السيد عبدالرحمن بن شيخ الكاف بعيديد وعندما اكتمل البناء احتلت المكتبة مع العديد من المكتبات الخاصة الأخرى التي صودرت آنذاك في الموقع الحالي لمكتبة الأحقاف للمخطوطات في الطابق الثاني من الجزء الشمالي من جامع تريم.

وحاليا بالإضافة إلى المكتبات العامة للمطبوعات مثل مكتبة الأحقاف للمطبوعات ومكتبة مسجد خرد وغيرها توجد بالبلدة مجموعة من المكتبات الخطية الأهلية الخاصة التي تحتوي على المخطوطات الأصلية أو المصورات الورقية التي اضطر أربابها إلى تصويرها من مخطوطات قبل تعرضها للتلف أو تصويرها من الغير وهي كما يلي :-

الرقم	اسم المكتبة	الحارة
١.	مكتبة الإمام/ عبدالرحمن بن محمد المشهور ت ١٣٢٠	السوق
٢.	مكتبة رباط تريم	السوق
٣.	مكتبة السيد / محمد بن سالم بن حفيظ	المحضار
٤.	مكتبة باعلوي / حامد بن محمد بن حامد	السوق
٥.	مكتبة مسجد الإمام الحداد (مسجد الفتح)	الحاوي
٦.	مكتبة الشيخ / محمد بن عمر عرفان بارجاء	المحيضره
٧.	مكتبة الشيخ / سالم سعيد بكيّر باغيثان	عيديد
٨.	مكتبة الشيخ / فضل بن عبدالرحمن بافضل	الخليف
٩.	مكتبة الحبيب / علي بن محمد باعبود	النويدرة
١٠.	مكتبة السيد / عبدالقادر أبوبكر بلفقيه	خيله

.١١	مكتبة السيد / حامد بن حسن بن سميط	خيله
.١٢	مكتبة السيد / عبدالله أبوبكر السري	السحيل
.١٣	مكتبة دار المصطفى للدراسات الإسلامية	عيديد الروضه
.١٤	مكتبة الحبيب / عبدالرحمن بن حامد السري	عيديد
.١٥	مكتبة السيد / هود بن أحمد بن سميط	المجف
.١٦	مكتبة الحبيب / عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ	عيديد
.١٧	مكتبة السيد / عبدالرحمن بن علي بلفقيه	خيله
.١٨	مكتبة الحبيب / علي بن عبدالرحمن الجفري	عيديد
.١٩	مكتبة السيد / علي بن أبي بكر بن الشيخ أبي بكر	عيديد
.٢٠	مكتبة السيد / علي بن حسن بلفقيه	النويدرة
.٢١	مكتبة الحبيب محمد بن سالم السري	السحيل

مكتبة مركز النور للدراسات والأبحاث نموذجا :

برز مركز النور للدراسات والأبحاث الذي أسسه الداعية العلامة عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ كمؤسسة علمية منذ محرم سنة ١٤٢٣هـ/أبريل٢٠٠٢م لتعتني بتوثيق الموروث العلمي من المخطوطات من خلال القيام بخدمة المكتبات الشخصية والأهلية بتوثيقها وصيانتها وترميمها وتحقيقها وإعداد الأبحاث العلمية الشرعية والتاريخية والأنساب العربية وعقد الندوات والأنشطة العلمية المختلفة.

وقد جمعت في قسم التوثيق بالمركز مجموعه من المخطوطات وكذا المصورات الورقية والرقمية من خلال التواصل مع مجموعه من أرباب المكتبات الخاصة في تريم واليمن والخارج بعد إبدائهم الموافقة بتسليم ما لديهم من المخطوطات بشكل عهده يتعهدها المركز ويتولّى الحفاظ عليها وصيانتها وكذا الحفاظ على الحق المعنوي والمادي لأصحابها عند التحقيق والنشر أو السماح بتصويرها للحفاظ على نسخ منها لدى أرباب المكتبات والمركز لتكون في متناول الباحثين وطلاب العلم وقد بلغت الكتب الموجودة في المركز بصورة إجمالية ((٤٨٢٨)) أربعة آلاف وثمانمائة وثمانية وعشرين كتاب بالإضافة إلى الوثائق ((٣٣٢)) ثلاثمائة واثنين وثلاثين وثيقة ، مفصله بتفصيل الآتي :-

الرقم	العلم	الأصول	الورقية	الرقمية	الإجمالي لكل علم
١.	القرآن (المصاحف الشريفة)	١٤	٠٠	٤٣	٥٧
٢.	علوم القرآن	٢٦	٥	١٣٧	١٦٨
٣.	الحديث	٧٨	٤٥	٢٦٠	٣٨٣
٤.	الفقه	٢٣٧	١١٤	٧٦٠	١١١١
٥.	التزكية	٢٣٤	١٨١	٦٧٦	١٠٩١
٦.	التراجم	٢٠	٩٧	١٦٠	٢٧٧
٧.	التاريخ	١٠	٣٠	٢٥	٦٥
٨.	السيرة	٣٦	٢٤	١٠٨	١٦٨
٩.	التوحيد	١١	٨	٥٣	٧٢
١٠.	عقائد وردود	١٦	١٥	٦٧	٩٨
١١.	اللغة والنحو	٦٠	٣٣	٢١٠	٣٠٣
١٢.	أدب	٥٠	٤٩	١١٣	٢١٢
١٣.	المنطق	٠٠	٤	١	٥
١٤.	الفلك	١٣	٣	٤٦	٦٢
١٥.	الأنساب	٧	٢٩	٧٩	١١٥
١٦.	الحساب	٢	٢	١٠	١٤
١٧.	السياسة	١	٠٠	٢	٣
١٨.	الجغرافيا	١	٠٠	٣	٤
١٩.	الطب	٠٠	٠٠	٣٥	٣٥
٢٠.	المنوعات	١٠	٥	٨٧	١٠٢
٢١.	المطويات والمجلات	٥	١	٠٠	٦
٢٢.	المجاميع	٥٤	١٧	٤٠٦	٤٧٧
الإجمالي للكتب حسب العلوم		٨٨٥	٦٦٢	٣٢٨١	
المجموع الكلي العام للكتب					٤٨٢٨ كتاباً
الوثائق		٧	٠٠	٣٢٥	٣٣٢وثيقة

مصادر محتويات المركز من أصول المخطوطات والنسخ المصورة:

جمعت أصول المخطوطات الموجودة في المركز من (١٩) مكتبة أو شخصية من مدينة تريم ومختلف مدن الجمهورية والخارج ساهمت بجلب ما تيسر لها وتقديمه للمركز.

الكتب المصورة ورقياً الموجودة في المركز تم تصويرها وجمعها من (٦٠) مكتبة أو شخصية من مدينة تريم ومختلف مدن الجمهورية والخارج.

الكتب المصورة رقمياً الموجودة في المركز تم تصويرها وجمعها من (٣٥) مكتبة أو شخصية من مدينة تريم ومختلف مدن الجمهورية والخارج.

أبرز وأندر المخطوطات المميزة في المركز:

١. نسخة قديمة نفيسة من كتاب (الرسالة القشيرية) لمؤلفها الإمام أبي القاسم القشيري منسوخة سنة ٤٣٨هـ.

٢. نسخة قديمة مزخرفة وجميلة ذات نقوش رائعة وبديعة من كتاب (المصابيح) لمؤلفها حسين بن مسعود البغوي منسوخة ٩٠٧هـ

٣. نسخة قديمة قيمة من كتاب (حلية الأولياء) للحافظ زكي الدين المنذري منسوخة سنة ٦٧٦هـ.

٤. نسخة قديمة قيمة من (سنن الترمذي) الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي، أبو عيسى (٢٠٩ ـ ٢٧٩ هـ) الترمذي منسوخة سنة ٥٩٤هـ.

٥. توجد بالمركز عدد (٤٢) مخطوطاً أو نسخة من مخطوط بخط مؤلفها.

ثانياً : المحور الإبداعي الثقافي والفني

مدرسة تريم الإنشادية وأبرز مظاهرها.

ظهور ونشوء النشيد في حضرموت عموما وتريم خصوصا:

يمكننا أن نلخص تحديد ظهور النشيد بحضرموت في ثلاثة آراء :

١. ما ذهب إليه المستشرق البريطاني (روبرت سرجنت) من تحديد ظهور النشيد لثلاثة قرون سالفة حيث يقول نقلا عن الأستاذ محمد بن هاشم (ويذكر أنه قبل ثلاثمائة عام دخل الشيخ الفاضل علي بارأس إلى الحرم المدني تبعه حشد من الناس وقاموا بأداء مولد حافل دُعِيَ إليه أعيان المدينة بعد أن قام بجمع الحضارم الموجودين هناك وحداهم بقراءة مولد (شرف الأنام) محافظاً على الطريقة الحضرمية في الإنشاد وقد عمّت النشوة والسعادة جميع الحاضرين إلى آخر ما قال..).

٢. ما يراه الأستاذ جعفر بن محمد السقاف وتطرق إليه في كتابه (لمحات من الأغاني والرقصات الشعبية بحضرموت) من أنّ ظهور النشيد كان منذ ستمائة عام فنجده يقول : (إن رجال الدين بحضرموت منذ ستمائة عام أو أكثر اتجهوا نحو الجماهير لجذبهم إلى آرائهم بواسطة الغناء والسماع أسوة بشاعر عربي هو أبو الحسن التستري الأندلسي (ت٦٦٨هـ) الباقية آثاره إلى اليوم في معظم البلدان العربية والإسلامية.

٣. ما ذهب إليه أخينا الأستاذ حداد بن أبي بكر بلفقيه في كتابه (أنا من الغناء) عليه رحمة الله من أن ظهور النشيد بحضرموت منذ ثمانية قرون وما يزيد حيث قال (ونذهب في ذلك إلى الشيخ محمد بن أبي الحب وهو حضرمي يتصل نسبه بالأنصار وهو من قبيلة قدِمت إلى مدينة تريم من ظفار في القرن السادس الهجري وتولّت على عاتقها خطابة المقابر – أي ما يقرأ من دعاء وتذكير في مراسيم الوفاة – وللشيخ محمد بن أبي الحب أشعار قوية رصينة بليغة تُسمّى القوافي تؤخَذُ عادة في المساجد بعد أداء صلاة التراويح في رمضان ووفاة ابن أبي الحب في سنة ٦١١هـ أي أن المدة الزمنية منذ وفاته أكثر من ثمانمائة سنة).

وعموما فإننا نستأنس برأي أخينا الأستاذ حداد بن أبي بكر بلفقيه وبرأينا أن مزيدا من البحث سيدعم هذا الرأي وعلى أنه ومع ندرة أو عدم وجود المراجع التي يمكن الحصول منها على معلومات دقيقة حول نشوء الإنشاد والشعر والنشيد الديني في حضرموت عموما و تريم خصوصا إلا أنه يمكننا القول أن هذه المظاهر قد ارتبطت بالمناسبات الدينية والاجتماعية المختلفة في حياة المجتمع الحضرمي وأنه لا يمكن أن نتصور مدينة كمدينة تريم يجتمع في يوم الجمعة في الصف الأول ما يقارب الأربعين مُفتيّاً في عصور متقدمة بل أنه في أسرة واحدة مثل أسرة آل أبي حاتم يجتمع كذا وكذا عالم الأمر الذي يعبر عن حالة علمية راقية لا يمكن إلا أن تتّسِمَ بالمحافظة والالتزام بما يسْمُو بالذّوق العام إلى الكلمة الجميلة واللحن العذب وأن يتوّج ذلك بشيء من القصائد الشعرية الوعظية على الأقل .

أبرز مظاهر مدرسة تريم الإنشادية:

من المهم الإشارة في البداية إلى أن الإنشاد التقليدي في تريم وحضرموت عموما تميّز بالمحافظة الشديدة على ما أجمع عليه علماء الأمة ولم تعتريه أي تدخلات فلا تستخدم الآلات الموسيقية في مظاهر الإنشاد التقليدية الحضرمية ومن باب أوْلى تنعدم مظاهر الاختلاط بين الجنسين بما يعطي هذه المظاهر هيبة وقُدسية هي في الأصل هيبةُ وقدسيةُ الهدف الذي أنشأت له. ومن أقدم مظاهر الإنشاد الباقية إلى يومنا هذا رغم ما مرّت به المدينة من تقلبات الزمان المختلفة :

١. **حضرة السقاف** : وهي مجلس سماع وذكر يُعقَدُ في مسجد الشيخ عبد الرحمن السقاف المتوفى سنة ٨١٩هـ ليلتي الاثنين والخميس وفيها ينشد المنشدون من آل بامصري وآل باعرفان وكذا آل باشعيوث أشعارا للشيخ عبدالرحمن السقاف وبعض القصائد للشيخة سلطانة بنت علي الزبيدي التي عاصرت الشيخ عبد الرحمن المذكور وكذلك قصائد أخرى للشيخ عمر المحضار وآخرين.

٢. **مجالس الذكر الإنشادية المرتبطة بالإمام عبد الله بن علوي الحداد** وهي حضرة الجمعة الأسبوعية التي تُعقد في دار الحضرة بجوار مسجد باعلوي بعد صلاة الجمعة والحضرة

الخميسية الأسبوعية التي تعقد في مسجد الإمام الحداد بالحاوي وهي مجالس تقرأ فيها أشعار الإمام الحداد وقصائده الوعظية البليغة الأثر وينفرد بذلك غالبا المنشدون من أسرة آل ابي حرمي الذين يتميز العديد منهم بحسن الأداء والصوت العذب.

٣. **مجلس حضرة الإمام عبد الله باسودان الشهيرة** وهي مجموعة من القصائد والأدعية والأذكار جمعها الإمام عبد الله باسودان وتقرأ في ما يُسمّى بمربعة الحبيب عبدالرحمن المشهور بحارة المحضار.

٤. **النشائد والموشحات الرمضانية اليومية** التي تقرأ سنويا في مساجد تريم عقب صلاة التراويح والتي تعرف بالوترية والفزازية والقوافي والأدعية.

٥. **ما يقدمه المنشدون من أسرة آل باغريب العريقة في تريم** في مجالس الذكر السنوية التي يطلق عليها بالتهاليل وهي ما يُوصي به الأموات من قراءات للقرآن الكريم وتتوج بجلسة التهاليل (ترديد شهادة التوحيد –لا اله إلا الله) هذه التي تتخللها الأناشيد التي يقدّمها المنشدون وفي معظمها بصورة جماعية.

٦. **المجالس الأسبوعية لقراءة قصة المولد النبوي الشريف** التي تعقد في مساجد البلدة المختلفة وما يتخللها من إنشاد للعديد من القصائد الوعظية والمدائح النبوية.

٧. **ما يتخلل العديد من المناسبات الاجتماعية المختلفة** كالأعراس والولائم يقوم بإحيائها فرق إنشادية متخصصة مثل آل باصالح وفرق السماع التي تحيي الزّرْبَادِي وغيرها.

مدرسة تريم للعمارة الطينية ومساهمة معالمة وعمال البناء التريميين في تطوير العمارة الطينية في المنطقة:

لعل معالمة البناء الطيني في وادي حضرموت يُدركون جيدا أن مدينة تريم برزت كمدرسة مستقلة في البناء بالطين والعمارة الطينية كما يميز هؤلاء جيدا بين الأفكار التقنية التي يقدمها معالمة البناء بالطين التريميين عن غيرها في وادي حضرموت. وعندما نتحدث عن مدرسة تريم للعمارة الطينية فإننا ننطلق من عدة معطيات نرجو أن يواصل المهتمون دراستها لإعطاء هذه المدينة ومعالمتها وعمّالها مكانتهم الصحيحة وإنصافهم في ما قدّموه لهذه المنطقة والوطن ولعل أهم هذه المعطيات :

١. اشتغال عدد كبير من الأيدي العاملة في مدينة تريم بأعمال البناء الطيني فنجد المئات من العمال الذين يتوجهون في بداية كل أسبوع إلى نواحي الوديان المختلفة في الوقت الذي يتوجّه يوميا العشرات من العمال للعمل في مختلف مناطق الوادي ناهيك عن العمال الذين يعملون في مدينة تريم.

٢. تخصص أسر كاملة من الأسر التريمية بالعمل في البناء بالطين مثل المعالمة آل عفيف وآل يعمر وآل باصبيح والمزخرفون من آل بُنّه وآل بن عبيدون وغيرهم وتوارثهم هذه الحرفة الأمر الذي ساعد على الحفاظ عليها والتوارث لمستوى رفيع من الوعي والفهم بتقنيات البناء بالطين.

٣. تحقيق معالمة البناء الطيني التريميين شهرة واسعة على مستوى وادي حضرموت ووادي دوعن ووادي عمد إلى الحد الذي أننا ما نجد مُعلّما معمارياً طينياً من مسجد أو قبة ... الخ ؛ إلا وبانيه من مدينة تريم أو عَمِلَ مع معالمة تريميين وخير مثال على ذلك ما بناه المعلم عوض سليمان عفيف فقط (مسجد المحضار بتريم - قبة الحبيب علي الحبشي بسيئون — قبة الحبيب الحسن بن صالح البحر بذي صبح — رباط ومسجد نسرة بدوعن — مسجد بحر النور بالرَّشيد .....وغيرها).

٤. تقديم المعالمة والبنّائين التريميين أوجه إبداعية جديدة على ممر العصور فأول قبة بنيت في مدينة تريم وأول مسجد رباعي القاعدة وبعلو شاهق بني في تريم ولعل قصور تريم وما تفتقت عنه عقلية المهندس علوي بن أبي بكر الكاف والمعالمة التريميين خير شاهد على تقدم ونضج المعالمة والبنّائين التريميين الأمر الذي سنستعرضه لاحقا.

لمحة عن تطور العمارة الطينية في حضرموت :

عندما نقف لتصنيف أدوار تاريخ العمارة في وادي حضرموت وتحديدا في المنطقة الشرقية منه يمكن لنا أن نرتبه إلى أربعة أدوار :

١. الدور التاريخي القديم.
٢. الدور التاريخي الوسيط .
٣. الدور التاريخي الحديث.
٤. الدور المعاصر.

وسنركز هنا هو الدور التاريخي الحديث (ونقصد هنا بالدور التاريخي الحديث أي للفترة من بداية القرن العشرين إلى العقد السادس منه وتحديداً عند تحقيق الاستقلال لجنوب اليمن آنذاك في ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).وهي المرحلة التي شهدت خلالها المدينة توسعاً كبيراً في حركة البناء داخل سورها الأخير والتوجّه إلى بناء المباني والبيوت الكبيرة التي جاءت نتيجة إفرازات الهجرة الحضرمية إلى جنوب شرق آسيا وما أحدثته من ثراء العديد من الأسر جراء تراكمات النشاطات الاقتصادية التي قامت بها هناك.

وهنا نجد أنه من الضروري لفت النظر إلى أوجه الاختلاف بين نمط البناء القديم في الدور السابق والنمط الذي نحن بصدده، تلك الأوجه التي برزت ببروز هذا النوع من المنازل السكنية والتي تمثلت في :

١. التوسع في المساحات والفضاءات الداخلية لدرجة أصبحت معها مساحات الممرات الداخلية في هذه القصور تعادل مساحات الغرف في نمط البناء السكني القديم .

٢. الميل إلى العناية بالزخارف الخارجية والداخلية والجوانب الجمالية الأخرى كإبراز المداخل الرئيسية بعمل القباب عليها وغيرها .

٣. الحرص على أن تكون العديد من الفضاءات الداخلية متصلة ببعضها البعض بفتحات عديدة وكبيرة وخصوصاً غرف استقبال الرجال والنساء مع السطوح المكشوفة المحاذية لها بحيث يتيح استخدامها عند الضرورة بصورة مشتركة بما يعطي مساحة أكبر.

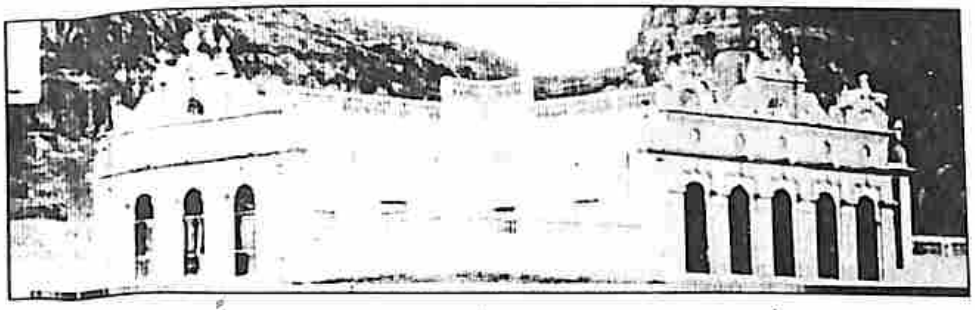
وهكذا فإنه يمكننا تحديد فترة هذه الموجة أنها منذ نهاية العقد الثاني من القرن العشرين حتى الستينات بعد الاستقلال الوطني ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م وتحديدا بعد عام ١٩٦٩م.

وبرأينا أنّ أهم سمات هذه المرحلة هو بدء ظهور المباني الطينية الضخمة والبديعة والتي جاءت بعد بروز أحياء (حافات) جديدة إلى الوجود كحافة السحيل والنويدرة والمحيضرة نتيجة طبيعية للتوسع السكاني والحضري (وهو ما سنتطرق إليه لاحقا). فقد جاء على لسان الرحالة الهولندي دانيال فاندر ميولن الذي زار حضرموت صيف ١٩٣١م/١٣٥٠هـ : (شيدت هناك ضاحية جديدة — ويقصد بها حارة النويدرة - بأكملها جزء منها للعاملين مع آل الكاف، لم نجد بين الأماكن التي زرناها حتى الآن مثل هذا المكان الزاخر بالحياة والتوسع)

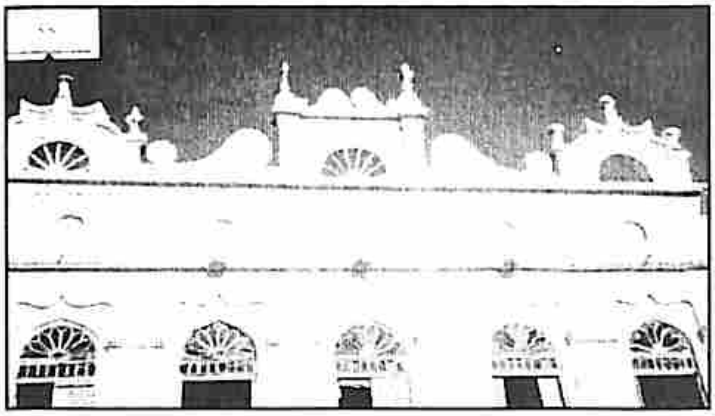
وفي فقرة أخرى قال : (سرنا عبر الضاحية الجديدة حتى وصلنا سور المدينة الذي يصعد منحدر الجبل عند هذه النقطة حتى يصبح صعب التسلق وهناك قلعتان بجنودهما لتقوية نقطة البداية هذه للأعمال الدفاعية ...)[١٠] . على أن الأمر لا يتوقف على المباني والبيوت بل تعدّاها إلى المساجد فنجد أن مسجد المحضار بمئذنته المربعة يعتبر أيضا نموذجا للطّراز المعماري الحديث والوافد على الطراز السائد في المدينة حينها وهو المئذنة الدائرية القاعدة. الأمر الذي أشار إليه أيضا الرحالة الهولندي دانيال فاندر ميولن في رحلته تلك قائلا (من المؤسف له أن هذه المئذنة مبنية على النسق الحديث ....)[١١].

نماذج وصور لإبداعات معالمة البناء التريميين وإسهامهم في تطور أساليب البناء بالطين والعمارة الطينية وتطوير قدرتها على مواكبة متطلبات العمارة الوافدة :

إننا عندما نتحدّث عن أن أساليب البناء المتبعة باستخدام خام الطين في وادي حضرموت قد واكبت متغيرات وحاجات العمارة الوافدة آنذاك فإننا وبكل ثقة نقول أن البناء باستخدام الطين قادر على مواكبة كل متطلبات العصر مع ضرورة المزج في الأفكار التقنية للعمارة الطينية والعمارة الوافدة التي جسد المهندس علوي الكاف رمزاً للشخصيات التي قدّمت العديد من الأفكار والرسوم الزخرفية البديعة في مختلف أنواع الزخرفة الداخلية والخارجية في المباني الطينية ، فقد أثبتت الفترات الماضية وخصوصاً فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى حتى استقلال جنوب اليمن سابقاً قدرة العمارة الطينية في حضرموت على مواكبة المتغيرات المختلفة التي حملتها الأيام ، حيث أن هذه الفترة بالذات حملت الكثير من التغييرات التي جاءت نتيجة طبيعية لاضطراد احتكاك أبناء المنطقة بالعالم الخارجي وخصوصاً المناطق التي هاجروا إليها ، وما يلي من معطيات يؤكّد بما لا يدع مجالا للشك ما نذهب إليه خصوصا عندما نتحدث عن ظهور الطراز المعماري الكولونيالي بما حمله من مختلف الأفكار والمتغيرات الجديدة التي واكبتها العمارة الطينية في وادي حضرموت بجدارة ، فإننا سنجد أنها غنية بالأمثلة والصور المختلفة التي منها :

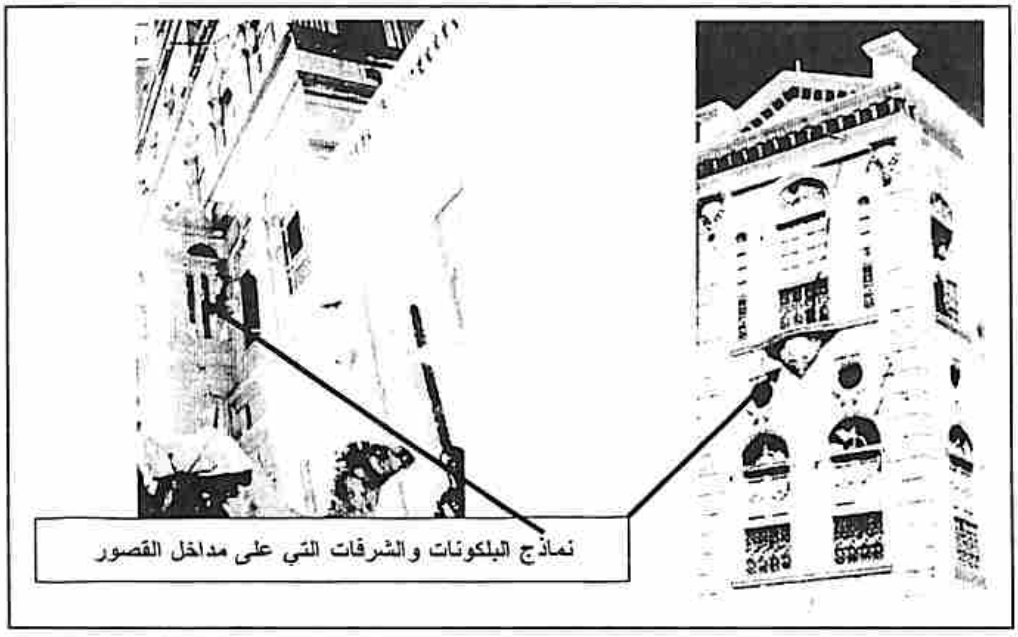


تكيف الطين لحاجات الزخرفة الخارجية للقصور:



- الأساليب التقنية المذهلة في صناعة التيجان المزينة لواجهات القصور في وقت لم يستخدم فيه الجبس أو الاسمنت فقد اتبع البناءون أساليب بسيطة ومبتكرة للحصول عليها ، حيث أنه مثلا للحصول على مجسم لأكثر من قبة متداخلة فإن المعلم يقوم أولاً بإحضار عصى من شجرة السدر شتوية القطع (لقدرتها على مقاومة الأرضة) ثم يتم لف حبل من نوع خاص حولها بحيث يتم مع اللف التجسيم حسب شكل المجسم المراد تشكيله ثم يتم تلبيسه بالطين وبعده بالنورة بحيث يتم تهذيبه ليأخذ شكل المجسم المراد صناعته.

- البلكونات والشرفات التي على المداخل والتي أكسبت هذه البيوت بكاملها بروزا وعظمة قلّ ما سيعطيها مثلها أي وسيلة تزيينية أو جمالية أخرى والتي أثبتت خبرة البنائين إمكانية مسايرة هذا النمط وتنفيذ كل الأعمال المرتبطة به بصورة مبهرة. وغيرها من الأساليب والأفكار البسيطة والمذهلة في زخرفة وتصميم الواجهات وغيرها.

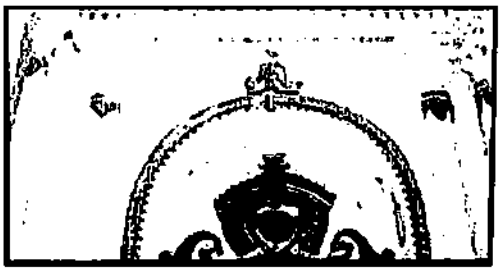


نماذج البلكونات والشرفات التي على مداخل القصور

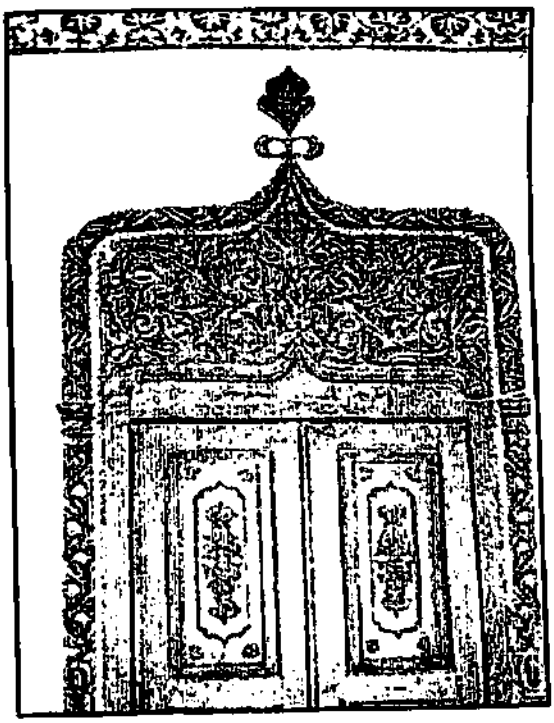
تكيف الطين لحاجات الزخرفة الداخلية البديعة :



١.زخارف الأرفف (الطيقان) في الجدران التي تستخدم لوضع الأغراض المختلفة(وسائل الإنارة ، حفظ المصاحف، كتب، تحف جمالية). كما تستخدم لإضفاء الجانب الجمالي وأعمال الديكور الداخلية.



٢.تيجان الأعمدة (الكبش) المزينة لنهايات الدعائم التي تحمل أسقف المباني ويظهر فيها الطابع الجمالي التي تتميز به الزخارف الداخلية لمباني وادي حضرموت.



٣.الزخارف المحيطة بالأبواب والنوافذ التي تزيّن هذه الفتحات وتعطيها طابعاً جمالياً متميزاً.

٤.الدواليب الجدارية التي تُنشأ وسط الجدران وتستخدم لحفظ الأغراض والأمتعة كما يتفنن فيها النجار الحضرمي بتنفيذ العديد من الزخارف الجمالية عليها.

٥.الزخارف الجدارية التي تزين الجدران الداخلية للبيوت وتتركز في المساحات الجدارية وفي مواقع التقاء الجدران بالسقوف.

٦.الزخارف الجمالية التي تنفذ في السقوف وهي إما تكون بتغطية وتلبيس القواطع الخشبية الأفقيه بحيث يتم التغلب على العناصر الجمالية المشوهة من جراء عدم تناسق هذه القواطع الخشبية المحلية المستخرجة من أشجار السدر وغيرها والغير منتظمة الشكل والحاملة للسقف الأعمدة الأفقية بحيث تظهر بشكل منتظم وأيضا من خلال التغطية والتلبيس للسقف بصور كاملة وبشكل مستوي تماما تشبّها بالسقوف الأسمنتية لتتم زخرفته فيما بعد بزخارف إما مرسومة أو مجسمة.

بعض الابتكارات المذهلة لحاجات التهوية :

والتي من أبدعها ما نُفِذَ في الغرفة الشرقية الجنوبية بالطابق الأول في بيت السيد عمر بن شيخ (عشة) حيث تميزت الغرفة بوجود فتحات في جميع الجهات الأربع ففي الجهتين الشرقية والجنوبية توجد نوافذ الغرفة المطلّة على الخارج وفي الجهة الغربية ثلاثة أبواب كبيرة تفتح على السطحة الكبيرة (مساحة مكشوفة) أما في الجهة الشمالية فقد أُبتكرت فتحات داخلية في الدواليب الحائطية والتي تفتح وقت الحاجة لها. بالإضافة إلى المساحات المكشوفة (السُطَحْ – جمع سطحة) التي يحرص على وجودها في كل طابق تقريباً والتي تزخرف بعض جدرانها وخصوصاً الجدران الغربية منها بالمحاريب الدالة على اتجاه القبلة للصلاة.

كما أنه هناك العديد من الإبداعات المذهلة التي تجسّد مساهمة معالمة وعمال البناء التريميين في تطوير العمارة الطينية والتي يطول الحديث عنها ونكتفي بهذا القدر عن مدرسة تريم للعمارة الطينية ولمن أراد الاستزادة في هذا الموضوع فيمكنه الرجوع إلى بحثنا الموسوم (لمحة تاريخية عن صور تطور أساليب البناء في العمارة الطينية في وادي حضرموت - مؤتمر السكان والأجيال القادمة) / جامعة ذمار ٢٠٠٠م.

النشاط الثقافي والإبداعي في تريم خلال القرن الماضي(نموذجا)

النشاط الرياضي :

أول نادٍ رياضي ثقافي: شهدت مدينة تريم اهتماما مُبكرا بالرياضة فتأسس أول ناد رياضي ثقافي في المدينة وهو نادي الشبيبة المتحدة سنة ١٣٥٠هـ - ١٩٢٩م وترأسه السيد عمر بن شيخ الكاف والذي يُعَدّ أول ناد له فريق كرة قدم ومقره وملتقاه الثقافي أولاً في بيت المهندس علوي الكاف ثم لاحقا في قصر المنيصورة الذي عُقدت فيه العديد من المحاضرات والندوات التي لم يحفظ لنا الدهر منها إلا القليل مثل المحاضرات التي ألقاها الأستاذ محمد بن هاشم بن طاهر كمحاضرة (رحلة الثغرين) التي ألقاها في ١٥ شعبان ١٣٥٠هـ/١٩٣١م مُتحدثاً عن الطريق التي ربطت بين ساحل ووادي حضرموت.

أندية مدينة ومديرية تريم حاليا:

نادي الوحدة الثقافي الرياضي: يعود تأسيس نادي الوحدة الرياضي بتريم إلى عام ١٩٥٢م باسم نادي الشباب حيث تم دمج نادي الشباب والنادي الأهلي تحت أسم نادي الوحدة الرياضي الثقافي الاجتماعي وذلك عام ١٩٧٣م.

نادي البرق: تأسس كفريق شعبي عام ١٩٧٩م وأعلن كناد عام ١٩٩٩م ونال الاعتراف المؤقت عام ٢٠٠٠ م وحصل على الاعتراف الرسمي في أبريل ٢٠٠٣م.

بالإضافة إلى أندية ضواحي تريم التي تأسست حديثا وهي: نادي شباب عينات، نادي الهلال بالسويري، نادي الأحقاف بالغرف، نادي شباب اللسك بمنطقة القرية وغيرها.

الصحافة :

رغم حالة التخلف الشديد والعزلة التامة فقد شهدت حضرموت عموما بما فيها تريم منذ مطلع القرن العشرين محاولات جادة لبداية حركة صحفية أشار إليها الدكتور عبدالله يحيى الزين في كتابه (النشاط الثقافي والصحفي لليمنيين في المهجر - ص ٥٣ جدول ١) فقد كان السبق فيها (لمجلة السبيل) التي أصدرها السيد محمد بن عقيل بن يحيى في المسيلة عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م ثم (صحيفة الإخاء) التي صدرت منذ عام١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م والتي تولى إدارتها السيد أحمد بن علي بن أحمد الكاف (ت١٩٦٩م) ورأس تحريرها السيد محمد بن حسن بن شيخ الكاف (ت ١٤٠٥هـ). كما ذكر الأستاذ القدير أحمد بن عبد الله بن شهاب في كتابة (تريم بين الماضي والحاضر) ما مفاده بأنه: "صدرت سنة١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م بمنطقة المسيلة (مجلة الحلبة) التي أسسها الأستاذ موسى الكاظم بن عبد القادر بن يحيى كما صدرت عن مكتب الطلبة بتريم (مجلة التلميذ) وهي مجلة علمية أدبية فكاهية سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م".

ثالثا : المحور الاجتماعي

أهم المناسبات السنوية والعادات الاجتماعية ومميزاتها وأثرها في تكوين الشخصية التربية من الناحية العلمية والاجتماعية والتربوية:

أولا المناسبات الدينية السنوية وما يقيمه أهالي البلدة من فعاليات دينية اجتماعية عامة.

الشهر	المناسبة	وقتها
محرم	قراءة فضائل يوم عاشوراء عصرا في مسجد شكرى بالمسمر وبعد صلاة العشاء في مسجد باعلوي.	العاشر من الشهر
	حولية الإمام المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى بالحسيسة.	بداية الشهر
	زيارة ضريح سيدنا الصحابي الجليل عبّاد بن بشر صباحا في منطقة القرية (اللسك).	بعد العاشر من الشهر
	زيارة الشيخة العابدة الزاهدة سلطانة بنت علي الزبيدية.	نجم خباء
صفر	قراءة آخر أربعاء في جبل الرفيف بما يعرف بغار آل محيي الدين.	آخر أربعاء من الشهر
	خروج أهالي تريم للنزهة (مداد) في المتنزهات والمزارع المحيطة بالبلدة.	آخر أربعاء من الشهر
ربيع الأول	احتفال بالمولد النبوي الشريف بقراءة سيرته صلى الله عليه وسلم في مسجد شكرى بعد العصر وكذا بعد العشاء في مسجد باعلوي.	ليلة ١٢ من الشهر.
	احتفال بالمولد النبوي الشريف بقراءة سيرته صلى الله عليه وسلم بمسجد المحضار+ مسجد أحمد ابن الفقيه+ مسجد الشيخ عيديد.	فجر يوم ١٢ من الشهر.
	احتفال بالمولد النبوي الشريف بقراءة سيرته صلى الله عليه و سلم في دار مقام الإمام الحداد بالحاوي بعد الفجر.	آخر أحد من الشهر بعد الفجر.

	احتفال بالمولد النبوي الشريف بقراءة سيرته صلى الله عليه وسلم بمقبرة زنبل	مساء آخر أحد من الشهر.
	احتفال بالمولد النبوي الشريف بقراءة سيرته صلى الله عليه وسلم بقبة الإمام عبد الله بن أبي بكر العيدروس.	صباح آخر اثنين من الشهر.
	احتفال بالمولد النبوي الشريف بقراءة سيرته صلى الله عليه وسلم بزاوية الشيخ سالم بن فضل بافضل.	صباح آخر ثلاثاء من الشهر.
	احتفال بالمولد النبوي الشريف بقراءة سيرته صلى الله عليه وسلم برباط تريم	صباح آخر أربعاء من الشهر.
	احتفال بالمولد النبوي الشريف بقراءة سيرته صلى الله عليه وسلم بمسجد الحبيب عبد الله بن شيخ العيدروس.	عصر آخر أربعاء من الشهر.
	احتفال بالمولد النبوي الشريف بقراءة سيرته صلى الله عليه وسلم بمسجد السقاف	عصر آخر جمعة من الشهر.
ربيع الثاني	الذكرى السنوية لوفاة الإمام طاهر بن حسين بن طاهر بمسيلة آل الشيخ	١٧ من الشهر.
رجب	احتفال بقدوم الشهر الحرام مجلس ذكر تقرأ فيه فضائل الشهر بمسجد سُوِيَّهْ	أول ليلة من الشهر.
	احتفال بقدوم الشهر الحرام بقراءة السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم بمسجد المحضار+ مسجد أحمد ابن الفقيه+ مسجد الشيخ عيديد	فجر اليوم الأول من الشهر.
	احتفال بقدوم الشهر الحرام بقراءة السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم ببيت الحبيب حسين بن عبد الله عيديد	الخميس الثاني من الشهر
	قراءة قصة الإسراء والمعراج بمسجد باعلوي	ليلة ٢٧ من الشهر
	احتفال بقدوم الشهر الحرام بقراءة السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم بجامع تريم	آخر أربعاء من الشهر.

شهر شعبان	بدء زيارة نبي الله هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بزيارة آل بلفقيه و زيارة آل الحداد وعصرا زيارة آل بن حامد وتليها اليوم التالي زيارة آل شهاب الدين ثم زيارة آل الشيخ أبي بكر بن سالم وعصرا زيارة المناهيل	٩ – ١٠ - ١١ شعبان.
	قراءة ما ورد عن فضائل ليلة النصف من شعبان بجامع تريم	ليلة ١٥ من الشهر.
شهر رمضان	التهنئة بقدوم الشهر ببيت مقام الإمام الحداد+ بيت مقام الإمام عبد الله باعلوي	ليلة التاسع من الشهر.
	جلسة عامة (بدر الكبرى) ببيت الحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب	ليلة السابع عشر من الشهر.
	ختم القرآن بمساجد تريم	تبدأ من ليلة ٩ إلى ليلة ٢٩ وتكون في الليالي الوترية من الشهر.
شهر شوال	إحياء ليلة العيد بمساجد تريم	أول ليلة من الشهر.
	ختم القرآن بمجموعة من مساجد تريم	كل ليلة. من ليلة ٦ إلى ليلة ١١ من شوال.
	التهاني بالعيد ببيوت أعيان تريم	من ٨ إلى ١٠ شوال.
شهر ذي الحجة	خروج أهالي تريم للنزهة (مداد) في المتنزهات والمزارع المحيطة بالبلدة فيما يُعرف بالبلدة بمطلع الحَطَبْ.	يوم السابع من الشهر.
	خروج أهالي تريم للتشبه بأهل عرفات بما يُعرف بموقع التعريف في حارة خيلة	٩ ذي الحجة.

ثانياً : العادات والتقاليد في مدينة تريم :

ماهي العادة ؟

هي مِنَ فِعْل تعوّدَ يتعوّدُ تعويداً ، ومعنى هذه الكلمة ومفهومها الدّارج هو تلك الأشياء التي درج الناس على عملها أو القيام بها أو الاتصاف بها ، وتكرَّرَ عملها حتى أصبحت شيئاً مألوفاً ومأنوساً، وهي نمطٌ من السلوك أو التصرُّف يُعتادُ حتى يُفعل تكراراً ، ولا يجد المرء غرابة في هذه الأشياء لرؤيته لها مرات متعددة في مجتمعه وفي البيئة التي يعيش فيها . فالعادة إذن هي (ما تكرر فِعلُهُ حتى أصبح دَيْدَناً ، وألفته الناس لكثرة تكراره في حياتهم العامة). وفي تريم تتعدد العادات الاجتماعية فعمِلْنا على انتقاء بعضٍ منها وصنفناها إلى أربعة أصناف ولمن أراد الاستفاضة في هذا الموضوع فقد قام الحبيب حامد بن محمد بن شهاب وجمع في كتابه (عادات تريم) شيء من التفصيل في هذا الموضوع كما أن الباحث صالح بن سعيد باعوضان يَعِدُّ بحثاً (العادات والتقاليد في مدينة تريم من منظار شرعي).

أولا : عادات لها ارتباط بالحياة الدينية في المجتمع التريمي:

١. **حزب القرآن الكريم:** اجتماع عدد من المصلّين بين المغرب والعشاء في المسجد لتدارس القرآن الكريم وقراءته.

٢. **إحياء ليلتي عيد الفطر والأضحى:** اجتماع أهالي تريم لإحياء تلك الليلتين في المساجد بالتكبير وتلاوة القرآن والأذكار حتى مطلع الفجر.

٣. **الختومات:** يجتمع المصلّون في كثير من مساجد تريم في الليالي الوترية من شهر رمضان المبارك ، ويختمون القرآن في صلاة التراويح مع التكبير.

٤. **التعريف بيوم عرفة:** اجتماع أهالي مدينة تريم بالأذكار والدعوات والابتهالات يوم عرفة (التاسع من ذي الحجة) عصراً بمكان التعريف تشبّهاً بأهل عرفة كما هو عمل بعض الصحابة كابن عباس وعمرو بن حريث رضي الله عنهم من الصحابة وعمل بعض أئمة المذاهب.

٥. **قراءة قصة الإسراء والمعراج**: اجتماع أهالي البلدة ليلة السابع والعشرين من رجب في مسجد آل أبي علوي لقراءة قصة الإسراء والمعراج على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وأزكى التسليم.

٦. **ليلة النصف من شعبان**: اجتماع كثير من الناس في بعض مساجد تريم بين المغرب والعشاء على تلاوة القرآن والأذكار والدعوات وإحياء تلك الليلة بذلك إلى الفجر رجاء الثواب من المولى عز وجل.

٧. **أذكار المساء**: اعتاد غالبية أهل تريم على قراءة أذكار المساء جماعياً بين المغرب والعشاء بعد قراءة القرآن وقبل صلاة العشاء.

٨. **المصافحة بعد الصلاة**: المصافحة وخصوصا بعد صلاتي العصر والصبح، وبعد أذكار الصلاة يلتقي المصلون للمصافحة والسلام فيما بينهم.

٩. **ختم القرآن للميت**: يجتمع جم غفير لقراءة القرآن في بعض المساجد في إيصال ثواب ما قرؤوه لذلك الميت.

١٠. **الإعلام بموت الميت (النبأ)**: اعتاد أهل تريم أن ينادوا باسم الميت في مساجد متفرقة من المدينة والإعلام بوقت الصلاة عليه حتى يجتمع الناس للعزاء والصلاة عليه.

١١. **الصلاة على الميت الغائب**: اعتاد أهل تريم أن يصلوا على الميت الغائب عن البلد بعد صلاة الجمعة في بعض الجوامع لكثرة المصلين.

١٢. **صلاة المغرب مباشرة**: اعتاد أهل تريم أن يصلوا بعد دخول وقت المغرب مباشرة مراعاة لوقته القصير وضيقه كما في بعض الأقوال الفقهية.

١٣. **العُوادات**: هي تبادل التهاني والتبريكات بالعيد بين الأقارب والأصدقاء مع الذهاب إلى البيوت لذلك، بالإضافة إلى حصول بعض الاجتماعات الكبيرة في بيوت بعض الأعيان والوجاهات الاجتماعية في أيام مخصوصة من أيام العيد يحضرها الجم الغفير من أهالي تريم وضواحيها.

١٤. **صلاة العيد في الجبّانة (مصلّى العيد)**: يحرص جم غفير من أهل تريم يوم العيد على الخروج إلى الجبّانة واجتماعهم لصلاة العيد وخطبتيها.

١٥. **المدارس العلمية والرُّوَح :** اجتماعهم في أكثر أيام الأسبوع في بعض الزوايا والأربطة لتعليم العلم الشريف والأمور الدينية صباحاً وبعد العصر وبين الظهرين في أوقات لا يعمل فيها المشتغلون بالحرف، ويتصدر فيها ذو كفاءة علمية مؤهلة للقيام بهذا.

١٦. **صيام الست من شوال :** اعتاد أهل تريم صيام هذه الأيام المباركة بعد عيد الفطر مباشرة حتى يمزح البعض فيقول الأيام من ٢ إلى ٧ شوال (رمضان الصغير).

١٧. **إدخال الفرحة على الأطفال :** يحرص أهل تريم على توزيع بعض النقود والحلويات على الأطفال يوم عاشوراء وأيام ختم القرآن في رمضان كما ورد في السنة.

١٨. **الاحتياط في الأبضاع والأموال،** والأخذ بالأحوط من أقوال الأئمة فيهما.

١٩. **وضع اللبنات الأولى للبيوت الجديدة :** اعتاد أهل تريم قبل البدء في البناء دعوة بعض الصالحين لوضع اللّبنات الأولى في البيوت الجديدة.

٢٠. **قراءة خطب العلماء السابقين :** جرت العادة على قراءة خطب منبرية فصيحة وقصيرة كما هي السنة عن بعض العلماء السابقين مثل قراءة خطبة الإمام اسحق بن أبي نباته في مسجد جامع تريم.

٢١. **التقيد والالتزام بإجماع المذاهب :** مراعاة الخروج من الخلاف لدى أئمة المذاهب في بعض المساجد القديمة مثل مسجد باعلوي ومسجد المحضار.

٢٢. **تعظيم وإشهار الاحتفالات الدينية :** اعتادوا على إشهار وإظهار الفرح والاحتفال بالمناسبات الدينية كالثاني عشر من ربيع الأول والسابع والعشرين من رجب وغيرهما تعظيما لشعائر الله.

ثانياً : عادات الزواج:

تختلف في مدينة تريم فقط مسميات عادات الزواج من شريحة اجتماعية إلى أخرى وكذلك فيما يتعلق بالفرق التي تُحيي هذه الزواجات أو الرقصات الشعبية التي تعقد خلال الزواج فنجد شريحة ما تفضّل نمط مُعيّن في حين يسود في شريحة أخرى نمط آخر. ولعل أهم ترتيبات وعادات الزواج ما يلي :

الدعوة للزواج : يتم تحضير الدعوات وتوزيعها قبل أسبوع من موعد الزواج بحيث يقدم كل طرف قائمة بأسماء المدعوين.

العراض : أول المراسيم الأساسية وتعتبر إعلان بدء الأفراح في البيت عندما تأتي الفرقة التي ستحيي الزواج سوى كانت البطيق أو الزربادي أو خدّام السقاف فيستقبلهم أهل العريس وأقاربه ومن خلفهم زغاريد النساء بحيث تظهر مظاهر الفرحة في البيت ويقام العراض لدى الرجال والنساء كل على حدة ويدار خلال هذه الجلسة البخور والماء والقهوة وتختم بقراءة الفاتحة.

عشاء المرجة : وتقام بعد صلاة العشاء في أول ليلة للزواج وهي عبارة عن حفل فنّي في بيت العريس يتخلله الحناء للعريس.

الحراوة : وهي مناسبة عقد النكاح في بيت العروسة ويتخللها وجبة عشاء قديما، وأصبحت حاليا وجبة غداء بل واكتفى البعض بتوزيع حبوب السمسم.

الحِكَا : وهو الحفل الذي يُعقد في بيت العروسة للنساء حيث يتناوبن الرقص (الزفين) مع ترديد الزغاريد.

الصُّبْحَة : وليمة العرس والزواج لدى العريس.

الظُّلّة: وهي جلسة عامة مفتوحة لجميع النساء تُعقد عصر يوم الصبحة تتخللها الأناشيد التي ترددها فرقة (المشترحات) والنساء يقمن بالرقص (الزفين).

الخَطْرَة : وهي الوليمة التي يُدعى إليها العروسين الجديدين لدى أقاربهم.

ثالثاً : عادات الوفيات :

عند حدوث الوفاة في أي بيت في مدينة تريم يقوم أهل الميت بإشعار الأقارب والجيران والمعارف والأعيان وغيرهم بالوفاة فتتوافد الجموع لتقديم التعازي والمواساة. يتم ترتيب ما يلزم لتجهيز الميت مما هو مسنون من إخراج ملابسه وتغميض عينيه وشدّ لحيه وتليين مفاصله ولو بالدهن إن احتيج إليه وذلك حال الوفاة على الفور ووضعه على الشطفة وهي مصنوعة من خوص النخل ويُيَمِّمَ وجهه إلى القبلة وعليه غطاء أبيض من قماش خفيف يُسجى به

جميع جسمه . ومن جديد يبرز دور أهل الحارة الكبير في خدمة المجتمع بدءا بإشعار قراء القرآن العظيم ومن يقوم بالغسل وحفر القبر والنبأ العام في جميع أحياء المدينة بموعد تشييع الجنازة والصلاة على الميت والدفن.

من عادات الوفيات الطيبة أنه بعد الصلاة على الميت يحمل النعش وينادي القائم بالتشهودة بطلب العفو والمسامحة للميت من قبل الجميع بقوله: (فلان بن فلان يطلب العفو والمسامحة من الجميع) ويتواصل التشييع إلى المقبرة.

ختمة الوحشة وهي قراءةٌ لختمة كاملة من القرآن العظيم يتم قراءتها بين لحد ودفن الميت.

التسابيح وهي اجتماع أقارب الميت ومحبّيه وأصدقائه لترديد الأذكار مثل (سبحان الله وبحمده) نحو خمسين مرة مع قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم يُوهَب ذلك للميت ووالديه وأهله وأقاربه معارفه وجيرانه ، ويتردد هذا الأمر مرات ، وتستمر التسابيح لمدة ليلتين أو ثلاث ليال ، ويعقبه ختم للقرآن ، وإذا كان الختم في التربة على القبر يكون في الصباح ، وإذا كان في المسجد يكون بعد أداء صلاة العصر مباشرة.

ومن العادات الجميلة حضور طلاب علمتي باغريب وباحرمي الصغار (ممن أعمارهم من ٤- ٦سنوات) أو ما يطلق عليهم في تريم بعيال العلمة للجنائز وقيامهم بقراءة الفاتحة جماعيا في مشهد مؤثر يكسرون به حاجز الملل من البقاء داخل المعلامة ويعينهم ذلك على الحفظ ثم ينصرفون مرددين عبارة (يا الله اسقنا الغيث).

رابعاً : عادات مختلفة:

وهي عادات يطول الحديث عنها في هذه المساحة المحدودة للبحث إلا أننا سنكتفي بإيراد نموذجين فقط وعلى المهتم يمكنه الرجوع إلى بحث الأستاذ مصطفى حامد بن سميط والأستاذ صالح بن سعيد باعوضان اللذان يقومان مشكورين بجمع بحث عام حول عادات تريم المختلفة.

عادة (والنار والبير): وهو ما يعرف اليوم بالدفاع المدني ؛ فعند حدوث أي كارثة طبيعية مثل الحريق أو السيل أو تهدم شيء من البيوت فنجد الجميع يهتف لمن هو قريب من موقع

الكارثة بـ (النار والبير) فيتقاطر أصحاب الحافة وكل من هو قريب من موقع الكارثة للإنقاذ والنجدة والإسعاف وهم مستعدون بالمعدات المطلوبة مثل خراطيم المياه والقدور والمعاول وغيرها.

عادة المداد أو المَنْدَرْ: ومما يعتني به أهالي تريم عادة التنزّه أو ما يُعرف بالمداد أو بالمَنْدَرِ في مواسم وأوقات مثل آخر أربعاء من شهر صفر ويوم السابع من ذي الحجة وبعد هطول الأمطار ، كما أنهم يتوجهون إلى أماكن معينة اعتنوا بتجهيزها بما يلزم مثل مول العَرْض أو مول اللَّوسط مول القويرة أو على ضفتي مجرى السيل على أنهم يقومون بالمداد فرادى أو كأُسر وكذلك جماعات مثل:

مداد آل الرباط أو طلبة العلم الذي ينفذه طلاب رباط تريم العلمي في (تالي ربوع) آخر أربعاء من شهر صفر من كل عام والذي يتوجهون فيه قديما إلى موقع في جبل خَيلة أوقَفَهُ السيد المحسن حسن بن أحمد بن سميط لم يزل باقيا حتى يومنا هذا حفر فيه بئرا وأسس معملا لتعبئة المياه النقية (مياه الحياة) فيقضون يومهم في مرح وتعاون على تهيئة ما يحتاجونه وتعقد جلسات الشاي والنشيد التي يقدّم خلالها الطلاب إبداعاتهم.

مداد البقّارة :

والبقارة هم مجموعة من الأسر التريمية المشتغلة بالزراعة والمتخصصة بحراثة الأرض بأبقارهم ومعظمهم يسكنون بحارة الخِليف وعيديد والنويدرة ودمون والسويري ومن أهم ما يتميزون به إطالتهم لشعرهم الأمر الذي يمكنهم من تأدية ما يسمى بالنعيش وهو تحريك الرأس يمينا ويسارا لاستعراض طول الشعر وجماله ولهم مدادهم (نزهتهم الجماعية) الخاص والمميز بحيث يتوجهون عادة بعد حصول المطر في جماعات على جمالهم أو حميرهم إلى (المسيلة) وتحديدا في مواضع خاصة في مجارى السيول ويقضّون نهارهم في مرح وعند العودة تستقبلهم الجموع في الشوارع ويتقدم الركب مجموعة منهم وهم ينعشون والنساء يزغردن من البيوت فتعم البهجة المدينة.

نظام الحويف (الحارات) في تريم ومميزاته في خدمة المجتمع:

إن نظام الحويف (جمع حافة أي حارة) السائد في مدينة تريم يجسد حالة نموذجية في خدمة المجتمع فنجده عبارة عن كيان يجمع عقّال وأعيان الحارة وما يُسمى (أصحاب الحافة) بقيادة مقدّم الحارة الذي تكون له المرجعية الاجتماعية والكلمة الفصل في القضايا الاجتماعية، وقد اعتنى أهالي مدينة تريم منذ القدم بهذا النظام فأوقفوا الأوقاف المختلفة على حاراتهم لمساعدتها في تنفيذ ما تقوم به فنجد في الحارة جميع الأدوات والمعدات التي يستفيد منها كل فرد وأسرة في الحارة والتي يحتاجها هذا النظام لتنفيذ مهامه والذي يتبنّى شؤون خدمة المجتمع مثل:

١. تنظيم التعاون والمساعدة في إقامة الأفراح، حيث يوفر نظام الحويف أوعية الطبخ من الأواني الضخمة والصحون وكؤوس الشرب وأباريق القهوة وفناجينها وجميعها موقوفة على الحارة كما يقوم أفراد من أبناء الحارة في توزيع الماء أو القهوة وهو ما يطلق عليه في المدينة عملية (الدِّير) تعاونا مع صاحب الزواج ومن دون مقابل. وبالمثل أيضا في حالات الوفيات وترتيب الجنازات فنجد أنهم يقومون بتوفير جميع الأدوات المتعلقة بالوفاة في الجنازة وما يتبعها وما يحتاج إليه لغسل الميت من أدوات منها المغتسل المعروف في تريم بالشجب والآنية الخاصة بالماء وغير ذلك، وجميع لوازم غسل الميت بما يعرف في تريم بالحتيكة والسّدر والكافور.

٢. ترتيب المناسبات الاجتماعية المختلفة ومظاهر الاحتفالات في بعض المناسبات من خلال فرقة الحارة الخاصة بالرقص وخصوصا رقصة الشبواني وغيرها.

٣. تنفيذ ما يطلق عليه اليوم شؤون الدفاع المدني من إطفاء الحرائق أو إغاثة المنكوبين ممن يتعرضون للكوارث الطبيعية المختلفة من أمطار أو مجاعات أو زلازل أو انتشار أوبئة.. الخ، فنجد عند حدوث الكوارث كل من كان قريبا من موقع الكارثة يستنجد من خلال الهتاف صائحا (النار والبير) ليغيثه كل من يسمعه ويتوافد أصحاب الحافة إلى موقع الكارثة للإنقاذ والنجدة والإسعاف بالأدوات المطلوبة مثل خراطيم المياه والقدور والمعاول وغيرها.

الحويف (الحارات) في تريم .. النشأة والتوسع:

يؤكد المؤرخون أن مدينة تريم كان اختطاطها في القرن الرابع قبل الميلاد ، وجاء في (معالم تاريخ الجزيرة العربية) للأستاذ سعيد عوض باوزير: (أن تريم كان تأسيسها في عهد الحكم السبئي لحضرموت وأنها سُميت باسم أحد أولاد سبأ الأصغر أو باسم القبيلة التي من تريم هذا). وهناك رأي آخر يقول: أن تريم اُختطّت في زمن (أسعد الكامل) من التبابعة الحميريين وهو إنما كان في القرن الرابع الميلادي ويقرب من هذا الاتجاه ما جاء في كتاب (شروح الصدور) للسيد علي بن عبد الرحمن المشهور: "من أن حصن الرناد بُني قبل البعثة المحمدية بأربعمائة عام". أما بالنسبة لتحديد المدينة القديمة وحاراتها فقد ذكر الشيخ محمد بن عبد الله الخطيب في كتابه (برد النعيم) : "إن أصل مدينة تريم القديمة الخليف والأزرة وهما حارتان متصلتان بالحصن والسوق النجدية".

فمدينة تريم قديما عبارة عن ما يقع حول حصن الرناد أي أنها لا تتجاوز من الغرب ما بين مقبرة الفريط جنوبا ومسجد باجرش شمالا ومن الشرق ما بين مسجد عاشق المعروف سابقا بمسجد آل أبي حاتم جنوبا ومسجد باعلوي شمالا. ولقد توسّعت مدينة تريم خلال العشرين سنة الماضية واستقرت حارات تريم حاليا على:

السُّوق – من أقدم حارات مدينة تريم التي نشأت في مراحل تاريخية متقدمة من نشوء البلدة.

الخَلِيف - من أقدم حارات مدينة تريم التي نشأت في مراحل تاريخية متقدمة من نشوء البلدة.

الرضيمة - من أقدم حارات مدينة تريم التي نشأت في مراحل تاريخية متقدمة من نشوء البلدة.

خَيْلَه - من أقدم حارات مدينة تريم التي نشأت في مراحل تاريخية متقدمة من نشوء البلدة.

الحاوي - من حارات تريم القديمة والتي كانت تقع داخل سور المدينة ، نشأت عندما سكنها الإمام عبد الله بن علوي الحداد (ت١١٨٠هـ/١٧٦٦م)

دمُّون - وهي من حارات تريم إلا أنها كانت تقع خارج سور المدينة وقد كانت تتبع إداريا السلطنة القعيطية في حين كانت مدينة تريم وما داخل السور يتبع السلطنة الكثيرية.

النُّوَيْدَرة - من حارات تريم والتي كانت تقع داخل سور تريم وقد نشأت هذه الحارة في بداية القرن الماضي الأمر الذي أشار إليه الرّحالة الهولندي دانيال فاندر ميولن الذي زار حضرموت صيف ١٩٣١م/١٣٥٠هـ كما ورد أعلاه.

السَّحِيل والخَلِيف - من حارات تريم التي كانت تقع داخل سور المدينة والتي يتزامن نشؤها مع نشأة حارة النويدرة.



المُحَيضِرة - من حارات تريم التي كانت تقع داخل سور المدينة والتي يتزامن نشؤها مع نشأة حارة النويدرة.

عيديد الشرقية - وهي التي تقع خارج سور البلدة من حدود السور الغربية الى مسجد مول القبة وتعتبر من الأحياء التي نشأت منذ الحرب العالمية الثانية إلى ما قبل استقلال جنوب اليمن سابقا.

عيديد القبلية (مولى عيديد) - وهي من الحارات التي استحدثت خلال العشرين السنة الماضية (ما بعد الوحدة اليمنية ١٩٩٠م).

حارة ما بين الكُوَدْ - وهي من الحارات التي استحدثت خلال العشرين السنة الماضية (ما بعد الوحدة اليمنية ١٩٩٠م).

حصن عوض - وهي من الحارات التي استحدثت خلال العشرين السنة الماضية (ما بعد الوحدة اليمنية ١٩٩٠م).

المطار - وهي من الحارات التي استحدثت خلال العشرين السنة الماضية (ما بعد الوحدة اليمنية ١٩٩٠م).

الروضة - وهي من الحارات التي استحدثت خلال العشرين السنة الماضية (ما بعد الوحدة اليمنية ١٩٩٠م).

الفجير - وتعتبر سابقا من المناطق التي تقع خارج تريم إلا أن التوسّع العمراني وصل إليها وضُمّت إلى حدود المدينة.

النشاط الاجتماعي الخيري في مدينة تريم:

هناك العديد من المؤلفات التي توسعت في هذا الشأن ونظرا لضيق الحيز المتاح للبحث فإننا سنختصر الحديث بصورة مركّزة للفت النظر إلى اهتمام أهالي تريم بالعمل الخيري ومما يكفينا الإشارة إليه أن السيد الثري شيخ بن عبد الرحمن الكاف قد أوصى بتوزيع ثروته إلى ثلاثة أجزاء أحدها للعمل الخيري والاجتماعي. وقد كان لأهالي مدينة تريم قصب السبق المبكر في النشاط الخيري المؤسسي وتأسيس الجمعيات الخيرية حيث تأسست جمعية الحق الشهيرة والتي وقف وراء تأسيسها سنة ١٣٣٣هـ /١٩١٤م عميد الأسرة الكافية السيد عبدالرحمن بن شيخ الكاف ثم جمعية نشر الفضائل سنة ١٣٣٧هـ وجمعية الأخوة والمعاونة عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٢م.

وحاليا يوجد بالمدينة العديد من مؤسسات المجتمع المدني الاجتماعية و الخيرية منها والتخصصية، منها ما هو مركز رئيسي ومنها ما هو فرع لبعض المؤسسات المنتشرة في ربوع اليمن. والجمعيات الخيرية هي :

١. جمعية الأمل لرعاية المعاقين.

٢. جمعية المرأة الحضرمية.

٣. جمعية المستقبل لتنمية المرأة.
٤. جمعية الدعوة.
٥. الجمعية الوطنية.
٦. هيئة البر الخيرية.
٧. جمعية الإصلاح الخيرية.
٨. مؤسسة الضمير الخيرية.
٩. جمعية الحكمة الخيرية.
١٠. جمعية الرأفة الخيرية.
١١. جمعية أهالي الفجير.
١٢. جمعية دمون الخيرية.
١٣. جمعية رعاية المتقاعدين.
١٤. جمعية أهالي الجحيل.
١٥. جمعية آل حنَّان.
١٦. جمعية السبيل بالغُرف.

كما توجد بعض الجمعيات الأخرى التي تسعى إلى الإشهار من قِبَلِ فرع وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل قريبا إن شاء الله تعالى.

المرأة ودورها في الحياة الاجتماعية في مدينة تريم بين الماضي والحاضر:

تلعب المرأة دوراً كبيراً في الحياة العلمية الاجتماعية ولم يقتصر دورها كربّةِ بيت ؛ بل تعدّى ذلك لتقوم بأدوار عدّة منها على سبيل المثال لا الحصر:

١. التربية والتعليم للنشء في معلامات خاصة في البيوت كعلمة خردة في حارة الخليف وغيرها.
٢. الإصلاح الاجتماعي وحل المشاكل الاجتماعية في بعض الأسر.
٣. المشاركة الفاعلة في خدمة المجتمع من خلال بناء وتشييد ووقف المساجد والمُصلّيات بل والمصالح الاجتماعية مثل ما شيدته بعض النساء من تريم في مجاري السيول وما يُسمّى بـ (مضلعة فضلون) التي أنفقت على بنائها السيدة فضلون بنت علي بن هارون الجنيد[١٢].

أعلام وشخصيات نسائية (٣ نماذج للدراسة):

سيدتنا زينب أم الفقراء:

وهي زوجة الإمام القدوة والعالم الفقيه المقدّم محمد بن علي باعلوي السيدة زينب بنت أحمد بن محمد صاحب مرباط التي كانت على جانب كبير من العلم والعقل والتجربة والحال العظيم وقد سميت بأم الفقراء اقتداء بزوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنها كانت تحب الإحسان إلى الفقراء وتواسيهم. قال الأستاذ المؤرخ محمد بن أحمد الشاطري في كتابه (أدوار التاريخ الحضرمي): "كانت أسرة الفقيه المعروفة مكونة من قرينته زينب بنت عمه أحمد وأولاده الخمسة الذكور إلى جانب خَدَمِهِ وأتباعه وأكبر بَنِيْهِ علوي الذي يُكنّى به وكان المفروض أن يصبح بعده عميد الأسرة لكفاءته وسِنّهِ وكل أخوانه أكفاء وأن يكون بمفرده خليفة أبيه ولكن الفقيه المقدم رشّح زوجته زينب لتكون خليفته من بعده لقوة شخصيتها ولاستعدادها وكفاءتها لتولي المشيخة أو جانب كبير فيها بعده، إلى جانب ابنها الأكبر وكان قد عرفها في حياته شريكة حياته وخير أم ومُربِّية مثالية صالحة عابدة فكانت بعد وفاته تقوم بتوجيه المُريدين وتهذيب بَنِيْهَا إلى أن يرتفعوا إلى درجة أبيهم وشيخهم في العلوم والأعمال[١٣]. اهـ

الشيخة سلطانة بنت علي الزبيدي:

ولدت الشيخة سلطانة عام ٧٨٠هـ وتوفيت يوم الاثنين ١٧ من شهر صفر ٨٤٧هـ قال العلامة الشاطري في (أدوار التاريخ الحضرمي) صـ ٣٠٨: هذه هي رابعة حضرموت في تُقاها وصلاحها وزهدها وسلوكها في وجهاتها وفي شعرها الصوفي وكانت ذات شخصية قوية تقية صبورة متصوفة واعظة ومع هذا تقوم بالغزل والنسج وتربية بعض الدواجن وإعداد الطعام وطبخه فهي مثل عالٍ للمرأة الحضرمية في عصرها وفيما بعده. مع أنها لم تتزوج طيلة حياتها

وإنما استأنست بالعلم والزهد والأشعار. وكان لها رباطُ علمٍ بَنَتْهُ في قرية (العر) من بلاد حضرموت وكانت هي المشرفة عليه والمنفقة على صادريه وواردیه، وكان لها دور كبير في الإصلاح بين القبائل وتأمين الطرق ونشر الدين إضافة إلى كرمها الفيّاض وعلمها وحلمها وحسن سياستها مع طاعة الله عز وجل وبذلك سميت برابعة حضرموت.

المعلمة عاشوراء بنت محفوظ بن عوض باعوضان :

هي المعلّمة الصالحة عاشوراء بنت محفوظ بن عوض باعوضان[١٤] كان مولدها في مدينة تريم يوم الأربعاء العاشر من محرم سنة ١٣٥٥هـ الموافق ١ إبريل ١٩٣٦م (يوم عاشوراء ولذلك سُميت به). تلقت العلم في السنة السابعة من عمرها في القراءة والكتابة والقرآن والحديث والسيرة والفقه. ثم تنصبت لتدريس العلم الشريف (معلّمة محبة في العلم) و تعليم البنات في مدينة تريم منذ عام ١٣٧٤هـ إلى ١٤٢٤هـ فاتحة بيتها لذلك وباذلة وقتها ونفسها لله حتى أصيبت في رجلها اليمنى ولم يمنعها ذلك في حمل هم الرسالة التي في عاتقها فتخرج على يدها الجم الغفير من البنات اللواتي كان للمعلمة عاشوراء كبير الأثر التربوي قبل العلمي فيهن، فما زالت كذلك إلى أن تغمدها الله بواسع رحمته عندما أسلمت روحها إلى الرفيق الأعلى ليلة الخميس التاسع من شهر رمضان سنة ١٤٢٨هـ الموافق ٢٠ / ٩ / ٢٠٠٧م عن عمر ناهز ٧٣ سنة. وشيعت في موكب جنائزي مهيب في مدينة تريم حيث عصف الحزن جميع أهل البلدة تريم .

الهوامش :

١) تريم عند ابن عبيدالله السقاف - د.محمد يسلم عبدالنور

٢) نقلا بتصرف عن بحث للأستاذ زيد بن عبدالرحمن بن يحيى حول (التصوف في اليمن)، وبحث آخر للأستاذ منير بن سالم بن سعد بازهير (دور المشايخ آل بافضل في نشر العلم والدعوة إلى الله).

(٣) النور السافر : (صـ ١٢٠).

(٤) ديوان الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم/الإمام عبدالله بن علوي الحداد : (صـ ٤٥٢).

(٥) صلة الأهل : (صـ ٢٣٣) ولم يذكر تاريخ وفاته، ولكنه ممن عاصر العلامة الفقيه زين بن الحسين بن الفقيه عبدالله بلحاج بافضل بل كان من أقرانه في الطلب ووفاة العلامة زين سنة ١٠٢٦هـ فوفاته في هذه الحدود.

(٦) (الإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر الهجري)، للدكتور مصطفى البدوي.

(٧) المرجع السابق

٨) المختصر القويم في التعريف بمدينة تريم / محمد بن عبد الله الجنيد

٩ - ذلك ما أشار إليه الأستاذ سعيد باوزير في مجلة الفكر والثقافة –ص ٩٨ وما عرج عليه الأستاذ أحمد بن عبد الله بن شهاب في كتابه الموسوم تريم بين الماضي والحاضر عندما تحدث عن مقال للأمير شكيب أرسلان حول ذلك في الجزء الثالث من حاضر العالم الإسلامي.

١٠ - (Hadhramaut-Some of its Mysteries Unveiled) حضرموت – إزاحة النقاب عن بعض غموضها/ ترجمة د. محمد سعيد القدال ص ١٦٣

١١ - نفس المصدر السابق.

١٢) نتف الزمان في أخبار ما كان. للسيد محمد (سعد) بن علوي العيدروس.

(١٣) ملخصا بتصرف يسير من كتاب (تقليب الأرض الخاشعة) للداعية الحبيب أبي بكر بن علي المشهور أطال الله عمره صـ ٩٨.

١٤) النشرة الخاصة بالحلقة العلمية للمعلّمة عاشوراء (أم مثالية لكل معلمة) التي نظمتها مدرسة عيديد للبنات (بتصرف)

المصادر والمراجع : (حسب تسلسل ورودها في البحث)

الجوهر الشفاف	عبدالرحمن بن محمد الخطيب
تريم عند ابن عبيدالله السقاف	د. محمد يسلم عبدالنور
معجم بلدان حضرموت	عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف
التصوف في اليمن	زيد بن عبدالرحمن بن يحيى
دور المشايخ آل بافضل في نشر العلم والدعوة إلى الله	منير بن سالم بازهير
لمحة من زاوية التاريخ الحضرمي	عبدالله بن حسن بلفقيه
النور السافر في أخبار القرن العاشر	عبدالقادر بن شيخ العيدروس
ديوان الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم	الإمام عبدالله بن علوي الحداد
صلة الأهل بتدوين ما تفرق من مناقب بني فضل	محمد بن عوض بافضل
الإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر الهجري	د. مصطفى بدوي
المختصر القويم في التعريف بمدينة تريم	محمد بن عبدالله الجنيد
مجلة الفكر والثقافة في التاريخ والقافة	سعيد بن عوض باوزير
تريم بين الماضي والحاضر	أحمد بن عبدالله بن شهاب
لمحات من الأغاني والرقصات الشعبية بحضرموت	جعفر بن محمد السقاف
حضرموت – إزاحة النقاب عن بعض غموضها	دانيال فاندر ميولن – ترجمة د.محمد سعيد القدال
لمحة تاريخية عن صور تطور أساليب البناء في العمارة الطينية في وادي حضرموت	محمد بن عبدالله الجنيد
النشاط الثقافي والصحفي لليمنيين في المهجر	د. عبدالله يحيى الزين
عادات بادت	أحمد بن ضياء شهاب
الدليل القويم في ذكر شيء من عادات تريم	حامد بن محمد بن عبدالله بن شهاب
العادات والتقاليد في مدينة تريم من منظار شرعي	مصطفى حامد بن سميط
	صالح بن سعيد باعوضان
معالم تاريخ الجزيرة العربية	سعيد بن عوض باوزير
شرح الصدور	علي بن عبدالرحمن المشهور
برد النعيم	محمد بن عبدالله الخطيب
نتف الزمان في أخبار ما قد كان	محمد (سعد) بن علوي العيدروس
أدوار التاريخ الحضرمي	محمد بن أحمد الشاطري
تقليب الأرض الخاشعة	أبوبكر بن علي المشهور
أم مثالية لكل معلمة (نشرة خاصة عن المعلّمة عاشوراء)	حلقة علمية نظمتها مدرسة عيديد للبنات

الهوية الثقافية لمجتمع تريم وأثرها في مجتمعات المهجر الإفريقي

أ . عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي

مدخل :

الصفحات القادمة ، ليست دراسة إنثروبولجية لمجتمع تريم عبر تاريخه العريق ؛ وإنما هي مدخل لدراسته ، قصد الكاتب به التعريف بمجتمع تريم . وما ذاك إلا لأن الدراسة الشاملة المتعمقة الاستقرائية له ولتحولاته الثقافية و الاجتماعية لا يحتملها هذا البحث ، فثمة صعوبات قائمة اليوم لدراسة المجتمعات البشرية ومعرفة جذورها الفكرية ، ومنابت ثقافتها ومحركات نشاطها القديم وتطورها التاريخي .وليست الصعوبة في الارتحال إلى مواطنها والتعايش معها لفترة من الزمن تمكن الباحث من الالتصاق بأفراد المجتمع ودراسة سلوكهم وهويتهم الثقافية . وإنما لما طرأ على هذه المجتمعات خاصة العربية منها ، من تحوّل في الثقافة العامة بملامح تكاد تنفصل عن الأصول التي نشأت ونمت عليها عبر تاريخها الطويل ، بفعل المتغيرات الجارية في العصر الحديث . وسيطرة الثقافة الأوربية على الفكر العربي الإسلامي وإضعاف أصوله وإدخاله حلبة صراع مرير بين نظريتي الأصالة والتجديد ، أو التراث والحداثة كما عبّر عنها المفكر العربي محمد عابد الجابري .

حضرموت أحد الأقاليم العربية الإسلامية بأرض اليمن ، وهو اليوم محافظة بالجمهورية اليمنية في تقسيمها الإداري ، يحتل موقعا جغرافيا واسعا على بحر العرب يمتد شمالا إلى الربع الخالي .قامت على أرضه في القرون السابقة للميلاد وبعده (١٠ ق.م - ٤م) مملكة عاصرت ممالك اليمن الأخرى امتدت رقعتها وسلطتها إلى ما وراء حدودها الحالية شرقا وغربا. ملكت مصادر الثروة في تلك العصور من منابت اللبان و الطيوب ومصادر العنبر. وتحكمت في الطريق التجاري البحري الدولي وربطت علاقات تجارية متينة بموانئ حوض

المحيط الهندي وسواحل البحر الأحمر والخليج العربي عبر ميناء قنا. وينطلق منها (حضرموت) طريقان بريان تجاريان الأول يذهب غربا قاطعا صحراء صيْهد (السبعتين) ثم محاذاة للساحل الشرقي للبحر الأحمر وصولا إلى مكة المكرمة و الشواطئ الشرقية للبحر الأبيض المتوسط .أما الطريق الثاني فيسير إلى الشمال الشرقي عبر صحراء الدهناء (الربع الخالي) وصولا إلى شواطئ الخليج العربي ثم العراق .

يحدثنا المؤرخون العرب في القرن الرابع الهجري ، بأن لحضرموت قصبتين هما تريم وشبام ، وتقع المدينتان بوادي حضرموت الكبير الذي يُعدُّ من أكبر وديان الجزيرة العربية طولا و عرضا ويمتد مع روافده نحو مائتي كيلومتر من الغرب بمشارف رملة السبعتين حتى الشرق ثم الجنوب ليصب في البحر العربي . وتقع مدينة شبام على مضيق الوادي في مدخله الغربي على ربوة ، تمر بها القوافل القادمة من الغرب إلى الوادي. وتقع تريم على المدخل الشرقي للوادي . حيث يضيق، وتمر بها أيضا القوافل التجارية الراحلة إلى الإحساء والعراق عبر صحراء الدهناء (الربع الخالي) ، فكانت المدينتان علاوة على كونها قصبتين أي مركزين إداريين ، فهما أيضا محطتان تجاريتان لعبتا دوراً هاماً في نشاط حضرموت التجاري . وصارتا ملتقى لكل الوافدين المارين بهذين الطريقين المتداخلين ثقافة وفكرا. وهدفا لكل الطامعين من الساسة والمغامرين .

لبى الحضارم نداء الدعوة الإسلامية فرحلت وفودها إلى المدينة المنورة في السنة العاشرة للهجرة ، معلنة إسلامها للرسول الكريم محمد بن عبد الله صلوات الله عليه ، فاحتفى الرسول بهم ، وعندما عادوا إلى حضرموت ، بعث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الصحابي الجليل معاذ بن جبل معلما إلى اليمن الذي تنقل بين مدنها وقراها معلما و مرشدا . وأرسل الصحابي الجليل زياد بن لبيد عاملا على حضرموت .وعندما قدم زياد إليها اتخذ من مدينة تريم مقاما له .فكانت تريم بإقامته فيها وإدارته لشؤون المسلمين بحضرموت منها ، العاصمة الإسلامية الأولى بحضرموت ومنها انطلقت تباشير الدعوة الإسلامية والتفقه بدين الله .وانطلق الحضارم بعدئذ مشاركين مقاتلين في الجيوش الإسلامية فاتحين أقطارا جديدة ناشرين الدعوة الإسلامية إلى آفاق بعيدة معروفة في كتب التاريخ الإسلامي .

لم تمضِ إلا أشهر حتى جاء النبأ بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وتولية صاحبه أبو بكر الصديق خليفة للمسلمين. فدعا زياد بن لبيد الناس وأخبرهم بوفاة الرسول وتولية أبي بكر الصديق، وطلب من الجميع البيعة لأبي بكر. فأيده خلق كثير من مدينة تريم وما حواليها، غير أن فصائل من قبيلة كندة بقيادة الأشعث بن قيس الكندي رفضت المبايعة وناهضت زيادا ونشب صراع دام بين الفئتين المسلمتين وكاد جيش الأشعث أن يسيطر على تريم .بحصارها الذي دام أياماً . غير أن نجدة إسلامية من داخل حضرموت ومن خارجها بقيادة الصحابي عكرمة بن أبي جهل سارعت بفك الحصار وتابعت الجيش الكندي حتى حاصرته في حصونهم وأخيرا تم استسلامهم .وقد عرفت هذه الحرب بحرب الردة .

ظلت تريم مركزا بحضرموت للخلافة الراشدية و الأموية .وفي عهدها قام عبد الله بن يحيى الكندي الملقب بطالب الحق بثورته مناهضا الخلافة الأموية تحت راية المذهب الأباضي ، (عام ١٢٩هـ). وقاد جيشا سار به إلى صنعاء ومنها إلى مكة المكرمة ، غير أن الأمويين أعدوا له جيشا كبيرا قضى عليه وتابع فلول جيشه إلى حضرموت نفسها .ولم تهدأ ثائرة الأباضيين الحضارم فحدثت المناوئات والمناوشات بينهم والخلافة العباسية التي بعثت بدورها جيشا كبيرا إلى حضرموت في محاولة للقضاء على الأباضيين في مهدهم .

خلال القرون التالية ظل المذهب الإسلامي الأباضي سائدا بحضرموت إلا أنه تعرض لاحتكاكات بمذاهب أخرى . بتوالي الصراعات والهجمات ، ففي القرن الخامس الهجري كان الصراع داميا عنيفا بين الحضارمة الأباضيين والدولة الصليحية ذات المذهب الإسلامي الشيعي الموالية للدولة الفاطمية . وبعدها كان سيطرة الأيوبيين السنيين المتشددين الذين أسقطوا الدولة الفاطمية بمصر ، على اليمن. ومدوا سلطتهم إلى حضرموت ، فعانت تريم من قسوتهم الشيء الكثير . و في القرن السابع الهجري استولى الرسوليون على حضرموت سيطرة مباشرة . وهؤلاء سنيون معتدلون متسامحون .

كانت تريم هدفا لهجمات هذه الدول كما أنها كانت محوراً لتداخل وتصارع المذاهب الوافدة . فالدول المهاجمة لها جذورها وأيديولجيتها المذهبية ، فعندما تتم لها السيطرة فإنها ترسخ معتقدها المذهبي إن لم تفرضه ، وقد عرفت بعض هذه المذاهب بالتسامح فنشأ من

ذلك تداخل مذهبي وتعايش لمذاهب الأباضية والمعتزلة والشيعة والسنة الأشعرية والتصوف أخيرا الذي وسم مجتمع حضرموت ومدينة تريم بصورة لامعة .

صاغت تلك المتغيرات المذهبية فكر وثقافة الحضارم فحملوها معهم إلى حيث رحلوا في مهاجرهم غير العربية .وفيها صار لهم الدور النشيط في تطويرها، ونشروا الإسلام فيها بسلوكهم الحسن ومعاملاتهم المهذبة ، فاحتلوا مواقع مرموقة في الاقتصاد والإدارة .الأمر الذي دفع باحثين إلى دراسة مكوناتهم الفكرية ونشاطهم المادي بعقد الندوات بما أسموه الشتات الحضرمي وأثره في تطوير شعوب المحيط الهندي مع قلة عددهم وصغر مساحة أرضهم حضرموت .

لعل البعض يتساءل لماذا التخصيص بدراسة مجتمع تريم دون غيره من مجتمعات وادي حضرموت؟! فالوادي بطوله يشكل وحدة مكانية لسكانه. وبه وفيه يُفترض توحد الهوية الثقافية ، فوحدة المكان من أبرز مكونات الهوية الثقافية مع وجود وحدة الدين واللغة. وجوابنا أن هذه الفرضية ثابتة فيما نراه لكل المجتمعات غير أن مجتمع تريم قد شذ عن هذه القاعدة .بتفرده بملامح ومظاهر ثقافية واجتماعية خاصة لا يشاركه فيها حتى أقرب مجتمعات المدن والقرى إليه .

يُستَثار الزائر لمدينة تريم بسماعه لغة التخاطب والمحادثة بين التريميين بنبرات لهجتهم ذات الصوت الممدود ومخارج الألفاظ وغيرها مما يُعرفها علماء اللغات.فهذه الخصوصية للهجة لا تجدها في مدينة دمون الملاصقة من الشمال لتريم ، و لا تجدها في مدينة ثِبي الواقعة بنحو ثلاثة كيلومترات إلى الجنوب منها .وأن لغة المحادثة في كل من دمون وثبي تتفقان في الأداء الصوتي والمخارج اللفظية مع وجود موقع تريم بينهما في خط مستقيم .

من المظاهر اللافتة بالمدينة كثرة طلاب العلم من مواطنيها ومن القادمين إليها والمقيمين بها من أقطار إفريقية وآسيوية وأوربية فالتعليم الأهلي له جذور تاريخية .فقد عرفت تريم زوايا العلم منذ القرن السادس الهجري علاوة على حلقات الدرس بالمساجد وفي منازل الشيوخ ، وإقامة الأربطة ووجود الكتاتيب لتعليم الصبيان. ولازالت تلك الزوايا التاريخية والمعاهد تُعطي ثمرها ، يقوم بالتدريس فيها الأحفاد تواصلا لجهود الأجداد .فالتعليم الأهلي بتريم

معزز بإرادة العلماء والمصلحين من أبنائها .خصصت له الأوقاف الخيرية الراعية الداعمة له إلى اليوم ... وأن الزائر للمدينة ليشاهد الطلاب حاملين كراريسهم وكتبهم متوجهين إلى مواطن الدرس في الصباح والمساء كل يوم ، وهذه ظاهره لا تجدها في كثير من المدن والقرى بحضرموت .

احتفظت مدينة تريم حتى عصرنا الراهن بتبني الفكر الصوفي بمدلوله السلوكي الأخلاقي. ودعوته لتهذيب النفس وتزكيتها ، فأصبح مظهرا من مظاهر الحياة اليومية والسلوك العام للمجتمع المتمثل في العادات والتقاليد وصياغة مضامين الفنون الأدبية والموسيقية .فشكلت هذه المظاهر الاجتماعية التقليدية تراثا مقدسا لمجتمع المدينة يهاب المساس به فَيورّث للأبناء إرثا دالا على هوية ثقافية صاغها الأجداد يجب الحفاظ عليها .

قامت مراتبية المشايخ والسادة (العلويين) وهي حاملة العلم بحضرموت عامة و تريم خاصة ، برسم الملامح الثقافية و الاجتماعية لمجتمع تريم كما نعرفه منذ القرن العاشر الهجري. فهم العلماء والمرشدون والصلحاء والوجهاء ، فصاروا بذلك مرجعيات في أمور الدين وشئون الحياة العامة والسياسة أحيانا ، لذلك كان لهم هذا الدور الثقافي والاجتماعي الذي اكتسبت المدينة به خصوصيتها .

لم تتأثر حضرموت تأثرا ملموساً برياح التجديد والحداثة التي هبت على العالم الإسلامي في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) .فقد ظلت المظاهر التقليدية الثقافية والاجتماعية سائدة ، فعامة الناس وأغلبهم أميون ، لا يطلعون على ما ينشر في الصحف والكتب حينها من أفكار وآراء وأهداف حركة التنوير كما أطلق عليها في تلك الفترة ، ولكن الخاصة منهم ممن تلقوا نصيبا من العلم اطلعوا عليها وتأثر البعض بها غير أن تأثيرهم في المجتمع كان ضعيفاً مقابل دعاة التقليدية وقد ثار بالمهجر الآسيوي صراع فكرى بين الحضارمة امتد تأثيره إلى الداخل ، عرف بالصراع الإرشادي العلوي .ومهما قيل عن دوافعه من تفسيرات ومبررات فإنه لا يخرج عن دائرة الصراع بين(التراث والحداثة).

واجه مجتمع تريم الدعوة إلى التغيير بالاحتماء وراء سور تقليديته.فقد برزت محاولات لمسايرة ركب الحداثة في مطلع القرن الرابع عشر الهجري .(العشرين الميلادي) بإصلاح طرق التعليم وأساليب التربية التقليدية وغيرها من المناحي الاجتماعية ، غير أن هذه المحاولات

أجهضت في مهدها من قبل التقليديين حيث هوجمت هجوما عنيفا في المجالس وكتبت عنها المصنفات مما اضطر متبنوها إلى الهجرة من تريم .

عبر تاريخ تريم الإسلامي برز فيها علماء أفذاذ كان لهم دور كبير في إثراء المعرفة الإسلامية بحضرموت . صنفوا في شتى العلوم ،سعى إليهم طلبة العلم من أبناء مدينتهم ومن خارجها ،وكانت لهم رحلات منظمة إلى مدن حضرموت وقراها ووديانها ، واستقر البعض منهم وأقاموا بها، وهم برحلاتهم وإقامتهم عقدوا حلقات الدرس وأقاموا المدارس الأهلية فتخرج على أيديهم شيوخ تابعوا رسالة العلم في شتى المناطق ،ولم يكن العلم وحده الذي تلقوه عن شيوخهم التريميين ،بل تلقوا عنهم أساليبهم وسلوكهم وتقاليدهم الثقافية والاجتماعية وكل مظاهر وخصوصيات مجتمعهم وهويته الثقافية .وعندما هاجر أولئك العلماء وتلاميذهم إلى المهاجر الأفريقية والآسيوية نقلوا معهم تلك الخصوصيات . وصار معلوما لدى الباحثين الإفريقيين أن المهاجرين الحضارم وبالخصوص العلويين منهم أعطوا الدين الإسلامي بشرق أفريقيا نظرته الاجتماعية ،بحيث صارت الأدعية و الابتهالات والأناشيد جزءا من تقاليد الزيجات والأفراح والمناسبات الدينية و الاجتماعية .

يعنى علماء الاجتماع والمهتمون بدراسة ثقافات الشعوب وواقع مجتمعاتها وتطورها التاريخي بتحديد المكونات الأساسية للهوية الثقافية بالمكان واللغة والدين ونشاط المجتمع الحياتي المشتمل على الأعراف والتقاليد والسلوك العام .فعندما تلتقي مؤثرات هذه المكونات مجتمعة في شخصية الفرد أو الجماعة ، حينئذ تبرز الهوية الثقافية المكانية الخاصة به . ومن هذا المنطلق فإننا في هذه الصفحات التالية نحاول التعرف على مجتمع تريم من خلال هويته الثقافية الإسلامية المكانية التي نرى أنه تميز بها.وهي محاولة نقدمها كمدخل لدراسة التحولات الفكرية و الثقافية و الاجتماعية له. و تأثيرها على مجتمعات المدن الحضرمية الأخرى ومواطن المهاجر الحضرمية .ونعترف بالقصور و ما تحمله هذه الصفحات من سرد لنشاطه الثقافي و الاجتماعي المتداخل و المتأثر والمؤثر ،وإنما هو تعبير عن انطباعات شخصية لا نقصد بها الإقلال من نشاط وجهود الآخرين ،وهو تعريف بما لهذه المدينة العريقة من نشاط علمي وثقافي مؤثر في مكونات فكر وسلوك المجتمع الحضرمي ومجتمعات المهاجر الآسيوية والأفريقية .

تريم ـ الجغرافيا والتاريخ :

في حضن قوس من التضاريس الجبلية المكملة لامتداد الحافة الشمالية العالية لوادي حضرموت في ميلها نحو المشرق لمجراه، وعلى خط طول ٥٨ق / ٤٨ج شرقا وعرض ٢.٥٧ق – ١٦ج شمالا[١] أقيمت مدينة تريم على أرض زراعية خصبة تغذيها مياه السيول الجارية من الهضبة الشمالية عبر شِعِب[٢] عيديد في الغرب .ووادي ثبي المتفرع من وادي الذهب جنوبا ، وشعب دمون في الشمال الشرقي. يواجهها من الشرق الأصل المجرى الرئيس لوادي حضرموت العام بُعَيد نقطة ملتقاه مع مجرى وادي عِدِم الجارية عليه مياه الأمطار النازلة على الهضبة الجنوبية المعروفة بالجول ، الفاصلة بين وادي حضرموت والسهل الساحلي .

على هذا الموقع يمر الطريق التجاري التاريخي ، طريق قوافل البخور والتوابل القادمة من الموانئ الجنوبية لحضرموت عبر السهول الجبلية إلى وادي حضرموت .ومنه إلى الهضاب الشمالية فصحراء ثمود و الخرخير بأطراف الربع الخالي الجنوبي الشرقي وصولا إلى مدينة هجر و وبار ثم الإحساء وصولا إلى البصرة بالعراق.وعلى الطريق نفسه مرورا بتريم ، تقبل القوافل القادمة من غرب وادي حضرموت .

ينسب المؤرخون العرب مدينة تريم إلى بانيها تريم بن حضرموت أحد ملوك مملكة حضرموت .و لا يشيرون إلى تاريخ وجود هذا الملك[٣] وتشير النقوش المسندية إلى تريم في نقش أمر بتدوينه القائد سعد تالب الجدني[٤] بعد غزوه لحضرموت بأمر الملك شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان بعد إسقاط مملكة حضرموت وضمها إلى ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت[٥] وفيه يتحدث عن استيلائه على عدد من مدن وادي حضرموت ومنها مدينة تريم التي [اكتسحها بعد حصار دام اثني عشر يوما واستولى على ألف عريشة من عرائش العنب ....][٦]. ويعود النقش إلى القرن الرابع الميلادي .[د .بافقيه وآخرون].فهذه أول إشارة لمدينة تريم تحدد تاريخ وجودها وليس نشأتها.فهي أقدم من وجودها في القرن الرابع الميلادي .وفي النقش إشارة أيضا إلى كونها مستوطناً زراعياً خصباً اشتهر بزراعة العنب .

في فترة لاحقة من القرن السادس الميلادي قدمت قبيلة كندة من أواسط وشرق الجزيرة العربية ، حيث كانت مقيمة حاكمة على قبائلها ، غير أن تلك القبائل انتفضت عليها ، أعانهم

على ذلك المنذر ملك الحيرة ، فحارب كندة التي اضطرت إلى العودة إلى حضرموت عبر الطريق التجاري الشرقي. فحطت بجوار مدينة تريم . بل سكنت فصائل منها تريم ذاتها .وأقامت الفصائل الأخرى في وديان بشرق المدينة وكونت فيها ما عرف بممالك كندة ، وملوك كندة الأربعة ولم تحكم تريم المدينة وما ارتبط بها ، فقد ظل حكمها كبقية حضرموت تحت ظلال مملكة حضرموت ، الذي ظل مستمرا إلى العصور الإسلامية .

حينما ظهر الإسلام وانتشر بين العرب ، كان حكم حضرموت عامة مجزأ في أقاليم وإمارات صغيرة يحكمها رؤساء عشائر حضرمية تدين بالولاء للزعيم العام الذي يقطن شبوة .عاصمة المملكة الحضرمية القديمة .وكان يرأسها في هذه الفترة وائل بن حجر الحضرمي .ابقية أبناء الملوك[٧] الذي ترأس وفد حضرموت إلى المدينة المنورة لإعلان إسلام قومه .فبايع الرسول الكريم عليه الصلاة والتسليم ومكث وقومه أياما يتلقى عن الرسول تعاليم الدين الإسلامي . وقد تزامن وصول وفد قبيلة حضرموت إلى المدينة المنورة ووفد قبيلة كندة برئاسة الأشعث بن قيس الكندي .قادما من تريم فاحتفى الرسول بالوفدين احتفاء كبيرا.

بعث الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابي الجليل معاذ بن جبل إلى اليمن معلما يتنقل بين مخاليفها يرشد الناس ويعلمهم مبادئ الدين الإسلامي الحنيف . وبعث الصحابي زياد بن لبيد عاملا على حضرموت فوصل إليها وأقام بمدينة تريم وجعلها مقرا لإدارته .

لم تمض إلا أشهر على مقام الصحابي زياد بن لبيد بتريم ، حتى جاء النبأ بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم . وتولية الصديق أبو بكر خلافة المسلمين ، فجمع زياد المسلمين بتريم وما حواليها وأعلن خبر الوفاة وطلب البيعة لخلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فاستجابوا له وبايعوه إلا فصائل من قبيلة كندة بزعامة الأشعث بن قيس .فقد اعترضت على خلافة أبي بكر فيما يرويه المؤرخون و امتنعوا عن دفع الزكاة .فثار الخلاف وعُدَّ ارتداداً عن الإسلام ونشب القتال بين الفريقين حوصرت تريم فيه من قبل الجيش الكندي وكاد يحتلها لولا صمود أهلها واستبسالهم .الذين تمكنوا من دحره ، وطلب زياد بن لبيد النجدة من الخليفة الذي أمده بجيش من المسلمين بقيادة الصحابي عكرمة ابن أبي جهل الذي كان يحارب المرتدين بعمان. فوصل إلى تريم على الطريق الشرقي وحاربهم حتى تمكن من حصارهم في موقع عرف بحصن النجير.وقضى عليهم وسكنت الفتنة.

في عام ١٢٩هـ . نهض إمام أباضي يدعمه أتباع حضارم كثيرون ، داعيا إلى مناهضة الخلافة الأموية .كان ذلك الإمام هو عبد الله بن يحيى الكندي ، الذي دعا الناس إلى مذهبه والخروج على بني أمية .فقاد جيشا احتل به المدينة تريم، وأسر واليها الأموي .ثم سار بجيشه حتى بلغ صنعاء وبعد الاستيلاء عليها توجه زاحفا إلى مكة فعارضه جيش أموي كثيف ودحره وقتل عبد الله بن يحيى وقائد جيشه وواصل الجيش الأموي زحفه حتى بلغ حضرموت ، هادفا القضاء على الحركة الأباضية في مهدها .

لم تلن قناة الحضارم فقد ظلوا متمسكين بمذهبهم .وظلت نظرتهم عن الخلافة عامة بوجوب التزام الخليفة بشروط يراها مذهبهم .وحينما تولى العباسيون الخلافة ظل الحضارم على رأيهم الأمر الذي دفع العباسيين إلى إرسال جيش بقيادة معن بن زائدة عام ١٤٠هـ فأخضع حضرموت للحكم العباسي ونكل بمعارضيه ، غير أن الحضارم ولاتساع أرضهم وانتشارهم بها فقد بقوا متمسكين بمذهبهم قرونا متوالية.

لا تتحفنا المصادر العربية وكذلك المصادر الحضرمية المحلية بمعلومات واضحة عن تسلسل الحكم في تريم و أسلوب الإدارة السياسية وشكلها خلال القرون الأربعة الأولى لظهور الإسلام .فقد عدّ المؤرخون الحضارم هذه الفترة الزمنية فترة غامضة ، فقد طمست معالمها ومصادرها .ويبدأ التاريخ المكتوب لحضرموت منذ القرن الخامس عند الحديث عن إمارة آل راشد القحطانية المنسوبة لقبيلة حضرموت لمدينة تريم وما حواليها الذي امتد إلى عام ٧٠٠هجرية[٨] .زاحمها الحكم آل يماني بعدها و هم قبيل يتزعم حلفاً قبلياً كبيراً معروفاً بحلف بني ضنه .يضم عددا كبيرا من قبائل حضرموت منها بنو تميم والمناهيل والسماح[٩].

في القرن العاشر الهجري ناهض آل كثير وهو فصيل نازح إلى حضرموت، آل يمانى على تريم حتى أجلوهم منها وتولوا حكمها الذي استمر إلى القرن الحادي عشر حين بدأ الخلاف والصراع بينهم فالتجأ أحدهم إلى الإمام الزيدي المتوكل على الله إسماعيل الذي كان يتطلع لمد رقعة حكمه إلى المشرق فأرسل جيشا عام ١٠٧٠هـ إلى حضرموت واحتلها . وجعل آل كثير حكاما نوابا عنه .غير أن حفيدا منهم استنجد بقبائل يافع الذين وصلوا حضرموت بجيش أجلوا به الإمامين وكان ذلك عام ١١١٥هـ .ولم تمض إلا فترة قصيرة حتى تولت فصائل

يافعية حكم مناطق من حضرموت في ظل ضعف إرادة الكثيريين وعجزهم عن دفع مستحقات جنودهم . فكان نصيب تريم أن احتلتها ثلاثة فصائل يافعية هي آل غرامة وآل البعسي وآل بن عبد القادر و قسموا المدينة بينهم إلى ثلاث إدارات بحدود مرسومة ، وفي عام ١٢٦٤ هجم عليهم آل كثير بزعامة غالب بن محسن الكثيري وأجلوا فصائل يافع منا و من وادي حضرموت عامة و من تريم خاصة ، و ظل الحكم الكثيري سائدا بتريم إلى يوم الاستقلال الوطني عام ١٣٨٧هـ الموافق ١٩٦٧ م .

مجتمع تريم :

أ - التكوين السكاني :

شكل الموقع الجغرافي لمدينة تريم موطنا للقاء واستيطان الأقوام المتاجرة المارة بها لموقعها على الخط التجاري المهم . واستعمرتها الفئات القبلية من حضرموت القبيلة الحاكمة على المخلاف الحضرمي عامة لخصوبة الأرض المحاطة بالوديان المتدفقة بمياه السيول في أغلب أيام السنة في تلك الحقب من التاريخ .

ذلك ما نراه كصورة لبداية التكوين السكاني لتريم في بدايات عمارتها. يعززه الاستنتاج لفهم النشاط التجاري و الزراعي . وتؤيد النقوش المسندية ذلك الاستنتاج بذكر قبيلة حضرموت ومملكتها وامتدادها بطول وادي حضرموت إلى مسفلته شرقا مما يدعو للقول بأن فصائل قبيلة حضرموت منتشرة على رقعة واسعة وأنها تسيطر على مواقعها تعزيزا للحاكم الأب العام المقيم بشبوة غربا ، ويبدو أن حركة القبيلة حضرموت وانتشارها إلى المواطن الشرقية من وادي حضرموت ، ظل مستمرا إلى العصر الإسلامي ، حينما يحدثنا المؤرخ اليمني أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني (القرن الرابع الهجري) عن نزوح قبيلة حضرموت إلى مسفلة حضرموت في عهده (في زماننا)[١٠].ويعنى بالمسفلة الجزء الشرقي من وادي حضرموت مما يلي مدينة تريم وما يطل على الوادي من مرتفعات جنوباً.

سكنت الفصائل الحضرمية مدينة تريم وأقامت فصيلة آل راشد لها إمارة باسمها كما أسلفنا ظلت قائمة إلى مطلع القرن الثامن الهجري . و لا تزال عوائل تنتسب إلى هذه الفصائل تعيش بتريم كما أن آل عمرو كأبرز الفخائذ القبلية بحضرموت تعيش حاليا على المرتفعات الجنوبية الشرقية لوادي حضرموت في قرى ووديان غيل بن يمين[١١].

وتتحدث النقوش في القرن الرابع الميلادي عن قبيلة كهلان ،التي سكنت تريم المدينة والجبال الجنوبية منها عند الحديث عن غزوة سعد تالب لوادي حضرموت وحصاره (لعر كهلن) كهلان[١٢].ويعرف الجبل اليوم بجبل كحلان .

وكهلان هي الأرومة لقبيلة كندة التي عادت وسكنت تريم و ما يليها .فأضاف وجودها تكوينا جديدا للمجتمع الوليد بتريم ، و إضافة إلى فصائل حضرموت وكندة مع وجود فصائل من قبائل مهرة ،والصدف وسيبان المكونة للإحصائية السكانية بحضرموت في قرون ما قبل ظهور الإسلام.[١٣]

شهد القرن السادس الهجري نزوح عدد من قبائل السراة باليمن إلى وادي حضرموت الخصيب .كان أبرزها بنو حرام وبنو ضنة ونهد وآل كثير وآخرون ، فنشب صراع بين سكان الوادي والنازحين نتج عنه إضعاف قبيلتي حضرموت وكندة وإزاحتهما عن قيادة المجتمع ، فقد سيطرت القبائل النازحة على مواقعها وتولت الإدارة السياسية ، فحدث من جراء تلك السيطرة تحول في التكوين السكاني والجغرافي للوادي قيل عنه إنه [أكبر انقلاب اجتماعي في حضرموت ، حيث تمسكنت بعض هذه القبائل الحضرمية والكندية وتركت السلاح واتجهت إلى المساجد تعلم الناس أو إلى المزارع أو إلى التجارة خاصة في الجانب الأوسط والسفلي من وادي حضرموت ...][١٤] .

تعرضت تريم لهذا التداخل السكاني الاجتماعي بصورة عنيفة بكونها المركز التجاري الشرقي المهم بالوادي. فحدث وعبر قرون من الزمن ، تنوع في مجتمعها بتقسيمه إلى مراتب اجتماعية بصورة واضحة ظلت ولازالت آثارها قائمة إلى اليوم رغم التطور الثقافي والصناعي والتقني الحادث في العالم .

برزت على واقع الحياة الاجتماعية بتريم عبر المسار التاريخي، عوائل وفصائل مرموقة، كان لها أثر كبير في صياغة فكر وثقافة المجتمع وتطوره، يعود أصول بعضها إلى القبائل الحضرمية القديمة (حضرموت، سيبان، مهرة، الصدف، كندة) السكان الأصليون لحضرموت، ويعود البعض منها إلى قبائل نازحة قدمت من خارج حضرموت واليمن.

فمن الأصول عوائل آل بافضل، والخطيب، وآل باحاتم، وآل باعباد، وآل باشعيب وقد اتصفوا بالعلم وجهودهم الظاهرة في التربية والتعليم والإرشاد، وعرفت هذه الفصائل في الإطار المراتبي للمجتمع بالمشايخ .ومن النازحين آل باعلوي، الذي قدم جدهم أحمد بن عيسى الملقب بالمهاجر .إلى حضرموت من البصرة إثر نشوب الاضطرابات بها ومطاردة العباسيين لبنى عمهم الطالبيين.ويعود نسب أحمد بن عيسى إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.وكان قدومه مع عدد من ذويه وتابعيه عام ٣١٨هـ إلى قرية الجبيل بوادي دوعن. و تنقل أحفاده بين قرى حضرموت حتى استقر بهم المقام في مدينة تريم عام ٥٢١هـ .ومنها انتشروا إلى مواطن مختلفة بحضرموت عامة سواحلها ووديانها وهضابها. ويحظون بتقدير عظيم لانتسابهم إلى العترة المحمدية وللأدوار الاجتماعية العلمية والتربوية والإرشادية والإصلاحية التي قاموا ويقومون بها في المجتمع .

من جراء هذا التداخل السكاني والتفاضل الاجتماعي الذي جاء نتيجة لسيطرة الأقوى على القاطن الضعيف، نشأت فروقات بين أفراد المجتمع، وقسم إلى طبقات أو بما يعرفه البعض بالمراتب لتتميز كل فئة عن الأخرى بملامح خاصة.منها التسلط والجاه ومزايا يعدها العرف العام السائد بالمجتمع فواصل بينها. هذه المراتب هي :

١- السادة : وهم آل باعلوي .ويعدون الطبقة العليا بالمجتمع لما لهم من تقدير وتعظيم.

٢- المشايخ - الطبقة الثانية : وهم من اتصف بالعلم واحتلوا مواقع التقدير بين القبائل الحضرمية كمرجعية روحية.

٣- القبائل : هم حملة السلاح و يحتلون المواقع السياسية و الإدارية و الأمنية.

٤- الضعفاء : و يطلق عليهم أيضاً الحضر و هؤلاء في المرتبة الرابعة من المجتمع و يعمل معظمهم بالزراعة و آخرون بالبناء و بحرف أخرى ، منها التجارة ، و تعرف العوائل الممارسة للتجارة و يصنفون بأنهم مرتبة خاصة تعرف في مجتمعات وادي حضرموت بالقرار .

٥- الموالي - العبيد — و هم أدنى درجات السلم الاجتماعي القديم .

ساد التعايش الودي بين هذه المراتب ، و بطبيعة الحال فإن الشعور بالتفوق الاجتماعي يجعل الفئات الأعلى تفرض سيطرةً على الأدنى ، و هي سيطرة ليست قسرية محكومة بعقاب و لكنها سيطرة تقليدية عرفية عَرفَها مجتمع تريم . و لربما كانت تلك السيطرة و تحديد العلاقة الاجتماعية بين المراتب قد مر بمراحل فيها الكثير من التعسف و القهر لكن و بمرور الزمن وتطور الوعي أصبح التعامل بينها تقليدا متعارفا عليه جسد الفروقات على أساس التقدير والاحترام للمرتبة الأعلى من الأدنى . وشمل ذلك كل المراتب تمثله شواهد تقدير المشايخ والقبائل لمرتبة السادة العلويين و تقدير و خدمة مرتبة الضعفاء و الموالي للمراتب الثلاث الأعلى . و إن الدارس اليوم لمجتمع تريم يرى أن هذه التقليدية قد ضعفت بل إنها تلاشت أو تكاد ، ولانت صلابتها أمام موجات التغيير.

لقد مر مجتمع تريم عبر تاريخ تكوينه بمراحل من التداخل السكاني بتواتر الهجرة أفرادا وعوائل و قبائل ، أهله لذلك موقعه الجغرافي التجاري و نتيجة لذلك التداخل تم تكوينه الفكري و ثقافته الخاصة .

ب - المكون الفكري و الثقافي :

وصف الخليفة الأموي معاوية ابن أبي سفيان (رضي الله عنه) الحضارمة و الأزد بأنهم أهل الأمانة موصياً وإليه على مصر بأن لا يولي أمر البلاد لأحد غيرهم ، و في القرن الرابع الهجري وصف المؤرخ العربي المقدسي البشاري (ت ٣٨٠هـ) الحضارمة بأنهم شراة (أباضية) لهم رغبة في العلم و الخير . و في القرون الحديثة تردد الحديث عن الحضارم في مهاجرهم بأنهم نشطاء عمليون أسهموا بنصيب واسع في تطوير تلك المهاجر لحسن تعاملهم ، مع أنهم قادمون من إقليم صغير على بحر العرب تكتنفه الصراعات القبلية و تعصف به موجات من القحط وشحة الموارد المادية .

إن هذا الوصف للحضارم عامة و التريميين خاصة ، و هم منهم ، عبر تاريخهم ، يستند إلى وجود مناخ تربوي عاش فيه الحضارم ، و لم يكن ذلك المناخ سوى التربية الإسلامية التي تشبعوا بها رغم التمايز الاجتماعي الذي مارسوه بينهم ، و لا غرابة في ذلك إذا علمنا من

حوادث التاريخ إقبال الحضارم على الدعوة الإسلامية بقلوب مفتوحة و عقول بصيرة لها خلفيتها الفكرية هيأتها لهذا التقبل .

أصبحت مدينة تريم في السنة العاشرة من الهجرة عاصمة للإدارة الإسلامية لحضرموت بوصول الصحابي الجليل زياد بن لبيد عاملا عليها مقيماً بها ، و فيها و على يد هذا الصحابي تلقى الحضارم من بطن تريم التفقه في الدين فحسن إسلامهم و صفت نفوسهم .

عبر تاريخ المدينة الفكري و السياسي نطالع تمذهب الحضارم عامة بالمذهب الأباضي ، منطلقاً من تريم في الربع الأول من القرن الثاني الهجري و رغم الحملات القاسية عليهم ظلوا متمسكين بمذهبهم تحت زعامة أئمتهم لقرون امتدت إلى السابع الهجري و ما بعده ، الذي ظل متداخلا بمذاهب إسلامية أخرى بعد سقوط زعاماتهم المذهبية و إضعاف سلطتهم السياسية فقد عرف عنه تسامحه و تعايشه مع المذاهب المعارضة ما لم تقاومه و تعاديه[١٥].

تحث و تدعو الأدبيات المذهبية الأباضية إلى تقوى الله و تنزيه العبادة له جل شأنه و إلى وجوب (العناية بالتربية و تهذيب الناشئة و كانت هناك فرص و مجالات للتعلم و الأخذ بنصيب من المعرفة)[١٦]، إضافة إلى أمور أخرى مرتبطة بتولي الخلافة الإسلامية و شروطها والأخذ بالعادة الاجتماعية و الجالبة للمصلحة ما لم تخالف الشرع الحنيف[١٧].

إن هذه التعاليم الأباضية السائدة في مجتمع تريم في تلك القرون ، لاشك أنها قد تغلغلت بجوانح التريميين و صارت ملمحاً من ملامح السلوك العام و الهوية الثقافية لهم في تلك الفترة لكونها منطلقاً و مقاماً للأئمة الأباضيين و مركزا للإشعاع المعرفي الإسلامي .

في النصف الأول من القرن الخامس الهجري نهضت دولة الصليحيين باليمن و مدت سلطانها إلى حضرموت بعد انكسار مقاومة الإمام الأباضي أبو إسحاق إبراهيم بن قيس الهمداني – ٤٥٠هـ - الذي كان السجال بينهما شديدا حتى تم النصر في نهايته للصليحيين فوالوا زحفهم إلى تريم مركز الفكر الأباضي .

لا شك أن متغيرات فكرية قد حدثت بمجتمع تريم في القرون اللاحقة للقرن الخامس الهجري ، فالصليحيون لم يكونوا مجرد غزاة سياسيين طامعين دون مستند فكري و ثقافي فهم أصحاب المذهب الشيعي الموالون للفاطميين حكام مصر ، فمن البديهي أن يكونوا دعاة

لمذهبهم ناشرين لأفكارهم و معارضين للفكر الأباضي . و لقد تميز الصليحيون أيضا بالمهادنة و التسامح مع المذاهب الأخرى كما ترويه كتب التاريخ [١٨]، فلا بد أن تحدث مواجهة بين الفكرين المذهبيين و إذا علمنا أن المذهبين تميزا بالتسامح مع الأفكار الأخرى فليس ببعيد حدوث التهادن و التعايش بينهما ، و ليس التداخل ، لوجود ما يبعد الصلة بين المذهبين ونرى إن هذا التهادن له أثر بالغ في المكَوِّن الفكري للتريميين و لعل الأخير قد كسب أنصاراً أضعف بهم موقف الأول ؟ .

في القرن السادس الهجري تبرز ملامح جديدة في المكون الفكري لمجتمع تريم نستنتجه مما يرويه المؤرخون عن زيارة العالم المعتزلي نشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٥هـ) لمدينة تريم على عهد السلطان راشد بن شجعنة حاكمها (ت ٥٧٦هـ)[١٩] (فاتصل بعلماء تريم وتعرف بهم و كسب له منهم أصدقاء و أوداء ..)[٢٠] ، فقضى بها نحواً من عامين و النصف مقيماً محظيا بالتقدير من علماء المدينة و حاكمها الذي كانت بينهما على ما يبدوعلاقة حميمة . وعندما عاد إلى وطنه صعدة باليمن بعث إلى أحبائه بتريم قصيدة عصماء متشوقا إليهم ، مطلعها :

رعى الله إخواني الذين عهدتهم ببطن تريم كالنجوم العوالم .. إلخ [٢١]

فنشوان الحميري كما علمنا علم معتزلي يمني معروف بعلمه وأفكاره و ملاحظاته المعتزلية ، فوجوده و استطابة مقامه بتريم و اتخاذه الأصفياء والأوفياء بها لعلامة على التوافق الفكري بينهم ، و يقودنا ذلك إلى أن مذهب الاعتزال كان له وجود في تريم خاصة ، متزامناً مع وجود المذهب الأباضي ، و دون شك فإن تسلله إليها جاء في حالة استرخاء للمذهب الأباضي المتسامح و جاء المذهب الشيعي مقتحما لهما بدعم القوة الصليحية الزاحفة و لم نطلع على ما يشير إلى وجود خلافات دامية أو مطارحات كلامية بين المذاهب الثلاثة في القرن السادس الهجري مع وجود عدد كبير من العلماء و الفقهاء بتريم منهم للمثال الشيخ سالم بن فضل بافضل(ت ٥٨١هـ) و ابنه يحيى بن سالم بافضل الذي أشار إليه نشوان في قصيدته فلا شك أنها الرغبة في التعايش الحميمي بين الإخوة يسوده التسامح . و أنها لملمح من المظاهر السلوكية العامة لشخصية المواطن التريمي في ذلك العهد ظلت آثاره إلى اليوم .

في الربع الأخير من القرن السادس الهجري ، غزى الأيوبيون السنيون المتشددون حضرموت و وصلت جيوشهم إلى تريم بقيادة عثمان الزنجيلي (الجمعة ٤ ذو الحجة ٥٧٥ هـ) [٢٢]. تولى القيادة بعده أخوه سويد الزنجيلي الذي كان قاسيا غشوماً متشددا ، عانى التريميون منه ما عانوا فقد قتل عدداً من خيرة علماء تريم و صلحائهم و هي مذبحة معروفة في كتب التاريخ الحضرمي و لم يدم حكم الأيوبيين لحضرموت طويلا فقد تآلبت عليهم قبائلها حتى قتلت سويد نفسه و طردت الأيوبيين من حضرموت عامة .

خلال القرون السابع إلى التاسع ، خضعت حضرموت لحكم الرسوليين ، الذين أزاحوا الأيوبيين من اليمن و تولوا حكمها [٦٧٧ – ١٢٧٨م – ٨٣٦ – ١٤٣٢م] ، و قد عرف عن الرسوليين تمذهبهم بالمذهب السني الأشعري و كانوا محبين للعلم و المعرفة ، و قد وُصف القرن التاسع الهجري بأنه [متوسط العصر الذهبي بحضرموت في العلم و الزهادة و العبادة والتصوف المؤسس على دعائم الكتاب و السنة ..][٢٣] .

إن توالي الحكومات المذهبية على حضرموت و تمركز نفوذها بمدينة تريم لابد أن يكون له أثر مذهبي فكري عند السكان ، و هم أفراد مجتمع تريم تجسد في سلوكياتهم و معاملاتهم وتقاليدهم و أعرافهم نقلها إليهم القادمون المتداخلون ، فهو مجتمع متأثر بتداخل الأقوام به وتمازجها فيه بحكم موقعه كمحطة تجارية مهمة ، تم عبرها التبادل المعرفي بين حضرموت ، وثقافات العراق وشرق الجزيرة العربية الإسلامية ، و منها كان تسلل الفكر الأباضي والمعتزلي و الشيعي و السني الأشعري.

في القرن السابع الهجري ظهر بتريم الفقيه المقدم كما يوصف ، محمد بن علي علوي [٥٧٤ – ٦٥٣ – ١١٣٧م – ١٢٥٥م] كعلم من أعلام المتصوفة ، بل إنه أول من تصوف من علماء تريم و من العلويين خاصة بإلباسه خرقة التصوف من يد مندوب قادم من المغرب[٢٤] فصار شيخاً جليلاً أقبل الناس عليه و أجلوه و سلك على يديه مريدون انتشروا في مناطق وحواضر حضرمية صار لهم نفوذ و تأثير بين سكانها .

عاش الفقيه المقدم بتريم و هو من أبنائها و لذلك فإن التأثير لعلمه و سلوكه وأفكاره كان بتريم و بين سكانها فهم الوعاء الذي احتضن ذلك الفكر عند نشأته وتأثر به . و لذا فإن الملامح الصوفية تغلف كل السلوكيات و الممارسات و النشاط الثقافي العام .

في القرن الثاني عشر الهجري ، ظهرت بمدينة تريم خاصة و حضرموت عامة ، شخصية العالم التقي الداعية الإمام عبد الله بن علوي الحداد [١٠٤٤ – ١١٣٢هـ] الذي تتلمذ على يديه عدد من التلاميذ الذي صاروا شيوخاً مرشدين في عدد من البلدان ، و صنف مؤلفات باحثة في الأصول و التصوف و العبادات و ابتهالات و أذكار و دعوات . و قد عمت دعوته عموم المناطق الحضرمية و اليمنية بل إنها انتشرت مع الحضارم في مهاجرهم كتلاوة أذكاره المعروفة براتب الحداد ، و عرف بمناهضته للظلم و الانحراف و إرشاده للولاة و حواراته ومناقشاته مع علماء المذهب الزيدي ، و معارضته لأفكارهم [٢٥] ، و يدين مجتمع تريم اليوم بثقافته التسامحية الإسلامية بتعاليم هذا المرشد العظيم .

إن معظم سلوكيات التريميين و عاداتهم و تقاليدهم ترتبط بتلك التعاليم و الأفكار المتبلورة عبر القرون ، و لقد قامت مراتبية العلم المتمثلة في مراتبية المشايخ و السادة ، الدور الفعال في صياغة الفكر و تحديد الهوية الثقافية لمجتمع تريم فآل بافضل كان لهم دور كبير في نشر المعرفة منذ القرن السادس الهجري ، بظهور العالم الشيخ سالم بن فضل بافضل (ت ٥٨١هـ) و دوره العلمي الإرشادي الدعوي بتريم ، فقد أسس زاوية للتدريس ظلت تمارس نشاطها إلى اليوم ، و يقوم أحفاده بالتدريس فيها و الإشراف عليها ، كما أسس حلقات تلاوة القرآن بين العشائين (إحياء ما بين العشائين)[٢٦] التي ظلت أيضا إلى اليوم منتشرة في مساجد حضرموت . و أسهمت المراتب المشائخية الأخرى بدورها أيضاً في نشر المعرفة ، بين المدن و القرى و في الوديان و المرتفعات حيث يعيش معظم أفراد قبائل حضرموت .

و يأتي دور مرتبة السادة العلويين في نشر العلم و إثراء الفكر بعد وصولهم إلى تريم في عام ٥٢١هـ ، و استقرارهم بها و تلقي المعرفة من شيوخها ، فنبغوا فيها و صار لهم المكانة العليا في المجتمع لما تميزوا به من العلم و الصلاح و الانتساب إلى العترة المحمدية صلوات الله عليه .

رسم العلويون لهم طريقاً في التلقي العلمي و العبادة و السلوك و الآداب عَرَّفوه بالطريقة العلوية – قائما على الالتزام بحقائق الشريعة الإسلامية ، و أصبحوا علماء و مرشدين و دعاة إلى الله و ألفوا المصنفات في علوم الشريعة الإسلامية و السير والمرشدات الدينية ، و جاء

خلفهم في القرون المتأخرة ليسهموا في الشعر و النثر و القصة القصيرة و الرواية و الكتابات الصحفية ، المخطوطة و المطبوعة منها في المهجر الآسيوي و الوطن .

طبع العلويون بمعارفهم و طريقتهم التربوية الخاصة مجمل سلوكيات و عادات و نشاط مجتمع تريم الثقافي و علاقاته العامة ، تمثلت في أنشطتهم بإقامة ليالي شهر رمضان المبارك بإلقاء الأناشيد و الابتهالات و الأهازيج و المسيرات الابتهالية (الزفوف) خاصة في ليالي ختم القرآن الكريم ، بمساجد المدينة تصحبها معازف الشبابات و الدفوف ، و يعد هذا النوع من الإنشاد و العزف من حالات الذوق عند المتصوفة و قد حرص العلامة أحمد بن الحسين العيدروس (ت ٩٦٨هـ) على [جلب منشدين و مطربين من مصر و عرف ، و ألف منهم جوقة عدد أفرادها سبعة حيث استوطنوا تريم و قاموا هم و أحفادهم بهذه المهمة باستمرار إلى اليوم ..][٢٧] و تمارس هذه الفرقة نشاطها في حضرة السقاف التي تعقد بمسجده المعروف ليلتي الاثنين و الخميس من كل أسبوع ، و تشارك في مراسيم الزيجات و الجنائز الخاصة بمراتب السادة العلويين و المشائخ ، أما بقية أفراد المجتمع من حرفيين و مزارعين فإنها لا تشارك معهم ، غير أن رقصاتهم و مضامين قصائدهم وقصائد غنائهم لا تخلو من ذكر الله والإشارة إلى الأولياء و الصالحين .

من الصعوبة بمكان سرد عادات و تقاليد و نشاط المجتمع بتريم بمراتبه الاجتماعية المختلفة ، فقد تفردت كل مرتبة بتقاليد مرعية لها ، خاصة الأدنى من مرتبتي السادة و المشايخ و هي ملحوظة للمشاهد و تكمن الصعوبة في عدم وجود المصادر التي تتحدث عنها وتصفها ، وتحفظها كتراث في ظل متغيرات العصر ، فإن ما كتب عنها اليوم لا يفي إذ انحصر في تحليل النشاط الثقافي من خلال الأشعار و الأمثال [٢٨] و الكتابة عن عادات و تقاليد مرتبة العلويين دون غيرهم [٢٩] .

تلك هي الخصائص العلمية والفكرية المكونة لثقافة المجتمع بتريم عبر التاريخ عامة كما نراها ، و الراسمة لهويته الثقافية الملتزمة بالفكر الإسلامي المصبوغ برؤى المتغير الفكري نتاج التحول المذهبي المتداخل المستمر ، و إذا كانت مظاهره لا تتسق و مظاهر مجتمعات إسلامية أخرى فما ذاك إلا لأن المجتمع التريمي قد التزم بهوية مكانية ، فالمكان هو المؤثر العام في رسم الهوية الثقافية .

ج- المظاهر الثقافية :

عبر مراحل الصراع المذهبي العقائدي ، التي مرت بتريم و حضرموت عامة ، و مع وجود المنافسات السياسية ، لم يتقاعس الحضارمة عن طلبهم للعلم و تلقيه على يد الشيوخ في العواصم الإسلامية وفي تريم و في مدن حضرموت الكبرى [ذلك أن المدن الكبرى في حضرموت و بعض القرى ظلت تتوارث العلم و تتناقله و تصر على الاحتفاظ به رغم الأحوال السياسية المضطربة والحياة الاقتصادية الصعبة التي كانت تعيش فيها ...] (٣٠) .

خلال القرون الخمسة الأولى من الهجرة ، و في خضم الصراعات المذهبية الأباضية مع غيرها ، كان للعلم و العلماء مكانته و تأثيره في الحياة العامة ،[فللأباضية علماؤهم وزعماؤهم الدينيون و إن لم يحفظ لنا التاريخ كل أفرادهم .. ففي مقدمتهم أئمتهم البارزون كعبد الله بن يحيى الكندي – (١٣٠هـ) الذي يعد أول شخصية أباضية بارزة نادت بهذا المذهب في حضرموت بعد ما كانت على العموم من قبل على ما عليه السلف الصالح من الصحابة و التابعين و تابعيهم بإحسان ... وكأبي إسحاق إبراهيم بن قيس الهمداني و والده بمقتضى ما يحدثنا عنه الباروني في صدر ديوانه] (٣١) .

لقد كانت حضرموت على اتصال علمي بالعواصم العربية الإسلامية ، وبالتحديد مع البصرة و بغداد ، و لم تكن معزولة عن العالم الإسلامي ، كما حاول البعض رسم صورة قاسية للعصر الأباضي ، و يكفينا دليلا على ذلك التواصل المعرفي أقوال المؤرخين بأن الحضارم شراة – (أباضية) لهم رغبة في الخير والعلم ، و قد وصفوا فيه موانئ حضرموت وحركتها التجارية ، و قد جاء ذلك الذكر في حياة المؤرخ المقدسي الذي كانت وفاته عام (٣٨٠هـ) أي في القرن الرابع الهجري في مرحلة الزخم الأباضي ، فلو كانت حضرموت معزولة لما علم عنها ذلك المؤرخ المقيم ببغداد و لا عرفتها و نزحت إليها الفصائل القبلية كآل أبي علوي و آل باوزير و بني حرام ... إلخ .

في القرن السادس الهجري ، بلغت تريم قمة الرقي العلمي بوجود عدد كبير من العلماء بها ، ممن بلغ مرتبة الفتوى ، و معلوم تاريخياً استشهاد الأخوين العالمين الجليلين ابني الأكدر ، و في هذا القرن ظهر بتريم ذاتها الشيخ سالم بن فضل بافضل (ت ٥٨١ هـ) .. الذي أحيا ما

اندرس من العلم كما قيل عنه و الذي قضى بالعراق أربعين عاماً يتلقى العلم ، و قد أنشأ زاوية للعلم ظلت تمارس نشاطها إلى اليوم ، و جاء من بعده في القرون اللاحقة من انشأ الزوايا العليمة أيضا كالعالم الشريف علي أبوبكر السقاف الملقب بالسكران [٨١٨ — ٨٩٥هـ] الذي قام بالتدريس في زاويته المعروفة باسمه في تريم التي جددها و طورها أحفاده في الربع الأخير ، من القرن العاشر الهجري [٣١] و توالت الزوايا تتابعاً في نشأتها بتريم حتى بلغت ثلاث عشر زاوية لازال معظمها مواصلا رسالته التعليمية .

في مطلع القرن الرابع عشر [٤ — ١٣٠٥هـ] تأسس رباط تريم الذي أمه عدد كبير من الفتيان يتلقون العلم على يد أكابر الفقهاء و مشايخ العلم في حلقات ، صباحاً و مساءً ، وقدم إليه شباب من خارج حضرموت من المناطق اليمنية و العربية وشرق إفريقيا و الهند و شرق آسيا .

و في عام ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م — تأسست مدرسة جمعية الأخوّة و المعاونة ، بمبادرة من أبناء تريم الخيرين ، حرصت في قيامها على تحديث طريقة التعليم والخروج من دائرة الحلقات التقليدية بتوزيع الطلاب إلى صفوف ، مستحدثين منهجا دراسيا مواكبا لمتغيرات الحداثة دون التخلي عن الأصول الإسلامية مع إدخال مواد ثقافية و علمية و اجتماعية جديدة و قد ظل منهجها قائماً إلي حين إخضاعها للمنهج الحكومي السائد بعيد الاستقلال في عام ١٩٦٧م — ١٣٨٧هـ .

و في ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م — تم إنشاء معهد للدراسات الإسلامية — عرف بدار المصطفى للدراسات الإسلامية ، جمع في طريقة التعليم بين تقليدية الأربطة ومنهجية نظم التدريس الحديث بالمدارس ، و يؤمه عدد كبير من طلاب العلم من أندونيسيا و الملايو و شرق إفريقيا و أوروبا و أمريكا .

و يتوج جبين تريم في عام ١٩٩٤م نفسه بإنشاء كلية للشريعة و القانون تابعة لجامعة الأحقاف ، . أمها و يؤمها طلبة من حضرموت عموم اليمن و شرق آسيا .. علاوة على التعليم الحكومي الأساسي و الثانوي المنتشر بتريم و عموم القرى المحيطة بها .

تبنى هذا النشاط العلمي ذو المنهج الأهلي الإسلامي التقليدي ، مواطنون وهيئات ومؤسسات أهلية حضرمية في الداخل و الخارج ، فقد خصصت لها الأوقاف الخيرية ، ولا

زالت قائمة بتدريس مناهجها و علومها التي تأسست عليها وبها دون الخضوع لسيطرة الدولة ، ومنهجها التعليمي ، كما أن حلقات الدروس بالمساجد التي يقدمها الشيوخ تتواءم ومعطيات مناهج تلك الزوايا و الأربطة التي تخرجوا منها . فتدرس فيها علوم القرآن تلاوة وحفظاً وتفسيراً ، و الحديث و الفقه على مذهب الإمام الشافعي ، واللغة العربية من نحو ومنطق وصرف و علوم الفلك و السير .

سعى إلى الزوايا و المعاهد (الأربطة) العدد الكبير من الطلاب من مختلف مناطق حضرموت و اليمن و أقطار آسيوية و أفريقية و أوروبية ، و نهض بالتدريس فيها علماء أجلاء مشهود لهم بالعلم و الفضل من أبناء مدية تريم توارثوا العلم عن أسلافهم بأساليبهم التقليدية التي حرصوا عليها ، فتلقى على أيديهم و بنهج تقليديتهم ، طلابهم الذين أصبحوا شيوخاً عادوا إلى مواطنهم ، حاملين رسالة التبليغ العلمي .. فقاموا بالتدريس في المساجد وأقاموا الأربطة ، فكان بهم انتشار العلوم في مناطق واسعة خارج جغرافية تريم و حضرموت عامة ، و لقد سبق الطلاب في الارتحال إلى مواطن بعيدة ، شيوخهم من تريم ذاتها و يحفظ لنا التاريخ الحضرمي و التراجم و السير للعوائل ، ذكر عدد من الشيوخ الكرام عبر حقب من التاريخ رحلوا من تريم إلى الحواضر اليمنية و قاموا بالتدريس و نشروا العلم بها منهم على سبيل المثال الشيخ العالم الجليل علي بن محمد علوي المعروف بمولى مرباط – (ت ٥٥٦هـ) الذي رحل إلى مرباط بإقليم ظفار معلماً و مرشداً ، و الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بافضل (ت ٩١٨هـ) الذي رحل إلى الشحر بالسهل الساحلي من حضرموت و تولى حلقات الدرس بجامعها و مساجد أخرى . و غيرهم مما يضيق المقال بذكرهم جميعاً .

إن هذا الانتشار لرجالات العلم التريميين إلى مواطن خارج مدينتهم حمل معه فكر والمجتمع التريمي و ثقافته ، فهم لم يتوانوا عن تكريس تقاليدهم و أعرافهم في عاداتهم وطريقة تدريسهم ، و هيئتهم ونشاطهم الاجتماعي و ممارستها في مجتمعاتهم الجديدة ، فقلدهم مريدوهم وتلامذتهم ، فقد أخذوا عنهم ، ترتيب الدروس في الصباح الباكر بعيد الفجر ، وبعد الظهر وبعد المغرب ، بإحياء ما بين العشائين كما أسلفنا ذكره من أعمال الشيخ سالم بافضل ، وقراءة ذكر راتب الحداد بعد أذان العشاء في معظم المساجد ، و كل المظاهر الدينية الابتهالية وملامحها

التعبدية ، والأدعية الإسلامية و الأوراد الواردة عن الشيوخ ، وتلك المظاهر الإنشادية في المناسبات الاجتماعية و الدينية المرتبطة بالأفراح و المآتم ، و على عموم السرد فإن مجتمع تريم صاغ ثقافة المجتمعات الحضرمية الأخرى بنتاجه الفكري وخصوصيته وثقافته المكانية .

الهجرة التريمية و أثرها :

تعددت الدراسات و الأبحاث الحديثة عن هجرة الحضارم إلى شواطئ إفريقيا الشرقية والهند الغربية و جزرها الشرقية و البلاد العربية ، وصولاً إلى التعرف على واقع الحضارم الجغرافي و الاجتماعي و دوافع المهاجر الحضرمي والعناصر الكامنة في شخصيته التي جعلت منه عنصراً نشطاً محركاً في تطوير تلك المجتمعات الحاضنة له ، تمكن من احتلال مواقع تجارية وعلمية و ثقافية و سياسية فيها .

يهاجر الحضرمي مفارقاً مسقط رأسه بدوافع الفقر و الخوف و الطموح ، فأما الفقر فلصغر مساحة أرضهم الزراعية و جفافها عند امتناع نزول الأمطار ، وضعف مواردها المعيشية و أما الخوف فلعوامل مختلفة شهدها تاريخهم ، منها الصراعات المذهبية و السياسية والتناحر القبلي . و أما الطموح فكل مهاجر مهما اختلفت مواهبه الفكرية و مداركه العقلية وموقعه الاجتماعي فإنه يبحث عن الاستقرار النفسي بربط علاقات ودية مع مجتمع المهجر ، والسعي لاكتساب العيش بجهده مع استقامة في السلوك و حسن التعامل و الإخلاص في إدارة المهام الموكلة إليه مع حرص على الإتقان فتلك المكونات ترفدها خلفية أخلاقية دينية و معرفة شرعية علمية قد تلقاها في مجتمعه رغم ظروف المعاناة .

هاجر الحضارم و هم يحملون تلك المشاعر عند عامتهم و معها المعارف عند خاصتهم ، و في تلك المهاجر تم تذويب الفوارق الاجتماعية بينهم ، فقد أدركوا أن معاناة الاغتراب تصهرها و هم بحاجة إلى ترابط و صلابة في مواجهة المصاعب و لم يتم لهم ذلك إلا بتحليهم بالأخلاق الإسلامية التي هذبت نفوسهم رغم قساوة حياتهم ، فأعانهم هذا التخلق على النظر إلى الأمور بنظرة التسامح و حسن الظن والتكيف مع الواقع الجديد بالمهجر ، فانطلقوا بهذه الروح إلى مواقع بعيدة في إفريقيا حاملين طموحهم و جرأتهم و حسن تعاملهم ناشرين الدين الإسلامي و الدعوة له .

في حركة استيطان و استقرار الحضارم بالمهجر الإفريقي و من خلال التعايش الحميمي مع المواطنين الإفريقيين و مشاركتهم أفراحهم و أحزانهم تعرفوا على تراثهم الثقافي الوطني ، فكان بطبيعة الحال إثارة للمكنون التراثي و الثقافي عندهم ، فعمدوا إلى إبرازه و ممارسته في مناسباتهم و الدينية و زيجاتهم و مآتمهم [٣٢] .

يشكل الحضارم نسبة كبيرة من العرب المهجارين بشرق إفريقيا و أكثرهم تأثيراً في المجتمع الإفريقي السواحلي ، و يمثل القادمون منهم من الجزء الشرقي لوادي حضرموت و يحتلون حيزا كبيراً ، و هم أولئك القادمون من المدن و القرى الواقعة حول مدينة تريم و ما يليها شرقاً ، فالزائر إلى تلك المواطن يلتقط في جولته مخاطبات مواطنيها باللغة السواحلية و كثرة استعمال مفرداتها في نتاجاتهم الشعرية و أمثالهم و حكاياتهم الشعبية .

إن التخصيص بذكر سكان هذا الجزء من حضرموت ، ليس لأنهم الوحيدون المؤثرون في ذلك المجتمع الإفريقي ، فبقية الحضارم القادمين من مناطقهم المختلفة يسهمون أيضا في التأثير و إنما التخصص كون المجتمع التريمي و من خلال تبنيه مركز العلم و ريادة الدعوة الإسلامية كان أفراده مؤثرين في سلوكيات الجميع ناقلين علمهم و عاداتهم و تقاليدهم ، فحمل هؤلاء معهم تقاليدهم المكانية إلخاصة مع مؤثراته التريمية .

تجمع الحضارم في المدن الساحلية الإفريقية الشرقية ، كزنجبار و دار السلام ومباسة وما ليندي و لامو و بتّه في أحياء خاصة طبعوها بصور واقعهم في الوطن و سماته بممارستهم نشاطهم الاجتماعي بإقامة [نفس مراسيم حفلات الزواج المتعارف عليها في مسقط رأسهم بدءاً من شكل لباس العروس إلى إقامة الرقصات و الغناء و ترديد الأهازيج لثلاثة أيام كاملة .. و.. و يقوم الرجال بنفس الرقصات والسهرات الغنائية الممارسة في مسقط الرأس . و لشدة التعلق بالوطن ، ينقلون إلى مهاجرهم كل متغير و متجدد في نشاطهم الاجتماعي هذا ، فقد كانت تقوم في السهرات المقامة خلا ل الزواج بحضرموت ، الرقصات المعروفة بالعدة والشبواني في المدن وحدها — و ينقل القادمون من الوديان و القرى رقصاتهم المتنوعة — و مع مطلع الخمسينيات ، استحبوا إقامة سهرات الطرب بنصب ما عرف بالمخدرة وإحياء الحفل من قبل أحد المطربين المشهورين إظهارا لمقام العريس و ثراء عائلته . فانتقل هذا التقليد إلى المهجر و صار تقليدا عاماً في سهرات الزواج — بالمهجر][٣٣] .

و مع نقل الموروث الشعبي نقل هؤلاء أيضا تقاليدهم و أعرافهم المرعية بينهم كاحتفاظ رئيس الحي بكل متطلبات إحياء الأفراح بالحي كآلات العزف و الإيقاعات – كالهوجرة – والمراويس و كل ما يستعمل من إيقاعات لرقصات العدة ، واحتفاظه [بمشعال و عيدان ..][٣٤] .

لم يكن استقلال الحضارم بأحياء خاصة بالمدن السواحلية انعزالاً و بعداً عن المجتمع السواحلي المحلي ، فقد كانوا شركاء في مكوناته ، فصارت له ملامحه وثقافته الخاصة ، وبهذه المشاركة تمكنوا من إقناع الإفريقيين بالدخول في الإسلام ، فقد جاء دعاتهم [حاملين راية الإسلام داعين الناس إليه و للاتجار بما يحفظ لهم معيشتهم مما أحله الله لهم .][٣٥] و أثروا في مجمل النشاط الاجتماعي [و ذلك لأن البيئات تتأثر بالدعاة و تقلدهم فيما يعتنقون من مذاهب][٣٦] .

عبر عدد من الباحثين الإفريقيين في مصنفاتهم عن ذلك التأثير الحضرمي في المجتمع السواحلي الإفريقي بمزيد من التفصيل و التأكيد فيحدثنا الأستاذ عبد القادر الجنيد [٣٧] عن ذلك بالقول [و سكان هذه الأقطار (الإفريقية) تأثروا كثيراً باليمنيين الحضارم ، ليس في المذهب (الفقه الشافعي) فحسب بل حتى في العادات واللباس و المباني و الأثاث ، فنجدهم يشبهون الحضارم في لباسهم و في بناياتهم . و تجد عاداتهم في مراسيم أفراحهم و مآتمهم كلها كالعادات الحضرمية ، و أيضا عاداتهم في مساجدهم و أعيادهم و إحياء ليالي رمضان أشبه بالعادات الحضرمية ..] .

و في كتابه المعنون بـ - الأقلية المسلمة في كينيا – تحدث د. تاج السر أحمد حران بكثير من التفصيل عن دور المهاجرين الحضارم في نشر العلم بإفريقيا و تقديمه بنفس الأساليب والتقاليد التعليمية السائدة ، بمساجد حضرموت و معاهدها و تجاوز تأثيرهم إلى تشجيع طلبة العلم على الرحيل إلى عينات و تريم لتلقي العلم فيهما . و قد لعب الأشراف العلويون القادمون من حضرموت الدور البارز في نشر العلم و الدعوة إلى الإسلام وبناء المساجد والمعاهد بطول الساحل الإفريقي الشرقي و جزره ، و المناطق الداخلية منها . و أسهموا بجهد كبير في نشر التقاليد الإسلامية المحلية الحضرمية في عموم ذلك المهجر و أعطوه نظرته الاجتماعية الفكرية كما وصفها فيقول عن ذلك :

[الآثار الحضرمية القادمة مع عرب حضرموت المهاجرين من ديارهم إلى شرق افريقية ، أمر واضح في إسلام شرق إفريقيا ، فتجارتهم و اختلاطهم بالسكان عاملان من عوامل انتشار الإسلام هناك و بقاؤهم في تلك الديار أعطى الإسلام هناك العديد من سماته ، فالمذهب السائد مثلا بين المسلمين هناك هو المذهب الشافعي المذهب السائد في حضرموت وجنوب الجزيرة العربية ، فعوائل الأشراف الحضرمية هي التي بثت إلى جانب الإسلام تقاليدها الثقافية وتراثها ، و قد قامت سلالات تلك العوائل الحضرمية المهاجرة بدور مهم في تكوين النظرة الاجتماعية والفكرية للإسلام في شرق إفريقيا ، و كذلك في تطور الأدب السواحلي الكلاسيكي هناك ، و تعدت نشاطات الحضارمة تلك المجالات الأدبية إلى غيرها فكانوا هم نواة العلماء المسلمين في شرق إفريقيا منذ دخول الإسلام إليها و حتى عهد قريب عندما أخذت طبقة جديدة من العلماء المحليين في الظهور و في احتلال تلك المكانة السابقة التي حظي بها العلماء الحضارمة الذين كانت لهم الهيمنة في ميدان بث المعرفة الإسلامية إذ إن غالبيتهم العظمى عملت بالتعليم وتبعهم في ذلك أبناؤهم و أحفادهم ، و الواقع أن معظم العلماء المتميزين اليوم في كينيا (وغيرها من بلدان شرق إفريقيا) يرجعون أصولهم وانتسابهم إلى تلك العوائل الحضرمية ..][٣٨] .

و عن جهود الأشراف العلويين في نشر الإسلام أشار إلى وصولهم إلى مناطق مختلفة في كينيا و دعوة أهلها إليه ، فامتدت دعوتهم إلى [.. أفراد القبائل القاطنة للجنوب من ممباسا — و بالذات في المنطقة الواقعة بين قاسي GASI المناطق الشمالية لجمهورية تنزانيا الحالية ودليل ذلك أن العوائل التابعة لعائلة الأشراف المعروفة باسم آل باعلوي — المنتشرة في تلك المنطقة هي التي قامت بأسلمة مجموعات قبلية كاملة مثل مجموعات الديجو DIGO والسيجيو SEGIU التي كانت مسلمة تماماً عند قدوم الأوربيين إلى تلك المنطقة ..] .

و عند تأثير عرب حضرموت في النشاط الثقافي و الفكري الإفريقي الشرقي فإن معظم تراث هذه المنطقة قد كتب باللغة العربية ، و لازال موجودا في مكتبات الجامعات الإفريقية ، و إن عددا كبيرا من الحضارمة المولدين بإفريقيا قد أسهموا بقدر كبير في النهضة العلمية والثقافية الحديثة .. و هؤلاء من أصول عوائل قدمت من حضرموت في فترات تاريخية تعود إلى القرن العاشر الهجري كما هو مدون لهجرة العلويين أما غيرهم من الحضارمة فإن الهجرة تعود إلى قرون ما قبل الإسلام [٣٩].

إن معظم المهاجرين الحضارم إلى إفريقيا قد قدموا من وادي حضرموت و من مدينة تريم التي بثت تقاليدها و أعرافها و أساليبها في طلب العلم و تقاليدها الدينية الاجتماعية في عموم مدن حضرموت فحملها مهاجروها إلى إفريقيا و غيرها من القارات .

الخاتمة :

قيل عن الكتابات التاريخية بحضرموت . إنها لا تغطي المساحة الزمنية التي تحدثت عنها ، و أن حوادثها قد دونت في فترات زمنية لاحقة لوقوعها بقرون ، الأمر الذي يضع التأكيد عليها موضع الاهتزاز ومثارا للجدل كما هو حادث في المناقشات عن بعض الحوادث والسكوت عن حوادث القرون الأربعة الأولى من الهجرة، وغيرها من الإشكاليات التاريخية[٤٠] . و إن من أبرز الإشكاليات عدم الكتابة عن التاريخ الاجتماعي و الإشارة إلى نشاط المجتمع بحضرموت. ذلك النشاط المتمثل في تدوين التاريخ المعرفي و التطور الفكري و الثقافي ، وحركته المادية الاقتصادية و العمرانية و ارتباطها بحياة الفرد و قدرته على التطور والإبداع .

يدفعنا لهذا الطرح من القول محاولات الغربيين دراسة المكونات الفكرية للحضارم ودوافع نشاطهم العلمي و الدعوي و حركتهم التجارية و ارتباطهم واندماجهم الكامل بمجتمعات المهاجر التي هي مستعمرات أوروبية ، بريطانية وهولندية و فرنسية ، و قلق هذه الدول على ترسيخ سياستها بمستعمراتهم و الخوف من قيام الحضارم بإثارة الوطنيين بها بما يعارض أهدافهم .

كتب الباحثون الحضارم تراجم و سير لعوائل و شخصيات حضرمية لعبت دوراً في مجال العلم و المعرفة عبر حقب من التاريخ مشهود لهم غير أن الحديث عنهم لا يتعدى التمجيد الشخصي والارتباط العائلي و إظهار مكانة العائلة العلمية في المجتمع و افتخارها بتلك الشخصيات .

لا يوجد من كتب عن نشاط المجتمع العلمي و بالتحديد ثقافته كوجه من وجوه الوجود الحضاري للمجتمع على سبيل المثال تذكر لنا مصادرنا التاريخية الحضرمية الخلاف الفقهي بين العالمين الجليلين عبد الله بن عبسين (ت ٩٠٧) و محمد عمر بحرق (ت ٩٣٠هـ) و عن لقائهما و إعلان الأخير خطأه و أن الحق كان في جانب الأول ، وأن ما جرى بين العالمين دليل حكمة و تسامح العلماء في تلك الفترة ، و لنا أن نتساءل ما دور المجتمع في ما جرى بين العالمين ؟ و ما علاقته بالمسألة الفقهية و هل كان الحضور بالجامع عقب الصلاة حين تم

الإعلان عن تصحيح المسألة ، متجاوباً مع الحدث أم أنه كان سلبياً لا يعنيه ما قيل أمامه .؟ إن القول بإعلان الصواب أمام جمع كبير من المواطنين عقب صلاة الجمعة ، بدلا من الحوار بين العالمين منفردين لدليل على ترقب المجتمع لحوارات العلماء ، ولربما المساهمة كطلبة علم، و ما أكثرهم في تلك الفترة من القرن العاشر الهجري بين مؤيد و معارض ، و هذه المشاركة ملمح دال على وجود الوعي الفقهي المعرفي بين أفراد المجتمع ، و به نستدل على وجود هوية ثقافية فكرية لدى المجتمع بحضرموت مثّله مجتمع مدينة الشحر الواقعة حادثة الخلاف الفقهي فيها . فالمؤرخون الحضارم لا يتحدثون عن النشاط العلمي و الثقافي في المجتمع كأبرز ملامح نشاطه و حراكه الحياتي من خلاله تطاولت قامات الرجال الأفاضل العاملين و هامات العلماء المجددين قادة ذلك المجتمع الذين تركوا إرثا علميا و فكريا تفخر به مجتمعاتهم و عوائلهم .

مدينة تريم من أقدم المدن بحضرموت ، فيها تكون مجتمع استيطاني تميز بملامح ثقافية خاصة ، و كانت عبر تاريخها الطويل و لازالت مركز إشعاع للمعرفة الإسلامية ، امتدت إلى كل المناطق بحضرموت و انتشرت في مواطن خارجها ، وأصبحت تقاليدها العلمية والدينية معروفة و ممارسة في تلك المناطق داخل اليمن و خارجه بالمهاجر عبر هجرة علمائها إليها ، ووفود طلاب العلم من تلك المهاجر إليها و العالمين الساعين لظروف معيشية أفضل ، ووسمت بهم مجتمع الاغتراب بثقافتها الإسلامية الخاصة .

يتحدث علماء الاجتماع عن أن مكونات الهوية الثقافية تتمثل في المكان و الدين و اللغة و العادات و التقاليد ، و يرى عالم الاجتماع العربي ابن خلدون في مقدمته أن الهواء والأنواء مكون مؤثر في ثقافة البشر[٤١] . فحين نُخضع تريم لعوامل تلك المكونات الثقافية نجد أن المكان له تأثير بارز في صياغة الفكر و الثقافة بها و تغليفه بغطاء المكانية مع الاحتفاظ بجذره الإسلامي العربي . فوقوعها على أهم الطرق التجارية القديمة و الحديثة السائرة من شرق وادي حضرموت إلى صحار الدهناء وصولاً إلى البصرة بالعراق ، جعلها ملتقى للأقوام القادمة من شرق الجزيرة العربية والاستيطان بها أو قريباً منها . فتعززت العلاقة بينها وأمصار عمان و الإحساء والعراق ، ومن خلال الاطلاع على حوادث التاريخ ، نجد أن الصلات الفكرية العقائدية كانت متينة بينها فمعظم الشخصيات القيادية في المذاهب العقائدية والعلماء

البارزون بتريم استمدوا فكرهم و علمهم من البصرة و عمان كحال الإمام الأباضي عبد الله بن يحيى الكندي و العالم الشيخ سالم بن فضل بافضل على سبيل المثال و غيرهم ممن تركوا بصمات و آثاراً في ثقافة التريميين و الحضارم عامة .

و المكان جعل من تريم منطلقاً للدعوة الإسلامية بحضرموت بإقامة عامل الرسول الكريم صلوات الله عليه الصحابي زياد بن لبيد بها ، تلقى التريميون عنه تعاليم الدين الإسلامي والتفقه فيه ، و على أرضها نهض الأباضيون و أقاموا حكماً أباضياً عارضهم عليها بعد ثلاثة قرون الصليحيون و في الربع الأخير من القرن السادس غزاها الأيوبيون تلاهم الرسوليون ثم قيام الإمارات المحلية الحضرمية المستقلة.

حملت تلك الدول المتعاقبة على حضرموت و على تريم ذاتها أيديولوجيتها ، فالأباضيون معروفون بمذهبهم و فكرهم السني لهم علماؤهم و مصنفاتهم الكثيرة ، وكذلك الصليحيون ذوو الفكر الشيعي الموالون للفاطميين حكام المغرب و مصر ، والأيوبيون السنيون المتشددون و الرسوليون السنيون الأشعريون المعتدلون ، فتصارعت تلك الأيديولوجيات بينها و من ثم تداخلت بعد فترة من التعايش فتشكل بذلك فكر المجتمع بتريم بصورة أوضح فيما نقرؤه من كتابات و مصنفات وضعت في تلك الفترة راسمة هوية الحضارم الثقافية.

في القرن العاشر الهجري برزت في تريم مظاهر الفكر الصوفي السلوكي فعرفت المدينة بأنها مركز هذا الفكر الصانع لكل نشاط المجتمع الثقافي و العملي المادي .و قد تعاظم دور العلماء المتصوفين فيه في القرون اللاحقة له بدءاً من الشيخ أبو بكر بن سالم علوي (ت ٩٩٢هـ) وصولاً إلى الإمام عبد الله بن علوي الحداد (١٠٤٤ — ١١٣٢هـ) و تلامذته من مختلف مراتب المجتمع إلى القرون المعاصرة المنتشرين في حواضر حضرموت و المهاجر الإفريقية و الآسيوية ومن اتصل بهم و تلقى عنهم و صار لهم دورهم الكبير المتعاظم في بث تعاليم التصوف وفكره و سلوكه بمجتمع تريم خاصة و حضرموت عامة . فمن المألوف بهذه المدينة سماع الأهازيج و الأشعار الابتهالية المغناة تقال في كل نشاط اجتماعي بالمساجد والمدارس و مواقع العمل بين المزارعين و الحرفيين و في الأفراح و الألعاب وترديد (الأذكار و الدعوات والعظات في قوالب أزجال و هم يحفظونها جيلا بعد جيل و توجد في بعض الدواوين و الأمالي)[٤٢] .

من خلال دراسة تاريخ مدينة تريم في عصرها الإسلامي تبدو للدارس تعلق مواطني هذه المدينة و رغبتهم الطافحة الطموحة في تلقي العلم و نشره في كل المواطن التي ينزلون بها داخل حضرموت الإقليم و خارجه ، فرغبتهم شديدة في العلم و الخير كما وصفها المؤرخ المقدسي ، لم تتزعزع و تتضاءل مع مرور الزمن و اشتداد الصراعات المذهبية و التناحرات القبلية و السياسية . فقد انتشر العلم بين كل فئات المجتمع بمختلف مراتبه بإقامة الكتاتيب والزوايا و المعاهد ملازمة مع حلقات الدرس بالمساجد ، و قد لعبت مراتب المشائخ و السادة الدور الكبير في نشر العلم و عنايتهم و تطوعهم للتدريس دون السعي لتلقي الأجر المادي . ولقد كان للعلويين في العصور المتأخرة دور بارز في هذا المجال و إن المطلع على تاريخ حضرموت يرى أن معظم مشاهير الرجال من العلماء و الصلحاء و الوعاظ والمصلحين والأغنياء و المساهمين في تشييد المساجد و أعمال الصدقة و الأوقاف الخيرية في مناطق مختلفة من مدن و قرى و وديان حضرموت إن لم يكن كلهم، قادمون إليها أو قاطنون بها ، من أصول تريمية ، من آل باعلوي و آل باعباد و آل بافضل و آل باوزير و العمودي و آل الخطيب و غيرهم من مراتب أخرى تشرفوا بالعلم و الفضل .

حمل المهاجرون من تريم إلى شرق إفريقيا التي امتدت هجرتهم إليها في العصر الإسلامي منذ قرونه الأولى و امتدت إلى قرون معاصرة ، حملوا معهم معارفهم و تقاليدهم و كل ملامح ثقافتهم و هويتهم المكانية الإسلامية فتداخلوا بالمجتمع السواحلي (الشرقي الإفريقي) . فكان بهم نشر الإسلام و المساهمة في تطوير تلك المجتمعات ثقافيا و اجتماعياً فلم تقف إقامتهم بمهاجرهم عند حد المتاجرة و كسب العيش بل امتدت إلى احتلالهم مراكز مهمة و مؤثرة بها باعتلائهم مناصب سياسية وعسكرية وعلمية وتربوية . و من خلال الاندماج بالمجتمع الإفريقي تسللت الثقافة العربية الإسلامية إليه و صبغت ملامح الحياة العامة بملامح عربية بتقاليد و أعراف مجتمع حضرموت و مجتمع تريم خاصة .

عبر تاريخها الإسلامي العريق حافظت مدينة تريم على تراثها الفكري و الثقافي الذي صاغته تقلبات الأحداث السياسية و المتغيرات الاجتماعية الوافدة و عززت ثباته بالعلم والمعرفة العامة و كسته بالتصوف السلوكي الذي أصبح ملمحا من ملامح نشاط المجتمع بها وسلوك الفرد فيها انتقل المحيط السكاني الداخلي والمهجري الذي أصبح سمة من السمات المشكلة للهوية الثقافية لحضرموت و هو في الأساس هوية تريم الثقافية بخصوصيتها الدالة على الذات و إثبات وجودها الحضاري التاريخي الإسلامي .

الهوامش :

(١) : أحمد عبدالله بن شهاب ـ تريم بين الماضي والحاضر ج١ ـ ص٩.

(٢) : بكسرة تحت الشين والعين . فرع الوادي .

(٣) : ابن شهاب ـ المصدر السابق ص١١.

(٤) : د ـ بافقيه وآخرون مختارات من النقوش اليمنية القديمة .

(٥) : المصدر السابق .

(٦) : مطهر علي الإرياني ـ في تاريخ اليمن ـ شرح وتعليق على نقوش لم تنشر ـ ص١٦٥.

(٧) : باوزير ـ صفحات من التاريخ الحضرمي .

(٨) : خلال هذه الفترة قامت بحضرموت ثلاث إمارات . اتخذت من مراكزها التجارية مراكز وعواصم سياسية لها . وهي :ـ إماراة آل راشد بتريم .(٤٠٠ ـ ٧٠٠) آل الدغار بشبام (القرن السابع)وآل إقبال بالشحر (٤٠٠ـ ٦٧٧هـ) وتنتسب الدول الثلاث الى قبيلة حضرموت .

(٩) :انظر ـ الشاطرى ـ أدوار التاريخ الحضرمي .

(١٠) : د. على حسن وعبد الرحمن الملاحي ـ الصراع الحمومى القعيطي ودوافعه (١٨٦٧ ـ ١٩٦٧) ـ بحث مقدم إلى ندوة الحركات الشعبية ضد الحكم الانجلوا سلاطيني بحضرموت ـ جامعة عدن ـ كلية التربية.المكلا ـ حضرموت ـ فبراير ١٩٨٩م ـ الجملة (في زماننا) منسوبه للهمدانى عند ذكره لآل عمرو في الجزء الثاني من الإكليل .

(١١) : المصدر السابق .

(١٢) : الأرياني ـ في تاريخ اليمن ـ شرح وتعليق على نقوش لم تنشر .

(١٣) : سرجيس فرانسو زوف ـ تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام ـ ص٤٩ .

(١٤) : كرامه مبارك سليمان باومن ـ الفكر والمجتمع بحضرموت ـ ط١ ـ ٢٠٠١ ـ ص٢٠.

(١٥) : سالم فرج مفلح – حضرموت بين القرنين الرابع و الحادي عشر الهجري – بين الأباضية و المعتزلة – مشروع رؤية – ط١ – ٢٠٠٦م . ص ٣٦ – ٣٧ – (خطبة طالب الحق) .

(١٦) : سعيد عوض باوزير – الفكر و الثقافة في التاريخ الحضرمي – ط١ – ١٣٨١هـ - ١٩٦١م .

(١٧) : المصدر السابق .

(١٨) : د . أيمن فؤاد السيد تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن – ط١ – ص١٢٩ .

(١٩) : الحامد – تاريخ حضرموت – ص٤٠٨ .

(٢٠) : المصدر السابق .

(٢١) : جاء في كتاب صلة الاهل ذكر البيت و القصيدة باثبات لفظة – العوائم – بدلا من العوالم التي اثبتناها من الأدوار للشاطري – و تريم بين القرنين لمفلح .

(٢٢) : صالح علي الحامد – تاريخ حضرموت – ص٤٣١ .

(٢٣) : محمد بن أحمد الشاطري – مقدمة كتاب الفوائد المرضية على مختصر المقدمة الحضرمية . ص ٨ – بدون تاريخ للطبع .

(٢٤) : يرى الأستاذ الشاطري – انه تلقى التصوف قبل إلباسه الخرقة على يد عمه و آخرين – انظر الأدوار – ص٣٠٢ .

(٢٥) : الإمام الغوث الفرد الجامع سيدنا عبد الله بن علوي الحداد – ج١ – عناية حفيده علي بن عيسى الحداد ط١ .

(٢٦) : مفلح – حضرموت بين القرنين .

(٢٧) : الشاطري – أدوار التاريخ الحضرمي –ص ٢٦٤.

(٢٨) : انظر – د . سارجنت – شعر و نثر من حضرموت .

(٢٩) : انظر – حامد عبد الله بن شهاب – الدليل القويم في ذكر شيء من عادات تريم – ط١ .

(٣٠) : سعيد عوض باوزير – الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي .

(٣٠) : محمد احمد الشاطري – أدوار التاريخ الحضرمي – ج١ - ص ١٥٣ – ١٥٤ – و قد صدر أخيرا الديوان محققاً ، قام بتحقيقه بدر بن هلال اليحمدي – سلطنة عمان ٢٠٠٢م .

(٣١) : عمر بن علوي الكاف – خبايا في الزوايا .

(٣٢) : عبد الرحمن الملاحي – الحضارم في نمباسا و دار السلام .

(٣٣) : عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي - الحضارم في نمباسا و دار السلام – ط١ - ص ٦٧ – ٦٨ .

(٣٤) : المصدر السابق – و لفظة الهوجرة ، جمع مفردها هاجر و هو الطبل الكبير – و المشعال – المشعل

(٣٥) : عبد القادر عبد الرحمن بن عمر الجنيد – الإسلام و اليمنيون الحضارمة بشرق إفريقيا ص١٨ .

(٣٦) : المصدر السابق ص ٢٠ .

(٣٧) : من مواليد جزيرة زنجبار و يعود إلى آل الجنيد من سكان مدينة تريم بحضرموت .

(٣٨) : د. تاج السر احمد – الأقلية المسلمة في كينيا – ط١ - ص ٩٩.

(٣٩) : حامد بن احمد الحداد – دراسات عن العرب و الإسلام في شرق إفريقيا– ص ٣٩٠ .

(٤٠) : مفلح – حضرموت بين القرنين الرابع – الحادي عشر – مشروع رؤية .

(٤١) : مقدمة ابن خلدون – ط٤ – ص٨٢ – ٨٧ .

(٤٢) : الشاطري – الأدوار – ص ٢٦٣ .

مصادر البحث

١. باحسن :

عبد الله محمد —

نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية — مخطوط .

٢. الجنيد :

عبد القادر عبد الرحمن —

الإسلام و اليمنيون الحضارم بشرق إفريقيا — مخطوط .

٣. ابن خلدون :

— عبد الرحمن محمد بن خلدون الحضرمي —

مقدمة ابن خلدون — ط٤ — ١٩٨١م — دار القلم بيروت — لبنان

٤. بافقيه و آخرون :

— مختارات من النقوش اليمنية — تونس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم — ١٩٨٥م .

٥. الإرياني :

- مطهر علي

- تاريخ اليمن — شرح و تعليق على نقوش لم تنشر — مركز الدراسات اليمنية — ١٩٧٣م .

٦. سرجيس — فرانسوزوف :

— تاريخ حضرموت الاجتماعي و السياسي قبيل الإسلام - تقديم وتعريب — د. عبد العزيز بن عقيل — ط١ — المعهد الفرنسي للآثار و العلوم الاجتماعية — صنعاء — ٢٠٠٤م .

٧. د . سارجنت روبرت :

— نثر و شعر من حضرموت — ترجمة سعيد محمد دحي — مراجعة محمد عبد القادر بامطرف — مخطوط — منشورات — المركز اليمني للآثار و المتاحف فرع حضرموت — المكلا — ١٩٨٠م .

٨. د. حسين فهيم :

– قصة الانثروبولجيا – فصول في تاريخ علم الإنسان – سلسلة عالم المعرفة – المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب – الكويت – العدد ٦٨ جمادي الأولى ١٤٠٦هـ - فبراير (شباط) ١٩٨٦م .

٩. د. حران :

– تاج السر أحمد

– الأقلية المسلمة في كينيا ط١ – ١٤٢١هـ - ١٩٩٠م – عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض .

١٠. الحداد :

– حامد بن أحمد مشهور

- دراسات عن العرب و الإسلام في شرق أفريقيا – ط١ – ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م – دار المناهج للنشر و التوزيع – جدة – المملكة العربية السعودية.

١١. اللاحي :

– عبد الرحمن عبد الكريم

– الحضارم في ممباسة و دار السلام – ١٩٣٠ – ١٩٦٠م – ط١ – ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م – دار حضرموت للدراسات و النشر – المكلا – ج . ي .

١٢. حداد :

– عبد الله صالح

– رجال الشحر في شرق أفريقيا – من خلال أدبهم الشعبي – سلسلة كتاب الحياة رقم ١٦ – دار حضرموت للنشر و التوزيع ٢٠٠٦م .

١٣. مفلح :

– سالم فرج

– حضرموت بين القرنين الرابع و الحادي عشر للهجرة – بين الأباضية و المعتزلة – مشروع رؤية – ط١ – ٢٠٠٦م .

١٤. بامؤمن :

– كرامة مبارك سليمان

– الفكر و المجتمع بحضرموت – ط١ - ص٢٠ – ٢٠٠١م .

١٥. د.السيد :

— أيمن فؤاد

- تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن — ط١ — ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م — الدار المصرية اللبنانية — القاهرة .

١٦. هاشم :

— مهدي طالب

— الحركة الأباضية في الشرق العربي — ط١ — ٢٠٠١م — دار الحكمة — لندن .

١٧. الحامد :

— صالح علي

— تاريخ حضرموت — ج١- ٢ — ط١ — ١٣٨٨هـ - ١٩٦٠م — مكتبة الإرشاد — جدة .

١٨. الشاطري :

— محمد أحمد

— أدوار التاريخ الحضرمي — ط٣ — ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م — دار المهاجر.

١٩. الحداد :

— الإمام عبد الله بن علوي

— مكاتبات الحداد — ج١ — ط١ — مطبعة عيسى البابي الحلبي — مصر — ١٩٧٩م

٢٠. باوزير :

— سعيد عوض

أ- صفحات من التاريخ الحضرمي — ب- الفكر و الثقافة في التاريخ الحضرمي — دار الطباعة الحديثة — القاهرة — ١٣٨١هـ - ١٩٦١م

٢١. ابن عقيل :

— عبد الرحمن بن جعفر

— عمر بامخرمة السيباني (٨٨٤- ٩٥٢هـ) حياته و تصوفه و شعره — ط١ — ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م — دار الفكر — دمشق .

٢٢. ابن شهاب :

– أحمد بن عبد الله

– تريم بين الماضي و الحاضر – ج١ – ط١ – ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م – دار تريم للدراسات و النشر .

٢٣. ابن شهاب :

– حامد بن محمد بن عبد الله

– الدليل القويم في ذكر شيء من عادات تريم – ط١ – ١٤٢٢هـ - ١٢٢٢هـ - مكتبة تريم الحديثة .

٢٤. الكاف :

– عمر علوي بن أبي بكر

– الخبايا في الزوايا – تعليقات نجل المؤلف عيدروس بن عمر بن علوي الكاف – ط١ – ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م – دار الحاوي – بيروت – لبنان .

٢٥. السقاف

– عبد الرحمن بن عبيد الله

– إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت – تحقيق إبراهيم أحمد المقحفي و عبد الرحمن حسن السقاف – ط ١ – ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م – مكتبة الإرشاد صنعاء .

مجتمع تريم في مكاتبات السيد عبدالله بن علوي الحداد

د.عبد الله سعيد الجعيدي

الملخص :

برز السيد عبد الله بن علوي الحداد في المجتمع الحضرمي في أواخر القرن السابع عشر، والنصف الأول من القرن الثامن عشر الميلاديين بوصفه شخصية متعددة الاهتمامات . خاض الحداد غمار الحياة ،وتغلغل في أعماق المجتمع الحضرمي، وله في نقد أوضاع مجتمعه آراء جريئة، ومواقف شجاعة جعلته يعد من أهم رموز الإصلاح في عصره، بل ويتحمس البعض له ويعده من مجددي القرن الثاني عشر الهجري.

واحتلت مكاتبات الحداد التي طبعت في مجلدين أهمية تاريخية خاصة، وهي عبارة عن ردود لرسائل ومخاطبات وجهها له بعض معاصريه خلال مدة حياته، وتركز موضوعاتها في المسائل الفقهية، والصوفية، على أن أهمها تلك التي أرسلها إلى السلاطين الكثيريين المعاصرين له.وقد أسهم الحس الوثائقي عند الحداد في حفظ هذه الرسائل.

عاصر الحداد العقود الأخيرة من عمر السلطنة الكثيرية الأولى في حضرموت، ودخل في علاقات خاصة مع السلاطين الكثيريين الذين حرص بعضهم على استشارته والتودد له . وقد تميزت هذه المدة بأحداث تاريخية عاصفة تمثلت في الانقسام السياسي الأسري الكثيري المزمن الذي عمق الفوضى ،وساعد على امتداد سلطة الدولة اليمنية القاسمية إلى حضرموت في عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل، وكذا تعزز الوجود اليافعي في حضرموت.

وقد وثّقت مكاتبات الحداد جوانب من هذه الأحداث المهمة،وجوانب من الحياة الاجتماعية والثقافية في حضرموت، الأمر الذي جعل من هذه المكاتبات أرشيفا وثائقيا في زمن لا تولي فيه معظم الدول أهمية في حفظ مراسلاتها وسجلاتها الرسمية . ومدينة تريم ذات الخصوصية الدينية أصابها ما أصاب المدن والبلدات الحضرمية ،وستحاول هذه الدراسة من داخل هذه المكاتبات الاقتراب من مجتمع حضرموت بشكل عام، وتريم بشكل خاص.

تمهيد

بدأت قصة السادة العلويين في حضرموت منذ وصول السيد أحمد بن عيسى المهاجر إليها في سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م قادما من البصرة برفقة ابنه عبيد الله وحفيده بصرى، وجماعة من عائلته وأتباعه[١]. وبعد وصوله تنقل في بعض البلدات الحضرمية ثم استقر به المقام في (الحسيسة) ومكث فيها حتى وفاته سنة ٣٤٥هـ / ٩٥٦م.[٢] وكان لقدوم المهاجر وأحفاده بعده إلى حضرموت أثره الواضح في تاريخ حضرموت السياسي والاجتماعي والمذهبي. وكما هو معروف في حضرموت فإن السيد أحمد بن عيسى المهاجر يعد الجد الأعلى للسادة في حضرموت، ويرفع السادة نسبهم إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، وفاطمة الزهراء بنت الرسول محمد صلى الله عليه وسلم[٣]. ويذكر المستشرق سارجنت :" في الأيام الأولى لاستقرارهم كان الحضرمي يعتبر السادة العلويين مجموعة من المشايخ الذين عرفوهم ، ولم يكن لهم في بداية الأمر أي تأثير سريع ، ومضى وقت قبل أن يفصحوا عن مراميهم بعيدة المنال، ومطالبتهم بوضع متميز.[٤] وبين تاريخ قدوم المهاجر وتاريخ ميلاد السيد عبدالله علوي الحداد في سنة ١٠٤٤هـ / ١٦٣٤م يكون قد مضى على استقرار السادة في حضرموت ما ينيف عن الستة قرون.، وخلال هذه المدة تبلور تدريجيا تأثير السادة في المجتمع الحضرمي ، ولكن الأمور لم تكن معبدة أمامهم بخاصة في القرنين اللاحقين لاستقراهم فقد اصطدموا بتيارات وقوى نظرت لهم بعين الريبة.[٥]

كما تزامن وجودهم في تلك المدة مع وجود فرق ومذاهب إسلامية متعددة أهمها الفرقة الاباضية المتمركزة في شبام وبعض البلدات الحضرمية. والاباضية كما هو معروف فرقة من الخوارج. وذكر باوزير أن الذين تعرضوا لتاريخ المهاجر من مؤرخي حضرموت يكادون يجمعون على أن السيد المهاجر حارب الاباضية باللسان لا بالسنان وقارعهم بالحجة والبرهان.[٦]

وهذه المدة يمكن أن نصفها بمرحلة الانكفاء على الذات ، وجاءت مرحلة الاندماج والتأثير المتسارع بعد وصولهم إلى مدينة تريم مرورا بقرية بيت جبير المجاورة سنة ٥٢١هـ / ١١٢٧م.

وكان في حضرموت بدون شك علماؤها من أبنائها ينتمون إلى مراتبية المشايخ ويتمتعون بالامتياز والشرف الممنوح لذوي السلطة الروحية في جنوب الجزيرة العربية[٧]

إن النفوذ العلوي والمكانة الاجتماعية التي تبؤوها في حضرموت بعد توسع عائلاتهم، نحّى المشايخ عن الصدارة الاجتماعية ، وقنع المشايخ بالمرتبة الثانية في السلم الاجتماعي التراتبي بحضرموت،[٨] لكن هذا لم يقف عقبة أمام صداقة بعضهما بعضا، ولم يمنع انتقال العلم بينهما، لأن الإسلام يسمو فوق كل ذلك[٩]

وهكذا وفي ظل سيادة روحية للعلويين في حضرموت، وثقافة صوفية رسختها السنين، كان ميلاد السيد عبدالله بن علوي الحداد ، وبينما يخطو الحداد خطواته الأولى نحو الحياة كف بصره وهو ابن أربع سنوات، ويظهر أن لذهاب بصره أثرا على نمو ذكائه، وقوة فهمه ، وحافظته كأمثاله من نوابغ المكفوفين . وقد وجهه أبوه إلى الكتّاب والمعاهد الدينية وساعده المحيط الذي نشأ فيه وهو محيط علم وأدب وتصوف إلى جانب استعداده الفطري على النبوغ والتفوق على أقرانه . ودرس على نخبة من شيوخ عصره في مقدمتهم : عبدالله أحمد بلفقيه ، وعلي بن سهل باحسن الحديلي، وعمر بن عبد الرحمن العطاس وغيرهم .[١٠]

للحداد الكثير من المصنفات المطبوعة، معظمها مزيج من الفقه والتوحيد والتصوف، ومن أبرزها: (النصائح الدينية والوصايا الإيمانية) (ورسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة للراغبين من المؤمنين في سلوك طريق الآخرة) (والفصول العلمية والأصول الحكمية) (والدعوة التامة والتذكرة العامة) (وسبيل الأذكار والاعتبار، بما يمر بالإنسان وينقضي له الأعمار) .

عصر السيد عبد الله بن علوي الحداد :

عاش السيد الحداد في المدة من(١٠٤٤ - ١١٣٢هـ/١٦٣٤- ١٧٢٠م)[١١] وخلالها شهدت المنطقة جملة من التحولات، والتحديات السياسية المهمة ، وإذا كان القرن السادس عشر الميلادي تميز بالحركة الكشفية الجغرافية الأوربية خاصة البرتغالية،وما نتج عنها من انقلابات اقتصادية، وتداعيات سياسية، و ظهور قوى إقليمية إسلامية في المنطقة اليمنية حاولت التصدي للمخططات البرتغالية،[١٢] فإن القرن السابع شر الميلادي- القرن الذي ولد فيه الحداد -

شهد زوال هذه القوى الخارجية، وتغيراً للخارطة السياسية اليمنية. فبعد خروج العثمانيين من اليمن سنة ١٦٣٥م قامت الدولة القاسمية في أجزاء واسعة من اليمن ، والجدير بالإشارة أن هذه الدولة لم تكن الكيان السياسي الوحيد في اليمن بعد خروج العثمانيين إلا أنها كانت أكبر تلك الكيانات تليها من حيث الأهمية السياسية السلطنة الكثيرية في حضرموت[١٣].

وتعاقب على حكم السلطنة الكثيرية في حياة الحداد ثمانية من السلاطين الكثيريين ابتداء من السلطان بدر بن عمر بن بدر الكثيري، وانتهاء بالسلطان عمر بن جعفر بن علي ، وبهذا يكون الحداد عاصر أصعب مراحل هذه السلطنة، وسنوات انحسارها قبيل سقوطها.

وعلى العموم لم تشهد الأوضاع السياسية في حضرموت الاستقرار إذ إن النزاع والصراع على السلطة أو معها من قبل القوى المحلية المتنافسة كانت السمة البارزة التي ميزت تلك المرحلة، وإذا كان بعض السلاطين قد حافظوا على بقاء نوع من التماسك السياسي للسلطنة، إلا أن ذلك كان في الغالب وقتيا ، ولم تقف متاعب آل كثير عند هذه بل تعدى ذلك إلى حدوث كثير من الانقسامات والتنازع داخل صفوف الأسرة الكثيرية الحاكمة من أجل السلطة والنفوذ الأمر الذي أدى إلى اضطراب حبل الأمن، وانتشار الفوضى، وتزعزع كيان السلطنة[١٤].

ودفعت هذه الأوضاع وأسباب أخرى إلى امتداد سلطة الدولة القاسمية إلى حضرموت مدة من الزمن، ثم تكثف الوجود اليافعي فيها، فأدى ذلك إلى تعقد الحياة السياسية والاجتماعية في حضرموت[١٥]، وفرض حقائق خطيرة وجديدة هزت السلام الحضرمي، والأمن الاجتماعي في أهم مفاصله وفي خضم هذه التيارات المتلاطمة سعى الحداد بوصفه مصلحا اجتماعيا، وعالما فقيها، إلى كبح جماح هذه التيارات بالكلمة الصادقة، والنصيحة المخلصة، والموقف الثابت، وظل على هذا المنوال حتى أيامه الأخيرة.

مضمون المكاتبات :

توجد نسخة من مكاتبات الحداد مخطوطة في مكتبة الأحقاف بتريم للمخطوطات، وقد اعتمدنا في هذا البحث على النسخة المطبوعة في مجلدين ،وإذا كان الحداد كما هو معروف قد ألف مؤلفات متنوعة المواضيع كالتصوف والفقه والشعر فإن هذه المكاتبات التي تراسل فيها

مع شخصيات مختلفة المشارب والثقافة من أهل عصره تتضمن جوانب من كل ما كتبه واهتم به. ونلمس ذلك من خلال العنوان الطويل الذي اختاره لهذه المكاتبات، وورد في مقدمة الكتاب وهو :(جامع المكاتبات والوصايا والكلمات والقصائد المشتملة على الحكم والفوائد والمنافع والمراشد)[١٦]

وفي المقدمة أيضا وضح الحداد الغرض الذي دفعه إلى تجميع المراسلات في مؤلف واحد عندما قال : " إني قصدت أن اجمع في هذه الأوراق أطرافا مما فتحه الله علي وأنطقني به من الكلام الموافق لكلام الله، وكلام رسوله، وهدي السلف الصالح رضي الله عنهم، حملني على ذلك خوف الاندراس ، الذي يستولي غالبا على ما لم يكن مدونا، ومجموعا كما وقع ذلك لكثير من كلامنا وأيضا – اعني ما نقصد جمعه –يحتوي على فوائد احتاج إليها في نفسي، واستفيدها في خاصتي، وكذلك الإخوان والأصحاب وكل مؤمن إلا مستكبرا ينكر آيات الله ....: "[١٧]

يستهل الحداد رسائله بأسلوب نمطي نلاحظه في معظم هذه الرسائل أو المكاتبات فبعد البسملة يبدأ بحمد الله، والتعظيم له ،والثناء عليه. ثم بالصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والتبجيل لذكره . أو بآية من القران الكريم . ويلحق ذلك بمدخل يطول ويقل لكنه يحمل إشارة ذكية للمرسل إليه تمهد لمضمون الرسالة، ويعقب ذلك ذكر اسم المرسل له، كأن يقول من الفقير لله عبدالله بن علوي الحداد إلى (.....) وأحيانا لا يذكر الاسم ويقول إلى: (فلان بن فلان) ولكنه يحرص قبل ذكر اسم صاحب الرسالة على إصباغ الألقاب والنعوت التي تتناسب مع المقامات الشخصية والاعتبارية.

وأغلب رسائل الحداد عبارة عن ردود على رسائل وردت إليه . وعندما عوتب على ذلك سوغ ذلك في إحدى مكاتباته بقوله : " لان المعتاد أن لا نبتدئ بالكتابة غير أنّا نجيب لمن كتب إلينا والموجب لذلك أن الكتب واصلة إلينا من أكثر النواحي ، ولنا معارف ومحبون ومنتسبون، ولو فتحنا باب الابتداء لحصل التغاير والمطالبة"[١٨] وما يعيب هذه المكاتبات أن عددا منها غير مؤرخ رغم ما تحويه من مادة تاريخية مهمة. ومثل هذه الرسائل استفدنا منها عند التناول العام للمجتمع ، كما لم يراع عند طبعها الأسس العلمية البسيطة في النشر مثل ترتيب المكاتبات وفقا للتسلسل الزمني ، أو فرزها حسب موضوعاتها .

وقد اتسع خط بريد الحداد وتجاوز المدن والبلدات الحضرمية واليمنية إلى العراق وبلاد الحرمين الشريفين ومصر والهند ومناطق من شرق إفريقيا والجميع يبحث من تريم - بوصفها مركز حضرموت الديني- على إجابات لتساؤلات دينية وطمأنينة لمشاكل شخصية ، ونفحات صوفية ، ونصائح سياسية واجتماعية متنوعة وقد قدمت حضرموت رسالتها ممثلة في مدينة تريم وعلمائها في عصر كانت الروح الصوفية هي المسيطرة على المشهد الثقافي في حضرموت.

أحوال مدينة تريم الثقافية و الاقتصادية والسياسية :

أسهمت هذه المكاتبات في تقديم مادة علمية تاريخية عن الأوضاع الاقتصادية الاجتماعية والثقافية والسياسية في حضرموت في عصر السيد عبد الله بن علوي الحداد ،وجاءت هذه المعلومات عرضا في سياق المكاتبات، ورغم محدودية المعلومات التي تحويها تلك الإشارات العرضية، فإن الباحث المتأني يجد مادة مفيدة لها علاقة بتاريخ مدينة تريم، وحضرموت بشكل عام.

كما تعرضت هذه المكاتبات إلى العقود الثلاثة الأخيرة من عمر السلطنة الكثيرية بخاصة تلك المكاتبات التي وجهها الحداد للسلاطين الكثيريين، مما أعطى قيمة علمية كبيرة لهذه المكاتبات بخاصة للباحثين في تاريخ حضرموت الحديث وبهذا تعد أرشيفا وثائقيا ثمينا للسلطنة الكثيرية الحضرمية في عصر لا تولي فيه معظم الدول أهمية لحفظ مراسلاتها .ولأهمية مثل هذه الوثائق وندرتها نجد من الضرورة بمكان التركيز عليها فهي تقدم مادة مصدرية أصيلة لتلك الحقبة وقبل هذا يجب أن نعرج على جوانب من الحياة الثقافية والاقتصادية للمجتمع في تريم بالاستناد إلى هذه المكاتبات

فعلى الصعيد الثقافي حافظت تريم خلال العصور الوسطى والحديثة على مركزها بوصفها عاصمة حضرموت الدينية .وهذه المكانة نلمسها في ثنايا المكاتبات، وفي مكاتبة من مكاتباته يضع الحداد تريم بعد مكة والمدينة من حيث الأهمية الدينية ومما قال : " ...فإن تريم مدينة السادة والأخيار ،والإقامة بها غنيمة الصالحين والأبرار، وليس شيء في هذه الأوقات يعوض عنها ويحل محلها إلا أن يكون الحرمان المكرمان مكة والمدينة طيبة ، وذلك لأهل الأدب ، والمشغولين بالطاعات والعبادات وتعظيم الحرمات "[١٩]

وبينت المكاتبات أيضا المكانة التي يحتلها سادة حضرموت ومشايخها ودورهم العلمي والروحي في المنطقة. لهذا نلاحظ أن الحياة الثقافية في حضرموت ارتبطت بعلماء الدين .وإذا خضنا في النواحي الثقافية بعيدا عن المكاتبات، سيتطلب مصنفات مستقلة، وسيحرف البحث عن هدفه في تتبع الإشارات الثقافية والاجتماعية التي وردت في هذه المكاتبات، والنظر إليها من المنظور التاريخي. ومؤلفات الحداد نفسه ومن ضمنها هذه المكاتبات تدلل على المكانة العلمية الرفيعة التي وصلت إليها مدينة تريم وتتجلى تلك المكانة لهذه المكاتبات في قوة المعنى وسلاسة الأسلوب ومتانة اللغة،

اشتهرت تريم بكثرة مساجدها، وكانت المساجد والزوايا والبيوت هي مكان التعليم الأساس حيث يلتقي طالب العلم مباشرة بشيخه ويتطور الطالب(أو المريد) في تلقي العلوم الدينية ابتداء من القراءة والكتابة وحفظ ما تيسر من القرآن الكريم إلى التفسير والحديث والأصول والفقه والتصوف والمنطق والفرائض والفلك والعروض والنحو وتعطى الإجازة في هذه العلوم من الشيخ للمريد (التلميذ) مباشرة أو عن طريق المراسلة [٢٠].

ففي إحدى المكاتبات طلب (عبد الوهاب عبد الكافي الحب) الإجازة في كتب الحداد، وكان رد الحداد لهذا المحب الصوفي حسب تعبيره عمليا حيث قال: " وطلبتم منا الإجازة بما لنا من المؤلفات والقصائد المنظومات فقد أجزناكم بذلك لرجاء حصول النفع لكم ، والانتفاع بكم وحصول بركات دعائكم . وأما الإجازة العامة في جميع ما قرأناه وسمعناه ، فذلك يتوقف على معرفة تامة بكم ، وبما أخذتموه من العلوم الأصلية، والفرعية وذلك لا يحصل من حيث الظاهر إلا بالاجتماع بكم أو بمن يعلم أخباركم، وتكون له دراية تامة بكم، وفي الإجازة الخاصة كفاية عن العامة "[٢١]

ويميز الحداد بين خاصة مجتمع تريم وعامتهم في الإقبال على العلوم. قال واصفا أهل زمانه : " وأهل الزمان ما عاد لهم فهم ولا فقه في العلوم الدقيقة وإنما نظر من نظر منهم للتفرج ..... وانفع الأشياء لأهل الزمان إن كان عاد شئ ينفعهم ويجدي فيهم علوم المعاملات من الأخلاق الباطنية والطاعات الظاهرة ، مقرنا بالمخاوف والمواعظ والزواجر مع التحذير عن أضداد ذلك من الأخلاق والأعمال المنكرة "[٢٢] وفي مكاتبة إلى (إلى السيد

الشريف الولد الملحوظ، المنور الوجيه الأكرم) كتب له يحثه على طلب العلم : " واستوصوا بالتعليم والتعلم ، والاستيصاء والإيصاء،ولا تشتغلوا إلا به ،وبالعمل بنتائجه ومقتضياته، فليس ينبغي إنفاق العمر والوقت إلا في ذلك" (٢٣)

ومع الخاصة من أهل تريم وما حولها حفلت المكاتبات بالكثير من الإشارات التي تدل على عناية خاصة بالكتب وتبادلها والتساؤلات من بعض المعاني والاصطلاحات ومناقشة بعض القضايا الفقهية المعقدة أو ذات البعد الفلسفي مثل هل الإنسان مخير أم مسير؟ . ومن خلال رد الحداد على رسالة (الشيخ العفيف المنور اللطيف العالم النجيب ، المحب في الله الحبيب : عبدالله بن سعيد بن عثمان العمودي)نفهم وجهة نظر الحداد في الأمور الدينية التي لا تتناسب مع زمانه ومما قاله: " ....فأما المسائل التي سألت عنها فإن أكثرها من العلوم العزيزة الغامضة التي سبيلها الاختفاء والكتمان خصوصا في هذا الزمان والأوان الذي عز فيه وقل من يعرف شرايط الإسلام والإيمان وقد أعرض الناس عن هذا الأمر واقتحموا لجة الأخطار في شهوات البطون والفروج وجمع حطام ألدنيا لذلك "(٢٤)

ولاقت كتب الحداد إقبالاً عند أهل زمانه ، ويتضح ذلك من الرسالة التي بعثها إلى السيد فلان بن فلان - كما جاء في الرسالة - في هذا الصدد كتب الحداد : " وانظروا ثقة تصدرون معه (رسالة المعاونة) لأنه قد كثر – من أهل تريم وغيرها – الطلب لها وما عندنا نسخ عديدة ، فرأينا أن نقابل نسختكم بغيرها لبعضهم ثم نردها لكم "(٢٥) وفي مكاتبة أخرى كتب إلى الأخ(المصطفى قرين الوفاء وسليل السادة الشرفاء فلان بن فلان) الآتي : "..... اعلم أيها الأخ أنه وصل كتابكم وحصل به الأنس ،وفي صحبته الديوان والكراستان اللتان كتبتهما لنا .فقد جاءت بحمد الله في غاية الحسن "(٢٦)

وفي متون هذه المكاتبات وردت عشرات الأسماء للكتب المستشهد بها في مسألة ما أو المتداولة لزيادة المعرفة أو للترغيب في قراءتها والاستفادة منها ،من ذلك: بعض مؤلفات الحداد،وبعض كتب الإمام الغزالي منها إحياء علوم الدين، وبداية الهداية،ومنهاج العابدين،وكتاب شرح الصدور في أحوال أهل القبور للسيوطي ، وكتاب العوارف للسهروردي وكتاب شرح الشهاب وكتاب روض الرياحين لعبد الله بن أسعد اليافعي ،

وكتاب قوت القلوب للإمام أبي طالب المكي والنفائس العلوية الجامعة للمسائل الصوفية لشهاب الدين أحمد بن زين الحبشي ، وكتاب كشف الران عن وجه أسئلة الجان لعبد الوهاب الشعواني المصري ...الخ

وتناول هذه المؤلفات في مكاتبات الحداد يدل مما يدل على الصبغة الصوفية التي ميزت ثقافة المجتمع الحضرمي في تريم .ويأتي في صدارة هذه الكتب كتاب الغزالي إحياء علوم الدين الذي يعد من اهم كتب التصوف إقبالا وانتشارا في حواضر حضرموت،ووصفه الحداد في إحدى المكاتبات بأعجوبة الزمان[٢٧] لهذا احتلت الاستشهادات والاقتباسات من هذا الكتاب مكان الصدارة في مكاتبات الحداد.

ولسيادة الروح الصوفية في حضرموت زخرت هذه المكاتبات أيضا بالفكر الصوفي ومصطلحاته ، وتعرضت لبعض علمائه وأقوالهم.ففي ثنايا هذه المكاتبات انتشرت وتكررت مفردات صوفية منها : القطب ، والغوث ،والأبدال ، والأوتاد ، والنقباء ،والعالم العلوي ،وعالم الشهادة ،والعرفاء المختارون ،والكشف ،والمحجوب ، والخرقة الصوفية ، والأولياء ، والخلوة ، والعزلة ، وأهل الاصطلام ، والمنازلة ،و الواصل ، والعارف ، والسالك ، وذوق ومواجيد أهل التحقيق ،و سلوك نهج الطريق....الخ.

وسحبت هذه المكاتبات الحداد إلى الإجابة عن مسائل فقهية صوفية أشكلت على أصحابها نحو : ما حكم الخواطر في حق الواصل؟وما حكم سيئة العارف؟[٢٨] ويجيب الحداد بأوجز عبارة وألطف إشارة- حسب تعبيره- وعندما يسمح المقام يعرف الحداد بعض مصطلحات الصوفية ففي مكاتبة أرسلها للشيخ (محمد بن ناصر وثاب)أجاب عن أصل التصوف قائلا : "الهمة العالية ، التي لا يرى السالك شيئا سوى الله " [٢٩] وفي مكاتبه أخرى لبعض(الإخوان) عرف الصوفي : " من صفا من الكدر وامتلأ من العبر واستغنى بالله عن البشر واستوي عنده الذهب والمدر..." [٣٠] وفي مكاتبة إلى (الشيخ البصير في الدين الراغب في المزيد من العلم واليقين ،أحمد بن عبدالله باشراحيل) يغوص الحداد في معاني النفس عند الصوفية وقال : " اعلم أن النفس في اصطلاح الصوفية هي لطيفة في الإنسان ، من طبعها

إيثار الراحات العاجلة،وهي مجبولة إلى الحظوظ الفانية ، وتعذيبها عندهم بالرياضة على موافقة الكتاب والسنة شرط صحة السلوك"[٣١]

وعندما يتصدى الحداد لأسئلة معاصريه يدخل إلى الإجابة برفق وبأسلوب سلس غير متكلف من ذلك قوله : " فسنجيبك بكلام وجيز ، يحصل به الإيضاح والإفهام، ويشفي به الأشكال والإبهام، اوبتواضع] وإن كنا لسنا بأهل لنشرح معاني كلامهم الذي هو خير الكلام[٣٢]

ولشيوع التصوف في المجتمع التريمي - كما ذكرنا- احتلت ما يمكن تعريفها بثقافة الرؤيا والكرامة مكانة خاصة في هذا المجتمع، وهذه الثقافة أسهمت في تشكيل الكثير من القناعات والمفاهيم والعادات، وفي هذه المكاتبات هناك العشرات الذين طلبوا من الحداد تفسير أحلامهم آو رؤياهم، وغالبا ما يلتمس الحداد الجانب التفاؤلي في ردوده على أصحاب هذه الأحلام .

واللافت في هذه المكاتبات ندرة روايات وحكايات الكرامات (الأعمال الخارقة) للصالحين التي تزخر بها المؤلفات الحضرمية التقليدية ، ويبدو أن المقام لا يحتمل المقال، ومع هذا وردت بعض الروايات (لكرامات) عند بعض الصالحين ، ولا غرابة أن تظهر مثل هذه الثقافة في مجتمع صوفي أغلب مراجعه الدينية إن لم نقل جلهم يدورون حولها ويعبرون عنها .

وفي هذا البحث تعمدنا الابتعاد عن باب النصائح التي اتسمت بها معظم المكاتبات ، ولكننا نستطيع من خلال بعضها تخيل نظرة المجتمع التريمي نحو الحياة، أو الدنيا الفانية كما يحلو للحداد وصفه لها ، وإذا كانت هذه النظرة الزاهدة تجاه الحياة يحرص العلماء والشيوخ على إظهارها أمام العامة في مجتمع تريم، فهذا لا يعني شيوع هذه النظرة عند غالبية الناس ولكن لاشك أن يكون لذلك مكان في وجدان الناس بتأثير هؤلاء العلماء والشيوخ .

وحقيقة الأمر فإن صعوبة الأوضاع الاقتصادية في تريم، وحضرموت عموما لا يدفع باتجاه الانكباب على الدنيا وملذاتها .ولكن الحداد بدافع يقظة العالم وحرص الفقيه وخوف الورع ، نجده يمعن في التهوين من الدنيا ويحث على الاستعداد للموت ، وقد تكرر ذلك في كثير من المكاتبات بمعنى واحد، وبأسلوب وكلمات مختلفة من ذلك: " وأما الدنيا الحقيرة الصغيرة فهي أقل من أن يغتبط بها لبيب فاضل" [٣٣] واعلم أن الدنيا سريعة الزوال وشيكة

الارتحال كثيرة الأنكاد والأشغال إذا أقبلت أشغلت وافتنت ،وإذا أدبرت غمت وأحزنت [٣٤] ويذم الحداد المتهالكين على الدنيا : " ...وحاصل الكتاب أنك لم تزل متهالكا على الدنيا متهافتا عليها تهافت الفراش على النار ما أحمقك وأجهلك وأقل وعيك " [٣٥]

على أن شكوته من الزمان وأهله تقربنا إلى مجتمع تريم رغم ما يعتري الشكاوى[١] من عموميات ومبالغات تذكر على سبيل الحرص على إصلاح الأحوال وبناء المجتمع المثالي الخالي من الشرور والمفاسد من ذلك ما كتبه إلى (محمد أحمد بانافع) : " ما استغرب وجوده في هذا الزمان المبارك الذي عز فيه وجود المقبلين على الله، لاشتغال اهل الزمان بعمارة الدنيا وجمع حطامها "[٣٦] وفي مكاتبة أخرى (إلى أبي بكر بن عبدالله القدري باحسن) قال : " ولعل الفقر في هذا الزمان أسلم للإنسان وأصلح له من الغنى ، الذي لايتم لأهله إلا بالتفريط والتخليط واقتحام الشبهات كما هو معروف ومشاهد من أحوالهم "[٣٧]

وفي مكاتبة إلى(علي عبد الله العيدروس) يرسم الحداد صورة قاتمة للزمان وأهله في تريم عندما قال : " ...سيما في هذه الأزمنة المبتورة المنكوبة التي قد ذهب فيها الأخيار والخير، وعم فيها الأشرار والضير ولم يبق فيها داع ولا مجيب ، ولا نسيب ولا حسيب ولا صورة ولا حقيقة ،والحال كالحال ،والبال كالبال،" [٣٨] وهذه الرسالة مؤرخة في ١٨ شعبان ١١٢٦هـ/٢٨ أعسطس١٧١٤م أي قبل وفاة الحداد بست سنوات وجاءت هذه الصورة اليائسة في وقت شهدت فيه السلطنة الكثيرية حاله مريعة من التدهور والضعف وفي مرحلة يمكن أن نسميها بالانتقالية شهدت تنامي نفوذ القبائل اليافعية واستماتت السلطان عمر بن جعفر الكثيري في الإمساك بالخطوط الأخيرة للسلطنة ولهذا وفي الرسالة ذاتها يوضح ما آلت إليه البلاد بقوله: " وإن تسألوا عن الجهة ، فقد تقلبت وساءت أحوالها ، وأشرفت على الخراب والسبب لذلك ولاة السوء، وعمال الفساد "[٣٩]

والصيد التاريخي الثمين نجده في تلك المكاتبات التي أرسلها للسلاطين الكثيريين، وبعض المكاتبات المتفرقة التي حوت فقرات تبدأ بجملة ، (وإن تسالوا عن الجهة) فخلالها يرسل الحداد إشارات وبرقيات عن الأوضاع في تريم تفيد في التدوين التاريخي لهذه المدينة وبخاصة الاطلاع على أحوالها السياسية ، ونلاحظ في معظم هذه الفقرات التي تضمنتها مكاتباته مشاهد مضطربة تنذر بوقوع الكارثة . والمكاتبات المؤرخة سهلت لنا المقاربة بين إشارة الحداد

والتطورات السياسية في السلطنة الكثيرية من خلال المصادر التي تناولت هذه الأحداث، وحتى تلك غير المؤرخة منها تفيد في رسم الخطوط العامة للأحداث التاريخية التي شهدتها مدينة تريم وحضرموت عموما.

ففي مكاتبة للسيد أحمد بن زين بن علوي الحبشي المؤرخة ٨جماد آخر ١١١٥هـ/٢٠ أغسطس١٧٠٣م كتب الحداد: " فإنها قد ظهرت في هذه الجهات فتن غير معهودات ولا مألوفات إلا أن يكون مثل ذلك قد وقع في أزمنة سابقات....والدعاء الدعاء خصوصا وعموما، فإن هؤلاء قد عاثوا في البلاد وأضروا بالبلاد وعسى أن يكون في هذا الرجل وهو عمر بن جعفر المقبل خلف صالح منهم يجبر الله به القلوب "[٤٠] واللافت في هذه المكاتبة ظهور السلطان عمر بن جعفر الكثيري ومحاولاته في وضع حد لتشرذم الأسرة الكثيرية الحاكمة وواضح أن الحداد تأمل فيه خيرا. ويؤكد ذلك اهتمام الحداد بالسؤال عن اخباره ففي مكاتبة مؤرخة ٨ربيع الثاني١١١٨هـ/١٥سبتمبر١٧٠٦م كتب: " وإن تسألوا عن السلطان عمر صالحه الله وأخذ بيده فهو في (قشن) في خير وعافية وعزة .وتبلغ منه أخبار على أنه إلى الشحر أو دخلها"[٤١] والجدير بالإشارة أن السلطان عمر بن جعفر الكثيري اشتهر بمقاومته لنفوذ اليافعي في حضرموت لهذا سنجد في المكاتبات القادمة مراسلات متبادلة بينهما يطلب فيها السلطان عمر بن جعفر من الحداد المشورة والنصيحة.

وفي مكاتبة غير مؤرخة يوضح لصاحبها حال الجهة وتريم: " ولا يخفاكم ما عمت به البلوى في هذه الأيام، من تخوف الفتن المضلة ، وتوقع الشرور العامة ، وقد كان بالأمس تخوف المكروه من جهة ، وصار الآن من جهتين وصار قريبا بعد أن كان بعيدا والمظهر مظهر عقوبة من الله " وفقرة أخرى من المكاتبة يتحدث تحديدا عن مدينة تريم : " ...فإن تريم صارت هذه الأيام كلجة البحر،والشاغل في كل مكان، وكل من ورد يفضي إليك الهم والنكد"[٤٢] وبالرغم من أن هذه المكاتبة غير مؤرخة فإنها قدمت صورة واضحة لما آلت إليه الأوضاع من ترد وتدهور، ولا تحتاج إلى تعليق ولكنها تضعنا في حيرة ! فما هي الجهتان اللتان تسببتا في المكروه الذي أصاب حضرموت ؟؟؟ومما يزيد الأمور تعقيدا أن الحداد نم يسم صاحب الرسالة واكتفى مثل الكثير من مكاتباته بمخاطبة المرسل إليه ب (فلان ابن فلان).

وفي مكاتبة تكرم فيها الحداد بذكر تاريخها (١١ربيع الثاني ١١١٧هـ/ ٢٩سبتمبر١٧٠٥م) وذكر المرسل اليه وهو : (أبو عبدالله علي ابن السيد عبدالله بن السيد الشيخ أحمد بن الحسين العيدروس باعلوي) وجاء فيها : " وإن تسألوا بالخصوص عن الجهة ، فقد تكدرت وتشوشت ، لا بل تعكست وتنكست، بسبب فتن وجدوب وأمراض وخطوب، واختلفت عليها أيدي ولاتها ، في أوقات قريبة : هلك بسببها الحرث والنسل .....وقد كانوا من أسباب ذلك من زمان قديم . لكن وافق الأوائل أوائل والصدور صدور والجهة جهة. وجاء هؤلاء في الأذناب والأعقاب ولا يخفى عليكم أحوال المقبل مع الإقبال ، والمدبر مع الإدبار"[٤٣]

ومعرفتنا لتاريخ المكاتبة سهل علينا فهم ملابسات هذه الحوادث وما قصده الحداد، فقبل تاريخ هذه المكاتبة بعدة أشهر استفحل الصراع والانقسام بين أفراد الأسرة الكثيرية الحاكمة وبعد خروج السلطان عيسى من حضرموت في سنة ١١١٦هـ/ ١٧٠٤م انحصر الصراع الأسري الكثيري في كل من السلطان عمر بن جعفر والسلطان القائم بدر بن محمد المردوف ،الذي اعتمد على العناصر اليافعية المقيمة في حضرموت[٤٤] وفي الجانب الآخر نجد السلطان عمر بن جعفر الرافض للوجود اليافعي في حضرموت عمل على التقرب من الأئمة في صنعاء واستنجد بهم للوقوف إلى جانبه ،[٤٥] وفي أواخر سنة ١١١٦هـ١٧٠٤م تقدم السلطان بدر بن محمد المردوف إلى حضرموت وبصحبته ستة آلاف من رجال يافع ، وبعد ذلك من نقاط التحول في التاريخ الحضرمي[٤٦] ولا نريد أن نخوض في تفاصيل الاحداث التاريخية وتعقيداتها ونهدف ممّا ذكرناه إلى توضيح تلك المرارة التي تضمنتها المكاتبة.

وسجلت مكاتبات الحداد ما يمكن أن نسميها شهادة إلى القبائل اليافعية وحلفائها من الكثيريين بقيادة السلطان بدر بن محمد المردوف بعد دخولهم حضرموت رغم تصويره للتبعات السلبية لتلك الحملة الشهيرة في التاريخ الحضرمي، وذلك في المكاتبة المؤرخة ٨ربيع الثاني ١١١٧هـ/٢٦سبتمبر١٧٠٥م والمرسلة إلى حسن بن مطهر العمودي حيث قال : " .... وخصوصا من حال هذه الواقعة الحادثة التي عم ضررها البلاد والعباد، والحاضر والباد، من غير موجب ظاهر يوجب ذلك، سوى التجاوز والعناد وقصد البغي والفساد..... إلا أنهم لم يهتكوا الحرمات ظاهرا وعموما "[٤٧]

وتستمر مكاتبات الحداد في وصف المشهد السياسي في حضرموت وتريم ولأن المشهد واحد أو متشابه نجد الوصف كذلك ، ففي مكاتبة مؤرخة ١٣رجب ١١٢٦هـ/ يقول فيها : " وإن تسألوا عن الجهة ، فأنها صالحة ، وقد أضر بهم جور الدولة وانحرافهم على الناس حتى شردوهم وبددوهم والجزاء من جنس العمل "(٤٨)

وبعد شهر وخمسة أيام من الرسالة السابقة أي في ١٨شعبان ١١٢٦هـ/ ١٨أغسطس ١٧١٤م يعود الحداد أكثر يأسا فقد كتب للسيد علي بن عبدالله العيدروس : "وإن تسألوا عن الجهة فقد تقلبت وساءت أحوالها، وأشرفت على الخراب والسبب لذلك ولاة السوء وعمال الفساد"(٤٩) واستمر الوضع على ما هو عليه ،

وفي مكاتبة مؤرخة ١٨شعبان ١١٢٧هـ/ ١٩/٨أغسطس١٧١٥م كرر العبارة نفسها : " وإن تسألوا عن الجهة،فقد تقلبت وساءت وأشرفت على الخراب والسبب لذلك :ولاة السوء، وعمال الفساد"(٥٠)

وفي أخرى مشابهة مؤرخة يوم الأحد ١٧ من شهر المحرم١١٢٨هـ/ ١١يناير١٧١٦م كتب إلى السيد أحمد زين الحبشي: " والناس طيبون ، وإنما معهم الشجن : من ضيق الصدور، من جور هذه الدولة، وحيفهم على الناس وتكليفهم ما لا يطيقون ، من غير وجه ولا موجب يقتضي ذلك"(٥١)

وفي رسالة بتاريخ ١٤شوال ١١٢٩هـ/ ٢١سبتمبر١٧١٧م قال : " وإن سألت عن جهة حضرموت وبندرها المباركة ، فهي صالحة ،وفيها تشويش ومعظمه من العسكر والجند المائلين عن شاكلة الصواب نسأل الله أن يصلحهم ويردهم إلى الأماكن التي كانوا بها "(٥٢) ويبدو أن الأمور مالت بعض الشي إلى الهدوء ففي مكاتبة تعود للعام نفسه كتب : " وإن تسألوا عن الجهة المباركة ،فهي صالحة وآمنة بالنسبة"(٥٣) وهكذا توالت إشارات الحداد واستمرت باستمرار هذه الأوضاع على هذا المنوال حتى وفاته سنة ١١٣٢هـ/١٧٢٠م.

وتتضمن هذه الفقرات أيضا إشارات عابرة عن الأحوال الاقتصادية في تريم وحضرموت عموما،ففي بعض هذه الإشارات يفصل الحداد بين أخبار السياسة وأخبار الاقتصاد ففي مكاتبة مؤرخة ٢٣صفر ١١٢٥هـ/ ٢٠مارس١٧١٣م كتب الحداد : " والجهة بحمد الله صالحة

وبها الأمان والرخاء في أمور المعاش، وأما الدولة فدولة ضعيفة" [٥٤] وفي المكاتبة المؤرخة ٢٤ ربيع الثاني ١١٢٧هـ/ ٢٦يونيو١٧١٥م يقول الحداد: " وإن تسألوا عن جهتكم المباركة فهي آمنة مطمئنة وبها الأمطار ويسر الأسعار وأكثر تشوشها من دولتها"[٥٥]

وتتأرجح إشارات الحداد الاقتصادية السلبية منها والايجابية بحسب تغير الظروف السياسية وبحسب المرسل له ففي رسالته للسلطان عمر بن جعفر المؤرخة ٢٩ جمادي الأولى ١١٢٧هـ/ ١٣ابريل١٧١٥م كتب الحداد: " والزمان كثير العوارض وأهله مطبوعون على الاضطراب والأمور كلها في انعكاس وانتكاس "[٥٦] وفي مكاتبة يصف الحالة الاقتصادية بوضع بين بين: " وأمر المعيشة بين الرخاء والقحط، لاختلاف القلوب وإعجاب كل ذي رأي برأيه والانكباب على جمع هذا الحطام"[٥٧]

وتحتاج إشارات الحداد الاقتصادية إلى كثير من الحذر فالرجل يحرض في مكاتباته على نبذ الدنيا والتعلق بها ويشجع على الاهتمام بالأمور الدينية وفق ثقافة ذلك العصر، فربما كتب بهدف تشجيع الناس إلى العودة إلى الوطن أو خلق حالة من التفاؤل (والفرج قريب) كما يردد في المكاتبات. ومن جانب آخر ربما الحداد يكتب وفق تأثير لحظة أو موقف ما سلبي ، بينما نجد إشاراته عن حالة الأمن في مدينة تريم أو الجهة - حسب تعبيره- وكما أشرنا لبعضها، تحتل حيزا كبيرا من اهتماماته، ولا ريب في العلاقة التلازمية بين الاستقرار الاقتصادي ولو في حده المعقول، وبين مدى ثبات حبل الأمن ولو في حده المقبول.

وعموما كانت الحياة الاقتصادية بسيطة في مجتمع تريم، فقد اعتمد السكان على الزراعة المروية بمياه الأمطار بشكل أساس ، ولأن حضرموت في تقع في منطقة ظل المطر فكانت تنتابها حالات الجفاف عندما تنحبس هذه الأمطار ، لهذا كان خبر المطر يحتل مكانا مهما في المكاتبات ففي إحدى مكاتباته المؤرخة ٢ذي القعدة١١٢٤هـ/٣٠نوفمبر١٧١٢م والمرسلة إلى (عمر بن عبد الرحمن البار) كتب الحداد : " .... وابتدأ المطر من نحو الظهر يوم الثلاثاء الخامس والعشرين ن شهر رمضان وهو يخف ويثور من غير رعد ولا برق ولا رياح..... نعم وبقية الأودية بتريم فاضت بسيول متوسطة ، فعسى الله يبارك للمسلمين في ما أعطاهم "[٥٨]

ولأهمية المطر في حياة السكان نظروا لها بوصفها عطية كبرى من الله لهذا ترادفت كلمة المطر مع كلمة الرحمة ، وعندما يقول الحضارم قديما وحديثا :(الأرض مرحومة)أول ما يتبادر إلى ذهن الفرد منهم أن الأرض أصابتها المطر وعودة إلى الحداد والأخبار السارة نلمحها في تلك المكاتبة غير المؤرخة التي قال فيها : " وإن سألتم عن أخبار الجهة ، فهي مطمئنة والغيث والرحمة فيها كثير "[٥٩]

كما كتب إلى الشيخ محمد بن سعيد العمودي مكاتبة وسع فيها كلمة الرحمة لتشمل السلام والسكون : " وإن تسألوا عن الجهة الحضرمية فقد حصل فيها بعض شئ من الرحمة، والمرجو من الله عموم الرحمة وشمولها ظاهرا وباطنا من السلام والسكون أكثر وأكثر ولكل بداية نهاية"[٦٠] وفي أخرى يقول:"مما نعلمكم به ، أنه وقع بتريم ونواحيها أمطار وسيول كثيرة، وذكرتم في كتابكم أن المكان عندكم شارب[٦١] " وقد وردت الكثير من الإشارات عن أخبار الجهة وأمطارها تناثرت وسط المكاتبات ، ولخصوصية كتابة الرسائل للأشخاص فإن الأخبار الساخنة والحوادث الجديدة غالبا ما ترد في مثل هذا النوع من الكتابات وهكذا حضرت أخبار المطر على الورق ، عندما حضرت المطر على الأرض.

ونستنتج من وصايا الحداد للأفراد في بعض هذه المكاتبات أن الهجرة بوصفها نشاطا اقتصاديا اشتهر به الحضارم منذ قرون بعيدة ، كانت إلى عهده مستمرة ،

ومع خط البريد الذي امتدت به ومعه مكاتبات الحداد امتد إلى حد ما خط سير الهجرة الحضرمية التي بلغت شرقا إلى الساحل الشرقي الأفريقي وإلى الهند وجزر الملايو غربا والحجاز شمالا هذا الخط وتفرعاته الداخلية سارت عليه قوافل التجارة ، وأنوار الثقافة ، وفي محطاته الرئيسة أثر الحضارم في مجتمعات الوصول قدر استطاعتهم ، وتأثروا بها.. ونستدل من المكاتبة التي بعث بها إلى (السيد احمد بن عقيل بن أحمد بن يحي باعلوي) أن خط الهجرة كان سالكا إلى الجزر البعيدة من اندونيسيا وجاء في المكاتبة: " ..... وذكرتم أن قصدكم السفر إلى جزيرة (اشي)، وعلى نية الرجوع منها سريعا" [٦٢]

وأمل العودة إلى الوطن في ظل ظروفه الصعبة شغل بال بعض المهاجرين الحضارم في بلاد الحرمين الشريفين وصار هما مؤرقا ، وأرسلت الرسائل تطلب من (تريم) الإجابة، واشترط الحداد على من استشاره القدرة على الصبر فكتب: " وما ذكرتم عن الاشتياق للأهل والوطن، فذلك مما يستحسن وان عرفتم من أنفسكم الصبر في تريم على أحوالها وضنك معايشها وظلم ولاتها فلا باس من الخروج .....وإن عرفتم من أنفسكم قلة الصبر وضيق الصدر فما أحسن وأصوب من الإقامة بالحرمين الشريفين "[٦٣]

وفي مكاتبة لأحد الأمراء في الهند ويدعى(ياقوت خان) يلمّح الحداد لأسباب هجرة الحضارم ويطلب الرفق بهم : " .....والله الله في حسن النظر وحسن المواساة لمن يكون عندكم من السادة آل باعلوي والضعفاء والمساكين الواردين من تريم وحضرموت فإنهم فقراء ومقلُون لا يحملهم على السفر والتغرب من أوطانهم وأولادهم إلا ذلك"[٦٤]

وكما ذكرنا فإن الإشارات التي تتعلق بحياة الناس المعاشية محدودة و يبدو لنا أن ذلك عن قصد من السيد الحداد فرسائل تزخر بذم الدنيا والصبر على المكاره وتذكر فيها كلمة الحطام عشرات المرات أو(حطام الدنيا) لابد أن يغيب ما هو للدنيا ومتعلقاتها من عملة وسلع وبضائع وأسعار وحوانيت ومزارع ومنتجاتها وحرف وغيرها من الأنشطة الاقتصادية التقليدية.

أما المكاتبات التي أرسلها للسلاطين الكثيريين فقد كانت أكثر وضوحا في وصف المجتمع في تريم وحضرموت عموما في عهده خاصة في العقود الثلاثة الأخيرة لحياته كما سبقت الإشارة . ومعروف أن مدينة سيئون تعد عاصمة السلطنة الكثيرية في داخل حضرموت ومدينة الشحر في ساحلها ، أما تريم فلا تضاهيها في حضرموت أي مدينة من حيث الأهمية الدينية والعلمية ولهذا مثلت تريم المرجعية لمن أشكلت عليه مسألة أو أراد الرأي والنصيحة ، وقد عبر ت مكاتبات الحداد للسلاطين الكثيريين عن فكره ورؤيته لأمور السياسة والحكم . وهذه الرؤية تنطلق من ثقافته الدينية الواسعة ، وشخصيته التي شكلتها مدينة تريم.

وإذا كانت اغلب مراسلات الحداد مع معاصريه من غير الحكام كانت ردود على مكاتباتهم فإن الوضع مع السلاطين اختلف قليلا ويدفعه إلى استشعاره بخطورة المهمة الملقاة على العلماء وشفقة على الأهالي ،من ذلك قوله : " ...وقد كتبت إليك هذا الكتاب بعون الله قياما بحق النصيحة لك،حملني عليه الشفقة عليك ، وعلى المسلمين."[٦٥] وفي رسالة للسلطان بدر بن عمر الكثيري،المعروف بموالاته للدولة القاسمية [٦٦] عبرعن هذا الاستشعار بوضوح بالغ : " ولنا شفقة عليكم وغيره على دين الله، وقد فرض الله علينا النصيحة، والسعي في إظهار الحق، حسب الاستطاعة وأخذ علينا بذلك العهود، والمواثيق الغليظة"[٦٧] كما يقدم نصائحه العامة التي تنفع لكل زمان ومكان" وتفقدوا أمور الرعية ، وانظروا في أحوالهم، وكفوا بعضهم عن ظلم بعض، وأنصفوا المظلوم وكونوا معه حتى يستوفي من ظالمه"[٦٨] ونهدف من ذكر تلك النماذج من النصائح إظهار دور العلماء في مجتمع تريم وأخذ بعضهم زمام المبادرة بهدف الإصلاح وتجنيب المجتمع الفتن والمشكلات.

واحتلت المكاتبات التي تتعلق بالزكاة وكيفية جمعها نصيب الأسد من هذه المكاتبات ، وبرزت المشكلة قبل امتداد سلطة الدولة اليمنية القاسمية الفعلي إلى حضرموت (١٠٧٠هـ/١٦٥٩م).فقبل ذلك تميزت العلاقات بين السلطنة الكثيرية والدولة القاسمية بالتأرجح فقد قبل السلاطين الكثيريين نظريا التبعية (عن بعد)[٦٩] لهذه الدولة الفتية ، ولكن مناورات السلطان بدر بن عبدالله الكثيري أثارت حفيظة الإمام إسماعيل ابن القاسم فأرسل في سنة ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٤م مندوبا من قبله يدعى الحسن بن أحمد الحيمي في مهمه ظاهرها إنهاء النزاع بين السلطنة والعمودي في دوعن ، أما غرضها الأساسي فو تثبيت مظاهر الاعتراف بسلطة الدولة القاسمية في حضرموت والتدخل قدر الإمكان في ترتيب أمور السلطنة الكثيرية المالية والإدارية بما يتوافق مع نظم الدولة الاقتصادية ومعتقداتها ، ومما نتج عن الزيارة تحديد مبلغ سنوي للدولة القاسمية من الزكاة والضرائب ، فأربك ذلك أوضاع السلطنة .[٧٠]

وكان الحداد مدركا ومتابعا لهذه التطورات وعبر عن موقفه في مكاتبته للسلطان بدر بن عبدالله التي ركز فيها على الزكاة وضرورة التقيد بطريقة جمعها وتوزيعها وفقا للمذهب الشافعي وعلى ما هو معتاد في حضرموت من قيام الأفراد بتوزيعها بأنفسهم دون تسليمها للحكام وقد مارس تجاه السلطان ضغوطاً ألمح إليها الحداد في مكاتبته بقوله : " ...فإن قلت : إنما حملني على جمعها على هذا الوجه، وصرفها على هذا الوجه ، أمر من جهة الزيدية وقد خشيتهم على الرعية" ويضيف بلغة دبلوماسية :" ....نعم لا باس من مداراتهم عند خوف الشر بما لا يضر الدين كذكر إمامهم في الخطبة وحمل شئ من المال إليهم "[٧١]

وبعد عودة السلطان بدر بن عمر إلى الحكم بالمؤازرة القاسمية بعد خلاف أسري كثيري لا مجال هنا لاستعراضه اهتم هذا السلطان بجمع الزكاة بإشراف الدولة، ليفي بالتزاماته المالية للدولة القاسمية، وتصدى الحداد مرة أخرى وكتب للسلطان بدر بن عمر مكاتبة مؤرخة ٨ رمضان ١٠٧٢هـ /١٦٦١م عبر فيها عن تمسكه برأيه السابق في مسالة الزكاة ولكنه أظهر مرونة عندما قال في مكاتبته : " ...فان لم يمكنكم الأخذ بهذه المشورة ، وعجزتم عن ذلك لأمر يعذركم الله به فاطلبوها طلبا جميلا من غير مناقشة ولا استقصاء بأن تضربوا الطبل"[٧٢]

وربط الحداد بين حلول مشاكل السلطنة وهذه الطريقة غير المعهودة في جمع الزكاة وذلك من خلال مكاتبته للسلطان محمد بن بدر بن عمر وفيها حثه على التغيير : " ...وعليك أيها المحب أن تجتهد في محو هذه البدعة بما أمكنك..وإذا انحسمت مادة الطمع في الزكاة من جهة الدولة استقام الأمر على الوجه الشرعي، والله الله في الرعية"[٧٣]

ويبدو أن الحداد توسم في هذا السلطان خيرا فسعى إلى إحداث تغيير من داخل السلطنة وفي أعلى مناصبها لهذا كتب إلى السلطان محمد بن بدر رسالة في أثناء غياب والده للحج يمكن وصفها بالخطيرة، شجعه فيها على إجراء تغيير في سياسة والده الموالية للقاسميين وطلب منه الإشارة ووعده بالدعم و وتكمن أهمية هذه المكاتبة التاريخية في كونها أول مكاتبة

تشجع على التمرد على الدولة القاسمية ومما قاله الحداد فيها : " ....والنظر في أوائل الأمور لأواخرها وصف كل حازم، وتلافي الصوادر بعد صدورها، عن غير قرب عسير وأنتم العين والأذن واللسان في سد ما انفتح من هذا الأمر، .....ولا يثقل عليك هذا الكلام ولا يوحشك ..... وأما نحن فإنا منتظرون إشارة باطنة وعند حصولها نشمر في كشف هذه الأمور "[٧٤]

لكن دلت الاحداث اللاحقة أن الوقت كان مبكرا لإحداث التغيير المأمول في حضرموت بهذه الطريقة ، ومن جانب آخر تفصح المكاتبة عن رؤية عميقة عند الحداد لظروف عصره توجه إلى أن المواقف الصحيحة تجاه الإصلاحات من قبل العلماء والمصلحين في مجتمعاتهم تحتاج أحيانا إلى أعمق من مشورة وأبعد من نصيحة.

وقد علق الحداد آمالاً كبيرة على السلطان عمر بن جعفر الكثيري وقد عبر عن ذلك في مكاتبة أشرنا إليها سابقا ، وجرت بينهما مكاتبات عديدة دلت على اتخاذ السلطان عمر بن جعفر الحداد مرجعا ومستشارا له في بعض الأمور رغم عدم التزامه بكل نصائحه وحقيقة الأمر منذ بدايات ظهور هذا السلطان على المسرح السياسي في حضرموت حاول الحداد تنبيهه و تهيئته لواقع يتسم بالصعوبة ففي إحدى المكاتبات المؤرخة ١١١٦ هـ/ ١٧٠٤م كتب له الحداد : " ...ولاتكن ضعيف الهمة فإن والي الأمر إذا ضعفت همته صغر في أعين الناس "[٧٥]

اضطلع السلطان عمر بن جعفر بدور المقاوم للوجود اليافعي في حضرموت منذ سنوات وجودهم الفعلي فيها، وكان عليه الدخول في تناقضات المشهد السياسي في حضرموت ومواجهة قوى سياسية أخرى منافسة، وفي سنة ١١٢٣هـ /١٧١١م جرت اشتباكات بين قواته وقوات الشيخ حسن بن مطهر العمودي. وانطلاقا من إدراك السيد الحداد لخطورة هذا الصراع في تشتيت جهود السلطان عمر فقد حاول وضع حد له وذلك بأن طلب من السيد عمر العطاس التوسط بينهما ومما جاء في هذه المكاتبة: " وعسى السلطان إن حصل الأمن. والسكون من جهة العمودي يتفرغ لحسن النظر بأمور رعيته وأهل الجهة ويأخذ بالجد والهمة في تخفيف هؤلاء العسكر الذين كثرت أشغالهم وأثقالهم على أهل الجهة "[٧٦]

واستمرت مكاتبات الحداد تلاحق الأحداث وتحاول تقديم النصيحة المخلصة بهدف الحفاظ على تماسك المجتمع ووضع حد للفوضى الضاربة أطنابها ولكن التطورات وواقع الحال كانت أكبر من أن تلملمها هذه النصائح ، ولهذا كتب الحداد رسالة شديدة اللهجة إلى السلطان عمر حذره فيها من مغبة بقاء الواقع المتردي على ما هو عليه بينه وبين يافع والآثار المترتبة على ذلك واختتم مكاتبته بأسلوب المصلح الديني محملا الطرفين المسئولية أمام الله : " وذلك في رقبتك ورقابهم "[٧٧] ونستنج من هذه المكاتبة اليائسة عمق الفوضى السياسية التي شهدتها حضرموت آنذاك على أن الأهمية التاريخية لهذه المكاتبة أنها أرخت للحظات قبل الأخير للسلطنة الكثيرية.

وكما توقع الحداد انهيار السلطنة الكثيرية وعبر عن ذلك في هذه المكاتبة التي نعتقد أنها أهم مما كتبه بعدها ، نجده يستشعر نهاية أجله ففي مكاتبة مؤرخة في ٩ رمضان١١٣١هـ / ٢٦يوليو١٧١٩م كتب : " وقد دنا الوقت وطويت الدنيا وقرب أمر الله . ولا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم "[٧٨] وبعد مورو عام وشهرين وبالتحديد السابع من ذي القعدة ١١٣٢هـ/ ٩سبتمبر١٧٢٠م ، وارى الثرى وعمره ناهز الثمانية والثمانين عاما.

الخلاصة:

سجلت هذه المكاتبات بطريقة ضمنية جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في مجتمع تريم على وجه الخصوص وحضرموت عموما ،وقد حددت الدراسة لنفسها منهجا واضحا من البداية وهو القرب من مجتمع تريم في عصر الحداد من داخل هذه المكاتبات وليس من خارجها ولهذا تجنبنا الخوض في بعض التفاصيل المهمة من جهة لكي لا تجرفنا عن منهجنا الذي اخترناه، و من جهة أخرى للحفاظ على وحدة الموضوع الذي حددناه،. وما تعمدنا الإشارة إليه من بعض الاحداث التاريخية يدخل في باب الاطلاع العام على هذه الأوضاع بما يسهم في ربط الأحداث التاريخية وتوضيحها.

بينت هذه المكاتبات أن الصبغة الصوفية هي المهيمنة على المشهد الثقافي في مجتمع تريم، في عصر الحداد وما قبله، وأن رموز التصوف في حضرموت لم يكونوا بعيدين عما يدور في مجتمعهم، كما هو الواقع عند بعض الطرق الصوفية المنتشرة على خريطة العالم الإسلامي وقتئذ، و قد دخل بعض من صوفية حضرموت في الشأن العام من باب النصيحة، وذلك بمقتضى تطور الأحداث، وحاجة الأحوال.

سيجانب الصواب من يرى أن هذه الدراسة بل كل هذه المكاتبات يمكن تختزل فكر السيد عبدالله الحداد، لأنها في حقيقتها لا تمثل إلا جانبا محدودا من فكره، وتراثه، واجتهاداته، ورؤيته لعصره، بغض النظر عن اتفاق الناس، أو اختلافهم مع ما كتبه، أو حول مواقفه.

ودلت هذه الأعداد الكبيرة من المكاتبات المرسلة إلى أماكن وبلدان متنوعة وأشخاص وأفراد متفاوتي المكانة الاجتماعية والثقافة، على أهمية ومكانة تريم في عصر الحداد، ممثلة في علمائها وخاصة السيد عبدالله الحداد. وفي اعتقادنا أن هذه المكاتبات تعدت الموقف الشخصي (والظاهرة الحدادية) إلى موقف ومكانة مدينة تريم، التي تجلت هي الأخرى وكأنها مكنون وجدان حضرموت كلها، ونبض ضميرها .

الهوامش والمراجع :

١) سعيد عوض باوزير ، صفحات من التاريخ الحضرمي ، مكتبة الثقافة ، عدن ، ص٥٨

٢)عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف ، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت ، دار المنهاج جدة ، ٢٠٠٥م ص٧٨١

٣) أر. بي. سارجنت ، حول مصادر التاريخ الحضرمي ، ترجمة الدكتور سعيد عبدالخير النوبان ، مطبعة جامعة الكويت ، ص ١٠٨

٤) نفسه ، ص١٠١

٥) وصل هذا الاتجاه في أعلاه عندما شكك البعض في نسبهم الهاشمي الحسيني النبوي ولكن الشهادة التي تحصلوا عليها من قاضي البصرة وتأكيد الحجاج البصراويين لهذه الشهادة أمام الحجاج الحضارم لاقت قبولا كبيرا في حضرموت .

٦) سعيد عوض باوزير ، المرجع السابق ، ص ٦٠

٧) سارجنت ، المرجع السابق ، ص ١١٠

٨) محمد عبد القادر بامطرف ، المعلم عبد الحق ، ، دار الهمداني ، الطبعة الثانية ، عدن ، ١٩٨٣م ، ١٩٦

٩) سارجت ، المرجع السابق ، ١١١

١٠) محمد أحمد الشاطري ، ادوار التاريخ الحضرمي ، مطبعة عالم المعرفة ، جدة ، ١٩٨٣م ، ص ٣٢١

١١) د. مصطفى حسن البدوي ، الإمام الحداد مجدد القرن الثاني ، عشرالهجري١٠٤٤- ١١٣٢هـ سيرته ومنهجه ، الجزء الأول ، ص٥٦

١٢) د. عبدالله سعيد الجعيدي ، السلطنة الكثيرية الأولى في حضرموت١٤١١- ١٧٣٠م ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٣م ، ص١١٤

١٣) محمود علي السالمي ، محاولات توحيد اليمن بعد خروج العثمانيين١٠٤٥- ١٠٩٧هـ/١٦٣٥- ص١٠٨

١٤) د. عبدالله سعيد الجعيدي ، المرجع السابق ، ص ١٩٤

١٥) محمد عبد القادر بامطرف ، في سبيل الحكم ، دار الهمداني ، الطبعة الثانية ، عدن ، ١٩٨٣م ، ص١٣

١٦) عبدالله بن علوي الحداد ، مكاتبات الحداد ، ، عني بطبعه حفيده علي بن عيسى الحداد ، مطبعة عيسى البابي الحلبي الجزء الأول ، ١٩٧٩م ، ص٥

١٧) نفسه ، ص٤- ٥

١٨) عبدالله بن علوي الحداد ، المرجع السابق، الجزء الثاني ، ص٦٩

١٩) نفسه ، ص١٩

٢٠) علوي عبدالله طاهر، المعاهد الدينية في حضرموت وأثرها في الحياة الثقافية ،في ضمن مجموعة أبحاث جمعها وقدم لها الدكتور محمد ابوبكر حميد، بعنوان" حضرموت فصول من التاريخ والثقافة والثروة" ص١٥٨

٢١) عبدالله علوي الحداد ، المرجع السابق الجزء الثاني، ص١٥

٢٢)نفسه، الجزء الأول، ص ٣٦٤

٢٣) نفسه ، الجزء الثاني، ص١٨٥

٢٤) نفسه، الجزء الأول ، ص٣٥٠

٢٥) نفسه، ص ١٠٦

٢٦) نفسه، ص١١٦

٢٧) نفسه، الجزء الثاني ص١٢٢

٢٨) نفسه، الجزء الأول ص٨- ٩

٢٩) نفسه، ص٣٠٣

٣٠) نفسه، ٣٤٣

٣١) نفسه، ص ١٦٩ ، ويقصد بتعذيبها ،مجاهدتها

٣٢) نفسه، ص ٨٤

٣٣) نفسه، ص ١٢٥

٤٣) نفسه، ص ١٩٣

٣٥) نفسه، ص ١٣٠

٣٦) نفسه ،. ص٢١

٣٧) نفسه، الجزء الثاني، ص ١٢

٣٨) نفسه ،ص ٦٠

٣٩) نفسه، ص٦٠

٤٠) نفسه ، ص١٠٩

٤١) نفسه، ص١٩٢

٤٢)نفسه، الجزء الأول ، ص١٠٨

٤٣) نفسه ، ص٤٤٩

٤٤) د. عبدالله سعيد الجعيدي ، المرجع السابق، ١٧٧

٤٥) صلاح الكري، تاريخ حضرموت السياسي، الجزء الأول، ص١٠٩

٤٦) محمد عبدالقادر بامطرف ، في سبيل الحكم، ص١٣

٤٧) عبدالله علوي الحداد، المرجع السابق ، الجزء الثاني، ص١٩٤

٤٨) نفسه، ص٥٢

٤٩) نفسه، ص٦٠

٥٠) نفسه، الجزء الأول ، ص ٥٥٠

٥١) نفسه، ص٥١٤

٥٢) نفسه، الجزء الثاني، ص ١٨٢

٥٣) نفسه، ص١٨٥

٥٤) نفسه، ص٢١

٥٥) نفسه، ص ٩٢

٥٦) نفسه، ص ١٣٠

٥٧) نفسه ، الجزء الأول، ٥٦

٥٨) نفسه، ص ٢٥

٥٩) نفسه ، الجزء الثاني، ص٧١

٦٠) نفسه، ص١٧٥

٦١) نفسه ، الجزء الأول، ١١٤

٦٢) نفسه، الجزء الثاني، ص١٢٣

٦٣) نفسه ، ص ٧٥

٦٤) نفسه، ص٥٦

٦٥) نفسه، الجزء الأول، ص٤٣

٦٦) صلاح البكري، المرجع السابق ، ص ١٠٦

٦٧)عبدالله علوي الحداد، المرجع السابق، الجزء الأول، ص٢٥٨

٦٨) نفسه، ص٩٣

٦٩) د. عبدالله سعيد الجعيدي، المرجع السابق، ص١٦٢

٧٠) حسام الدين محسن أبو طالب ،تاريخ اليمن عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول، ١٠٥٦هـ-١١٦٠هـ تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مطابع المفضل للاوفست، تعز، ١٩٩٠م، ص٧١

٧١) عبدالله علوي الحداد، المرجع السابق، الجزء الاول، ٣٨

٧٢) نفسه، ص٢٥٨

٧٣) نفسه، ص١٤٥

٧٤) نفسه، ص ٣٤٦- ٣٤٧

٧٥) نفسه ، ص ٤٦٩

٧٦) نفسه، الجزء الثاني، ص٣٢٤

٧٧)نفسه، ص ١٨٩

٧٨) نفسه، ص ٢٤٩

الجديد في تاريخ تريم القديم

أحمد صالح الرياكي

تعتبر مدينة تريم من أهم مدن مملكة حضرموت في تاريخ اليمن القديم، لأنها شهدت حوادث وتغييرات جذرية على مستوى الخارطة الجغرافية التاريخية، التي مازالت محاطة بهالة من الغموض بسبب قلة المصادر الأثرية والنقشية مع النقص الذي يكتنف المصادر اليونانية واللاتينية التي تقدم صورة ناقصة ومبالغ فيها في بعض الأحيان عن الوضع السياسي والاقتصادي للممالك العربية الجنوبية قديماً.

إنَّ عاصمة المديرية الحالية (مدينة تريم) كانت في السابق عاصمة لحضرموت القديمة، وقد سميت باسم ملكها تريم بن حضرموت ابن سبأ الأصغر، كما أنها كانت العاصمة الدينية لحضرموت منذ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، وتزخر المديرية بالعديد من المعالم الأثرية والمواقع التي لها جذب سياحي كبير، وحيازتها على نصيب الأسد من كل ذلك، في المسح العام الذي نفذته شركة MEMAR الإيطالية الاستشارية عام ٢٠٠٠م لأهم المعالم التراثية بوادي حضرموت، والذي بدوره صنف جملة المعالم التراثية بالمديرية شاملاً ذلك: المواقع الأثرية، والمعالم الأثرية، ومنشآت الري التقليدية، والسقايات، والحصون، والأسوار والأبراج والتحصينات وغيرها[1]. واختيارها عاصمة للثقافة الإسلامية للعام ٢٠١٠م لم يأت من فراغ، فهذا الرصيد الهائل جدير لأن تنال ذلك، فقبل ذلك تم إعلان انضمام المدينة عام ١٩٩٤م إلى عضوية منظمة المدن والعواصم الإسلامية، في الدورة الرابعة عشرة للمنظمة.

ونأمل من هذا الاختيار أن تستفيد منه المدينة من خلال إعادة النظر في مستقبلها والحفاظ على تاريخها، وفقاً للمبادئ التخطيطية الحديثة، بعيداً عن الهدم والتشويه لمعالمها وملامحها التاريخية، والتوسع العمراني غير المدروس.

ولما كان لهذا التاريخ العريق لهذه المدينة من الأهمية بمكان، كان لابد له من بداية، ومن معالم أساسية بنت عليه هذا المكانة التي تحتلها، ولما كانت تريم من أهم المدن اليمنية قبل الإسلام وبعده، كان من الضروري البحث عن تلك الحقبة من الزمن في ذاكرة التاريخ.

يشوب سنوات تلك الفترة - أي حقبة ما قبل الإسلام - إشكاليات عديدة تتعلق بعدم اكتمال المعلومات التي تساعد الباحثين على تسلسل زمني ثابت للإحداث، والذي يزيد الأمر تعقيداً هو تشابك الأحداث خصوصاً في القرون التي تسبق الميلاد وكذا القرون الميلادية الأولى.

هناك تقف على الطريق علامات واضحة على مدى القرون الثلاثة الأولى للميلاد من ذلك ما اسماها المؤرخون "حرب الثلاثمائة عام"، والدور التجاري والاقتصادي وغير ذلك، هذه العلامات تعتبر من الثوابت لحد الآن، فلا يختلف عليها اثنان. في هذا الوقت كانت تريم حاضرة مع بقية الحواضر الحضرمية على الساحة، ودورها مشهود وتاريخها محفوظ.

وسوف نحاول إن شاء الله أن نتتبع تلك المراحل الحضارية للمدينة، ونناقش نقاط مهمة كالتسمية وأهمية الموقع الجغرافي، إلى جانب الأهمية الاقتصادية والعسكرية للمدينة، حيث تكمن أهميتها العسكرية والأمنية في المقام الأول، فقد لعبت دوراً حيوياً لكل حضرموت، وذلك منذ القدم وفي حقبة العصور الوسطى، وكانت حاضرة في كل الحوادث التي مر بها الوادي، فهي تمتلك أهمية عسكرية إستراتيجية لموقعها الحيوي إلهام، وخاصة في العصر القديم، فقد لعبت هذه المنطقة دوراً مهما كونها البوابة الشرقية لكل إقليم حضرموت، إلى جانب التحصينات الدفاعية، والقبائل الساكنة بها، التي كانت تقوم بمهام حماية الدخول إلى وادي حضرموت، وكذا حماية المستوطنات الحضرمية والمعابد وطرق التجارة، فاحتلال هذه المنطقة كان يقرر مصير وادي حضرموت.

إلى جانب تحليل نقوش المسند التي ذكرت فيها تريم، والتي تعد – أي النقوش – المصدر الأول لتاريخ اليمن القديم بشكل عام، مع تتبع المراحل التاريخية في المنطقة ذات العلاقة.

وفي هذا السبيل جاءت هذه الدراسة لتتناول جانباً من تاريخ هذه المدينة الذي يعتبر جزءاً لا يتجزأ من تاريخ مملكة حضرموت، وتاريخ بلاد جنوب الجزيرة العربية بشكل عام، ولتكون محاولة أولى وبذرة لأبحاث قادمة..

ولهذا فالبحث ذو أهمية كبيرة وقيمة عالية، يستمدها من خلال تناوله للجانب التاريخي وسوف يكتشف القارئ أحداثاً مهمة في تاريخ تريم وحضرموت، و المكانة العالية التي وصلت إليها حضرموت في مصاف الممالك اليمنية القديمة قبل الإسلام، وحالة الصراع التي شهدتها منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية في الفترة التي يتناولها البحث.

أهداف البحث:

ويهدف الباحث من بحثه هذا إلى نتائج ستظهر عاجلاً أو آجلاً ومنها :

١) الإسهام في رفد الباحثين والمكتبة اليمنية ببحث مختص عن هذه المدينة العريقة في تلك الفترة.

٢) شحذ همم الباحثين من المهتمين بالتاريخ والتراث، وكذا المختصين الأكاديميين، في كشف النقاب عن أوجه الحضارة اليمنية والمراكز الحضارية القديمة وبالذات في حضرموت.

٣) لفت انتباه المسئولين والباحثين إلى أهمية تاريخنا، والدعوة إلى المحافظة على آثاره مما تعانيه من إهمال.

٤) الحاجة الماسة إلى كشف المزيد من الحقائق عن تاريخ المنطقة عبر الدراسات الأكاديمية والأبحاث المتخصصة.

٥) تنقية تلك الحقائق لما اكتنفها من الغموض حيث خلطت الحقيقة بالأسطورة إلى حد بعيد بسبب ما جاء في كتب الإخباريين العرب من أخبار شابها كثير من الخرافات خاصة فيما يخص تاريخ ما قبل الإسلام.

صعوبات البحث:

ولقد واجه الباحث العديد من الصعوبات التي حالت أحياناً دون دراسة بعض الجوانب في الفترة المحددة دراسة متعمقة منها :

١) ندرة النقوش التي تتحدث عن المدينة وتاريخها السياسي والحضاري .

٢) عدم اتفاق علماء اللغات الجنوبية (المسند) على معان محددة وموحدة لمفردات النقوش .

٣) اختلاف علماء تاريخ اليمن القديم في وضع كرونولوجيا موحدة للملوك والأسر الحاكمة نظراً لأن ترتيب بعض الملوك والأسر التي حكمت خلال هذه الفترة لا يزال غير واضح .

٤) عدمُ إجراء تنقيبٍ أثريٍّ متكاملٍ حتى الآن للمواقع الأثرية في حضرموت، وفي مدينة تريم بشكل خاص من قبل إحدى البعثات الأثرية العاملة في المنطقة.

٥) قلة المصادر والمراجع التي تتحدث عن مملكة حضرموت عامة، إضافةً لعدم نشر تقارير البعثات الأثرية التي قامت بالتنقيب في بعض أجزاء حضرموت .

٦) ندرة المراجع المتخصصة التي تتناول دراسة تاريخ حضرموت قبل الإسلام.

منهج البحث :

أتبع الباحث في بحثه منهج البحث التاريخي التحليلي الوصفي على أساس تسلسل العصور التاريخية لمدينة تريم على اعتبار أن جنوب الجزيرة العربية تكاد تكون المنطقة الوحيدة داخل الجزيرة التي شهدت تواصلا حضاريا طوال فترة ما قبل الإسلام.

وتاريخ مملكة حضرموت- دون شك- من أهم أجزاء تاريخ اليمن القديم نظراً لما يمثله من أهمية وما قامت به حضرموت من دور غير مجريات الأحداث والأوضاع في فترة القرون الميلادية الأولى فقد كانت ثاني أهم دولة في جنوب الجزيرة على الساحة بعد مملكة سبأ.

ولتحقيق التكامل العلمي فإن الباحث بذل جهداً مضنياً في المكتبات العامة والشخصية، والبحث عن التقارير غير المنشورة الخاصة بعمليات التنقيب والحفريات التي تمت في المواقع الأثرية، إلى جانب جمع المعلومات التي لم تنشر بعد كالأبحاث، والخروج من ذلك كله بنتائج هامة، تتصف بالعلمية والدقة إلى حد كبير تخدم الدراسات التاريخية للمنطقة.

مصادر الدراسة:

انطلاقاً من تعقيدات موضوع الدراسة، تبرز طبيعة الصعوبات المتعلقة بالمصادر والمراجع، اعتمد الباحث -قدر الإمكان – على العديد من المصادر والمراجع العربية والأجنبية -المترجمة- وكان المصدر الأول لهذا البحث هو النقوش المسندية القديمة التي تعد المصدر الأول لدراسة تاريخ اليمن القديم ولكن المشكلة تكمن في ندرة النقوش وما هو موجود لا يغطي الحقبة الزمنية هذه. إضافة إلى كتابات الباحثين اليمنيين والمستشرقين بتاريخ اليمن القديم لاسيما بعد أن حلت رموز لغة النقوش اليمنية القديمة ، إلاّ إن كتاباتهم تلك لم تتعرض إلى موضوع الدراسة إلاّ بإشارات عابرة ماعدا القليل منها.

وبذلك فقد تكاملت في نظر الباحث مجموعة المصادر التي تمكنه من تدوين هذا البحث. وقد أستقر رأي الباحث على أن يكون تبويب البحث من مقدمة وثلاثة مباحث، كما تضمنت هذه الدراسة خاتمة اشتملت على النتائج والحقائق التي خرج بها البحث أو أشار

إليها لتأكيدها وإثباتها أو على الأقل نشرها للمعرفة العامة، إضافة إلى تضمين البحث ببعض النقوش ومحتواها التي يرى الباحث أهمية دراستها، إضافة إلى الخرائط والصور والفهارس، مشفوعاً بقائمة المراجع والمصادر.

وفي الأخير لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من قدم لي يد المساعدة لا نجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد، فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله، واخص بذلك أستاذي الدكتور عبد الله كرامه التميمي أستاذ النقوش والتاريخ القديم بقسم التاريخ — كلية الآداب جامعة حضرموت كما أود أن أشكر ثلاثية الدكتور عمر بامحسون والصندوق الخيري للطلاب المتفوقين بحضرموت على هذه الخطوة الجادة إلى توثيق تاريخ حضرموت .

اسأل الله أن أكون قد حققت من ذلك فائدة، فأن كان فهو ما أريد، وإلاّ فأرجو ألاّ أُحرم أجر المجتهد المخطئ (**فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض**)- الرعد ١٧ - آملاً أن تغطي دراستي هذه جزءاً مما ينبغي أن يحظى به هذا الجزء من تاريخنا، وأعترف بالتقصير كونها باكورة دراساتي، وأملي كبير فيمن يقرأ هذا البحث المتواضع بأن ينقح ما فيه، وينبهني إلى المعلومات التي غفلت عنها أو التي قصرت الحيلة في الوصول إليها، ويستسمحني عذراً كل من يجد نقصاً وقصوراً وكان يطمح إلى كل معلومة حول هذا الموضوع.

المبحث الأول

أولاً : حضرموت ..مملكة من ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية قديماً

حضرموت اسم منطقة كبيرة تقع شرق اليمن، تعرف اليوم بمحافظة حضرموت، إحدى محافظات الجمهورية اليمنية، وهي تحمل نفس الاسم للمنطقة القديمة الذي جاء ذكرها في النقوش والآثار، مع تغير واختلاف للحدود والمساحة، فحضرموت التي نحن بصددها اسم لمملكة قديمة قامت في جنوب شبه الجزيرة العربية، ومعاصرة لممالك يمنية أخرى كسبأ ومعين و قتبان وحمير، ويدعى ملكها بـ"ملك حضرموت"، واتخذت من ميفعة ثم شبوة عاصمة لها، وامتلكت ساحلاً طويلاً على المحيط الهندي يمتد من ميناء سمهرم" خور روري" بظفار شرقاً إلى ميناء قنا "بئر علي حاليا" غرباً، إضافة لجزيرة سقطرى .

وجاء أقدم ذكر لبعض حدودها في كتاب الطواف حول البحر الإريتري، في فترة ملوك سبأ وذي ريدان، فقد تحدث في الفصل "٢٧" عن قنا وأنها مدينة تجارية تابعة لإليازوس ملك بلاد اللبان، وأن مدينة "سبوتا " أي شبوة تقع في الداخل، وأنها محل إقامة الملك، وإليها يجلب اللبان[٢]، ثم يتحدث عن سأكلهن – ظفار عمان حالياً- ويصفها بأنها جبلية وعرة، وعن مزارع اللبان فيها، وأنها تابعة لهذا الملك، وكذا جزيرة "ديوسكريدس" أي سقطرى .

وحددها الدكتور باحاج "من ظفار شرقاً إلى مشارف بيحان، وصحراء رملة السبعتين غرباً، ومن الأطراف الجنوبية لصحراء الربع الغربي شمالاً، إلى أرخبيل جزيرة سقطرى في المحيط الهندي جنوباً". و"مملكة حضرموت وجدت في ١٢٠٠ ق. م، والبعض يقول ١٠٢٠ق.م، وهناك آراء تقول أنها كانت موجودة في ١٥٠٠ق.م، لكن عموماً هي أقدم مملكة في جنوب الجزيرة العربية"[٣].

وقد بلغ اكبر مدى لحدود مملكة حضرموت إلى "ردمان" والجوف شرق الهضبة الغربية في مرحلة التوسع الحضرمي بعد سيطرتها على أجزاء كبيرة من أراضي جارتها مملكة قتبان، فأصبحت محاذية لمملكة حمير، فدخلت في حرب مع الحميريين في عهد ملكهم "كرب إل بين".

تنطق (حضرموت) بفتح الحاء والضاد وسكون الراء وفتح الميم أو ضمها وسكون الواو وفتح التاء، وتنطق أيضاً بفتح الحاء وسكون الضاد وفتح الراء وفتح الميم أو ضمها

وسكون الواو وفتح التاء، وهو النطق الشائع بين سكان المنطقة، هذا الاسم ورد في الآية ٢٦ من الإصحاح العاشر من سفر التكوين من التوراة والترجمة الإنجليزية (هزرموت) Hazarmaveth وفي ترجمة التوراة العربية ورد (حضرموت) . وكان ورود هذه الكلمة في التوراة على أنها اسم لشخص هو (هزرمافيت) أو حضرموت بن يقطن "joktan".

أما الهمداني فقد جعل (حضرموت) الابن الثامن والعشرين لقحطان من بين ستة وثلاثين ابناً، وفي (سبائك الذهب في معرفة أنساب العرب) لأبي الفوز محمد البغدادي الشهير بالسويدي الذي وضع كتابه هذا على أساس الأنساب الواردة في كتاب (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب) لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن عبد الله المصري الشهير بأبي غدة ، ورد أسم حضرموت على أنه أحد أبناء أربعة لقحطان هم : (١) جرهم (٢) السلف (٣) يعرب (٤) حضرموت.[٤]

بينما ذهب البكري في (تاريخ حضرموت السياسي) إلى "إن حضـــرموت كانت تسمى قديماً (الاحقاف) قال تعالى (وأذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالاحقاف) وإنما سميت (حضرموت) لسبب ذكره بعض المؤرخين، وذلك أن عامر بن قحطان أول من نزل الاحقاف فكان أذا حضر حرباً أكثر من القتل، فصاروا يقولون عند حضوره (حضر موت) ثم صار ذلك لقبا، وصاروا يقولون للأرض التي بها قبيلته (هذه أرض حضرموت)، ثم أطلق على البلاد نفسها"[٥].

وفي تعليقه على كتاب (المفيد في أخبار صنعاء وزبيد) لنجم الدين عمارة بن علي اليمني، قال القاضي محمد بن علي الاكوع : (حضرموت سميت باسم حضرموت بن سبأ، فغلب عليها اسم ساكنيها)[٦].

ويذكر الدكتور جواد علي في جـ٢ من كتابه المفصل ما يلي: "وكلمة (هزرماوت) أو (حزرماوت) Hazarmaveth الواردة في التوراة على أنها الابن الثالث من أبناء (يقطان) تعني (حضرموت)، ومعناها اللغوي (دار الموت)، وعرفت في الموارد الإسلامية كذلك. وقال ابن الكلبي : (اسم حضرموت في التوراة حاضر ميت وقيل سميت بحضرموت بن يقطن بن عامر بن شالخ)[٧].

ويذهب بامطرف إلى تفسير آخر لاسم (حضرموت) فيقول: " إن حضرموت مركب تركيباً مزجياً إذ هو مكون من كلمتي (حضرم) و (موت) وأن حضرم هو الأب الأكبر للقبائل الحضرمية القديمة، وأنه هو المشار إليه في الإصحاح العاشر من سفر التكوين (التوراة) باسم هدرم Hadoram كما قد ذكره الهمداني بوصفه الابن السادس والثلاثين لقحطان. أما كلمة (موت) فهي محرفة من كلمة (متو) البابلية ومعناها الأرض أو المنطقة. ولا يخفى ما كان من تشابه بين البابلية واللهجات العربية الجنوبية. وعليه فإن اسم (حضرموت) أي (أرض حضرم) أو (منطقة حضرم) حرفت عبر العصور من الاسم المزجي لحضرموت وهو (متو حضرم). ثم أدغم أحد الميمين من الاسم (حضرم موت) مع تكرار التلفظ فصارت كلمتا الاسم (حضرم موت) كلمة واحدة هي (حضرموت)"[٨].

والعلامة ابن عبيد اللاه يذكر في آدام القوت نقلاً عن النسابة ابن السائب الكلبي إن اسم حضرموت ورد في التوراة باسم "حاضرميت" وهو مدلول استخدمه الإغريق (أدراميتا) و(خادراموتي) وهو بالطبع تصحيف الإغريق لتسمية حاضر ميت وحضرموت[٩].

خلاصة القول بعد كل هذا نقول إن حضرموت وردت بصيغة حضرمت في النقوش وفى التوراة وردت كاسم لأحد أبناء يقطن.

وشغلت دولة حضرموت منطقه واسعة من جنوب شبه الجزيرة العربية، وجمعت في أرضها الواسعة بين الجبال العالية والوديان العميقة، وأكبرها وادي حضرموت الذي كان مجرى مائياً ضخماً خلال الدهور المطيرة القديمة. وكذلك بسواحلها الطويلة على بحر العرب في المحيط الهندي.

وقد احتلت حضرموت من قبل السبئيين، وقد استولت حضرموت على الأجزاء الشرقية من دولة قتبان، فسيطرت على جزء من وادي بيحان. وتدخل حضرموت في الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة جر عليها الكثير من المشاكل مع القبائل الحميرية، وأصبحت الحدود بين الدولتين تشهد مد وجزر لإحداهما على حساب الأخرى، وكذلك مشكلات مع دولة سبأ.

ثانياً : " تريم " التسمية والنسبة :

١- التسمية:

أ- تسمية تريم في المسند :

جاءت تريم في النقوش والتي تعتبر المصدر الأول لتاريخ اليمن القديم بشكل عام على شكلين :

١- ترم (بدون ياء) مثلما جاء في النقش ارياني ٣٢ [١٠].

٢- تريم (بالياء) كما وردت في النقش (جام ٥٤٧)[١١] ، و النقش ارياني ٣١ [١٢]، وذلك لأن من خواص اللغة اليمنية القديمة عدم كتابة أحرف المد (الألف - الواو - الياء).

٣- ذهب البعض إلى اشتقاق اسم تريم، وجعل تسمية تريـم وكذا مريمة بهذا الاسم، نسبة إلى اللفظ اليمني القديم (ريم)[١٣]، والذي ما زال مستخدماً في اللهجة الشعبية المحلية حتى الآن بمعنى سطح المنزل[١٤].

ب- تسمية تريم في المعاجم العربية :

أما في المعاجم والمؤلفات العربية فقد أتت على النحو التالي: تريم بفتح التاء المثناة من فوق وكسر الراء ثم ياء مثناة من تحت، وقال عنها لسان اليمن الهمداني "و تريم مدينة عظيمة"[١٥]، وقال أيضاً "و تريم و تريس بحضرموت"، وهي غير تريم من ديار تميم من مساكن العرب بين العراق والشام وهي بكسر التاء وسكون الراء- تِرْيم – من بلاد عذرة قديما بشمال ظبا بقرب جبل شار[١٦] وردت في شعر كثيِّر وغيره منه قوله :

إليك تبارى بعدما قلت قد بدت جبال الشَّبا أو نكّبت هضب تِرْيم[١٧]

والتي بحضرموت بفتح التاء المثناة وكسر الراء كما سبق.

ويذهب نشوان بن سعيد الحميري إلى أن "تريم" على وزن فعيل، التاء زائدة، وبناؤها تفعل، من رام يريم [١٨]. وسميت باسم تريم بن السكون بن الأشرس بن كندة، بطن من كندة القحطانية.

٢- النسبة:

من المعروف أن مدينة تريم من أهم المدن في وادي حضرموت، وتمتلك موروثاً علمياً وأدبياً، ورصيداً تاريخياً مهماً تسند إليه، ولكن حتى اليوم لا يوجد لدينا دليل تاريخي يشير إلى البدايات الأولى لهذه المدينة العريقة، واقصد بذلك زمن التأسيس والإنشاء.

هناك جملة من الآراء التي تناولت سبب تسمية تريم بهذا الاسم ومن ذلك ما يلي :-

١) الرأي الأول يذهب إلى القول إن تريم سميت باسم بانيها "تريم بن حضرموت بن سبأ الأصغر" أول ملوك الطبقة الثانية للدولة السبائية، الذين يبتدئ ملكهم من (أواخر القرن الثاني قبل الميلاد، إلى أوائل القرن الثاني بعد الميلاد)[١٩]، وكذلك شقيقتها الأخرى مدينة شبام، أو كما جاء عند ياقوت: "تريم اسم إحدى مدينتي حضرموت اسم للناحية بجملتها، ومدينتاها تريم و شبام، وهما قبيلتان سميت باسمهما البلدتان"[٢٠]. وقال آخر: "تريم كأمير مدينة بحضرموت سميت باسم بانيها تريم بن حضرموت"[٢١]، وذهب إلى هذا الرأي اغلب المؤرخين العرب والإخباريين.

ويذهب الأستاذ "حداد بلفقيه" إلى أن تاريخ نشوء المدينة يعود إلى ما قبل الميلاد بأربعة قرون، عند بدء ظهور دولة الحميريين، مستنداً على ما أكدته النقوش التي وجدت في شمال المدينة في مكان يسمى "شعاب الهادي" على يد السائحة الأجنبية فرايا إستارك[٢٢].

٢) الرأي الثاني يذهب إلى القول بان مدينة تريم تنسب إلى الملك التبع "اسعد الكامل" وأنه هو الذي اختطتها، ويجعل أصحاب هذا الرأي أنه يتفق مع ما ذكره العلامة علي بن عبدالرحمن المشهور في كتاب شرح الصدور من أن حصن الرناد أسس قبل البعثة بأربعمائة سنة[٢٣].

ويرى الباحث أن الرأي الأخير مجانب للصواب، فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون مدينة تريم من المدن المنسوبة للتبع اسعد الكامل، لأن ذلك يخالف ما جاء في النقوش التي سبقت عهد التبع اسعد الكامل، ولكننا يمكن أن نعدل هذا الرأي أو القول ونقول: بان تريم من المدن التي ربما أعاد أعمارها التبع اسعد الكامل، بعد خراب أصابها، فنسبت إليه. حيث يعتبر التبع الكامل من أعظم التبابعة الحميريين، فهو كما جاء في النقوش "أبي كرب

اسعد بن ملكي كرب يهامن" وهو عند الإخباريين وفي المأثورات العربية يسمى "اسعد الكامل" وقد جلس على عرش حمير في أواخر القرن الرابع – أوائل القرن الخامس الميلادي، و تحديداً في الفترة الواقعة بين عامي (٣٨٠م- ٤٤٠م)[٢٤]، وهذا الملك يعتبر من أعظم ملوك اليمن التبابعة، فقد اتخذ اللقب الملكي الأطول في تاريخ اليمن القديم و هو (ملك سبا وذي ريدان و حضرموت و يمنات وأعرابهم طوداً و تهامة) واكتملت الوحدة اليمنية على يديه، و يعتبر عصره من ابرز عصور التاريخ اليمني قبل الإسلام [٢٥]، فكما نسب الناس إلى "عاد" كل قديم فقالوا "عادي". كذلك نسب اليمنيون كثيراً من المنشآت القديمة، وآثار السدود، ووسائل الري إلى اسعد الكامل، فيقولون حجر اسعد، وكريف اسعد، وقصر اسعد، بل أن كل ما تقادم لعهد عليه من اثر فهو اسعدي[٢٦].

فأقدم ذكر لمدينة تريم في النقوش المسندية، التي تعتبر المصدر الأول والأهم في تاريخ اليمن القديم بشكل عام، هو ما جاء في النقش الموسوم بـ(إرياني ٣١- ٣٢) – ينظر تفصيلهما في المبحث الثاني - والنقشان يعودان إلى نهاية القرن الثالث- بداية القرن الرابع الميلادي، في فترة ضم حضرموت إلى إطار الدولة المركزية الحميرية، وانهيار الدولة المحلية المعروفة بمملكة حضرموت القديمة، ومرحلة فقدان السيطرة المركزية القوية لمملكة حضرموت.

ويبقى الرأي الأول هو المسيطر على الساحة لحد الآن على الأقل إلى أن يظهر لنا دليل دامغ يثبت أي من الرأيين أو ينفيهما وعلى هذا فاسم تريم نسبة إلى تريم بن حضرموت بن سبأ الأصغر، وقد جعل الإخباريون العرب حضرموت اسماً لأحد أبناء قحطان، و قحطان هذا ينسب إليه أهل اليمن، وكان من عادة الساميين أن يقرنوا أسماء البلدان والأمكنة بأسماء أشخاص، ثم يدرجونها بعد ذلك في سلاسل أنسابهم[٢٧]. لكن يجب لفت الانتباه إلى إن مثل هذه الآراء لا أساس لها من الصحة، والتي ترد في المؤلفات الإخبارية، التي أضافت إلى معلوماتها الصبغة الأسطورية، ما لم تثبت بدليل نقشي أو اثري، ونوردها هنا على أساس أنها مازالت رائجة بين الناس ولم تثبت بعد.

ثالثا : المـوقـع :

موقع مدينة تريم :

تقسم هضبة حضرموت إلى قسمين هضبة شمالية وجنوبية، و يبدأ وادي حضرموت من أطراف رملة السبعتين الشرقية في نقطة بين شبوة و العبر، و يبلغ اتساعه في الكسر أقصى مداه إذ يتجاوز الخمسة عشر كيلو متر، و يضيق تدريجياً حتى يبلغ عرضه فيما وراء تريم حوالي ٢ كم، وهو يجري محاذياً للساحل الذي يبعد عنه مسافة ١٦٥كم تقريباً، ويضم الوادي العديد من الروافد على جانبيه، ويطلق على المرحلة الأخيرة منه و التي تبدأ بعد تريم باسم المسيلة، حيث يبدأ ظهور المياه على السطح وأيضا يبدأ الوادي في الانعطاف تدريجياً نحو جنوب الشرق ليصب في البحر، ولوفرة المياه القريبة من السطح في هذه المنطقة فان المستوطنات من مدن و قرى تنتشر فيها[٢٨].

تريم عوامل الإنشاء والتأسيس :

إن المستوطنات القديمة في وادي حضرموت وفروعه كغيرها من المدن والقرى في المناطق الأخرى من اليمن وحتى المناطق الأخرى من الجزيرة العربية تتشابه إلى حد كبير في اختيار مواقع اختطاطها وتأسيسها، فهي تدور في محاور معروفة، فكثير منها يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأودية الزراعية، ومصادر المياه، فنرى كثير من المدن والقرى قريب من بطن الوادي، أو على حوافه، والبعض الأخر يبنى كموقع عسكري في مداخل الأودية، وعلى حدود الممالك، بينما تنشئ البعض الأخر منها كمحطات على طرق القوافل التجارية، أو الطرقات التي تربط المناطق الداخلية بعضها البعض[٢٩].

ويرجح أن معظم المدن اليمنية القديمة كانت قد نشأت في أول الأمر على الوديان، وغالباً ما كانت تقوم على مرتفع في وسط الوادي، أو على إحدى ضفتيه، وإذا ما ألقى المرء نظرة فاحصة على الخارطة التاريخية لليمن القديم لوجد أن معظم مراكز الحضارة اليمنية القديمة

كانت قد تركزت في الوديان الشرقية، وذلك في تلك المناطق الخصبة حيث تلتقي سفوح الجبال بمشارف الربع الخالي[٣٠].

ولم يكن هذا الاختيار اعتباطاً فلعل من أهم الأسباب هو مرور الطريق التجاري البري، إذ أن انسب طريق للقوافل هو ذلك الذي يمر على موارد المياه وخاصة حيث تسيل الوديان الهابطة من الجبال الشرقية باتجاه الصحراء، إضافة إلى إن هذه المناطق الصحراوية السهلة تتمتع بمناخ صحي يخفف من انتشار الأوبئة التي تعهد في المناطق الساحلية الرطبة، ويعتبر وادي حضرموت من أهم الوديان التي قامت عليه وازدهرت فيه المدن والمراكز الحضارية، مع اخذ الاعتبار بان نشوء مراكز الحضارة الراقية لا يقتضي بالضرورة أن تكون مواقعها في مناطق هي الأنسب مناخياً. وتاريخ البشرية يؤكد مثل هذه الظاهرة فربما كانت عوامل النشوء الأخرى غير المناخ على أهميته، هي الدافعة مثل عامل الأمان والحماية، أو العامل التجاري[٣١].

وكل هذه العوامل ساعدت على بروزها، مع الأخذ بأن لكل مدينة خصوصيات محلية تميزها عن غيرها، ومدى استجابتها للتفاعل والتطور الخاضع للظروف المحيطة، وهو ما ينعكس سلباً أو إيجاباً على مستوى استمراريتها للدور المناط بها، وهذا يدل دلالة كبيرة يجعلنا نقول إن اختيار موقع تريم لم يكن عبثاً، فقد اجتمعت فيها أسباب إنشاء المدن الآنفة الذكر ومن ذلك ما يلي:

١- الموقع الجغرافي:

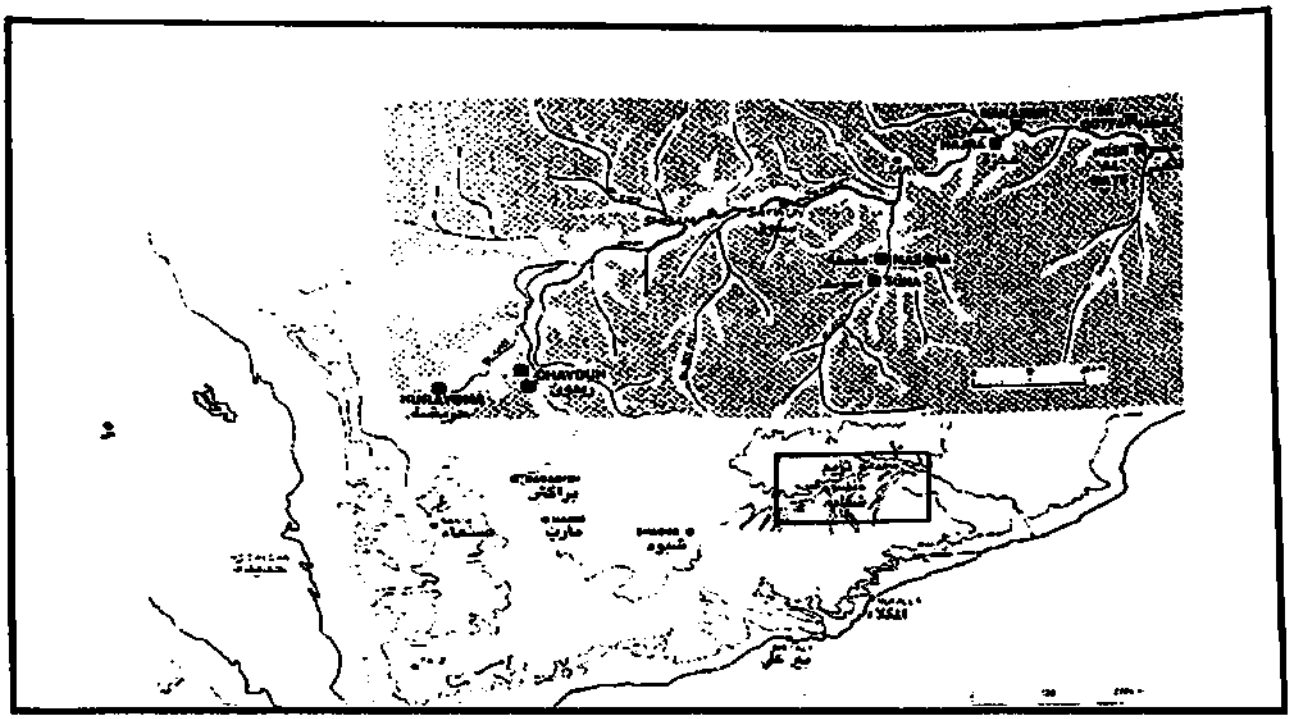
تقع مدينة تريم — عاصمة مديرية تريم حالياً - في الجزء الشرقي لمحافظة حضرموت حسب التقسيم الإداري اليوم، وهي أقرب إلى منطقة وسط وادي حضرموت، حيث يحدها من الشمال مديرية قف العوامر، ومن الجنوب مديريتا ساه و غيل بن يمين، ومن الغرب مديرية سيئون، ومن الشرق مديرية السوم، وبمساحة إجمالية تقدر بـ ٢٨٩٤ كم^{٢}[٣٢]. وتبعد مدينة تريم العاصمة الإدارية للمديرية بـ ٣٥ كم عن مدينة سيئون عاصمة الوادي، وبـ ٣٦٥ كم عن عاصمة المحافظة المكلا، وبـ ٦٨٥ كم عن العاصمة صنعاء.

وتتميز المديرية بسطح سهلي منبسط تحيط به سلاسل جبلية من الجهتين الشمالية والجنوبية. وتقع على سطح المديرية عدد من الأودية التي تنحدر من الهضبتين أهمها وادي عدم الذي ينحدر من الهضبة الجنوبية، ووادي ثبي ووادي الخون الذي ينحدر من الهضبة الشمالية. وتصب كل هذه الأودية في المجرى العام في سهل المديرية المسمى بوادي حضرموت حيث التجمعات السكانية والأراضي الزراعية والمعالم الأثرية والدينية .

وهي تقع على خط عرض١٦ شمال خط الاستواء بالإحداثيات :

١٦°٠٣٬٤٩ , ١٦,٠٥ / ٤٩٠٠E N. وترتفع عن سطح البحر ب «٢٠٧٠» قدماً

وبإطلالة سريعة على تطور مديرية تريم مع مرور الزمن تتأكد حقيقة جغرافية ، وهي أن هذه المديرية واحة خضراء في أخدود تخترقه وديان تسيل منها السيول الموسمية وتحف بها أشجار النخيل. وتضيّق سهله المنبسط جبال هضبتين إحداهما جنوبية تحجب عنه رطوبة البحر والثانية شمالية أقل ارتفاعاً تفسح لتأثير رياح الربع الخالي الحارة والجافة .



خارطة تبين موقع مدينة تريم والمواقع الأثرية المحيطة بها (عن بريتون : تنقيبات ....، ص٥٩)

٢- الموقع العسكري الاستراتيجي:

تحتل المدينة موقعاً استراتيجياً هاماً، فإلى جانب أهمية مدينة تريم الزراعية تأتي أهميتها العسكرية والأمنية في المقام الأول، فقد لعبت هذه المنطقة دوراً حيوياً لكل حضرموت، وذلك منذ القدم، مروراً بحقبة العصور الوسطى، وكانت حاضرة في كل الحوادث التي مر بها الوادي إلى وقتنا الراهن، فهي تمتلك أهمية عسكرية إستراتيجية، لموقعها الحيوي إلهام، وخاصة في العصر القديم، فقد قامت هذه المنطقة بدور الباب الخلفي للجزء الشرقي لإقليم حضرموت، فهي تعتبر الخط الأمامي للوصول إلى المنطقة الأخيرة من وادي حضرموت (وادي المسيلة)، فهي تعتبر بمثابة الحصن للمستوطنات والمدن والقرى والمعابد في ذلك الجزء، فأوكلت إليها حماية المستوطنات الحضرمية، والمعابد، وطرق التجارة، فاحتلال هذه المنطقة كان يقرر مصير وادي حضرموت، ويظهر ذلك جلياً عندما نقرأ مابين السطور في النقش (ارياني ٣١ - ٣٢) الذي يتحدث عن الحملات العسكرية الحميرية التي تعرض لها وادي حضرموت، ونجد إن مدينتي تريم و شبام هما الوحيدتان من بين المدن والقرى التي تعرضت للحملة العسكرية قد تعرضتا إلى الحصار أكثر من اثني عشر يوماً، فهذه دلالة واضحة على تحصيناتها العسكرية من جانب، وأيضاً إلى أهميتها للجيش الحميري فلم يبارحها حتى استسلمت من جانب أخر، وتشير الدراسات الأثرية إن مدينة تريم كانت محصنة[٣٣]، ومن هنا فقد تجمعت في مدينة تريم شروط القلعة الدفاعية، والمدينة الحصينة على كل الأصعدة ومن ذلك:

١) الموقع الإستراتيجي إلهام، بين الجبال في وسط الوادي مما يجعلها أكثر توسعاً في نطاق حمايتها.

٢) وقوعها عند بداية انعطاف مجرى الوادي نحو جنوب الشرق، فمن المعروف إن وادي حضرموت يبلغ اتساعه في الكسر أقصى مداه إذ يتجاوز ١٥ كم، و يضيق تدريجياً حتى يبلغ عرضه فيما وراء تريم حوالي ٢كم، حيث تضيق الطريق مع ارتفاع في الجبال فتجعل الاتجاه إليها إجباري.

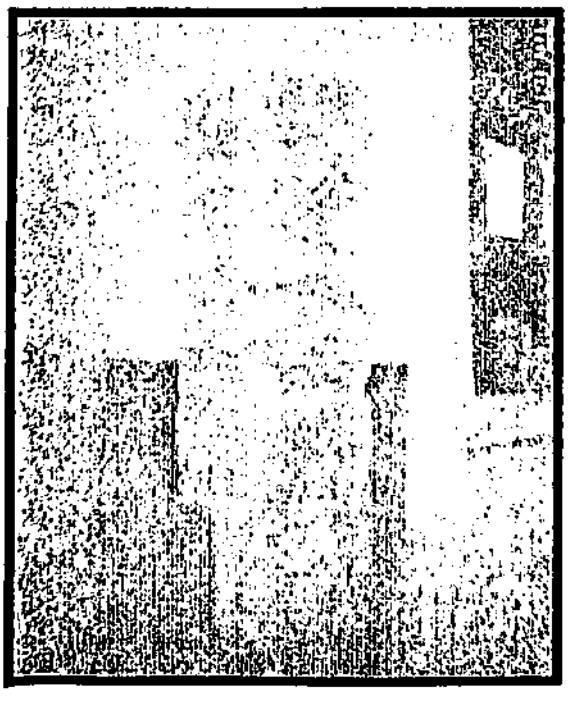
٣) وجود مصادر الحياة من مياه وزراعة، فتستطيع تحمل محاولات الحصار، و تغطية حاجة ساكنيها.

إضافة إلى ذلك إن التخطيط العام لمدينة تريم يشابه تخطيط المدن اليمنية القديمة، ففي داخل المدينة يشيد غالباً مقر الحاكم، وتكون قلعة محصنة، والتي تأخذ اسماً خاصاً، ويقع في مواجهته الميدان الرئيس الذي يكون سوقاً للمدينة، تجرى فيه عمليات البيع والشراء، وترتبط المدينة بشبكة من قنوات الري، والطرق المنظمة للمشاة، إلى جانب سور يحيط بالمدينة.

٣- الموقع الزراعي :

تأتي أهمية مدينة تريم الزراعية انطلاقاً من المحيط الزراعي، فالمدينة تقع في وادي خصب، وتربته صالحة للزراعة، فإلى الشرق منها يقع الممر المائي للأودية الرئيسة الشرقية (سر وعدم والأودية الأخرى) في طريقها إلى البحر العربي فيما يعرف بوادي المسيلة.

وكشفت البعثة اليمنية الأمريكية العاملة في (وادي سنا) أن جنوب الجزيرة العربية عرف الزراعة البدائية الأولية قبل سبعة آلاف عام، حيث وجدت البعثة أبقاراً مدجنة على شكل دائري طقوسي، وهذا يدل على أن الحضارة اليمنية المزدهرة قبل الإسلام لم تنبثق فجأة من لاشيء، وإنما عبر تطور طويل جرب فيه الإنسان اليمني الصيد البدائي في العصور الحجرية القديمة أوائل الأنشطة الزراعية البدائية ثم أنتقل إلى منظومة الري والزراعة المتقنة[٣٤].



و في النقش (إرياني ٣٢) - الذي سوف نتناوله لاحقا بالتفصيل - أن المهاجمين من الجيش الحميري قاموا بقطع ألفي عريشة من عرائش العنب في مدينة تريم وحدها، من بين المدن والقرى التي اكتسحها ذلك الجيش، ولم يذكر مدينة غيرها فعلوا بها ما فعلوا بمدينة تريم، وهذه إشارة واضحة إلى ما تحتله تريم من أهمية زراعية من بين مدن الوادي لا تحتاج إلى تبيان.

و نجد إن الأعمدة المنقوشة وكذا تيجان الأعمدة في أشكال البناء مزخرفة بالأوراق النباتية وعناقيد العنب، كما هو الحال في أعمدة حصن العر(٣٧ كم شرق تريم)، وقد انتشرت زراعته في مناطق عديدة من اليمن القديم منذ أزمنة بعيدة، فقد أنتجت منه أنواعٌ متنوعة، حيث ذكر الهمداني في الإكليل بأن اليمن ينتج ما يزيد عن اثنين وعشرين نوعاً من العنب، ومما يؤكد كثرة الكروم في اليمن القديم، تلك الأشكال الفنية التي امتازت بها زخارفهم النباتية على المنشآت المعمارية، والتي نجدها قد نحتت على هيئة لوحات وأفاريز على الأعمدة والتيجان، حتى أصبح هذا النوع من الزخرفة أحد خصائص الفن اليمني القديم، فلو ألقينا نظرة على أعمدة بوابة مبنى حصن العر المصنوعة من الحجر الجيري لرأينا كيف تجلى الفن المعماري البديع، حيث نحت عليه أشجار وعناقيد العنب والطيور وأشخاص وحيوانات. وفي متحفي المكلا وسيؤون جزء من هذه الأعمدة تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وجدت بحصن العر، والفنان ابن بيئته كما يقال[٣٥].

ويمكن للمرء مشاهدة منشآت ري قديمة منتشرة على طول أرضية الوادي، وفي أطراف المدينة، وتظهر على شكل روابي مغطاة بالحجارة، ومن تلك المنشآت بقايا أنقاض من المساقط، وفتحات تصريف، وآثار لقنوات رئيسة وفرعية، كما يلاحظ أن هناك حواجز طينية تربط تلك المنشآت خاصة عندما تتعرض بعض الأراضي إلى تغيير هيئتها في الوقت الحاضر لغرض البناء أو غيره. ولذا فإن نظام الري البارع هذا استخدم لفترة ليست بالقصيرة من الزمن، وأن ازدهار المدينة اعتمد بدرجة رئيسة على المصادر الكافية للحفاظ على أنظمة الري فيها، وعليه فإن مدينة تريم تقع في منطقة زراعية غنية، وأن بقاءها صامدة منذ ذلك التاريخ إلى اليوم عامرة لهي دليل على غنى المنطقة وازدهارها. وتقدَّر المساحة الصالحة للزراعة في وقتنا الحاضر لمديرية تريم بـ ٩٩٢٧ هكتار المزروعة منها ٣٧٤٦ هكتار[٣٦].

وقد أقام سكان الأراضي السهلية السدود والقنوات للتحكم بمياه الأودية، وقد استخدموا أكثر من طريقة في ذلك ولعل أفضلها:

١) نظام السواقي:

وهو نظام الري القديم، حيث كانت تقام على حوافي الأودية والمنحدرات سواقي، و مسايل لتوزيع المياه إلى الحقول، والمزارع، وأحواض الخزن الأخرى .

٢) نظام الحواجز الترابية :

وهو غلق أو تسكير منتصف الوادي، كما جاء في النقوش (سكرم) بالأحجار الصغيرة والأشجار بوصفها مواد إسناد للحواجز الترابية التي يطلق عليها (الأسوام) أو كما جاءت في النقوش (حرة) والغرض من ذلك حجز المياه، ورفعها وتصريفها مباشرة إلى الحقول والمزارع، عبر قنوات رئيسة ثم قنوات فرعية.

٣) نظام السدود:

وتكون بجدار حجري مسنود بجدار ترابي، يبنى عادة بين مازمي جبلين، والجدران الترابية هذه كانت عادة تملط بالشظايا الحجرية الصغيرة و الجص من الجانبين، أما أساسات الجدران الحجرية فقد كانت تلحم بسوائل النحاس والرصاص، لإحكام ربط الأحجار، وعلى طرفي الحائط الحجري كانت تشيد مصاريف المياه الرئيسة والفرعية[٣٧].

٤- الموقع التجاري:

أما عن الأهمية التجارية لمدينة تريم إلى جانب أهميتها العسكرية والزراعية، فهي تعتبر مدينة مهمة بالنسبة لتجارة حضرموت الشهيرة بتجارة اللبان والبخور، فقد أثرت الزراعة تأثيرا مهماً في حياة اليمنيين وحضارتهم، إذ لازم التطور الزراعي تطوراً في مرافق الحياة الأخرى. فقد تمتعت بلاد جنوب الجزيرة العربية بمساحات واسعة من الأراضي الخصبة، وقدراً كافياً ومنتظماً من الأمطار الموسمية، أمنت زراعة شبه منتظمة، وبفضل خصوصيات تضاريسية ومناخية، وجهود سكانه أنتج الجزء الأكبر من الطيب، الذي كان مطلوباً ومستخدماً في مناطق الشرق القديم، وبلاد وادي النيل، وكان البخور ينمو على الساحل

الجنوبي لشبه الجزيرة العربية. والأقاليم الداخلية، وسط غابات كثيفة، واحتل البخور موقعاً مهماً في تجارة تلك البلاد. فكان أبرز السلع، وقد عرف أهل اليمن أهميته واستخداماته المتعددة في المعابد. و كان اللبان و البخور المورد الطبيعي الأهم في الاقتصاد آنذاك، فقد احتل البخور موقعاً مهماً في التجارة. و عرف اليمنيون قبل غيرهم أهميته و استخداماته المتعددة، و خاصة في الجانب الديني.

البخـور :

و قد وردت كلمة البخور في كتابات المسند[٣٨]، و كان اللبان أكثر أنواع البخور شهرة نظراً لاستخداماته المتعددة وهو عبارة عن سائل صمغي لزج يضاف إليه نعوتاً كثيرة حسب طبيعته، أو مكان إنتاجه مثل لبن ذكر، لبان شحري، لبان مستكا. و المعروف من أنواعه خمسة عشر نوعاً و قيل خمسة و عشرين نوعاً، كلها تنمو في حضرموت، أما المر فهو عبارة عن صمغ زيتي أغمق من صمغ اللبان، وهو من منتجات ارض حضرموت، و يستخدم في التحنيط [٣٩].

أدى الطلب المتزايد على البخور إلى تطوير تجارة واسعة ونشطة تركزت حول هذه السلعة، و امتدت إلى سلع أخرى[٤٠]، و كان البخور محور التجارة العالمية القديمة، وعُرف الطريق المتجه من سواحل اليمن الجنوبية إلى الشام بطريق البخور منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد، وقد تم استئناس الجمل في نحو القرن الثاني عشر قبل الميلاد[٤١].

وقد اجتهدت الممالك الجنوبية في اختيار و إنشاء الطرق المناسبة لنقل سلعهم للأسواق الخارجية، يدعمهم في ذلك الاستقرار السياسي و المستوى الحضاري، و لم يكن صعباً على مهندسي المدرجات و أنظمة الري من سدود، و قنوات التخطيط لطرق تجارية مثلى مراعين في ذلك عدداً من العوامل الطبيعية و البشرية، التي تحكمت في مسار الطريق واتجاهه

و يأتي في مقدمتها توفر المياه من الآبار، و العيون التي كانت ضرورية لحياة الطريق و إدامته، حيث تنزل بها القوافل التجارية للراحة، و التزود بالماء و العلف، و لذا كان للماء اثر واضح في تحديد معالم طريق البخور و اتجاهاته، وكما كان للتكوين الطبيعي للمنطقة تأثير

مهم في تحديد اتجاه الطريق فيبعد قدر الإمكان عن المناطق الصحراوية و الجبلية الوعرة، و كذلك كان توفير الأمن للقوافل التجارية أهم الشروط لاستمراريتها. و أهم العوامل التي ساعدت على ازدهار التجارة فبنيت القلاع و الحصون على طول الطريق. وكذا إنشاء المراكز أو المنازل كي تنزل بها القوافل التجارية، للاستراحة فيها من مشقة السفر ويتزودون بالماء والزاد[٤٢]، يضاف إلى ذلك اهتمامهم بتحديد الطريق و توضيحه عن طريق وضع معالم لها من تراب أو حجارة في الصحاري، فلا يضل عنها من يسلكها من الرجال و القوافل.

مدينة تريم وطريق البخور :

لأجل هذا كان لابد من خلق طرق للاتصال، والاتجار بين مناطق الجزيرة، والعالم القديم، فتوزعت طرق القوافل التجارية التي اعتمدت ظهور الإبل في تنقلاتها، وأشهر تلك الطرق (طريق البخور)، الذي كانت قوافله التجارية تمر بالمناطق الداخلية، ومن ثم تتجه إلى شمال الجزيرة وشرقها، وعلى جانب تلك الطرق قامت بطبيعة الحال مراكز للقوافل، بمثابة محطات لم تلبث أن تطور بعضها فأصبحت حواضر لممالك كبيرة، وأدى هذا الاحتكاك إلى تفاعل بين ثقافات المراكز المختلفة، التي يرحلون إليها، ومعها تعددت وتنوعت المؤثرات، والى جانب هذه المحطات حفرت الآبار، لتوفير المياه للقوافل، عن طريق إقامة الخزانات، وأحواض المياه التي مازالت آثارها إلى اليوم[٤٣].

كان الملاك لأراضي البخور والمتاجرون به يجمعونه من مناطق إنتاجه في ظفار وحضرموت، ويرسلونه إلى ميناء قنا(ميناء حضرموت الرئيس)، عبر طرق ساحلية وداخلية، ثم يتابع طريقه إلى العاصمة شبوة وكان من هذه الطرق :

١) طريق بري رئيس يمتد من(ظفار) مصدر اللبان إلى وادي حضرموت، ماراً بالمراكز الحضارية - ومنها تريم - الممتدة على طول الوادي تتفرع منه طرقا فرعية برية[٤٤].

٢) طريق بحري يمتد من ظفار إلى ميناء قنا، محاذياً للساحل، ومن ثم أراضي الجول المرتفعة إلى شبوة، وهناك من عاصمة حضرموت وحيث تلتقي مختلف الطرق يبدأ طريق اللبان الفعلي[٤٥].

إن إعادة النظر إلى المدن الحضرمية في النقوش ومواقعها، وإضافة المستوطنات التاريخية الأخرى إلى هذه القائمة، نجدها بالفعل كانت بمثابة محطات على طريق القوافل، وتنوعت ما بين قلعة وقرية ومعبد. ونجدها تقع على خط واحد، وعندما نعلم أن مملكة حضرموت قد ازدهرت اقتصادياً بفضل هذه التجارة، في حقبة القرون السابقة للميلاد، والقرون الميلادية الأولى، ويعود ذلك إلى ازدياد الطلب على مادة اللبان، فاهتمت حضرموت بإقليم ظفار، وأقامت ميناء سمهرم (خور روري) بالقرب من صلالة، وكذا بميناء قنا وجزيرة سقطرى، ودخلت حضرموت في هذه الحقبة العراك السياسي في المنطقة، فخاضت حرب الثلاثمائة عام، وتمكنت في مطلع القرن الثاني الميلادي من السيطرة على معظم أراضي ولدعم (قتبان)، وبعد ذلك دخلت حضرموت في ضمن الدولة الحميرية منذ بداية القرن الرابع الميلادي[٤٦].

ومن هنا كانت تريم موجودة في هذه الحقبة، بل أنها لعبت دوراً هاماً في طريق البخور، والتجارة بشكل عام، ونستدل على ذلك بعدة أمور منها:

١) الموقع الاستراتيجي إلهام، الذي تحتله تريم على طريق التجارة.

٢) كانت بمثابة محطة للقوافل، فقد توفرت فيها المياه الصالحة، والأرض الزراعية، التي تلبي احتياجات القوافل.

٣) وقوع مدينة تريم منذ ذلك الزمن حتى اليوم على طريق التجارة، فإلى اليوم تقع بها الطريق الدولية التي تربط اليمن بدول الخليج، عبر طريق (تريم - شحن بالمهرة) وسلطنة عمان وباقي الدول.

إلى جانب تجارة البخور تنوعت في المقابل البضائع الأخرى المصاحبة، وكان عماد هذه التجارة يقوم على شيئين مهمين هما:

أولا :المقومات الطبيعية للنشاط التجاري في حضرموت :

وكان هذا أيضا يعتمد على شيئين :

١- المنتجات الإستراتيجية كاللبان والبخور، والفائض من المحاصيل الغذائية كالتمر والقمح، وما ينتج من الأسماك وتجفيفها وغير ذلك.

٢- اللبان والبخور كانا في ذلك العهد كالنفط اليوم . وكانت تزرع في السفوح الجنوبية من المرتفعات الشرقية في المشقاص والمهرة و ظفار والمنطقة المحيطة بصلالة اليوم.

ثانياً : المقومات البشرية :

كما كان كبير الأثر للظروف البحرية الملائمة للتجارة البحرية كالتيارات المائية والرياح فأدى كل ذلك إلى ظهور بعض الموانئ التي ساهمت في النشاط البحري كميناء قنا، وميناء الشحر، وميناء سمهرم ما بين صلالة ومرباط. هذا النشاط التجاري وازدهاره وتوسعه أدى إلى أن الحضارمة ينقلوا بضائعهم للدول الأخرى وجلب البضائع التي يحتاجونها وخصوصا الخشب، وباستمرار ذلك تكونت جاليات للحضارمة في أماكن مختلفة من العالم، والتي استفادت أي الدول التي هاجروا إليها انتعاشاً اقتصادياً وتجارياً واجتماعياً وحضارياً في شرق إفريقيا وشرق آسيا، وكذلك استفادت حضرموت وتعززت مكانتها التاريخية والحضارية وكثرت العناية بالمحاصيل المهمة كاللبان والبخور.ولكن الثراء الذي كان حاصلا في حضرموت جعلها هدفا للطامعين من الدول الأخرى[٤٧].

المبحث الثاني

المراحل التاريخية والسياسية لمدينة تريم

أولاً : عصر ما قبل التاريخ :

على مدى سنوات ماضية قدمت البعثات الأثرية العاملة في وادي حضرموت أول خارطة للمواقع قبل التاريخية من عصر الاولدواين (Oldowayen) حتى العصر الحجري القديم المتأخر، مقدمة فكرة عامة عن مواقع العصر الحجري الحديث. وعلى امتداد طرق المواصلات الذي فيما يبدو فرعاً من طريق اللبان القديم فقد تم تحديد من تريم وحتى شاطئ المحيط الهندي بالقرب من الشرج (وادي عرف) ٣٨٠ موقعاً اثرياً، ومعالم منعزلة، وقد تم التنقيب في ٧٥ موقعاً من المرحلة الأخيرة قبل التاريخ، وتكاد تكون جميع هذه المواقع ذات حجم صغير يتباعد بعضها عن البعض الأخر مسافة ٥٠٠ متر.[٤٨]

وقد برهنت أعمال التنقيب والمسح التي أجريت على وجود مراكز سكنية كثيفة، وأنظمة ري معقدة في هذه المنطقة منذ الألف الأول ق.م، كما كشفت التنقيبات الحديثة في المرتفعات الجبلية الوسطى في جنوب شرق الجزيرة العربية على وجود مستوطنات تعود للألف السادس ق.م، ويعود أقدم مستوطنة في حضرموت إلى نهاية العصر الحجري الحديث في الألف الثاني ق.م (موقع شعب منيدر بوادي عدم)[٤٩]، ومع ذلك لازالت المستوطنات البشرية وأنشطة استغلال الأرض في حضرموت في عصور ما قبل التاريخ يكتنفها الغموض بصورة استثنائية، على الرغم من تزايد المعلومات الأثرية عن تلك الفترة، فحضرموت تمثل منطقة مهمة بجنوب الجزيرة العربية، ففيها نشأت المستوطنات الحضرمية في الألف الأول ق.م، ومع هذا لم يعثر فيها على أي مستوطن أقدم زمناً من دويلات المدن الحضرمية العائدة لأواخر الألف الثاني - أوائل الألف الأول قبل الميلاد[٥٠].

وكان من نتائج التنقيب الأثري الروسي – اليمني المشترك لمواسم ١٩٨٣م - ١٩٨٥م الكشف عن وجود أثار الإنسان البدائي في مراحله المبكرة، وتعتقد البعثة في افتراضاتها نزوح

الإنسان الأول من أفريقيا قبل أكثر من مليون عام، ومن ثم استمرت حضرموت مأهولة طوال مرحلة وعصور التاريخ البدائي، وترى بان منشأ الحضارة الزراعية والرعوية في حضرموت يعود إلى الألف الأولى ق.م، وقد كشفت عن منشات وقنوات ري، وكذا عن الفن المعماري، وجمعت معلومات اثنوغرافية واجتماعية واقتصادية لمدن وقرى ومستوطنات حضرموت. وفي متحف سيؤون تعرض اليوم أثار ما قبل التاريخ وتضم قطعاً من الأدوات الحجرية التي تعود للعصور الحجرية بمراحلها المختلفة، وأقدمها من العصر القديم الأسفل الاشولي، وثقافة أولدوا، ومن الأدوات المعروضة الفؤوس اليدوية، وكذلك النصال والمقاشط ورؤوس السهام والشظايا والمخارز، والمصنوعة بعضها من الحجر البازلتي، والبعض من حجر الصوان [٥١].

و تريم كما سيأتي لم تكن وليدة المرحلة التي سبقت الإسلام بعدة قرون فحسب، فتاريخ الأبحاث الأثرية يشهد بان ارض تريم و ما حولها أرضٌ تاريخية، و يؤكد على وجود الاستيطان فيها و فيما حولها إلى زمن يعود إلى حوالي الألف السادس قبل الميلاد تقريباً إلى مدة تزيد عن ٨٠٠٠ سنة تقريباً من عصرنا الراهن، فقد أكدت التنقيبات الأثرية منذ العام ١٩٧٨ إلى اليوم أن المنطقة الواقعة ما بين تريم و سنا في نهاية وادي حضرموت شهدت استيطاناً بشرياً خلال العصور الحجرية و البرونزية [٥٢].

فالتاريخ الاستيطاني لهذه المدينة موغل في القدم، ولا يختلف عليه اثنان، فحواليها مواقع قديمة، منها ما هو عائد إلى العصور الحجرية، ومنها ما هو عائد إلى العصر البرونزي، والآخر عائد إلى فترة الدويلات القديمة المعروفة، ففي وادي الذهب مثلاً مواقع أثرية هامة يعود أقدمها إلى العصور الحجرية، ويتميز وادي الذهب بانتشار المقابر البرجية ذات الذيول التي ربما يعود تاريخها إلى الألف السادس ق.م، ناهيك عن قنوات الري والسدود. وكذا في أودية الخون، وعصم، ودمون، والغرف الشيء الكثير سوف نتحدث عنه لاحقا في ما أسميناه "ثقافة الأطراف".

فهي قديمة قدم حضرموت ذاتها، ولعبت دوراً مهماً على مر العصور بلا استثناء، لما تمتلكه من مقومات كثيرة أهلتها لتبؤ هذه المنزلة، ويبقى تاريخنا مرهوناً بالاكتشافات الحديثة، و التنقيبات الأثرية، فهي وحدها الحكم والفيصل، فمازالت أرض حضرموت بخيلة بمدنا بنقوش تغطي تلك الفجوات في التاريخ القديم، ولم نسمع بعد وجهة نظرها وتفسيرها وحكمها للأحداث العظيمة التي مرت بها المنطقة.

ثانياً : تريم في مرحلة قبل الميلاد

ظلت مملكة سبأ منذ أقدم عصورها الدولة الأم والكبرى في جنوب الجزيرة العربية حتى القرن الخامس قبل الميلاد، حين خرجت عن يدها مناطق عدة كانت نواة لتأسيس دولاً أخرى مستقلة عن سبأ، ومجاورة لها ومشاركة لها في الجوار و الأرض والتاريخ، ودخلت معها في المنافسة السياسية والاقتصادية حتى ارتقت كل منها مكانة لا تقل عن سبأ، ومن تلك الدول كانت مملكة حضرموت، التي كانت في أقدم عهودها مملكة لها كيانها الخاص مع التبعية لدولة سبأ، ثم موالية لها، ومتحالفة بعد ذلك حتى القرن الخامس قبل الميلاد خرجت عن سيطرة سبأ وكونت كيانها الخاص المستقل، ونمت قوتها واكتسبت أهمية فائقة لكونها تملك ارض اللبان وغاباته، ليس هذا فحسب بل اتخذت لها مكانة سياسية بضم أراضي قتبان إلى أراضيها في القرن الأول الميلادي، بعد أن أضعفتها بضرباتها المتوالية إلى أن انتهت في القرن الثاني الميلادي[٥٣].

ولا يزال الغموض يكتنف تاريخ حضرموت السياسي في فترة عصور ما قبل الميلاد، و شحة المعلومات هي السمة الغالبة. فمنذ القرن الرابع قبل الميلاد شهدت اليمن ازدهاراً شاملاً انعكست أثاره على الممالك اليمنية القديمة، فقد أخذت حضرموت ارض اللبان بعد مد نفوذها إلى منطقة ظفار حيث غابات أشجار اللبان و المر، فكونت لها موانئ مهمة على البحر العربي، هذا الازدهار انعكس على الحالة الأمنية و الاستقرار السياسي الذي لولاه لما ازدهرت التجارة، مما انعكس على حواضر مملكة حضرموت، وفي هذه الفترة كانت تريم على ما يبدو قد أخذت لنفسها مكاناً مرموقاً في مصاف تلك الحواضر، فهي كغيرها من المدن اليمنية القديمة التي كانت نقاط انطلاق مهمة في سلسلة التحولات الحضارية التي شهدتها هذه المنطقة من العالم القديم. كانت تريم لديها ما يؤهلها لتسهم في صياغة الحضارة اليمنية القديمة كغيرها من المدن الواقعة على طرق التجارة، فلم تكن هذه المدن تقتصر وظيفتها على توفير خدمات القوافل وتسهيل نقل السلع، وإنما كانت تمتد إلى كونها نقاط لتبادل المعارف والخبرات والتصورات المتعلقة بأمور الحياة وشؤونها الثقافية المختلفة[٥٤]، وهذا ما نراه في تريم

وما حواليها من مراكز حضارية، فقد تم مثلاً العثور على تماثيل ولوحات جدارية تحمل مواضيع ليست من خصائص الحضارة اليمنية، مثلما وجد في موقع عادية الغرف (جنوب تريم) لوحة تمثل صراعاً بين وعل وكلبين، وأخرى تمثل الحيوانَ الأسطوريَّ العنقاءَ الذي يجمع بين شكل الأسد والنسر، وهما محفوظتان بمتحف سيؤون . وعثر في حصن العر على قطعة من الحجر الجيري موجودة بمتحف المكلا بها نحت بديع لسمكتين حاول النحات أن يحاكي به حركة القفز المعروفة لحوت الدولفين، كما يلاحظ أن السمكتين متصلتين عن طريق الفم مما قد يعني فترة الخصوبة والإنجاب. ولقد عثر في (قرية) عاصمة كندة بوسط الجزيرة العربية والمعروفة اليوم بالفاو بالمملكة السعودية(٧٠٠ كم جنوب غرب الرياض) تمثال لحيوان بحري هو الدولفين وهو يمثل الاعتقاد السائد آنذاك من أن الدولفين هو الحامي من المخاطر والواقي من المخاوف وسط الصحراء وفي عباب البحر، وهذا يدل على الاتصال بين الشعوب بالمفاهيم الدينية والممارسات التعبدية للشعوب القديمة الأخرى وهذه اللوحات يعتقد أنها أتت مع القوافل التجارية كتذكار من تلك البلدان[٥٥].

ثالثاً : تريم بعد الميلاد :

أ- القرن الأول – الثالث الميلادي (عصر الازدهار) :

بإلقاء نظرة خاطفة على الحالة السياسية التي تعيشها حضرموت نجد أن الازدهار الاقتصادي والحضاري الذي شهدته اليمن منذ القرن الرابع قبل الميلاد تغيرت ملامحه قليلاً، ليس من خلال الكم ولكن بالكيف. تبعاً لتغير الخارطة السياسية، فيتبين لنا من النقوش (جام ٦٤٢+٦٤٣) إن ملوك حضرموت قد أوصلوا نفوذهم إلى أراضي سبأ، وأنهم قد سيطروا على بعض الأراضي السبئية وخاصة في منطقة الجوف، في عهد ملك حضرموت "يدع إل" احد ملوك حضرموت في منتصف القرن الأول الميلادي[٥٦].

وشكلت حضرموت في هذه الفترة كتلة اقتصادية سياسية في الشرق، موازية للكتلة الغربية السبئية والحميرية، وضاعت بينهما قتبان، التي أصبحت خارج الجاهزية في لعبة الكبار، وظلت حضرموت في فترة تعايش مع سبأ من خلال علاقة القوي والأقوى، إلا أن المشاكل لم تلبث أن أطلت برأسها في عهد "كرب إل بين بن ذمار علي ذرح " ملك سبأ وذي ريدان نحو نهاية القرن الأول الميلادي، وكانت حضرموت حينها تبحث لها عن موضع قدم في الجوف، على ما يبدو لتأمين مرور تجارتها البرية نحو الشمال[٥٧].

في هذه الفترة شهد ت منطقة جنوب الجزيرة العربية صراعاً جديداً على قاعدة "الحفاظ على البقاء" بين سبا العجوز، والكيان الحميري الفتي ومحاولته فرض السيطرة على ما يسمى بمملكة سبأ، وبدأ يرنو إلى الأراضي الواقعة إلى الشمال منه، ما يسمى بحرب الثلاثمائة عام بين السلطة الحاكمة في مأرب والسلطة الناشئة في ظفار ريدان. وسط هذا الزخم كان على حضرموت أن تستغل الفرصة وتلعب لعبتها لا لتحافظ على البقاء بين الكيانين بل لفرض أمرها، ليس على أراضيها فقط، بل ومد أيديها إلى عمق الأراضي المجاورة وهو ما عملته بالفعل.

فمثلا يحدثنا النقش Ja٦٤٣ عن تطورات الصدام بين كرب إل بين ملك سبأ وذي ريدان وملك حضرمي يدعى "يدع إل"، الذي اقبل بغتة مع قواته إلى أنحاء مدينة حنن "حنان" (وادي

الشظيف) في نواحي الجوف، الأمر الذي أدى إلى صدام مسلح في تلك المنطقة رغم أن يدع إل كان يناور لتحاشي الصدام، ربما حتى يتمكن من تثبيت أقدامه رغم أنه كان من بين سكان "يثل" من يتعاطف مع حضرموت، إضافة إلى أن قوات حضرموت كانت تضم قبائل أخرى إلى جانب قبيلة حضرموت، وكانت كلا من "نشق" و"نشن" مركزاً للوجود السبئي في الجوف، وفيهما حامية سبئية، وانتهت المعركة بهزيمة حضرموت، وكانت خسائرها جسيمة حوالي ألفي قتيل، وفقدان كل خيولهم وإبلهم وحميرهم.... الخ. ولا شك إن طول خطوط المواصلات بالنسبة للقوات الحضرمية كان سبباً في الهزيمة، وتعد هذه الحادثة بداية العداء الحضرمي السبئي الذي استمر طويلاً بعد ذلك رغم تخلله فترات تحالفات قصيرة، وانتهى بإخضاع حضرموت في النهاية[٥٨].

وفي مأرب حكم "الشرح يحضب" مع أخيه "يأزل بين" منذ ٥٠ ق.م، وانتهى الحكم المشترك في ٣٠ ق.م وانفرد "الشرح يحضب" حتى عام ٢٠ ق.م .وفي عهده تحول الطريق التجاري من البر إلى البحر، وأصبح البحر الأحمر هو الطريق الرئيس للتجارة بين الشرق والغرب، ومعرفة الرومان وغيرهم بسر هبوب الرياح في البحر الأحمر، ونهاية الوساطة اليمنية، في الوقت نفسه انتعشت قوى سياسية أخرى من تحول طريق التجارة إلى البحري من بينها حضرموت التي تسيطر على ميناء قنا، وحمير التي تسيطر على ميناء موزع، وبالتالي ازدهار هاذين الكيانين بفضل التجارة فتطلعت حمير نحو سبأ، وأخذت حضرموت في ضم قتبان، وتداخلت التحالفات تبعاً لمصالح الأطراف المتحاربة.

وبفضل هذا الازدهار انتعشت المدن والمستوطنات الحضرمية وبرغم تحول طرق التجارة وانتهاء الوساطة اليمنية في التجارة الدولية، ومع هذا فالطريق البري لم يتوقف، وإنما أصابه الركود وانتعاش للطريق البحري، إلا أن الحضارم لم يفقدوا زمام تجارتهم، بسبب أن تجارة البخور كانت بأيديهم وغابات اللبان تقع في الأراضي التي تقع تحت سيطرتهم، وانتعشت بذلك الطرق التجارية الداخلية بين الممالك الجنوبية نفسها، وبين ممالك الجنوب وشمال الجزيرة العربية، ما أدى إلى ازدهار المدن الواقعة على هذه الطرق ومنها مدينة تريم مثلما وضحناه سابقاً.

في نهاية القـرن الثاني بداية القرن الثالث الميلادي نجد على عرش مأرب أسرة ملكية عرفت بالأسرة التبعية الهمدانية. وينتمي إليها "علهان نهفان" وابنه "شعر أوتر"، وقد حكم الأخير خلال الفترة الممتدة بين أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الميلادي. نجد أنه بعد "يريم أيمن" مؤسس هذه الأسرة يخلفه ابنه "علهان نهفان" الذي سعى لترسيخ دعائم حكمه وحكم أسرته بعقد جملة من التحالفات العسكرية مع ملك حضرموت وملك الحبشة، فيذكر النقش (نامي ١٩) أنه عقد حلفاً عسكرياً مع ملك حضرموت "يدع إل" على اثر معاهدة بينه وبين ملك حضرموت تم توقعيها بمدينة (ذات غيلم) ذات غيل المدينة القتبانية – تقع آثارها بوادي بيحان اليوم - التي أصبحت تحت سيادة حضرموت بعد سقوط قتبان ،ليس هذا فقط بل أنه قام بتجديد هذه المعاهدة مع ملك حضرموت الذي خلف "يدع إل" الملك "يدع أب غيلان" حسب النقش(CIH٣٠٨) في العام ١٨٠ م حسب رأي فون ويسمان[٥٩] بينما النقش (CIH١٥٥) يخبرنا بقيام الجيش السبئي والحضرمي بخوض الحرب معاً ضد الجيش الحميري وإلحاق الهزيمة بالحميريين، ويبدو إن ملك حضرموت قد تعرض هو الآخر للضغط الحميري اثر التنازع بينهما على إقليم "ردمان " القتباني الذي آل إلى ملك حضرموت بعد سقوط مملكة قتبان على يد حضرموت حيث كان الحميريون يرون أنهم أحق بأراضي قتبان من حضرموت وسبأ على اعتبار أن الحميريين شعب قتباني في الأصل من أولاد عم إله القمر عند الشعوب القتبانية[٦٠] وقد لحقت الهزيمة بالجيش الحميري وتخلصت حضرموت من منافسة حمير لها في إقليم ردمان[٦١] كما أضعفت هذه الهزيمة الحميريين.

تحالف سبأ وحضرموت :

بعد عهد طويل من العداء المتبادل بين سبأ وحضرموت بدأ على الأقل أيام كرب ال بين ملك سبأ وذي ريدان من الأسرة التقليدية، وهذا العداء الذي كان سبباً رئيسياً ومباشراً لنكسات سبأ المتوالية، وأصبحت سبأ في حاجة ملحة إلى عقد مثل هذا التحالف لسببين رئيسين عسكري واقتصادي، فالعسكري لمواجهة المد والضغط الحميري المتزايد والاقتصادي لحاجة سبأ إلى استخدام الموانئ الحضرمية التي شهدت ازدهارا في هذه الفترة بعد أن أصبحت معزولة عن موانئها الغربية بسبب الحرب مع حمير[٦٢].

نرى "علهان نهفان" يقوم بزيارة لملك حضرموت "يدع إل" في ذات غيل بأرض قتبان بوادي بيحان في ضواحي "هجر بن حميد" التي ضمتها حضرموت في عهد الملك الحضرمي "يدع إل"[٦٣] الذي وصل إلى قتبان كمنقذ ثم ظل الحاكم الفعلي للمنطقة وخضعت مملكة قتبان لسيطرته، وأسفر هذا اللقاء عن إبرام تحالف بين الطرفين[٦٤].

ويدع إل هذا من المؤكد أنه المقصود في نقوش العقلة "يدع إل بين بن راب إل" أقدم ملوك حضرموت الذين تركوا نقوشا بالعقلة[٦٥]، وهو ليس من أسرة "يدع إل بين بن ربشمس" التي أتت إلى عرش شبوة بعد إل عزيلط بن عم ذخر[٦٦].

عقب هذا وفي أواخر أيام "علهان نهفان" وأوائل عهد "شعر أوتر" عمد التحالف الحضرمي السبئي بدعامة أخرى بمعاهدة ملكية تمثلت في زواج "إل عزيلط بن عم ذخر" ملك حضرموت من "ملك حلك" ابنة علهان نهفان ليصبح بذلك الملك الحضرمي الثالث الذي نراه على وئام مع سبأ بعد سابقيه "يدع أب غيلان " و"يدع إل"[٦٧] ولكن هناك احتمال بان هذا الوئام والمصاهرة كانت في آخر عهد علهان، فلم تذكر نقوش العقلة أي وفد سبئي في حفل تتويج إل عزيلط بن عم ذخر بينما هناك ذكر لوفد حميري من لدن ثأران يعب يعنهم.[٦٨]

وتحدثنا نقوش العقلة من القرن الثالث الميلادي عن العلاقات التجارية التي كانت تقيمها مملكة حضرموت مع العالم الخارجي، ما يدل على استمرار الازدهار الاقتصادي أيام إل عزيلط كما نلاحظ من خلال النقش (Ja٩٣١) الذي يتحدث عن وجود تدمريان وكشديان "من الكلدانيين" ضمن الوفد المرافق للملك إلى قلعة أنود "العقلة" لمراسيم التتويج، ونحن نعرف إن تدمر خلال هذه الفترة كانت قائمة في قلب بادية الشام، وكانت لها صلات تجارية واسعة، و لإشارة النقوش أيضاً إلى الهند وتدمر وإلى بني إرم وقريش، أهمية كبيرة ولا شك، إذ تدل على الاتصال الذي كان لمملكة حضرموت بالعالم الخارجي في ذلك الزمن، وعلى الروابط التجارية التي كانت تربط ذلك العالم بحضرموت[٦٩]. الأمر الذي يدل أيضاً على تطور مجال المراسيم والعلاقات الدبلوماسية في الممالك اليمنية القديمة، فقد شارك في هذا التتويج شخصيات من خارج اليمن حيث أشارت النقوش إلى رجلين من تدمر ورجل أو رجال من الهند وكذلك من الاكديين[٧٠].

شعر أوتر والحملة العسكرية على وادي حضرموت :

شعر أوتر ملك سبأ وذي ريدان بن علهان نهفان :

خلف علهان نهفان في حكم الدولة السبئية ابنه "شعر أوتر"، الذي شهدت في عصر سبأ ازدهاراً كبيراً بعد أن سيطر على جميع الأراضي السبئية والحميرية ، ويعتبر شعر أوتر أشهر ملوك هذه الأسرة بل أنه يعتبر واحداً من الملوك الكبار في تاريخ اليمن القديم لأنه عمل على فرض سيطرته على جنوب الجزيرة في محاولة منه لتوحيد السلطة وإقامة دولة مركزية بغرض توحيد الجبهة اليمنية ضد التدخل الحبشي، حيث نجح بالفعل في بسط سلطانه على معظم أراضي جنوب الجزيرة، وأصبح الحميريون خاضعين له أو على الأقل محالفين له لأن قواته التي هاجم بها حضرموت كانت مكونة من الخميسين (الجيشين) السبئي والحميري حسبما جاء في النقش (CIH٣٣٤+Ja٦٣٣) .

وعن علاقة شعر أوتر بحضرموت فنراه قد شن حرباً شاملة ضد مملكة حضرموت دون معرفتنا للأسباب التي أدت إلى نقض التحالف السبئي الحضرمي منذ عهد أبيه علهان نهفان والعهد المشترك لهما ثم الفترة الأولى من حكم شعر أوتر وخلال هذه الفترة تولى عرش حضرموت ثلاثة ملوك من الحضارمة وهم :

١- يدع إل .الذي وقع حلف ذات غيل .

٢- يدع أب غيلان .الذي قام بتجديد المعاهدة.

٣- إل عزيلط الذي تزوج من ملك حلك.

وقد تم توثيق عرى هذا التحالف والعلاقة برباط المصاهرة بين العرشين الملكيين فقد تزوج ال عزيلط ملك حضرموت من بنت ملك سبأ علهان نهفان وتدعى "ملك حلك" ملكة حضرموت وهي شقيقة شعر أوتر الذي نراه يقوم بنجدة صهره إل عزيلط ملك حضرموت عندما قامت ضده ثورة تزعمها أحرار يهبئر، وبهذه المساعدة تمكن إل عزيلط من القضاء على هذه الثورة التي اشتركت فيها قبائل حضرموت والمهرة حسبما جاء في النقش Ja٦٤٠ .

ثورة الكسر :

شهدت فترة الملك إل عزيلط الذي نصب ملكاً على حضرموت في العام ٢١٤م تقريباً تحولات كبيرة بعد ثورة قبيلة يهبئر في صوأران (تقع حاليا بالقرب من منطقة بن عيفان)على العزيلط بوادي حضرموت نحو ٢١٧- ٢١٨م[٧١] في عهد الملك السبئي شعر أوتر الذي هب شخصياً على رأس قوات سبئية لمساعدة صهره- Ja ٦٤٠- في إخماد الثورة و"نصر يهحمد بن معاهر" قيل ردمان التابعة وقتها لإل عزيلط وقوات أخرى من شعوب المشرق في صؤران بوادي الكسر(كسرن) والتي يعتقد أنها كانت في العام ٢١٧ - ٢١٨م حسب نقش (MAFRAY al-Misal ٤) للقيل "نصر يهحمد بن معاهر وذو خولان" قيل ردمان وخولان الذي سارع لنجدة سيده العزيلط وهو مؤرخ بالعام ١٤٨ بالتقويم الردماني أبعلي[٧٢].

ويبدو أن انتشار هذه الثورة كان واسعا وعم وادي حضرموت جميعه بدليل اشتراك "مهرة" فيها ورغم إن ملابسات تلك الثورة غير واضحة إلا أن وصول أحرار يهبئر إلى الحكم فيما بعد يدل على صراع داخلي على السلطة له جذور من هذه الفترة[٧٣].

غير إن هذه العلاقة المتميزة تنقلب رأساً على عقب بعد أن دخل الملكان في حرب ضروس فالنقش (ارياني ١٣)[٧٤] الذي كتبه أحد كبار قادة شعر أوتر يفصّل أحداث تلك الحرب على مملكة حضرموت وملكها "إيل عزيلط " وجيشه النظامي وقبائل حضرموت[٧٥] وذلك بسبب قيام إل عزيلط ملك حضرموت بشن حرب على الملك شعر أوتر ملك سبأ وذي ريدان دون ذكر الأسباب التي أدت إلى هذا التصعيد العسكري وقد استطاع خلالها شعر أوتر أن يأسر ملك حضرموت ويحضره إلى عاصمته مأرب بعد أن تمكن من استباحة مدينة شبوة عاصمة حضرموت وتخريبها وكذلك فعل بميناء حضرموت الرئيسي "قنا" وتدمير السفن الراسية فيه ، مختتماً النقش (إن سيده الملك شعر أوتر قد تمكن من تحطيم وتقويض وإذلال وإسقاط وحسم واكتساح كل حضرموت جيشاً وأرضاً وقبائل)ويشير النقش أيضاً إلى أن الملك شعر أوتر قد تمكن من تخليص أخته "ملك حلك" زوجة أيل عزيلط[٧٦] ،هذا الأمر فيما يبدو قد سهل وصول أحرار يهبئر إلى العرش في شبوة حيث كان أولهم وهو يدع إل بين بن ربشمس.[٧٧]

وقد دارت معارك عدة بين الطرفين وكان الملكان على رأس جيشهما مما يدل على أن المعارك لم تكن حدودية وإنما كانت حرباً إلهدف منها القضاء كل على الأخر.

أولى المعارك التي دارت بينهما كانت معركة مدينة "ذات غيل" وكان بها إل عزيلط، وحقق شعر أوتر فيها النصر وأسره إلى مأرب، وجاء في النقش أن شعر أوتر أيضا (تمكن من إذلال وإخضاع وإسقاط جميع أتباع الإله عم –أولاد عم) وهم قتبان و ردمان و خولان و قسمم و جدلم الذين تحالفوا مع حضرموت[٧٨]. تلاها معركة القصر الملكي "شقير" بشبوة فقد سكنه ملوك حضرموت منذ القرون الأولى للميلاد، ففي هذه الفترة أصبحت المملكة مترامية الأطراف تضم أراضي شاسعة ذكرت في النقوش ظلت تحت السيطرة الحضرمية حتى النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي تقريباً.[٧٩] وكانت بالقصر شقر زوجة إل عزيلط "ملك حلك"، وفي هذه المواجهة تم قتل ابن لإل عزيلط ووزرائه ونوابه ومعهم بعض من أقيال مدينة شبوة المرابطين داخل شقير، إضافة إلى مقتل ٨٥ رجلاً[٨٠] وكان ذلك في حوالي العام ٢٢٥م[٨١]، ثم يذكر النقش إن الملك شعر أوتر دخل شبوة وأبقى بها حامية عسكرية من أربعة آلاف مقاتل، ويظهر من النقش إن مدينة ذات غيل عادت من جديد للتمرد مما اضطر شعر أوتر إلى مهاجمتها، الأمر الذي استغله أهالي شبوة فأعلنوا تمردهم وفرضوا الحصار على "قارع الاقياني " ورجاله بقصر شقير لمدة ١٥ يوماً حتى كادوا يموتوا ظمأ[٨٢] فهاجم شعر أوتر بجيشه شبوة وانتقم منها شر انتقام فاستباح المدينة لجنوده وأمر بتخريبها، وتمكن من فك الحصار على قارع أحصن الاقياني ومن معه بعد أن فقدوا ثمانية جنود من الخمسة عشر الذين تحصنوا بالقصر، وغنم السبأيون كثيراً من شبوة [٨٣]. بعد ذلك نظمت غزوتين أخريين على شبوة وتكررت أعمال النهب فيها (Ry ٥٣٣).

على اثر ذلك اتجهت القوات السبئية إلى ميناء حضرموت الرئيسي "قنا"، ويتضح أنها كانت معركة بحرية، ثم تم تدمير السفن الراسية بالميناء وإحراقها، وهنا لم يكتفِ الملك السبئي بالانتصارات العسكرية التي حققها على حضرموت بعد أن هزم ملكها وأسره ودمر عاصمتها ومدنها بل أراد أن يقضي عليها اقتصادياً حتى لا تقوم لها قائمة فنفذ هجومه على مينائها الشهير.[٨٤]

حملة شعر أوتر على وادي حضرموت :

لا نعرف المصير الذي آل إليه الملك إل عزيلط ، فلم تذكر النقوش بشأنه سوى أنه أخذ أسيراً إلى مأرب، ولكن هناك ما يلاحظ أنه رغم إن الملك إل عزيلط قد تم أسره في أول معركة بذات غيل، إلا أن المعارك استمرت بوتيرة عالية بين الجيشين السبأي والحضرمي، فدارت معارك في شبوة وقنا، ولا نستطيع الجزم بمن حل محل إل عزيلط في إدارة المملكة في هذا الظرف الصعب إلا أننا نستطيع ملاحظة إن الجيش الحضرمي قد أعاد ترتيب صفوفه أكثر من مرة لمواجهة السبأيين، إلا أن رجحان الكفة كان في النهاية لصالح شعر أوتر .

بينما يذهب آخرون إلى القول إن من تولى الحكم في شبوة هو الملك السابق ويدعى "يدع إل بين بن يدع أب غيلان "[٨٥] وأخوه "الريام يدم" من قبيلة يهبثر اللذان عادا إلى شبوة بعد نهبها ٢٢٥م لإثبات سيادتهما، فقد قاما بالعديد من أعمال الأعمار حيث قاما ببناء الأدوار العليا الخشبية للقصر الملكي وغيرها الكثير[٨٦].

اخذ شعر أوتر يجمع جيوشه للانتقال إلى العمق الحضرمي بعد أن اتجهت المقاومة الحضرمية بالمثل إلى وادي حضرموت، فقد انتقلت القيادة الحضرمية الجديدة إلى الوادي بعيداً عن النفوذ السبأي حتى يتسنى لها ترتيب صفوفها لتحرير شبوة وبقية مناطق المملكة - مثلما سوف تفعل المقاومة الحضرمية فيما بعد في مطلع القرن الرابع الميلادي عندما انتقل إلى الوادي آخر ملوك حضرموت "شراحيل" و"ربشمس" في عهد شمر يهرعش لاحقاً، وهنا نرى الجيش السبأي يكتسح وادي حضرموت فوصل إلى مدينة صوأران التي تتربع على موقع استراتيجي هام حيث تقع في منطقة الكسر عند مدخل وادي حضرموت من جانبه الغربي كما اكتسح كل حضرموت حشاً وأرضاً وقبائل ، وبهذه المعارك يبدو أن وادي حضرموت قد سقط في يد الجيش السبأي ولم تبق أمامه سوى ظفار شرق حضرموت، حيث دارت المعارك الأخيرة، وهكذا سقطت حضرموت بيد الملك السبأي شعر أوتر، ولكننا نجهل كيف تعامل مع حضرموت؟ إلا أنه من المؤكد إن الوضع لم يستتب لشعر أوتر في حضرموت، حيث قامت ثورة بزعامة أحرار يهبثر، الذين سبق أن تزعموا ثورة سابقة ضد إل عزيلط، إلا أن

هذه المرة وجد أحرار يهبئر الأوضاع في صالحهم، وخلو الساحة من أي منافس، وتمكنوا من السيطرة على شبوة مكونين بها أسرة ملكية جديدة كان أول ملوكها هو"يدع إل بن ريشمس".

وهناك أمر جدير بالذكر هو أن ليس هناك ما يدل على محاولة شعر أوتر إخضاع حضرموت، وإنما الظاهر هو أنه اكتفى عامداً أو مضطراً بالتدمير لإضعاف حضرموت، في الوقت الذي صار فيه الأحباش في تهامة يتخذون أبعاداً تهدد المصالح السبئية والحميرية معاً – ارياني ١٢ – ويشجع فيما يبدو التحرشات من الشمال بسبأ وهو ما أضعفها فيما بعد[٨٧].

ب- القرن الرابع – السادس الميلادي
(عصر الانحطاط والانهيار السياسي)

سقوط حضرموت :

لقد جعل بعض علماء العربيات الجنوبية سقوط مملكة "حضرموت" واندماجها نهائياً في مملكة "سبأ وذي ريدان" في أيام "شمر يهرعش"، وبعد السنة "٣٠٠ ب. م.". و لكن لا توجد معلومات كافية عن كيفية سقوط مملكة حضرموت، وعن كيفية استيلاء "شمر يهرعش" أو غيره من الملوك عليها، وقد ذهب بعض الباحثين إلى إن سقوط حضرموت كان في القرن الرابع بعد الميلاد، فيما بين السنة "٣٣٥ ب. م." والسنة "٣٧٠ ب. م."[٨٨].

وقد أدت فتوحات "شمر يهرعش" لحضرموت، ولأراضي أخرى تعد من المناطق الخصبة الكثيفة بسكانها في جزيرة العرب، إلى هجرة الناس عنها إلى مناطق بعيدة نائية، وإلى نزول الخراب في كثر من القرى والمدن، إذ تهدمت بيوتها ومعابدها، و قتل كثير من أهلها، وأتت النار على بعضها حرقاً ،فتحولت منازل الناس إلى خرائب، وجفت مزارعهم فهجرها أهلوها ولم يعودوا إليها بعد هذا الخراب. فزادت مساحة الصحارى، ولم تعمر منذ ذلك الحين. وقد زاد في نكبة العربية الجنوبية هذه إن حروب "شمر يهرعش" المذكورة استمرت زمناً طويلاً، وشملت أكثر اليمن حتى بلغت البحر، مما أطمع الحبشة في العربية الجنوبية، فزادت قواتها في الأرضين التي احتلتها، وتوغلت في مناطق وَاسعة، ولاسيما بعد موت "شمر يهرعش"[٨٩].

لقد كانت الأوضاع السيئة التي عاشتها حضرموت في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي عاملاً مهماً على إقدام الملك السبئي شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان على إرسال قواته إلى مناطقها، وربما كان احد تلك الأسباب، أو التحولات الهامة التي حدثت في الجزيرة العربية والمتمثل في ظهور امرئ القيس بن عمرو في الحيرة، وتشكيل جيش الإعراب الحميري الذي لعب دوراً مهماً في صنع الأحداث إلى جانب الملك شمر يهرعش من أهم الأسباب التي

عصفت بالاستقرار الأمني في حضرموت، إلى جانب أسباب مهمة منها تعرض العاصمة شبوة لزلزال قوي حوالي منتصف القرن الثالث الميلادي، يضاف إلى ذلك كله الصراع الداخلي ضمن مملكة حضرموت[٩٠].

ومن النقوش التي تتحدث عن المعارك التي دارت رحاها داخل الأراضي الحضرمية ما يلي :

١- النقش Sh ٣٢:

يتحدث النقش عن اكتساح سبئي إلى جانب جيش الأعراب لمدن عقران، و شبام، و رطغة، وكل مدن مملكة حضرموت[٩١].

٢- النقش Sh٣٤:

يتحدث عن غزوة خاطفة لمدينة شبام ارض حضرموت، والعودة بالنصر والسبي والغنائم.

إلى جانب عدداً من النقوش التي لا تذكر تفاصيل الأعمال العسكرية التي رافقت استيلاء شمر يهرعش على المدن الرئيسية لمملكة حضرموت، كما أنها لا تذكر أية أرقام عن الإصابات التي وقعت في صفوف القوات المدافعة من الجانب الحضرمي، ولكن الملاحظ في هذه النقوش إشارة محتواها إلى دخول القوات الحميرية إلى عمق الأراضي الحضرمية بسهولة و يسر، دون أن تصادف أمامها أي عائق فعلي يحد من سرعة توغلها في أهم المدن التابعة لمملكة حضرموت، و لا ينفي هذا بالطبع تعرض القوات الحميرية لبعض المقاومة، وإنما يبين ضعف حالة القوات الحضرمية التي يبدو أنها لجأت إلى المناطق الداخلية البعيدة، حتى تتمكن من إعادة ترتيب صفوفها من جديد، و لكن دون جدوى[٩٢].

الملك شمر يهرعش بن ياسر يهنعم :

يعتبر شمر يهرعش أخر ملك يحمل اللقب الملكي "ملك سبا وذي ريدان" وأول من حمل اللقب "ملك سبا وذي ريدان وحضرموت ويمنت" أي بإضافة حضرموت ويمنت إلى لقبه الملكي حسبما جاء في كثير من النقوش، ومنها (شرف٣٢- ٣٣) و(CIH٩٤٨-٤٠٧)

و(٦٥٦- J٦٦٢) وقد خلف والده ياسر يهنعم في حكم الدولة الحميرية، وقد ذاع صيته عند العرب قديماً وامتلأت كتب الإخباريين بالحديث عنه، وهو عندهم تبع الأكبر المقصود في الآية (أهم خير أم قوم تبع)[٩٣]، وقد قسم المؤرخون فترة حكمه إلى دورين: - الدور الأول: وفيه اشترك في الحكم مع أبيه وحمل اللقب الملكي القصير "سبا وذي ريدان"، أما الدور الثاني: ويشمل الفترة التي حكم فيها منفرداً حاملاً اللقب الملكي الجديد "ملك سبا وذي ريدان وحضرموت ويمنت"[٩٤] وهو الدور الذي تم فيه ضم حضرموت إلى الدولة المركزية الحميرية وهي الفترة الجديرة بالدراسة في هذه الأسطر.

شغل شمر يهرعش جزءاً ليس بالقصير من أواخر القرن الثالث الميلادي، وتعتبر الأحداث التي وقعت في عهده مقدمة أساسية لأحداث عهود خلفائه من بعده الذين لم تكن عهودهم إلا امتداداً طبيعياً لعهده، فقد اشترك شمر يهرعش في الحكم مع والده "ياسر يهنعم" الذي خلف "كرب إل يفع" وكان اشتراكهما في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي. فمثلاً العام (٣٨٠حميري = ٢٦٥م) كان ياسر يهنعم منفرداً بالحكم حسب نقش (ALMisal٥) ، بينما نجد العام (٤٠٩ حميري =٢٩٤م) حسب النقش (Ymn ١٥+١٢) يعود لفترة انفراد شمر يهرعش بالحكم، وفي عهدهما معا حوالي العام ٢٧٠م نجدهما يدخلان مأرب عاصمة سبأ وينهيان صفتها كعاصمة لسبأ، لتتوج ظفار كعاصمة وحيدة للدولة الحميرية، التي هي في الأصل امتداد طبيعي لدولة سبأ التقليدية، بدليل استمرار تصدر لقب سبأ في اللقب الملكي[٩٥].

بعد انفراد شمر يهرعش بالحكم بدا يتطلع نحو دولة حضرموت، الدولة الوحيدة التي لازالت قائمة إلى جانب دولته في جنوب الجزيرة العربية، واخذ يرسل جيوشه تباعاً لضم حضرموت تحت جناحي دولته المترامية الأطراف، وكان ذلك حوالي ٢٩٠م، في عهد الملك الحضرمي "يدع أب غيلان" الذي خلف أخيه "الريام يدم"[٩٦].

وبضم حضرموت اكتملت وحدة العربية الجنوبية تحت زعامته، ليعده المؤرخون اكبر التبابعة، وربما أولهم انطلاقاً من القاعدة القائلة "أن الملك الحميري لا يسمى تبعاً حتى يشمل ملكه الشحر- وهي المقصودة بيمنت في اللقب الملكي – وحضرموت"[٩٧].

ونجد في توجه شمر يهرعش نحو ضم حضرموت خطوة منطقية بعد نجاح مشروع توحيد سبأ وذو ريدان، فهي خطوة ملحة للقضاء على التناقضات المحلية التي كانت من أسباب الصراع القديم[٩٨].

حروب ضم حضرموت إلى الدولة الحميرية :

سيلاحظ القارئ هنا لفظة حروب - جمع- وهي كذلك بالفعل فإخضاع حضرموت لم يتم بحرب واحدة، ولكن النقوش التي تتحدث عنها للأسف قليلة جداً، إلا أنه من المؤكد أن شمر يهرعش خلال هذا الدور قد استطاع فرض السيطرة الحميرية على جميع ما يعرف بالدولة السبئية، ثم توجه صوب حضرموت منافسه الوحيد على الأرض اليمنية، ضمن خطة وضعها شمر يهرعش لفرض سيطرته على جميع أنحاء العربية الجنوبية، فقد اقتضت الظروف طرد الأحباش وإخضاع القبائل المتمردة أولاً قبل الدخول في مواجهة مع مملكة حضرموت المترامية الأطراف .

و يهمنا هنا أخبار الحملات التي توجهت إلى وادي حضرموت وبالأخص تريم، ففي النقش الموسوم بـ(Ja٦٦٥)- القرن الرابع الميلادي- في عهد ياسر يهنعم ابن شمر يهرعش يتحدث القائد "سعد تألب يتلف بن جدن كبير أعراب ملك سبأ" عن المعارك التي خاضها في العبر"عبرن" وفي "أرك" وهو موضع في أطراف حضرموت دارت فيه معارك بين الحميريين والحضارمة بقيادة ملك حضرمي لم يذكر اسمه ولا مقر حكمه، وكذا في أودية دهر و رخية وهما واديان في أول مدخل وادي حضرموت من ناحية رملة السبعتين[٩٩].

ويتضح لنا جلياً من النقش CIH٩٤٨ أن الملك الحضرمي "شرح إل - شرح إيل" كان على رأس الجيش الحضرمي المقاوم لجيوش شمر يهرعش في معركة وادي حجر، بينما تتحدث نقوش أخرى(جام ٦٥٦= عنان ١٩=شرف ٣٣) إن القائد "زيد القوم " تقابل مع ملكين حضرميين في وادي سر وهما "شرح إل- شرح إيل" و "رب شمس" وحقق النصر عليهما، فهنا يتأكد لنا أن حضرموت كان يحكمها ملكان عند غزو الجيش الحميري لها فنرى أن شرح إل قد واجه الحميريين في وادي حجر وأيضا شارك في معركة وادي سر فأنه من

المحتمل أنه كان ملكاً للأجزاء الساحلية من حضرموت وهي أيضاً المقصودة في اللقب الملكي بلفظة "يمنت"، ولكنه انسحب والتقى مع الملك الأخر المنسحب أيضاً من العاصمة شبوة في وادي سر لتدور معركة أخرى حاسمة هناك لتنتهي حروب ضم حضرموت وانتهت معها مملكة حضرموت ولا نعلم شيئا عن ملكي حضرموت وذلك في أوائل القرن الرابع الميلادي[١٠٠].

تمرد حضرموت :

عقب وفاة شمر يهرعش الذي تميز عهده بالقوة والصرامة واخضع تحت سلطته كل القبائل والمناطق في جنوب الجزيرة العربية حدثت ثورة كبيرة في حضرموت، ربما أراد بها الحضارمة الانفصال عن الدولة المركزية الحميرية، والحنين إلى مملكتهم التي أزالها شمر يهرعش، فأخذت حمير تعلن النفير لاستعادة حضرموت فاشترك جيشي الدولة الحميرية وهما الخميس أي "النظامي" وجيش الأعراب أي "البدوي" في القضاء على تمرد قبائل حضرموت كما جاء في النقش (ارياني ٣٢ وارياني ٣٩+٦٦٥ Jamme).

فقد استمرت الغارات على وادي حضرموت فهذا نقش يذكر غنائم وأسرى من مدن سررن (السر= الوادي) ويقصد به غالباً وادي حضرموت، ويعود هذا النقش إلى عهد ذمر علي يهبئر مع ابنه ثاران يهنعم، وهذا الأخير لدينا نقش آخر من عهده يعود للعام ٤٣٤ حميري =(٣١٩م/٣٢٥م)، وقد تلقب في النقش باللقب الملكي من دون إضافة (حضرموت ويمنت)وكذا تلقب والده هكذا "ثاران يهنعم ملك سبا وذي ريدان بن ذمر علي يهبر ملك سبأ وذي ريدان"[١٠١].

فقد أدت أسباب كثيرة إلى تمرد حضرموت، وكثير من المناطق الأخرى والقبائل إلى منها حصول صراع على العرش الحميري، أدى إلى وصول ملوك ليسوا من أسرة ياسر يهنعم لفترة قصيرة قبل أن تعود المياه إلى مجاريها، ومما تجدر الإشارة إليه إننا لا نستطيع ترتيب ملوك حمير بعد شمر يهرعش ترتيباً زمنياً دقيقاً بسبب غياب التاريخ في نقوش بعض الملوك الأمر الذي أدى إلى اختلاف وجهات نظر المؤرخين والأثريين في هذا الشأن[١٠٢].

ذمر علي يهبئر (الثاني) واستعادة حضرموت :

كان " ذمار علي " وابنه " ثاران يهنعم " من مؤسسي الدولة السبئية الحميرية الموحدة أو ما عرف في الموروث العربي واليمني بدولة (التبابعة) ، وذلك في (الربع الأول من القرن الرابع الميلادي) ، وكان قد سبقهما " شمر يهرعش " الذي حكم اليمن من أدناه إلى أقصاه تحت اسم ملك " سبأ وذي ريدان وحضرموت و يمنات " ، وبعده بعدد من السنين كرس " ذمار علي " ثم ابنه " ثاران يهنعم " ذلك الواقع الذي استمر حتى الغزو الحبشي لليمن عام (٥٢٥ م) .

من المحتمل أن الملك ذمار علي يهبئر قد استعاد العرش الحميري من مغتصبيه لان الفترة بينه وبين حكم ياسر يهنعم وابنه ذرا أمر أيمن قصيرة، ولدينا النقش السابق ارياني ٣٢ الذي يعود لعصر هذا الملك فصاحب النقش القائد "سعد تألب يتلف الجدني " وهو من قادة ياسر يهنعم وابنه ذرأ أمر أيمن[١٠٣] وهو اليوم من قادة ذمر علي يهبئر الأمر الذي يدل على قصر الفترة بين ذمار علي يهبئر وياسر يهنعم.

بدا ذمار علي يهبئر عهده باستعادة الأراضي التي خرجت عن سيطرة حمير عقب وفاة شمر يهرعش فاخذ يعد العدة للقضاء على هذه التمردات وخاصة حضرموت فكلف قائده "سعد تألب يتلف الجدني " وجيشه الأعرابي بمهمة القضاء على ثورة قبائل حضرموت الذين قاموا بتنصيب "أنمار" ملكا عليهم والذي اسر فيما بعد واحضر إلى العاصمة الحميرية ظفار عقب إخماد التمرد واستعادة حضرموت[١٠٤].

أولاً : النقش (ارياني ٣١)-(جام ٦٥٧)

من نهاية القرن الثالث الميلادي في عهد ذمار علي يهبئر ملك سبا وذي ريدان وحضرموت ويمنت عن حملة "لفعثت يشع المرحبي" :

نص النقش:

لفعثت/يشع/بن/مرحبم/وزع/شعبن/سبأ/هقني/مرأهمو/المقه ثهون/بعل أوم/اربعتن/ اصلمن/ الي/ذهبن/حمدم/بذت/خمر/عبدهو/لفعثت/ يشع/أتو/بمهرجتم/وأخيذتم/وسبيم/ وغنمم/ بكن/ سبأ/ بعم/ شعبن/ سبأ/ عدي/ أرض/ حضرموت/ بكن/ وقههو/ مرأهمو/ ذمرعلي/ يهبر/ ملك/ سبأ/ وذاريدان/ وحضرموت/ ويمنت/ لسبأ/ عدي/ صوأرن/ وعقرن/ وشبوت ورطغتم/ ومريمتم/ وترم/ وكل/ هجرن/ وسررن/ حضرموت/ وخمرهمو/ المقه/ اتو/ب وفيم/ وحمدم/ وبمهرجتم/ وغنمم/ وحجن/ كستوكل/ بعم/ المقه/ ولوزأ/ خمرهمو/ نعمتم/ ووفيم/ وحظي/ ورضو/ مرأهمو/ ذمرعلي/ يهبر/ ملك/ سبأ/ وذريدن/ وحضرموت/ ويمنت/ ولخمرهممو/أثمر/ وافقل/ صدقم/ ولهعنتهمو/ ومتعنهمو/ بن/ بأستم/ ونكيتم/ وعدقم/ وشصي/ شنأم/ بالمقه ثهون بعل أوم.

محتوى النقش:

هذا هو"لفعثت يشيع المرحبي" من بني مرحب حاكم قبائل سبأ وهو يتقرب إلى سيده "المقه ،ثهوان ،بعل اوام" بأربعة أصنام من البرونز الذهبي حمدا له لمنه على عبده "لفعثت يشيع " بما عاد به من نصر وقتل للعدو مع الفيء والسبي والغنائم ،وذلك حينما قاد قبائل سبأ في حملة ضد حضرموت كان سيده الملك "ذمار علي يهبئر ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت" قد أمره بشنها لمواجهة "صوأران"[١٠٥] و"عقران"[١٠٦] و"شبام"[١٠٧] و"رطغة"[١٠٨] و "مريمة" و"تريم"[١٠٩] وكل مدن والسرير ووادي حضرموت ،ولقد منّ عليه "المقه" بالنصر والعودة بسلام وحمد ومقتلة للعدو وغنائم جاءت مطابقة لما كان أمله من "المقه" ويدعو "المقه" انب ستمر في منحه النعمة والسلامة والحظوة والرضا عند سيده الملك "ذمار علي يهبئر ملك سبا وذي ريدان وحضرموت ويمنت" وليجودن عليه بالثمار والغلال الوفيرة ،وليجنبنه من كل بأساء ونكاية ومن شرور كل عدو حاقد متوسلا بحق "المقه ثهوان بعل اوام"[١١٠].

ثانياً : نقش (ارياني ٣٢)-(جام ٦٦٥)

يعود لبداية القرن الرابع الميلادي من عهد ذمار علي يهبئر أيضا ولكن عن حملة القائد "سعد تألب يتلف الجدني " كبير أعراب ملك سبأ.

نص النقش:

١) سعد تألب/ يتلف/ بن/ جدنم/ كبر/ أعرب/ ملك/ سبأ/ وكدت/ ومذحجم/ وحرمم/ وبهلم/ وزدال/ وكل/أعرب/سبا/وحميرم/وحضرموت/ويمنت

٢) هقني/ مراهمو/ المقه/ بعل/ أوم/ صلمم/ ذذهبم/ حمدم/ بذت/كأسى/عبدهو/سعدتألب/ ذجدنم/وتمرهتو/عبرن/قرنم/بنشقم/بن/حضرموت/

٣) ومظأت/عبرهو/عظتم/وطبيتم/عظن/مرأهمو/ذمر علي/يهبر/ملك/سبأ/وذو ريدن/ وحضرموت/ ويمنت/ كليسبأنن/ ويظبأ/ سعدتألب/ ذجدنم/ وليقتدمن/ شعبن/ سبأ/ أبعل/مرب/وأعرب/ملك/سبأ/وكدت/ونجرن/وسفلن

٤) ونقصو/ عدي/ محرمن/ ذيغرو/ وقيوو/ كل/ أجيهشو/ سبعت/ يمتم/ وأل/ نقصو/ غير/كبن/ سبأ/ ثلث/ مأتم/ أسدم/ وبن/ أعربن/ ثلث/ مأتم/أسدم/وعشرى/أسدم/أتلوت/ركبت/أفرسم/ ذأسيو/سنهمو/قرنم/بهجرن/نشقم/

٥) وتجعر/ بعهمو/ خمسى/ أفرسم/ ويسبأو/ وستغرن/ هجرن/ صوأرن/ ويتقدمو/ بعهمو/ أبعل/ صوأرن/ بخلف/ هجرن/ صوأر/ ويسبطو/ ذجدنم/ وجيشهو/ بنهمو/ مهرجتم/ وأخيذتم/ وسبيم/وغنمم/ذعسم/

٦) وبعدنهو/ فسبعو/ لهمو/ ومطو/ عمهمو/ أسد/ صوأرن/ بعلى/ أبعل/ بعلى/ شبم/ وصدفن/ وتقدمو/ وهترجن/ بعم/ صدفن/ وأبعل/ شبم/ بخلف/ شبم/ ويهرجو/ بنهمو/ سبعى/أسدم/ وعدوو/ بسحتم/ هجرهمو/ وصنعهو/ وتنحبو/ عمهو/ ثلثت/ يمتم/ عدى/سبعو/

٧) وبعدنهو/ فستغرو/ وظورن/ رطغتم/ وسيؤون/ ومريمتم/ وحدب/ وهسبعهو/ وهغرو/ عدى/ عرأهلن/ وترم/ وتقدمو/ بعم/ أبعل/ وملأ/ هرجو/ بن/ أبعل/ ترم/ وعدوو/ هجرهمو/سحتم/ وهويهمو/ وظورن/ ثنى/ عشر/ يمتم/ وجبذو/ الفن/ أعمدم/ وجبأو/ وصريهو/وتعربن/وسبع/لهمو/

٨) وبنهمو/ فهغرو/ عدى/ دمن/ ومشطت/ وعركلبيم/ وسبع/ لهمو/ ونجشو/ كل/ هجر/ حضرموت/ وسررن/ وبنهو/ فيأتيو/ وقفلوا/ بأحللم/ وأخيذتم/ وسبيم/ وغنمم/ ذعسم/ وهرجو/ثلث/مأتم/وألف/بضعم/وسبع/مأتم/زخينتم/وثلثتم/ألفم/سبيم/

٩) وأتوو/ وقفلو/ عدى/ هجرن/ ظفر/ عبر/ مرأهمو/ ملكن/ وأولو/ عمهمو/ أنمرم/ ذهملكو/ حضرموت/ وريعت/ بن/ وألم/ وأفصى/ بن/ جمن/ وجشم/ بن/ شرإل/ وبهثم/بن/زكيم/وثوبن /بن/جذمت/أصدفن/

١٠)ويطع.....سيبنين وقضعم سيبنين وأربع ...أت ...قتر...لأتى بعمهمو بن

محتوى النقش:

القائد "سعد تألب يتلف الجدني" كبير أعراب ملك سبأ وكبير كندة و مذحج وحرام و باهل وزيد ايل وكل أعراب سبأ وحمير وحضرموت ويمنت ،تقرب إلى سيده "المقه بعل اوام" بصنم من البرونز الذهبي حمداً لأنه أوصل عبده "سعد تألب ذي جدن" ومن معه إلى عبران ليرابطوا بمدينة "نشق"[١١١] عائدين من حضرموت –بعد غزوة سابقة لها- ولقد وصلته الأوامر وهو مرابط من سيده الملك "ذمار علي يهبثر " ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت بان يتولى سعد تألب ذو جدن قيادة قبيلة سبأ أهل مأرب وأعراب ملك سبا وكندة ونجران و سفلان فانطلقوا –هو ومن معه- إلى منطقة "المحرم" وجمعوا جيشهم في سبعة أيام فكان من سبأ ثلاث مئة محارب ومن الأعراب ثلاث مئة راكبي رحال وفرسان وهم الذين كانوا مرابطين معه في مدينة "نشق" وانضم إليهم خمسون فارساً فانطلق بهذه القوة فهاجم أول ما هاجم مدينة "صوأران" وقد نازل أهل صواران في ضواحيها فالحق ذوجدن وجيشه بهم مقتلة وأحرزوا فيئا وسبيا مرضيا فخضعوا له وساروا معه لمهاجمة أسياد "شبام" وقبائل

"الصدف" فتنازلوا واقتتلوا في ضواحي "شبام" فقتلوا منهم سبعين محاربا واكتسحوهم إلى المدينة فتحصنوا فيها وقاتلهم ثلاثة عشر يوما حتى استسلموا وخضعوا له ،وبعد ذلك أغاروا وحاصروا كلا من "رطغة" و "سيؤون" و "مريمة" و "حدب"[١١٢] فاستسلموا وخضعوا له فأغار على "عر أهلان"[١١٣] و"تريم" فاكتسحوا مدينتهم بعد حصار دام اثني عشر يوما ،واستولوا على ألف عريشه من عرائش العنب ،وبعد أن اخضع لهم كل هولاء أغاروا على "دمون" و "مشطة" و "عركليب"[١١٤] فاستسلموا لهم ،وهكذا هاجموا جميع مدن حضرموت ووديانها ،وبعد عادوا قافلين بالمغانم من الأنعام والأموال وبالأسرى الكثيرين ، ولقد قتلوا ألفا وثلاث مئة تقطيعا بحد السيوف ، وجرحوا سبع مئة مقاتل واسروا ثلاثة آلاف أسير ، وآبوا عائدين إلى مدينة "ظفار" نحو سيهم الملك ،واحضروا معهم المدعو "أنمار" الذي نصبه أهل حضرموت ملكا ،كما احضروا معهم كلا من "ربيعة بن وائل" و "أفصى بن جمان" و "جشم بن مالك " و"ثوبان بن جذيمة الصدفي" و "يدع.....سيبنين[١١٥] .." و "قضاع سيبين..." وأربع....أت ...لأتى ...بعمهوبن....[١١٦]

تعليق :

في السطر الأخير يأتي ذكر رجال من سيبان وهي قبيلة من قبائل حضرموت تشكل اليوم اتحادا قبليا كبيرا يمثل مساحة واسعة في حضرموت يمتد من حجر إلى دوعن ويغطي المنطقة الخلفية لمدينة المكلا ،وهم بطن من حمير ديارهم بأعلى حضرموت وفي وادي دوعن وكور سيبان وينقسمون إلى فخائذ وبطون عديدة وقد وردت في نقوش كثيرة منذ القرن مثل RES ٣٩٤٥/٨-٩+RES٤٠٦٩/٥+BR-Yanbug٤٧/٦ وقد جاءت مسبوقة بـ(ش ع ب) وهو اصطلاح عرفته النقوش يدل على كيانات سياسية كبيرة[١١٧].

فقدان حضرموت للسيادة السياسية والتجارية

بدخول حضرموت كجزء لا يتجزأ من الدولة الحميرية المركزية تكون قد فقدت سيادتها السياسية التي كان ملوكها يتمتعون بها، ليس هذا فحسب بل تعداه إلى تجارتها الشهيرة، وكان المصائب أبت إلا أن تتوالى عليها، فنجد في مطلع القرن الرابع الميلادي أن شلل تام قد أصاب تجارة اللبان والبخور، وذلك إن الإمبراطور البيزنطي "قسطنطين الكبير" كان قد اعتنق المسيحية وجعلها الدين الرسمي للإمبراطورية، وهذا الأمر قد اثر سلبياً على طريق اللبان واخذ اللبان يفقد صفته باعتباره السلعة التجارية الأولى نظراً لانحسار المعتقدات الدينية القديمة التي كانت تستخدم اللبان في الصلوات مما أدى إلى تناقص تجارة اللبان تدريجياً ثم انعدام أهميته تماماً الأمر الذي انعكس بدوره على الحواضر الشرقية القديمة لليمن، التي بدأت في الاندثار وانتقل الطريق الرئيس من أطراف الصحراء إلى المرتفعات حيث الزراعة، وبدأت معه الهجرة إلى تلك المرتفعات حيث الأمن والغذاء[١١٨].

أما بالنسبة للتبعية السياسية فقد أخذت المدن والمستوطنات الحضرمية تستقل تباعا، واخذ زعماء القبائل والاقيال و الأذواء يستقلون بما تحت أيديهم من أراضي وأودية، ومن المعروف إن حضرموت القبيلة كانت ديارها ومساكنها في هذه الفترة تتوزع في شرقي حضرموت والمناطق الوسطى ولا يخالطهم في ذلك إلا من شذ أو دخل فيهم من السكون أو غيرهم، وأول مواطنهم شبام إلى نهاية حضرموت شرقا[١١٩]، وفي غربيها مواطن كندة والسكون والصدف والسكاسك[١٢٠].

ومن ملوك حضرموت - أي القبيلة – الاقيال العباهلة ومنهم وائل بن حجر الحضرمي، ووالده حجر بن وائل ولما اسلم وائل جعله النبي صلى الله عليه وسلم مترفلاً على الاقيال أي رئيساً وسيداً، وهذا يدل أن الأمر بحضرموت كان بيد الاقيال كلٌ في موقعه، و هولاء الاقيال من هم دون الملك الأعظم، والملك عندهم من ملك ولو وادياً واحداً، ولذا عشية الدعوة الإسلامية تعددت الرسل والوفود وكذا العمال فكان زياد بن لبيد البياضي الأنصاري على حضرموت، وعكاشة بن ثور على السكاسك والسكون، والمهاجر بن أبي أمية على كندة، ما يدل على حالة التجزئة السياسية في أعقاب سقوط مملكة حضرموت وتدهور حمير فيما بعد.

نزوح كندة :

نزحت قبيلة كندة تاركة ديارها الأصلية في وسط الجزيرة العربية نحو الجنوب، وتحديداً إلى مناطق حضرموت لأسباب مجهولة حسب النقش "BR-M.Bayhan-٥" ويبدو أن تدهور الأوضاع في حضرموت قد شجعها على التوجه إلى هناك، أثناء ذلك كان شمر يهرعش يجهز قواته لمهاجمة حضرموت. فقطع الطريق أولاً أمام كندة في منطقة أرك – في مدخل وادي حضرموت من الغرب لا يعرف مكانها حاليا - واستطاع استقطاب عدد من زعمائهم سلما إلى جانبه. وهذا دليلا على عدم رغبتها إن لم يكن عدم قدرتها على السيطرة على مناطق حضرموت. و إقامة مملكة جديدة هناك، و خاصة عندما عرفت برغبة شمر يهرعش السيطرة عليها. وبهذا التحالف بدأ الهجوم على مناطق حضرموت، حيث توجهت هذه القوات (سبأ- حملان –خولان- عربان- كندة) حسب النقش Sh٣٢ إلى العاصمة شبوة، لتكون مركزاً للانطلاق نحو المناطق الداخلية، فقد استطاعت هذه القوات السيطرة عليها، ثم توجهت نحو المناطق الجنوبية الشرقية باتجاه مدينة عقران، و منها إلى مدينة شبام، ثم إلى مدينة رطغة. أي باتجاه المناطق الشمالية الشرقية، ولم يذكر النقش المدن الأخرى الواقعة بين العاصمة شبوة و المدن المذكورة، واكتفى بالإشارة إليها بالقول (وكل مدن مصر حضرموت) [١٢١] . ومما يدل على نزوح كندة في هذه الفترة هو عدم ذكرها في نقش النمارة RES٤٨٣ عام ٣٢٨م ، وعلى هذا الأساس فان حملة شمر يهرعش إلى حضرموت بين سنة ٢٩٠م وسنة ٢٩٣م، ويذهب بعض الباحثين إلى أن كندة قد أرسلت قوات لمساعدة ملوك حضرموت في مواجهة شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان [١٢٢].

بنجاح الملك شمر يهرعش بمد سلطته على مناطق حضرموت اتخذ اللقب الملكي الجديد (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) وتشير الدراسات الأثرية إلى أن تلك الحملات قد أحدثت أضراراً كبيرة في جميع مدن حضرموت، و القرى الصغيرة المنتشرة في بطون الأودية الصغيرة من وادي حضرموت، و قد استغرقت عملية الإخضاع جانباً من بداية القرن الرابع، وتتحدث النقوش أن الأوضاع في حضرموت لم تستقر فقد وجهت إليها عدة حملات

استهدفت عدة مدن بعضها كانت قوات شمر يهرعش قد وصلت إليها من قبل[١٢٣] ، وتضمنت النقوش (Ja٦٥٦,CIH٩٤٨,Sh٣٣,Ja٦٦٠) أخباراً عن تمردات واسعة في مناطق حضرموت، فمثلاً النقش (Ja٦٥٦) يتحدث عن معارك دارت بين قبيلة سبأ كهلان القبيلة الرئيسة في مدينة مأرب و الأودية المحيطة بها في منطقة (س ر ر ن) وهو اسم للمنطقة المكتظة بالمدن و القرى أي وادي حضرموت بمدنه و قراه [١٢٤] .

ومن كندة تفرعت أسرتين ملكيتين حكمت أحداهما بمنطقة حضرموت، والأخرى بنجد والحجاز وذلك في إطار دوله ملوك حمير منذ القرن الرابع الميلادي حتى القرن السادس الميلادي، والذين حكموا كندة وحضرموت هم بنو عدي بن ربيعه من بني معاوية الأكرمين، وكان من ملوكهم يزيد بن كبشه، وقيس بن معدي كرب، وثم ابنه الأشعث[١٢٥].

بينما يذهب البعض الأخر إلى أن ظهور كندة في جيش الأعراب في فترة القرن الثالث – الرابع الميلادي ليس دليلاً كافياً على القول إن ظهور كندة كقوة سياسية مستقلة بدأت منذ هذه الفترة، وان هذا الظهور ما هو إلا كفرق مرتزقة إلى جانب الحضارمة في البداية، ثم في إطار الجيش الحضرمي بعد ذلك، ثم يبرز الدور الكندي جلياً في أربعينيات القرن السادس الميلادي متمثلاً في يزيد بن كبشة نائب أبرهة على كندة، والذي قاد تمرداً في العام ٥٤٢م لمدة من الزمن في غربي حضرموت[١٢٦].

في نهاية القرن السادس الميلادي وبداية القرن السابع كانت كندة بحضرموت مقسمة إلى العديد من القبائل والبطون التي لم تستطع أية منها أن تبرز الأخريات، وتفرض زعامتها واقعياً للسيطرة على بقية الفروع، ولكن في بدايات القرن السابع الميلادي لم تكن مناطق سكنى كندة في غربي حضرموت فقط ولكن كانت لها أيضا مثاو في شرقيها مبعثرة على طول الوادي، فقرى قبائل بني هند تقع في النهاية الشرقية لوادي حضرموت حتى وادي برهوت، وكذلك تريم التي كانت مقرا لملوك بني عمرو بن معاوية في الجزء الرئيسي من وادي حضرموت، بينما كانت دمون المجاورة لها لحمير ولم تكن تابعة لكندة [١٢٧].

المبحث الثالث

ثقافة الأطراف

وكما أسلفنا الكلام عن أهمية الموقع الجغرافي والتجاري والعسكري والزراعي لمدينة تريم، والشروط الأخرى الهامة لإقامة المستوطنات البشرية، وتوفر سبل العيش منذ تلك الفترة كافة، ولذلك كان النشاط البشري منتشراً في منطقة واسعة حواليها، وهو ما أسميناه "ثقافة الأطراف" حيث سنتحدث عن المواقع الأثرية التي اكتشفت في أطراف وضواحي مدينة تريم، سوى بالكشف العلمي الأثري، أو بمحض الصدفة، ولأن مدينة تريم لحد الآن لم تنل حظها ونصيبها من التنقيب والمسح الأثري وهي دعوة وصرخة في آن واحد إلى أصحاب الأمر إلى عمل ما ينبغي عمله من الكشف عن الإرث التاريخي الذي تكتنزه باطن ارض هذه المدينة العريقة، والبحث عن المعلومات الصامتة التي نحتاج إليها لمعرفة الصورة الكاملة عن الدور الذي لعبته تريم في ذلك الزمن الغابر خاصة قبل الإسلام، لان هذه الفترة مازالت في عالم المجهول، ولم تنل ما تستحقه من البحث والتدوين، فالمعضلة التي تقف أمام الباحثين هي قلة المعلومات التي تتحدث عن هذه الفترة.

والحديث عن ثقافة الأطراف لهي محاولة لإكمال الصورة الناقصة عن تاريخ تريم، من باب الحديث عن الجزء والمراد الكل أو الأصل، حتى ذلك اليوم الذي تكتمل لدينا الصورة فيه. فقد امتد النشاط البشري إلى المناطق المجاورة وترك لنا ذلك الإنسان أثاراً تدل عليه وعلى استقراره في هذه المنطقة أو تلك، كالمنشئات المعمارية من بيوت ومعابد وأسواق ومدن وقرى، ومنشئات زراعية كقنوات الري وتصريف المياه وغيرها.

١- موقع عادية الغرف :

إلى الجنوب من مدينة تريم (٢٥ كم شرق سيؤون) يقع موقع عادية الغرف الأثري، ورغم صغره إلا أنه يكتسب أهمية وقيمة أثرية كبيرة كونه يقع عند ملتقى أهم أودية وادي

حضرموت (وادي سر و عدم)، وإلى انتمائه لمرحلة ما قبل الإسلام وتحديداً إلى حوالي القرن الأول الميلادي. فمنذ العام ١٩٨١م وأعمال الحفريات و التنقيبات الأثرية جارية في هذا الموقع، لتكشف الكثير من الأسرار والتفاصيل التي ميزت أنماط الحياة المختلفة للأقوام الأولى التي استوطنت هذا الجزء من الأرض في مرحلة ما قبل الإسلام .

وعن هذا الموقع المهم يصف مسئولو مكتب الهيئة العامة للآثار والمتاحف بوادي حضرموت والصحراء الأهمية الأثرية لموقع "عادية الغرف الأثري" ، فقد اكتشفت فيه العديد من القطع الأثرية، والمعروضة في أروقة متحف سيؤون الأثري ، وتصدرت غالبيتها صالات العرض المتحفي فيه ، كما نال الكثير منها شرف المشاركة في رحلة التعريف باليمن على مدى أكثر من عشر سنوات تقريبا ، ضمن معرض اليمن الأثري المتنقل الذي جاب الكثير من العواصم الغربية وأنحاء أوروبا . إلى جانب اكتشاف تحصينات دفاعية وتماثيل أثرية مجنحة بتصاميم فنية مدهشة. حظي الموقع بأول أعمال تنقيبات علمية في العام ١٩٨١م من قبل فريق وطني متخصص ، وكانت من بين أهم النتائج ، الكشف عن معلومات مكنت علماء الآثار من التعرف على ملامح الطابع المعماري لتلك المرحلة حيث أظهرت التنقيبات نمطاً معمارياً ظهر فيما بعد في مواقع مشابهة مثل ريبون بوادي دوعن وكذا في موقع مشغة في وادي عدم، إضافة إلى مقارنته بنمط العمارة في شبوة العاصمة الحضرمية الأولى ، ويظهر كذلك في جانب من معمار معبد أوام في مأرب ، كما ظهرت لوحات حجرية منحوتة تظهر طابع الفن الأصيل، وتظهر التمازج مع الفن الأسطوري، والعلاقات مع اليونان والرومان ولو بطريقة غير مباشرة، وربما عبر بعض الموانئ اليمنية.


تمثال لو علين من موقع الغرف

أما المباني فقد تم تشييدها من الطوب اللبن النيي (المدر) فوق أساسات حجرية متوسطة وغير مهذبة غالباً (ما عدى السور الخارجي الذي تم كشفه مؤخراً) ، كما يتميز البناء بتقنية الهيكل الخشبي الذي يتم إعداده قبل عملية البناء، وهو أشبه بالقضبان الحديدية عند عمل

الخرسانات الإسمنتية في الوقت الحاضر، وهي تقنية ليست بجديدة في المواقع الأثرية ، فقد وجدت في مواقع مثل ريبون و مشغة ، و شبوة إضافة إلى مرحلة من المراحل المتأخرة في معبد اوام بمأرب، إضافة إلى ذلك فان ثمة أنماطاً أخرى للبناء قد بدأت تظهر في الطبقات السفلى من موقع الغرف في مناطق التنقيب الأخيرة تختلف عن النمط الأول الذي تم الكشف عنه في حفريات عام ١٩٨١م ، والفرق بينهما أن النمط الذي كشف عنه مؤخراً لم تستخدم فيه الهياكل الخشبية ، وليس محروقاً ، بينما الأول بعضه محروق وبعضه بالهياكل وغير محروق ، كما أن الميزة المشتركة هي وجود آثار طبعات أصابع اليد على معظم قطع الطوب اللبن غير المحروقة ، وأهم ما يميز الموقع في الموسمين الماضيين، هو الكشف عن السور الخارجي للموقع، وهو ما يعطي أهمية خاصة له ويجعله في مصاف مواقع أثرية يمنية تمتاز بوجود تحصينات خارجية دفاعية تحمي المكان من أي هجمات أو سطو ، وهذا السور توجد به انكسارات متقدمة إلى الخارج تشبه الأبراج على مسافات تزيد عن عشرة أمتار حتى تعطيه قوة وتحميه من الوقوع.

وقد تم توضيح اثنين منه في هذا الموسم الماضي (٢٠٠٨م) في الجدار الغربي بعد تنظيف مسافة تصل إلى ٢٥ متر أو السور الخارجي مبني من الحجارة في أغلب مواضعه ويصل أقصى ارتفاع له تقريباً في الجهة الشمالية الغربية إلى أكثر من ثلاثة أمتار ، أما سمك السور فيصل إلى نحو متر ونصف تقريباً وتكون الجهة الداخلية له مبنية من المدر وفي الوسط بين المدر من الداخل والحجارة في الخارج يوجد دبش مكون من الحجارة الموضوعة بشكل غير منتظم وبعض كتل من المدر .

أما من الداخل فقد كشفت التنقيبات الأخيرة عن وجود بعض الغرف المتصلة بالسور من الداخل باتجاه الشرق أكبرها (٤.٢٠ × ٢ متراً) ، وأصغرها (١.٩٤× ٢.١٠ متراً)،إضافة إلى ممرات ضيقة وسلم.

كما تظهر في الأرضية بعض الغرف وآثار الرصف بالمدر وبعضها مطروق بالنورة الممزوجة بالرمل (القضاض) كما هو الحال في الغرفة الصغيرة التي ربما تكون أعدت ليستخدم فيها الماء كمطبخ أو ما شابه . وعثر بها على جزء من إناء فخاري ذي قاعدة كما تم العثور على فتات قليل من اللبان الذي يستخدم كبخور (العلك) .

ومن اللقى الأثرية المميزة أيضاً إلى جانب الكسر الفخارية تلك القطع البرونزية، وأهمها تمثال صغير لبقرة حجمه ٣×٣ سم، وتمثال مجوف لامرأة مجنحة تظهر من خلاله تفاصيل الوجه والشعر المتدلي على ألكتفين ويبرز الصدر واضحاً أسفل القطعة. وهو طابع فني له صلة باليونان والرومان، وهو ما يفسر وجود صلات وعلاقات متينة كانت تربط الحضارة اليمنية القديمة بالحضارات الإنسانية القديمة بفعل الأهمية التجارية والاقتصادية القديمة التي احتلتها اليمن في ذلك الوقت.

نتائج الموسم الأخير :

أسفرت أعمال الموسم الرابع من أعمال التنقيب الأثري (خلال شهري فبراير ومارس ٢٠٠٩م)عن معلومات تتعلق بامتداد سور الموقع البالغ طوله ٢٦ متراً واكتشاف بعض العملات البرونزية وكثير من الآنية الفخارية في ستة مربعات جديدة عن مكونات الموقع بأعماق متفاوتة.



وهذه التنقيبات التي نفذها فريق محلي من مكتب الآثار فرع حضرموت تم فيها مواصلة الحفريات لطبقات أعمق من التي انتهت عندها أعمال الموسم الماضي إلى جانب الكشف عن ستة مربعات أخرى بأعماق متفاوتة وفتح مجسات استطلاعية لسبر أعماق المنطقة لمعرفة القاعدة الأساسية التي تأسست عليها مكونات الموقع.

وتكمن أهمية مخرجات هذا الموسم ٢٠٠٩م في معرفة امتدادات السور الذي ظهر من الجهة الغربية بطول ٢٦ متراً ويتميز بأنه مبني من الحجر ومدعم بجدار طيني من الداخل وبسمك ١٢٠ سم.

وتوقع الآثار يون أن تكون للسور بداية مداخل لحركة الناس والجمال والعربات أو مرافق أمنية تتمثل في أبراج أو تحصينات.ومن بين الموجودات التي عثر عليها الفريق في الموقع بعض العملات البرونزية وكثير من الآنية الفخارية وآنية عليها كتابات بخط المسند.[١٢٨]

٢- موقع باعلال (النقش التميمي باعلال ١) :

وهو غير الموقع السابق يقع إلى الجنوب من مدينة تريم على بعد نحو ١٠ كلم تقريباً والى الجنوب من باعلال بنحو ١ كم، ويطلق الأهالي على التربة التي عثر فيها على النقش بـ(طين عاد) نسبة لقوم عاد المذكورين في القران الكريم، والى التسمية الدارجة لكل مكان قديم مثل عادية الغرف، عادية بن عيفان، وتتميز هذه المنطقة بخصوبة تربتها، ويستخدمها المزارعون سماداً للأرض الزراعية وهذا ما أدى إلى تعرضها للعبث والانجراف، حيث تم نقل معظم تربة هذا الموقع والذي تقدر مساحته بنحو كيلو متر مربع، والنقش المنقول من هذا الموقع ليس مكتملاً وهو عبارة عن حجر أبعاده (١٠ سم × ١٠ سم) مهشم من جميع جوانبه، وكتب عليه بطريقة الحفر على الحجر – أي حفر الكلمات بالشكل الغائر – ويبدو شكل الخط على درجة عالية من الإتقان وتنسيق الحروف والخطوط وهو مكون من سطرين غير مكتملين :

السطر الأول : ...م – ب ن – خ ص رف – ر.

السطر الثاني : ... - ب ن – ذ ك ر ب –

ويبدو أن السطر الأول يحمل اسمين الاسم الأول لم يبق منه سوى حرف واحد هو الميم ثم كلمة (بن) ثم اسم الأب (خصرف) ثم حرف الراء الذي هو ربما ما بقي من الاسم الثالث.

أما السطر الثاني فكذلك لم يتبق منه سوى اسم واحد ويتجلى لنا بوضوح لفظة (ذي كرب) ويذهب الدكتور التميمي إلى الاعتقاد بان صاحب النقش ربما يكون سبئياً أو حميرياً لان لفظة (ذي كرب) تستخدم في أسماء الأعلام السبئيين والحميريين مثل كرب أيل وتر ومعد كرب وغيرها وهذا يشير إلى احتمال وجود سبئي أو حميري في حضرموت ما بعد القرن الأول الميلادي[١٢٩].

٣- حصن أهلان :

إذا أعدنا النظر إلى النقش السابق (ارياني ٣٢)الذي تمت دراسته فنجد لفظ عر اهلان، أي (حصن اهلان) وهذا الموقع لا يعرف مكانه حتى الآن، وبإلقاء نظرة على أسماء المدن المذكورة في النقش فسنجدها مرتبة جغرافياً من الغرب إلى الشرق، فبعد سيؤون تأتي مريمة، وهي معروفة ثم تأتي حدب وهذه لا يعرف موضعها، ثم يأتي عر اهلان وهو أيضا لا يعرف موضعه، ثم تأتي مدينة تريم وهي أشهر من نار على علم، وعلى هذا فموضع حدب وعر أهلان بين مدينتي سيؤون و تريم، ويمكننا أن نحدد موضع عر اهلان، فإلى الجنوب من مدينة تريم تقع منطقة باجلحبان، وهي واقعة تحت سفح جبل يسمى (جبل كحلان)، والواقع به حصن مطهر، حيث تلتقي عنده مياه واديي عدم وسر ،وبهذا يمكن أن يكون في هذا الجبل موضع عر أهلان.بينما يرى الدكتور بافقيه بأن عر أهلان ربما هو حصن الرناد بتريم، ولكنه لم يدلل على هذا [١٣٠]. ويرى الباحث بان حصن اهلان يقع في المنطقة المذكورة وحيث أنه (عر) أي حصنا او قلعة في جبل وليس مدينة أو قرية كالمدن التي ذكرت في النقش[١٣١].

٤- السويري :

إحدى ضواحي مدينة تريم تقع إلى الجنوب الشرقي منها وهي منطقة أثرية كما تدل على ذلك اللقى الأثرية التي تم العثور عليها فقد تم العثور في منتصف القرن الماضي على أثار مباني قديمة ولبن منوع الأشكال من الرخام وأيضا في منطقة الريضة الملاصقة لها اكتشفت مقبرة نبشها السيل و بها بعض الأموات ومنهم من وجد كاملا بوفرته وجسده وأثوابه كالهيكل الصلب[١٣٢] منطقة السويري ولدينا اليوم أثر جديد فقد عثر فيها على لقىً اثريا عبارة عن مذبح صغير أبعاده (٤٠ سم × ٢٠ سم) تقريبا مكتوب على أحد جوانبه عبارة بخط المسند هي: (ذ ت – ب ي ل م) أي (ذات بيلم) ويرى الدكتور التميمي – مكتشف اللقى – إن هذه اللفظة تشير إلى إلهة الشمس لأنها معبودة مؤنثة في جنوب الجزيرة العربية وغالبا ما تسبق اسمها أو صفتها لفظة (ذات) في النقوش العربية الجنوبية مثل: (ذات حميم) و(ذات صنتم) و(ذات بران) و(ذات انواط) وغيرها وهذا الاسم ليس موجودا في آثار جنوب الجزيرة العربية

قديما حتى الآن الأمر الذي يدل على أنه صفة لإلهة الشمس عند سكان حضرموت القدماء ومن المحتمل أن يكون هذا الموقع معبداً لإلهة الشمس يسمى بـ(ذات بيلم) كون المذبح عثر فيه[١٣٣].

٥- وادي الذهب :

يقع وادي الذهب إلى الغرب من مدينة تريم وتحديداً غرب وادي ثبي ، وتوجد في وادي الذهب الكثير من المواقع الهامة التي تعود إلى فترات تاريخية مختلفة يعود أقدمها إلى العصور الحجرية ، ولعل من أهم أثار هذا الوادي هو كثرة انتشار المقابر البرجية ذات الذيول على الهضاب والمرتفعات الجبلية له ، والتي ربما يعود تاريخها إلى الألف السادس ق.م ، إضافة إلى كثرة السدود وقنوات الري القديمة ، وهناك عدة مواقع وجد بها بعض المخربشات والرسوم الصخرية والكتابات المسندية منها :

١- موقع الجعيبورة:

على الضفة الشمالية لوادي الذهب يقع موقع الجعيبورة وهو فرع من روافد وادي الذهب وجدت به كتابات بالخط المسند بلون احمر على صخرة كبيرة وبسبب تقادم الزمن اختفت بعض الحروف وضاع بعضها لكونها ألوانا معرضة للطمس وما تبقى منها يمكن استخلاصه كالآتي :

السطر الأول من اليسار إلى اليمين (ل أ ع ي أ ص ز ز ع / غ/ ن ي .....

السطر الثاني من اليمين إلى اليسار (... م ج ب ل .....

السطر الثالث من اليسار إلى اليمين (.... ع ط س و ن ب ح ل .....

السطر الرابع من اليمين إلى اليسار (.....ش – الشين الثانية في المسند – ر.....[١٣٤].

٢- موقع القطار (A) :

أما على الضفة الجنوبية لوادي الذهب فيقع موقع القطار وبه توجد صخرة كبيرة عليها كتابات بالمسند كتبت بعضها بأسلوب النقر بالة حادة جدا والبعض الأخر منها بطريقة متقطعة كالتنقيط إلا إن شكل الخط يبدو جميلا وحسنا وواضح رغم دقته وصغر حجم حروفه وتنتشر على وجه الصخرة اسطر من الحروف والكثير من الكلمات الناقصة[١٣٥].

٣- موقع القطار (B) :

إلى الجنوب الغربي من موقع القطار (A) يقع موقع القطار (B) وفيه توجد صخور كبيرة عليها رسوم كثيرة باللون الأحمر واللون الأصفر الذي يظهر لأول مرة وهذه الرسوم هي للوعول غالباً في مشاهد مختلفة للصيد والإنسان ففي احد المشاهد يظهر الإنسان وهو يحمل السلاح بيد واحدة أثناء عمليات الاصطياد وأثناء ركوبه الحيوانات كوسيلة للمواصلات وفي مشهد آخر مصوراً المصارعة بين رجلين والمصارعة بين الوعول ومنظر الأم الحامل إلى جانب مشاهد أخرى للأشجار ذات السعف كالنخيل إضافة إلى أشكال هندسية كالدوائر والمربعات المقسمة إلى أربعة أقسام ، أما عن الكتابات المسندية في هذا الموقع فقد تم تنفيذها بأسلوب النقر المغاير لأسلوب الرسوم في هذا الموقع مثل (ش م س ن) و (ر ذ أ) (ن و ت) إضافة إلى المونجرام.[١٣٦] وبمناسبة الحديث عن رسم الوعول فقد صور الفنان اليمني الوعل في أوضاع مختلفة، فقد صوره وهو قائم ورأسه منحني إلى الخلف كأنه ينظر إلى منظر غير مألوف، وصور الوعل أيضاً وهو واقفٌ على رجل واحدة كأنه في حالة استعداد للانطلاق، وأحياناً بصورة راقد وغير ذلك من الأوضاع والوعول جاء ذكرها في النقوش، وتنتشر في مناطق كثيرة في اليمن ، وقد كان لها أهمية خاصة في مجال الصيد المقدس ، فقد ذكرت النقوش الأعداد الهائلة من الوعول التي تم اصطيادها ، تلك الأعداد تعكس دون أدنى شك حالة الخصب التي كان يشهدها اليمن قديماً، وحتى الآن مازلنا نرى قرون أوعال على بعض المنازل كنوع من التعويذ والحماية[١٣٧].

وقد نال هذا الحيوان نصيباً أوفر في النحت والرسومات على واجهات المعابد والقصور وعلى اللوحات، ولازال الناس إلى يومنا هذا متعلقين بهذا الحيوان فيزينون برأسه ذي القرنين واجهات منازلهم وأركان بيوتهم، فجعلوا منه رمزاً للإله عثتر ويتقربون إليه بقرابين صيدهم من الوعول ويطلقون عليه صيد عثتر. ولهذا فقد أخذ هذا الحيوان نصيباً كبيراً من أعمال فن النحت في اليمن قديماً، إما كنحت منفصل (تماثيل) أو كوحدة زخرفيه تزين جدران المعابد أو على اللوحات النذرية أو كإفريز على المداخل الخاصة بالمنازل والمعابد، كما كانت تزين

شواهد القبور أو كإفريز يحيط بالنقوش على الأحجار وكان يصور في كثير من الأحيان وهو رابض في مجموعات أو وحدات ولا زالت منذ القدم عادة صيد الوعل موجودة في الأودية والشعاب المحيطة بمدينة تريم في مناطق قسم عينات و دمون ووادي الذهب يعتبر من أهم تلك الأودية التي يرتادها القناصة حتى يومنا هذا[١٣٨].

٤- موقع شب الكبير:

أما على الضفة اليمنى لوادي الذهب فيقع شعب شب الكبير، أحد الشعاب الرافدة الصغيرة لوادي الذهب، وبه توجد صخرة في الجانب الغربي بها رسوم صخرية تم عملها بأسلوب الرسم باللون الأحمر، وموضوع هذه الرسومات عبارة عن مجموعة من الدوائر التي يصل قطرها حوالي ١٢ سم يتوسط بعضها مركز بلون احمر أو اصفر أحياناً، وهذه الدوائر في ثلاثة أعمدة في العمود الأول ثلاث دوائر، والعمود الثاني بجواره به أربع دوائر، ثم العمود الثالث وبه دائرتان، تتصل بعض هذه الدوائر بعضها ببعض بخطوط وتتقاطع بعض الخطوط ولم يتوصل علماء الآثار بعد إلى معنى ما ترمز إليه هذه الدوائر[١٣٩].

٥- حصن فلوقة :

إحدى ضواحي مدينة تريم على بعد ٥ كلم إلى الجنوب الشرقي منها وهي قرية واقعة في سفح الجبل المسمى باعشميل ويقع الموقع الأثري الذي عثر فيه على النقوش بجوار القرية في موقع يسمى (شحرة باجمال) وهو عبارة عن منعطف جبلي يتحول إلى شلالات ماء عند هطول الأمطار وتم العثور على النقش اثر عملية نقل للتربة لاستخدامها في وضع حزام ترابي للمنطقة لحمايتها من السيول كما تم العثور في الموقع على صدفة بحرية كبيرة ومجوفة مغروسة في احد الجدران وربما تساعد في تحديد تاريخ الموقع كما يلاحظ طبقات من الرماد مخلوطة بالتربة وهو أمر يوحي باحتمال حدوث حريق في ذات الموقع [١٤٠].

١-النقش التميمي حصن فلوقة ١:

السطر الأول : (ت – ب ذ ث ت ف – ع ذ ب – س ي ن) وهو غير مكتمل.

السطر الثاني (م ع س ر – ب ن – ذ ر ه ن – ب ن)

محتوى النقش:

اسم شخص يدعي (معسر بن ذرهان) قام بإصلاح بيت الإله (سين) والنقش غير مكتمل وربما ان الموقع معبد للإله سين إله القمر وهو إله حضرموت الأكبر حيث عثر على معابد لهذا الإله في مناطق مختلفة من حضرموت ، ويبدو أن النقش عائد لفترة ما قبل الميلاد من شكل الخط حيث لا نلمس تلك الخطوط المستقيمة التي نلاحظها في النقوش التي تعود لفترة ما بعد الميلاد .

ويرجح الدكتور التميمي – مكتشف الموقع – كون الموقع محطة للقوافل التجارية حيث يشاهد بقايا طريق يصعد إلى سفح الجبل (الجول) ويسميه الأهالي بـ(طريق القطار) أي طريق القوافل البرية فتبدو الجمال في سيرها بشكل متقاطر كالقطار إضافة إلى وجود ما يشبه الاستراحة في وسط الجبل الذي يحتضن هذا الطريق ويحتمل كونه احد طرق اللبان القديمة في وادي حضرموت[١٤١].

٢- النقش التميمي حصن فلوقه ٢ :

كما تم العثور في نفس الموقع على جزء من مذبح صغير الحجم مكتوب على إحدى واجهاته (م ذ ي ر) ويحتمل قراءتها (مذيور) أو (مذيار) ربما كان اسما للمعبد أو اسما لشخص أهدى المذبح للإله سين في ذلك المعبد[١٤٢].

٨- حصن الرناد :

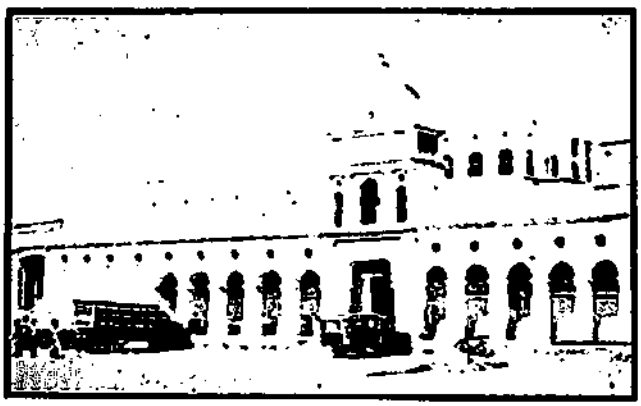
(الرناد) حصن من أعظم الحصون القديمة في حضرموت ، يقع في قلب مدينة تريم، بُنيَ في زمن ما قبل الإسلام، ويبدو للناظر من موقعه وهيئته أنه أقيم كحصن دفاعي وقصر للحكم، فقد اتخذه ملوك الجاهلية مقرا لهم، والولاة في عصر الإسلام مثل الصحابي الجليل زياد بن لبيد البياضي الأنصاري عامل الرسول والخليفة من بعده على حضرموت وكذا الدويلات المتعاقبة التي حكمت تريم .

من أسمائه أيضا المشرفي فقد جاء في حوادث سنة ٥٨١هـ في عهد السلطان عبدالله بن راشد أنه "خرب جامع تريم و المشرفي"[١٤٣]. وكذا من أسمائه المصنعة كما وردت أخباره في كتب التاريخ هناك عدد من القرى الصغيرة والكبيرة والحصون والجبال في اليمن تعرف أسماؤها حتى اليوم باسم (مصنعة) أو مصينعة أو المصانع ومنها مصنعة أفيق ومصنعة مارية بالقرب من ذمار ومصنعة باصرة بدوعن ومصنعة عنس وغيرها ، ومن يشاهد الأماكن التي تسمى في اليمن (مصنعة) مصانع يجد أنها تتميز بالارتفاع والتحصين ؛ مما يؤكد أن التسمية تعكس الطبيعة التضاريسية للأماكن المذكورة ، وقد وصف "الهمداني" في مؤلفه الموسوعي " الإكليل ج ٨ " المصنعة : بأنها الحصن المسور أو القلعة المحصنة) ، وقد أصبحت المواقع المذكورة في اليمن تعرف باسم مصنعة ومصانع ، ومصطلح مصنعة لغة مشتقة من الجذر (صنع) ، ويعني في لغة النقوش اليمنية القديمة حصن والمصنعة تعني الحصن والمدينة المحصنة ، وهذا المعنى حقًا يعكس طبيعة مدينة صنعاء التضاريسية لوقوعها على ارتفاع شاهق عن مستوى سطح البحر ، وبالتالي لكونها مسورة ، فالفعل (صنع) ومشتقاته بالمعنى المشار إليه خاص بلغة أهل اليمن ، وقد دخل إلى تراث اللغة العربية الفصحى من اليمن[١٤٤].

ومن الإشارات التي دلت على تسمية الرناد بالمصنعة منها ما جاء أنه في سنة ٦١٦هـ بعد مقتل السلطان عبدالله بن راشد إن ابن مهدي جاء إلى تريم وحصر المصنعة إلى أن توددت إليه واستولى على حضرموت جميعا بعدها في أول ٦١٧هـ [١٤٥] وأيضا ما جاء في حوادث سنة ٦٢٢هـ بأنه سقط جانب مصنعة تريم الأيسر من بناء عبدالله بن راشد فبناه مسعود (بن يماني) وأخرج فيه باباً[١٤٦].

ويذهب البعض إلى أن أهم الترميمات والتوسعات فيه تلك التي جرت في عهد السلطان عبد الله بن راشد بن شجعنة بن فهد بن أحمد بن قحطان، حيث يذكر الشاطري في أدواره أن السلطان عبد الله تولى السلطنة في ٥٩٣هـ بعد وفاة أخيه شجعنة بن راشد، إلا أن ترميم وإعادة القصر على يد عبد الله بن راشد كان في عام ٦٠٠هـ[١٤٧].

ومنذ بنائه في الزمن الغابر كان المقصد الأول لكل من سيطر على تريم وبطبيعة الحال فإنه كان هدفا للترميمات و التجديدات و الإضافات، مما يعني تغيير كثير من معالمه.. ولأهميته العسكرية والسياسية تنازعت عليه كل القوى التي تصارعت على السلطة على مستوى



الساحة الحضرمية فمن يسيطر على الرناد يسيطر على تريم، وهي أهم مدن الوادي بلا جدال، فقد رأينا سلطات العشائر اليافعية التي سيطرت على أهم مدن الدولة الكثيرية الأولى إثر تفككها وانحسارها، قد اقتسمت حكم تريم بين آل غرامة وآل بن عبد القادر وآل همام، والأخير سمي بصاحب الرناد لأنه وقع تحت إدارته، إلا أن الدولة الكثيرية الثانية (١٢٧٢هـ) استعادت سيئون و تريم، واعتبرت تريم أهم مدنها ومن تريم بدأت تستعيد ملكها الضائع ، وأول ما فعلته بتريم هو السيطرة على حصن الرناد ومنطقة الخليف فقط سنة ١٢٦٢هـ ثم توالت بقية المدينة وبقية مدن الوادي[١٤٨] بعدها أضحى مقرا لممثل السلطان الكثيري - نائب السلطان بتريم أو حاكم تريم- وأضحى القصر تحت السلطنة الكثيرية حتى أكتوبر ١٩٦٧م.

وفي ثلاثينيات القرن العشرين تعرض الرناد للتشييد مرة أخرى وبنمط معماري جديد، ويذكر المؤرخ الشاطري (حصن الرناد بتريم الذي بني على أنقاضه قصر سلطاني وفيه إدارة نائب لواء تريم)[١٤٩] .. وفي عام ١٩٣١م – ١٣٥٠هـ أمر حاكم تريم محمد بن محسن الكثيري بهدم جزء من القصر وإعادة بنائه من جديد وبالصورة التي نعرفها إلى اليوم، وتعرف هذه بعمارة الخضيب نسبة إلى المهندس علوي بن ابوبكر الكاف الملقب بالخضيب، وقد كُتِب على البوابة تاريخ الانتهاء من صنعها في ١٣٥٤هـ.

وبنفس المنوال بقي حصن الرناد أو القصر معقلا للدولة الكثيرية الأولى فالثانية وبينهما سلطة القبائل اليافعية (آل همام)[١٥٠] ، ثم أضحى منذ ١٩٦٧م تحت سيطرة الجبهة القومية ، ثم مقرا للسلطة الإدارية بعد الوحدة بوصف المدينة عاصمة إدارية (مركزا)، واستوعب عدة مرافق حكومية وأمنية.وبهذا التسلسل والتعاقب بدأ الإهمال يبدو على القصر في الوقت الذي كان يضم المجلس المحلي لمديرية تريم وإدارات أخرى.. وقبل سنوات بدأ جديا العمل للحفاظ عليه بعد أن هجرته مرافق الدولة لوضعيته السيئة، وفي ٢٠٠٦م بدأ التفكير بإعادته وترميمه ليصبح بعد الانتهاء منه مركزاً ثقافياً ومتحفاً للمدينة، وأقدم المجلس المحلي لمحافظة حضرموت والمجلس المحلي لتريم بخطوات منذ ٢٠٠٥ حتى ٢٠٠٦م وأقر رسميا ترميم القصر

بكلفة تزيد على ١٩٠ مليون ريال يمني على نفقة الحكومة ومحلي حضرموت وبإشراف هيئة المدن التاريخية، وقد بدأ فعليا العمل فيه منذ نهاية ٢٠٠٦م وأوائل ٢٠٠٧م،[١٥١] ومازال العمل جارياً فيه.. المأمول في الأعمال الحالية أن تظهر شيئا مما هو تحت أنقاض قصر اليوم، مثلما أظهرت الأعمال في ثلاثينيات القرن الماضي تمثال رخامي أبيض به صورة ملاك له أجنحة بين الأنقاض به كتابات مسندية، وهو متقن الصنعة والصورة ويستدل به القائلون بوجود المسيحية في حضرموت قبل الإسلام، وبقي هذا التمثال موجوداً في قصر الرناد في أحد ردهات القصر في عهد السلطان محمد بن محسن الكثيري[١٥٢].

عن الوصف والشكل الهندسي للرناد والطراز المعماري تصفه د.سلمى سمر الدملوجي المهندسة المعمارية المتخصصة في العمارة الإسلامية والعربية التي بدأت منذ بداية الثمانينيات في دراسة فن العمارة في تريم وعدن وشبام ويافع، وهي أول متخصص يضع الخطوات العملية في كيفية الحفاظ على إلهوية المعمارية في شبام و تريم، وتحليل الإشكاليات وكيفية الحفاظ عليها. الدملوجي وصفت الرناد في زيارتها العملية البحثية في وادي حضرموت في ١٩٨١م بالقول: "(أطلق على الحصن وقصر السلطان الكثيري السابق منذ الثورة اسم قصر الشعب، أما عمارته فشبيهة بطراز بيوت النخبة في تريم وسيئون مع التشديد على الأبهة، نظرا لمكانته وقوامه المهمين كمركز للسلطة السياسية.. المبنى (حصن الرناد) المشيد برمته بطوب الطين والمؤسس من الحجر يغلب عليه التأثر بالطراز الكولونيالي الذي يسود فيه الأداء النيوكلاسيكي الأوروبي، هذا الأداء يبدو أكثر وضوحا على واجهات القصر الخارجية، حيث الأعمدة الدورية الناتئة متجمعة على جدران السور الجانبية كما يبدو في التزيين الزخرفي للمدخل، حيث واجهة الرواق المعمّد، المتوج بقوصرة (مثلث علوي) نهضوية أوروبية، والمتشكل من عدد من الأقواس الرومانسكية نصف الدائرية، مما لم يكن في ما سبق ميزة للعمارة الحضرمية أو الإسلامية.. إن المخطط الداخلي، والنسب وتصميم فضاءات قصر الرناد يجعله واحدا من أجمل القطع المعمارية والتصميمية، وهذا يتضح على أحسن وجه في تتابع الفضاءات الداخلية، وفي الفصل بين الفضاءات العامة والخاصة، وأخيرا في تتالي الفناءات المفتوحة وفي سعة الغرف المغلقة التي ترتبط بواسطة سلالم وممرات متنوعة، وجميعها مطلية بالأبيض ومتشكلة برصانة تعبر عن النوعية للتصميم الحضرمي بناءً وتخطيطاً)[١٥٣].

عموما فإن المساحة الإجمالية للقصر تتكون من عدة مبان وملحقات وغرف وفناءات داخل الحصن وغرف متعددة تحتوي على نقوش وزخارف بديعة التنفيذ. وتقع في واجهة قصر "الرناد" بوابتان كبيرتان تعلوهما نقوش عربية بديعة، كما كتبت على واجهته أبيات شعرية تخليداً لعمليات التجديد والترميم وعام الانتهاء وهو عام ١٣٥٧هـ كما هو مبين على واجهته أعلى البوابة الرئيسية.

٩- شعاب إلهادي :

تقع شعاب إلهادي في منطقة النويدرة إحدى مناطق مدينة تريم الرئيسة في الجانب الشمالي من المدينة وفي منتصف ثلاثينات القرن العشرين زارت العالمة الانجليزية فرايا ستارك مدينة تريم وزارت هذه الشعاب وعثرت على مقبرة بها وآثار حميرية قديمة منها مباخر رخامية قديمة[١٥٤]. كما عثرت ستارك على لوحة سبئية ثبتت في إحدى درجات سلم مسجد الشيخ علي – بوسط المدينة – نقشت عليها أحرف (أ ل م ذ)[١٥٥].

١١- مشطة :

قرية تقع إلى الشرق من مدينة تريم تبعد عنها حوالي ٨ كلم قال عنها الهمداني في الصفة "و مشطة بلدة مقتصدة."[١٥٦] ومشطة جاء ذكرها في النقوش (مشطت) وذلك عندما هاجم الجيش الحميري (الجيش النظامي وجيش الأعراب) مدن حضرموت في القرن الرابع الميلادي وقد عثر أثناء عملية بناء أساسات منارة مسجد القرية الجديدة أجزاء من نقوش إلى جانب آثار لقنوات ري مما يرجح إن المسجد القديم قد بني فوق أنقاض معبد[١٥٧].

١- النقش التميمي مشطة ١ :

وهو جزء من نقش (ص س م – س).

٢- النقش التميمي مشطة ٢ : وهو أيضا بقايا نقش مكون من سطرين :

السطر الأول : (و ب م). السطر الثاني : (خ م ص س م)

وعند مقارنة ألفاظ النقشين نجد إن الثلاثة الأحرف من السطر الثاني في النقش الثاني هي نفسها الأحرف في النقش الأول وعليه يمكن رسم النقش الأول كما يلي (خ م ص س م – س)[١٥٨].

الخاتمة

من خلال العرض التاريخي لمدينة تريم في الحقبة التي سبقت الإسلام وهي الفترة التي مازالت في عالم المجهول، ولم تنل ما تستحقه من البحث والتدوين، يتضح لنا مرور هذه المدينة بمراحل تاريخية مهمة من تاريخ مملكة حضرموت وجنوب شبه الجزيرة العربية ومن خلال التحليل لمجريات تلك الأحداث نرى أهمية المدينة التجارية والزراعية والعسكرية لما تمتلكه من موقع استراتيجي مهم وهو ما أهلها لتتبوأ مكانة عظيمة في جميع أدوارها التاريخية

كما أنه من خلال استعراض بعض المناطق التاريخية الأثرية المحيطة بمدينة تريم الأثرية التي اكتشفت في أطراف وضواحي مدينة تريم، سوى بالكشف العلمي الأثري، أو بمحض الصدفة، ولأن مدينة تريم حتى اللحظة لم تنل حظها ونصيبها من التنقيب والمسح الأثري وهذه المناطق بها أثار تدل على الاستقرار البشري في هذه المنطقة، كالمنشئات المعمارية من بيوت ومعابد وأسواق ومدن وقرى، ومنشئات زراعية كقنوات الري وتصريف المياه وغيرها.

خرج الباحث بجملة من النتائج والتوصيات:

١) إن أوجه الحضارة اليمنية والمراكز الحضارية القديمة وبالذات في حضرموت. مازالت بحاجة إلى شحذ همم الباحثين من المهتمين بالتاريخ والتراث، وكذا المختصين الأكاديميين، في كشف النقاب عنها.

٢) تنقية الحقائق التاريخية عن ما اكتنفها من الغموض حيث خلطت الحقيقة بالأسطورة بسبب كتب الإخباريين العرب التي شابها كثير من النواقص خاصة فيما يخص تاريخ ما قبل الإسلام.

٣) الشروع في التنقيب والمسح الأثري لمواقع ما قبل الإسلام في حضرموت وخاصة المعروف منها والمهددة بالانجراف أو بالعبث .

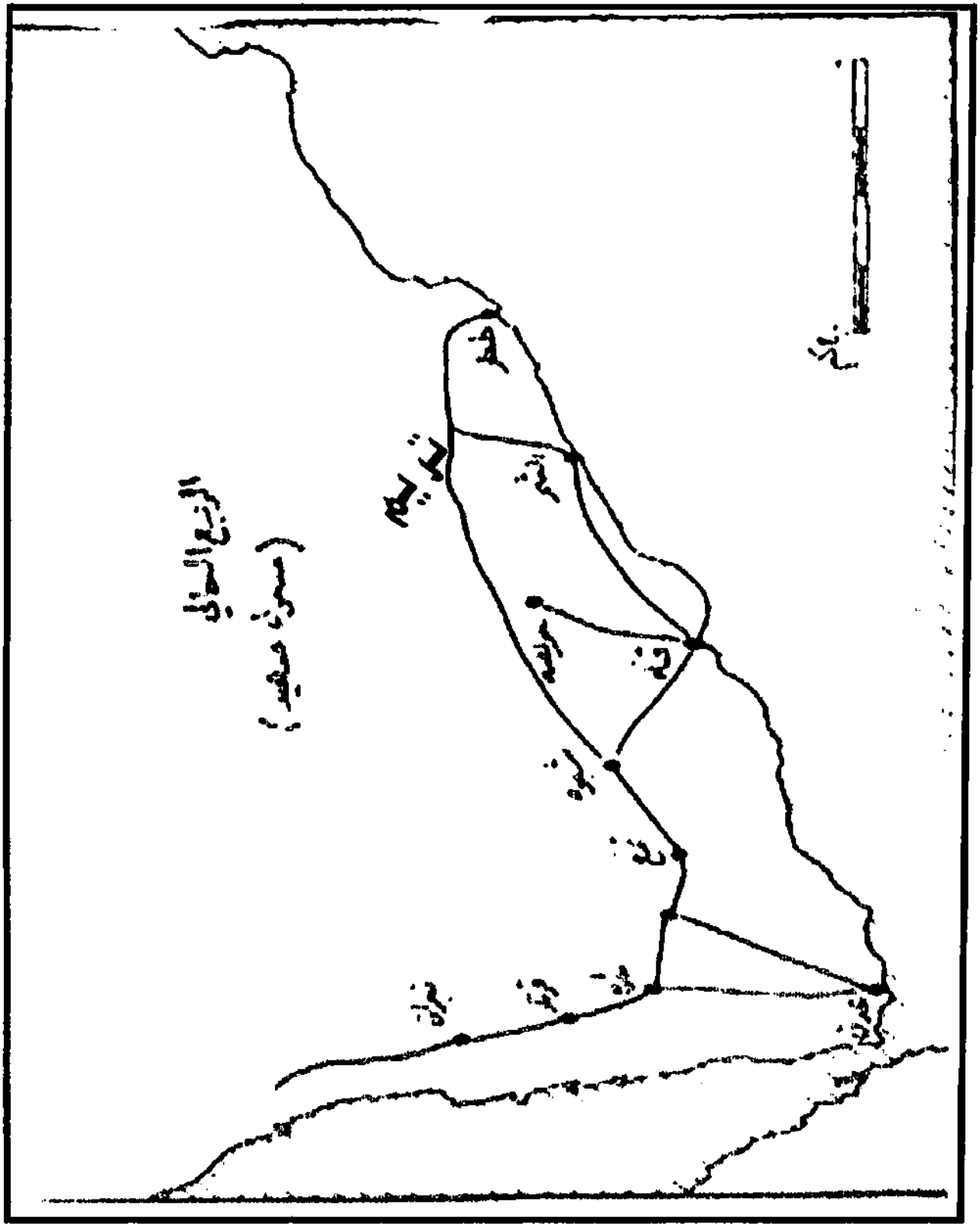
٤) السعي إلى جعل قصر الرناد متحفاً للمدينة يضم في أروقته آثار المنطقة من جميع العصور وقسما للتراث الشعبي ومركزاً ثقافياً يجمع كل الأطر الثقافية وحسبنا أن المبنى نفسه يعد متحفاً حياً.

٥) الشروع في ترميم سور المدينة والحصون القائمة عليه والقلاع المحيطة بالمدينة.

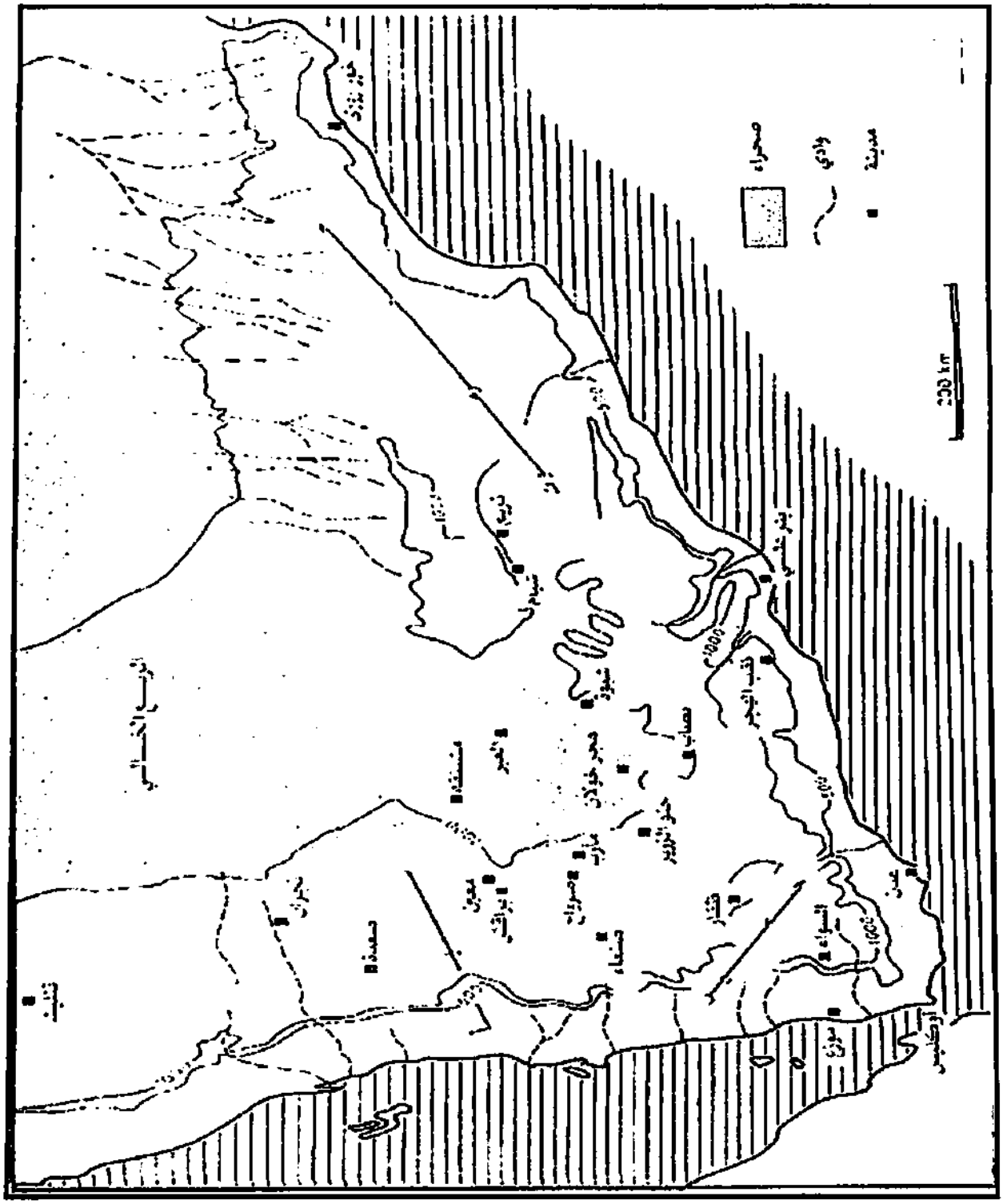
٦) إعلان بعض المناطق محميات أثرية يمنع أخذ الأطيان منها والعبث بترابها كالمناطق المسماة بطين عاد حوالي المدينة.

٧) منع البناء الأسمنتي في المدينة القديمة وتغطية الجدران الإسمنتية القائمة بمادة الطين على الأقل.

٨) التعاون بين الجهات المعنية بحماية الآثار والجمعيات غير الحكومية المعنية بحماية التراث من أجل انتشال الوضع الذي تعيشه المدينة التاريخية .



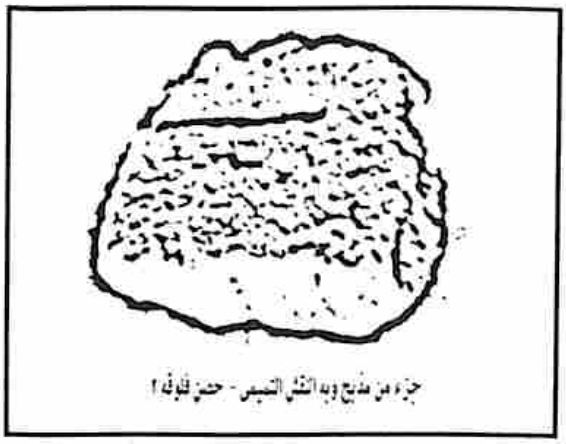
خارطة(٣)الطرق البرية التجارية في حضرموت عن باوزير: موانئ ساحل حضرموت ص١٩٨



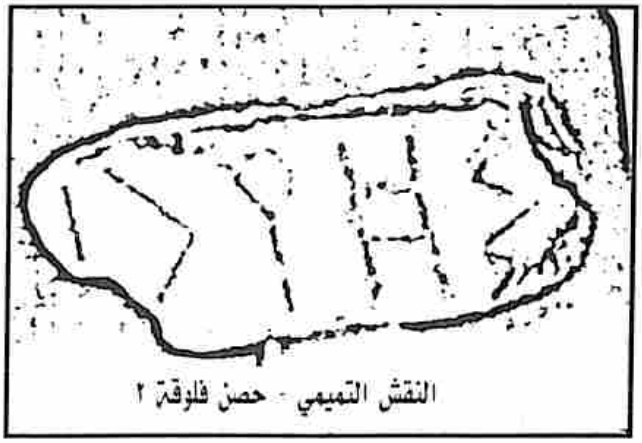
موقع تريم ضمن مدن حضرموت واليمن القديمة — عن بافقية : توحيد اليمن ، مصدر سابق ص ١٥٩



النقش التميمي - باعلال ١



جزء من مذبح وبه النقش التميمي - حصن فلوقة ١



النقش التميمي - حصن فلوقة ٢



النقش التميمي - مشطة ٢



مذبحان على صدر القطار بباحة الدهب



من مذبحين بصدر القطار بباحة الدهب

الهوامش :

(١) النبهاني : سلطان ، الدراسة القانونية والتأثير البيئي لمشروع مجاري مديريات تريم – سيؤون ، سبتمبر ٢٠٠٧م،(كتاب إلكتروني)، ص ١٩.

(٢) زيادة : نقولا ، دليل البحر الإثيري وتجارة الجزيرة العربية البحرية ، ضمن كتاب الجزيرة العربية قبل الإسلام ، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٤م، ص ٢٦٦.

(٣) باحاج: عبدالله سعيد ، "هجرة الحضارمة قبل الإسلام" محاضرة في قاعة اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين بالمكلا الأربعاء ٢٥/٧/٢٠٠٧م.

(٤) بامطرف: محمد عبد القادر، الشهداء السبعة ،بغداد، ١٩٧٤م، ص ١٠.

(٥) البكري : صلاح عبد القادر، تاريخ حضرموت السياسي ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ،ط١ ، ٢٠٠١م، ج ١ ، ص٢٧.

(٦) اليمني :عمارة بن علي، المفيد في أخبار صنعاء و زبيد، تحقيق محمد بن علي الاكوع ، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، ط٣، ١٩٨٥م، ص ٥٣.

(٧) علي : جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،دار العلم للملايين، بيروت – مكتبة النهضة ، بغداد،١٩٧٧م، ط٢، ج٢، ص ١٣٠.

(٨) بامطرف : محمد ، الشهداء ، مصدر سابق، ص ١٠- ١٤.

(٩) السقاف : عبد الرحمن بن عبيد اللاه، ادام القوت بذكر بلدان حضرموت ، تحقيق : إبراهيم المقحفي ، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١ ، ٢٠٠٢م، ص١٦- ١٧.

(١٠) الارياني : مطهر علي ، نقوش مسندية وتعليقات، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء،ط٢، ١٩٩٠م، ص١٩٦- ٢٠٥.

(١١) العمري الموسوعة اليمنية ط ١ ص ٢٣٦ .

(١٢) الارياني : مطهر ، نقوش ..، مصدر سابق ، ص ١٩٣ .

(١٣) بيستون، أ.ف .ل / ريكما نز، جاك/ الغول، محمود/ مولر، والتر: المعجم السبئي ، دار نشريات بيترز لوفان الجديدة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢م ،ط١ ، ص ١٢٠.

(١٤) تعليقات الدكتور عبد العزيز بن عقيل في كتاب تاريخ حضرموت السياسي لـ سرجيس فرانتسوزوف ص١٩.

(١٥) الهمداني : الحسن بن احمد، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد علي الاكوع ، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ١٩٩٠م ، ص ١٧٠.

(١٦) الهمداني : صفة جزيرة ... مصدر سابق ، ص ٢٩٣.

(١٧) الهمداني : صفة جزيرة ... مصدر سابق . ص ٣٤٦.

(١٨) الحميري : نشوان بن سعيد ، منتخبات في أخبار اليمن ، دار الفكر ، دمشق ، ط٢ ، ١٩٨١م ، ص ١٤ .

(١٩) بلفقية : عبد الله بن حسن . صفحات مجهولة من تاريخ حضرموت ، تحقيق مصطفى العطاس ، تريم للدراسات والنشر ، تريم ، ط١ ، ٢٠٠٥م ، ص ٣٩- ٤٠ .

(٢٠) الحموي : ياقوت بن عبدالله ، معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م ، مج ١ ، ص ٤٤٢.

(٢١) السقاف : ادام القوت ، مصدر سابق ، ص٤٩٠.

(٢٢) بلفقيه : حداد ابوبكر ، تريم اسم في ذاكرة الزمن ، مجلة الفيصل ، دار الفيصل الثقافية ، الرياض ، العدد ٣٠٠ ، أغسطس – سبتمبر ٢٠٠١م ، ص ٥١ – ٥٣ .

(٢٣) المشهور : علي بن عبد الرحمن ، شرح الصدور بذكر بعض أحوال وسير وإجازات عبد الرحمن بن محمد المشهور ، مخطوط بمكتبة خرد ، ص٢٣٤- ٢٤٠ .

(٢٤) غاجدا : ايفونا ، جنوب الجزيرة العربية موحداً تحت راية حمير ، ضمن كتاب (اليمن في بلاد ملكة سبا) ، ترجمة بد الدين عردوكي ، باريس – دمشق ، ١٩٩٩م ، ص ١٨٨.

(٢٥) أبو الغيث : عبد الله ، العلاقات السياسية بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها – ق ٣- ٦ م- وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، ص ١٢- ١٣.

(٢٦) عبدالله : يوسف محمد ، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره ، دار الفكر ، دمشق – بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٠م ، ص ٢٥٦.

(٢٧) عبدالله : أوراق ، مصدر سابق ، ص ٢٤٣.

(٢٨) بافقيه : محمد عبد القادر ، توحيد اليمن القديم – الصراع بين سبأ وحمير وحضرموت (القرن ١م - ٣م)- ترجمة : علي محمد زيد ، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية ، صنعاء ، ط١ ، ٢٠٠٧م ، ص١٦٢- ١٦٤.

(٢٩) السروري : عبد الجليل ، لمحات من فن العمارة والبناء في اليمن القديم ، مجلة الإكليل ، العدد(٢٦) ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، صيف ٢٠٠٢م ، ص ٨٦.

(٣٠) عبد الله : أوراق ، مصدر سابق ، ص ٣٣١

(٣١) عبد الله : أوراق ، مصدر سابق ، ص ٣٣٢ - ٣٣٧

(٣٢) النبهاني : الدراسة القانونية ، مصدر سابق ، ص ١٦.

(٣٣) بريتون : جان فرانسوا وآخرون ، تنقيبات وادي حضرموت ، المركز اليمني للأبحاث الثقافية ، عدن ، ط١ ، ١٩٧٩م ، ص ١٩.

(٣٤) مقابلة شخصية للباحث مع الدكتور عبد العزيز جعفر بن عقيل مدير فرع الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات (المكلا) وحوار صحفي اجري معه في مجلة (شعاع الأمل) العدد ٦٦ ، يناير ٢٠٠٧م ، ص ١٢ – ١٧ .

(٣٥) الرباكي : احمد صالح ، حصن العر في النقوش والمدونات التاريخية ، بحث قيد النشر . ٢٠٠٨م ، ص ٣٧.

(٣٦) النبهاني : الدراسة القانونية ،مصدر سابق، ص ١٦.

(٣٧) الحمد: جواد مطر، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم ، دار الثقافة العربية . الشارقة ،جامعة عدن، ط١ ، ٢٠٠٢م. ص ٣٢٧ .

(٣٨) بيستون وآخرون : المعجم السبئي، مصدر سابق ، ص ٢٧ .

(٣٩) العمري :هادي صالح، طريق البخور القديم من نجران إلى البتراء وآثار اليمن الاقتصادية عليه ، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء،ط١ ، ٢٠٠٤م ، ص١٨- ٢٤.

(٤٠) عبد الله : أوراق ، مصدر سابق ، ص ٣١٥.

(٤١) بافقيه : محمد عبد القادر، تاريخ اليمن القديم ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،ط١ ، ١٩٨٥م ، ص ٢٤.

(٤٢) العمري : طريق البخور، مصدر سابق ، ص٣٥- ٣٨.

(٤٣) الاشبط : علي عبد الرحمن ، الأعراب في تاريخ اليمن القديم، (ق١ ق.م – ق٦ م) ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء، ط١ ، ٢٠٠٤م ،ص٥٣ – و العمري : طريق البخور، مصدر سابق ، ص٣٧.

(٤٤) باوزير: خالد سالم، مواني ساحل حضرموت، دار المعرفة، المكلا، ط١ ، ١٩٩٦م، ص ٩٢ .

(٤٥) عبد الله : أوراق ، مصدر سابق ، ص٢٢٠.

(٤٦) باسلامة : محمد عبد الله، الحضارة اليمنية القديمة والمنقولات الأثرية للخارج ، مجلة الإكليل ،وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء العدد ٢٨ ، ٢٠٠٤م، ص٥٨.

(٤٧) باحاج : هجرة الحضارمة ، مصدر سابق .

(٤٨) فوكت : بوركهارد ، نهاية ما قبل التاريخ في حضرموت ، ضمن كتاب (اليمن في بلاد ملكة سبأ)، ترجمة: بدرالدين عردوكي، باريس – دمشق ١٩٩٩م ، ص ٣٠ .

(٤٩) ماكوريستون : جوي ، المستوطنات المبكرة في حضرموت تقرير أولي عن مستوطن من عصر ما قبل التاريخ في شعب منيدر، ترجمة الخالصي: ياسين، ضمن (دراسات في الآثار اليمنية) - من نتائج بعثات أمريكية وكندية- الكتاب الرابع، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية(AIYS) ، صنعاء، ط١ ، ٢٠٠١م ،ص١٨٧.

(٥٠) ماكوريستون : المستوطنات المبكرة، مصدر سابق ، ص١٨٨

(٥١) العيدروس: حسين ابوبكر، إطلالة على متحف سيؤن للآثار وادي حضرموت، مجلة تراث، نادي تراث الإمارات، أبو ظبي ، العدد٢٧، فبراير ٢٠٠١م ، ص٦٤- ٦٦.

(٥٢) العيدروس: حسين أبوبكر ،مسجد المحضار، تريم للدراسات والنشر، تريم، ط١ ،٢٠٠٧م ،ص ٦٤ .

(٥٣) عبد الله : أوراق، مصدر سابق ، ص ٣١٨ – ٣٢٠ .

(٥٤) عبد الله : أوراق، مصدر سابق ، ص ٣٣٠ – ٣٣١ .

(٥٥) الرباكي : احمد صالح ، حصن العر، مصدر سابق، ٤٠ - ٤٦ .

(٥٦) عربش : منير. معطيات جديدة حول تاريخ مملكة حضرموت القديمة (ق ٧ق.م- ق٣م) حوليات يمنية، ٢٠٠٣م، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية . صنعاء، ص١١- ١٢.

(٥٧) بافقيه : توحيد اليمن ، مصدر سابق، ص٢٣٧.

(٥٨) بافقيه : توحيد اليمن ، مصدر سابق، ص ٢٣٨.

(٥٩) علي : جواد . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملايين، بيروت – مكتبة النهضة ، بغداد، ١٩٧٧م، ط ٢ . ج٢ . ص ٤٥٤.

(٦٠) التميمي :عبد الله كرامه، معطيات حول اليمن القديم في ضوء النقائش الحميرية (القرن١ق .م- ٦م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة . جامعة تونس الأولى، تونس،٢٠٠٣م ،ج١، ص١٥٥- ١٥٧ وعلي : جواد، المفصل، مصدر سابق، جـ٢، ص٤٥٤.

(٦١) ردمان: إقليم قتباني يقع اليوم إلى الشرق من رداع بمحافظة البيضاء يسمى جبل المعسال وعاصمته "وعلان" السوادية اليوم بين رداع والبيضاء .

(٦٢) بافقيه : توحيد اليمن ،مصدر سابق، ص ٢٥٦.

(٦٣) بافقيه : توحيد اليمن ،مصدر سابق، ص ٢٥٦.

(٦٤) عقيل :عزة علي + بريتون :جان فرانسوا،شبوة عاصمة حضرموت القديمة – نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية – المركز الفرنسي للدراسات اليمنية ،صنعاء ،ط١، ١٩٩٦م ،ص٣١.

(٦٥) بافقيه : محمد عبد القادر، عودة إلى نقوش العقلة، مجلة دراسات يمنية،العدد ٢٢، أكتوبر- ديسمبر ١٩٨٥م، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ص ١٠٩+ عربش: معطيات جديدة،مصدر سابق،ص ١٣.

(٦٦) بافقيه : توحيد اليمن ،مصدر سابق، ص ٢٥٦.

(٦٧) بافقيه : توحيد اليمن ،مصدر سابق، ص ٢٦٠.

(٦٨) بافقيه : توحيد اليمن ،مصدر سابق، ص ٢٦٠.

(٦٩) بافقيه : عودة إلى نقوش العقلة ، مصدر سابق، ص ١١١.

(٧٠) النقش ٤٩٠٩ RES و٩٣١ Ja و التميمي: معطيات، مصدر سابق،جـ١، ص ٢١٠.

(٧١) عقيل + بريتون ، شبوة عاصمة حضرموت القديمة ،مصدر سابق. ص ١٧٣.

(٧٢) بافقيه : توحيد اليمن ، مصدر سابق، ص ٢٦٠.

(٧٣) بافقية : عودة إلى نقوش العقلة ، مصدر سابق، ص ١١٢.

(٧٤) بافقيه : تاريخ اليمن، مصدر سابق ، ص١٠٥

(٧٥) الارياني : نقوش مسندية ،مصدر سابق، ص ١٠٩- ١٢٢ .

(٧٦) ابو الغيث: العلاقات السياسية، مصدر سابق، ص ٥٦+٥٧ .

(٧٧) بافقيه : محمد عبد القادر وآخرون ، مختارات من النقوش اليمنية القديمة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،تونس، ١٩٨٥م. ص٥١.

(٧٨) الارياني : نقوش مسندية ، مصدر سابق، ص ١٠٩- ١٢٢ +. بافقيه : تاريخ اليمن . مصدر سابق ، ص١٠٦

(٧٩) عقيل + بريتون ،شبوة عاصمة حضرموت القديمة ، مصدر سابق. ص ١٧١

(٨٠) الارياني : نقوش مسندية ،مصدر سابق،ص ١١٦ + بافقيه : تاريخ اليمن ،مصدر سابق ، ص ١٠٦.

(٨١) عقيل + بريتون ،شبوة عاصمة حضرموت القديمة ،مصدر سابق، ص ١٠٠.

(٨٢) عقيل + بريتون ،شبوة عاصمة حضرموت القديمة ،مصدر سابق، ص ١٠٢.

(٨٣) بافقيه : تاريخ اليمن،مصدر سابق ، ص ١٠٧.

(٨٤) الجرو: أسمهان سعيد، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب الجزيرة العربية، دار جامعة عدن، عدن، ط١ ،٢٠٠٢م ، ص ٢٠٢ + عقيل + بريتون ، شبوة ،مصدر سابق، ص ٣١+ بافقيه : تاريخ اليمن ،مصدر سابق ، ص١٠٧

(٨٥) عقيل + بريتون ،شبوة عاصمة حضرموت القديمة ،مصدر سابق، ص٣١.

(٨٦) عقيل + بريتون ،شبوة ،مصدر سابق، ص ١٠٠+١٠٢.

(٨٧) بافقية :عودة الى نقوش ..،مصدر سابق، ص ١١٤.

(٨٨) علي : المفصل، مصدر سابق، جـ٢ ، ص ١٥٣

(٨٩) علي : المفصل، مصدر سابق، جـ٢ ،ص ١٥٤

(٩٠) نعمان : خلدون هزاع ، الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في عهد الملك شمر يهرعش ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، ص١١٨.

(٩١) نعمان : الأوضاع ، مصدر سابق ، ص ١٢٠.

(٩٢) نعمان : الأوضاع ، مصدر سابق ، ص ١٢٠- ١٢٢.

(٩٣) سورة الدخان الآية ٣٧.

(٩٤) التميمي : معطيات ، مصدر سابق،جـ١ ، ص ٢٣٢.

(٩٥) أبو الغيث: العلاقات ،مصدر سابق، ص ٨٥.

(٩٦) أبو الغيث: العلاقات ، مصدر سابق، ص ٨٥- ٨٦

(٩٧) أبو الغيث : العلاقات ، مصدر سابق، ص ٨٦.

(٩٨) بافقيه : توحيد اليمن ، مصدر سابق، ص ٢٨٤ .

(٩٩) بافقيه : وآخرون ،مختارات من ،مصدر سابق، ص٢٣٦- ٢٤١ + بافقيه : تاريخ اليمن ،مصدر سابق ، ص١٤٣.

(١٠٠) التميمي : معطيات ، مصدر سابق،جـ١ ، ص ٢٣٣.

(١٠١) بافقيه : تاريخ اليمن،مصدر سابق ، ص ١٤٦- ١٤٧.

(١٠٢) التميمي: معطيات، مصدر سابق،جـ١ ، ص ٢٣٣.

(١٠٣) قارن أيضا النقش ارياني ٣٩ و جام ٦٦٥ = الارياني : نقوش مسندية ، مصدر سابق، ص ٢٣٩- ٢٤٧ .

(١٠٤) بافقية : عودة إلى . مصدر سابق، ص ١١٩.

(١٠٥) صوأران هي اليوم آكام أثرية بالقرب من عادية بن عيفان المشهورة وقد تعرضت لحملتين على الأقل إضافة لشبام و عقران و رطغة و مريمة و تريم انظر(ارياني ٣١).

(١٠٦) مستوطنة عقران تقع في نفس موضع القرية المسماة بعقران قرب بلدة حذية في مديرية القطن = فرانتسوزوف: تاريخ حضرموت ، مصدر سابق، ص٢٤١.

(١٠٧) جاء في نص النقش على انها "شبوة" الا انه ليس منطقيا ذلك والأولى أن تكون شبام فهي جغرافيا تقع بعد عقران إلى الشرق .

(١٠٨) رطغة : أو رتغة مابين مدينتي شبام وسيؤن ولكنها غير معروفة اليوم = فرانتسوزوف : تاريخ حضرموت ، مصدر سابق، ص١٢١.

(١٠٩) معروفتان ولازالتا معمورتان.

(١١٠) الارياني : نقوش مسندية ، مصدر سابق، ص ١٩٢- ١٩٥.

(١١١) نشق من مدن معين في جوف اليمن .

(١١٢) لا يعرف مكانها اليوم .

(١١٣) لا يعرف مكانه اليوم أيضا. ربما يكون في الجبل المعروف اليوم(بجبل كحلان)عند ملتقى ماء وادي سر وعدم المعروف – حيد قاسم - ينظر= الرباكي : حصن العر ،مصدر سابق ، ص ١٦.

(١١٤) هو حصن العر المعروف على بعد ٤٠ كم شرق تريم على الأرجح ينظر= الرباكي: حصن العر، مصدر سابق، ص ١٧

(١١٥) قبيلة سيبان :من قبائل حضرموت معروفة .

(١١٦) الارياني : نقوش مسندية ، مصدر سابق، ص ١٩٦- ٢٠٥+ فرانتسوزوف : تاريخ حضرموت ، مصدر سابق، ص٢٤٢- ٢٤٥.

(١١٧) مكياش : عبد الله احمد، القبائل اليمنية في النقوش ، مجلة اليمن، العدد ١٩ ، مايو ٢٠٠٤م ، مركز البحوث والدراسات اليمنية ، جامعة عدن ، ص ٢٨.

(١١٨) ابو الغيث : العلاقات ، مصدر سابق، ص ٩٨.

(١١٩) لا زال بعض سكان غرب حضرموت يطلقون على المنطقة الواقعة من شبام وتحديدا من منطقة "الحمة" الى حدرا حضرموت عندما يريدون الحديث عنها.

(١٢٠) الحامد: صالح، تاريخ حضرموت ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ط٢، ٢٠٠٣م، جـ١، ص ١٤ - ١٥.

(١٢١) نعمان : الأوضاع ، مصدر سابق ، ص ١٢٢- ١٢٣.

(١٢٢) نعمان : الأوضاع ، مصدر سابق ، ص ١٢٤.

(١٢٣) نعمان : الأوضاع ، مصدر سابق ، ص١٢٥.

(١٢٤) نعمان : الأوضاع ، مصدر سابق ، ص١٢٧.

(١٢٥) الفرح : محمد حسين ، يمانيون في موكب الرسول ، الهيئة العامة للكتاب ، صنعاء . ط ٢ . ٢٠٠٤م ، ص٧٥٧.

(١٢٦) سرجيس ص ٦٨ – ٧٠

(١٢٧) سرجيس ص٦٨- ٧٨

(١٢٨) احاديث صحفية ومقابلات شخصية للباحث مع الأستاذ / عبد الرحمن حسن عبيداللاه السقاف مدير عام الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات بوادي حضرموت والصحراء المكتشفات . و الأستاذ / حسين العيدروس - مدير الآثار بمكتب فرع الهيئة العامة للآثار والمتاحف بوادي حضرموت والصحراء. والأستاذ / عيضه العامري خبير آثار بفرع المكلا واحد الأثريين الذين عملوا بالموقع.

(١٢٩) التميمي : عبد الله كرامه ، شواهد نقشية وأثرية من حضرموت (حضارة ما قبل الإسلام) مجلة جامعة حضرموت ، المكلا، العدد ١٣ ، مجلد ٦ ، السنة ٦ ، ديسمبر ٢٠٠٧م ، ص١٣٤ - ١٣٦ .

(١٣٠) بافقيه: محمد عبد القادر، عودة إلى نقش عبدان الكبير(٢)، حولية ريدان ،المركز الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية ،العدد٧، ٢٠٠١، ص٣٢.

(١٣١) الرباكي : حصن العر، مصدر سابق ص ١٠ – ١٦.

(١٣٢) الشاطري : محمد احمد ، ادوار التاريخ الحضرمي ، دار المهاجر، المدينة المنورة ، ط٣ ، ١٩٩٤م ، ص٥٤.

(١٣٣) التميمي : شواهد نقشية ، مصدر سابق ، ص ١٣٧.

(١٣٤) العيدروس: حسين أبوبكر ، لمحات عن الرسوم الصخرية في المنطقة الوسطى والشرقية و الجول الشمالي لوادي حضرموت ، حولية ريدان، العدد(٧)، مؤسسة ريدان للدراسات الأثرية و النقشية (عدن)، الآفاق للطباعة والنشر، صنعاء، ٢٠٠١م ، ص ٩٤.

(١٣٥) العيدروس : لمحات ، مصدر سابق، ص ٩٤ – ٩٥ .

(١٣٦) العيدروس : لمحات ، مصدر سابق، ص ٩٥ .

(١٣٧) الرباكي : حصن العر ، مصدر سابق ، ص ٤١.

(١٣٨) الرباكي : حصن العر ، مصدر سابق ، ص ٤١- ٤٥.

(١٣٩) العيدروس : لمحات ، مصدر سابق، ص ٩٥ .

(١٤٠) التميمي : عبد الله كرامه ، شواهد أثرية من وادي حضرموت ، صحيفة الأيام ، عدن ، العدد ٤٩٦٦، ١٣ ديسمبر ٢٠٠٦م، ص٩ .

(١٤١) التميمي : شواهد نقشية ، مصدر سابق ، ص ١٤١ - ١٤٢.

(١٤٢) التميمي : شواهد نقشية ، مصدر سابق ، ص ١٤٢ – ١٤٣.

(١٤٣) الكندي : سالم ، العدة المفيدة في تواريخ قديمة وحديثة ، تحقيق : عبدالله الحبشي ،مكتبة الارشاد، صنعاء، ط١،م ج ١ ، ص ٧٠

(١٤٤) مقابلة شخصية مع الأستاذ الباحث / عبد الله صالح حداد – الشحر .

(١٤٥) الكندي : العدة ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٧٩ .

(١٤٦) الكندي : العدة ، مصدر سابق ، ج١ ،ص ٨١ - ٨٤ .

(١٤٧) الشاطري : ادوار ، مصدر سابق ، ص ١٧١ .

(١٤٨) السقاف : عبد الرحمن بن عبيد اللاه ، بضائع التابوت نتف من تاريخ حضرموت ،مخطوط ، ج٢، ص ٢٠٨

(١٤٩) الشاطري : ادوار ، مصدر سابق ، ص ٥٤ .

(١٥٠) آل لُحمان(بضم اللام): وهذا الفرع هم حكام تريم المعروفين ،وكان مقر حكمهم حصن الرناد المشهور بتريم ، وهو الفرع الوحيد من آل همام الموجود بتريم، ومن أبرز قادتهم: النقيب عبدالله بن همام، والنقيب سعيد بن صالح بن همام.

(١٥١) بن سميط :علوي ، في حضرموت ما قبل الإسلام وحتى الآن .. (الرناد) حصن دفاع وقصر حكم بتريم وحصن النجير من أعظم القصور ، صحيفة الايام، عدن ٢٠٠٨م ، http://www.al-ayyam.info

(١٥٢) الحامد : تاريخ حضرموت ، مصدر سابق ، ج١ ص ٦١.

(١٥٣) الدملوجي : سلمى ، وادي حضرموت هندسة العمارة الطينية - مدينتا شبام و تريم ط١ ، ١٩٩٠ م ،ص٢٩٤.

(١٥٤) الشاطري : ادوار ، مصدر سابق ، ص ٥٤.

(١٥٥) عمشوش : مسعود ، حضرموت في كتابات فريا ستارك ، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، ص ٧٣.

(١٥٦) الهمداني : صفة جزيرة ..، مصدر سابق ، ص١٧٠

(١٥٧) لقاء صحفي مع الدكتور عبد الله التميمي في مجلة شعاع الأمل – المكلا ، العدد ، ص١٨.

(١٥٨) التميمي : شواهد نقشية ، مصدر سابق ، ص ١٣٩.

المراجع والمصادر

١) القران الكريم .

ب)المخطوطات:

١) السقاف :عبد الرحمن بن عبيد الله، بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت ، ثلاثة أجزاء بحوزة الباحث.

٢) المشهور: علي بن عبد الرحمن، شرح الصدور بذكر بعض أحوال وسير وإجازات عبد الرحمن بن محمد المشهور، مخطوط بمكتبة خرد.

ج)المطبوعات:

٣) أبو الغيث: عبد الله، العلاقات السياسية بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها – ق ٣- ٦ م- وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ط١ ، ٢٠٠٤م .

٤) الارياني : مطهر علي ، نقوش مسندية وتعليقات، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط٢، ١٩٩٠م.

٥)الأشبط :علي عبد الرحمن، الأعراب في تاريخ اليمن القديم – دراسة من خلال النقوش (ق١ق.م- ق٦م) وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ط١ ، ٢٠٠٤م .

٦) باحاج : عبدا لله سعيد، "هجرة الحضارمة قبل الإسلام" محاضرة في قاعة اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين بالمكلا، الأربعاء ٢٥/٧/٢٠٠٧م.

٧) باسلامه : محمد عبد الله، الحضارة اليمنية القديمة والمنقولات الأثرية للخارج، مجلة الإكليل العدد(٢٨)، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ربيع ٢٠٠٤م.

٨) بافقيه : محمد عبد القادر ، توحيد اليمن القديم – الصراع بين سبأ وحمير وحضرموت (القرن ١م - ٣م)- ، ترجمة :علي محمد زيد، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ط١ ، ٢٠٠٧م.

٩) بافقيه :--------- - ، آثار ونقوش العقلة ، القاهرة، ١٩٦٧م .

١٠) بافقيه : ---------- ، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١ ، ١٩٨٥م.

١١) بافقيه : ---------- ، وآخرون، مختارات من النقوش اليمنية القديمة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٥م.

١٢) بافقيه :---- -------- ---- ،عودة إلى نقش عبدان الكبير(٢)، حولية ريدان ، العدد(٧) ، مؤسسة ريدان للدراسات الأثرية و النقشية (عدن)، الآفاق للطباعة والنشر، صنعاء.٢٠٠١م.

١٣) بافقيه : ---------- ،عودة إلى نقوش العقلة، مجلة دراسات يمنية، العدد ٢٢ ، أكتوبر- ديسمبر ١٩٨٥م، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء.

١٤) بامطرف : محمد عبد القادر، الشهداء السبعة، بغداد، ١٩٧٤م،

١٥) بامطرف : ---------- ، ملاحظات على ما ذكره الهمداني عن جغرافية حضرموت ، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار و المتاحف ، حضرموت، ١٩٨١م ، (مسحوب بالا ستنسل) .

١٦) باوزير: خالد سالم، مواني ساحل حضرموت، دار المعرفة، المكلا، ط١ ،١٩٩٦م ،

١٧) بريتون : جان فرنسوا، اودان: ريمي، بدر: ليلى، سينيي: جاك: تنقيبات وادي حضرموت ٧٨- ١٩٧٩م، المركز اليمني للأبحاث ،عدن.

١٨) البكري : صلاح عبد القادر، تاريخ حضرموت السياسي ، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١ ، ٢٠٠١م، ج١.

١٩) بلفقيه : حداد ابوبكر ، تريم اسم في ذاكرة الزمن ، مجلة الفيصل ، دار الفيصل الثقافية ، الرياض ، العدد ٣٠٠ ، أغسطس – سبتمبر ٢٠٠١م .

٢٠) بلفقيه : عبد الله بن حسن ، صفحات مجهولة من تاريخ حضرموت ، تحقيق مصطفى العطاس ، تريم للدراسات والنشر، تريم، ط١ ، ٢٠٠٥م .

٢١) بن سميط :علوي ، في حضرموت ما قبل الإسلام وحتى الآن .. (الرناد) حصن دفاع وقصر حكم بتريم وحصن النجير من أعظم القصور، صحيفة الأيام، عدن ٢٠٠٨م ، http://www.al-ayyam.info

٢٢) بيستون، أ.ف .ل / ريكما نز، جاك/الغول، محمود/مولر، والتر: المعجم السبئي، دار نشريات بيترز لوفان الجديدة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢م ،ط١.

٢٣) التميمي : عبد الله كرامه، معطيات حول اليمن القديم في ضوء النقائش الحميرية (القرن١ق . م- ٦م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة تونس الأولى، تونس،٢٠٠٣م.ج١.

٢٤) التميمي : ---------- ، شواهد أثرية من وادي حضرموت ، صحيفة الأيام ، عدن ، العدد ٤٩٦٦ ، ١٣ ديسمبر ٢٠٠٦م ، .
٢٥) التميمي : ---------- ، شواهد نقشية وأثرية من حضرموت (حضارة ما قبل الإسلام)، مجلة جامعة حضرموت ، المكلا ، العدد ١٣ ، مجلد ٦ ، السنة ٦ ، ديسمبر ٢٠٠٧م.
٢٦) الجرو: أسمهان سعيد، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب الجزيرة العربية، دار جامعة عدن، عدن، ط١ ،٢٠٠٢م . ٢٦) الحامد: صالح، تاريخ حضرموت ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ط٢، ٢٠٠٣م، جـ١.
٢٧) الحموي: ياقوت بن عبدالله ، معجم البلدان، دار احياء التراث العربي ، بيروت، ط١ ، ١٩٩٧م ، مج ١
٢٨) الحميري : نشوان بن سعيد، منتخبات في أخبار اليمن، دار الفكر ، دمشق، ط٢ ١٩٨١م.
٢٩) الدملوجي : سلمى ، وادي حضرموت هندسة العمارة الطينية - مدينتا شبام و تريم، ط١ ، ١٩٩٠م.
٣٠) الرباكي : احمد صالح، حصن العر في النقوش والمدونات التاريخية ، بحث قيد منشور ،٢٠٠٨م.
٣١) زيادة : نقولا، دليل البحر الارثري وتجارة الجزيرة العربية البحرية ، ضمن كتاب الجزيرة العربية قبل الإسلام، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٤م.
٣٢) السروري : عبد الجليل، لمحات من فن العمارة والبناء في اليمن القديم، مجلة الإكليل، العدد(٢٦)، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، صيف ٢٠٠٢م .
٣٣) السقاف :عبد الرحمن بن عبيد اللاه، ادام القوت بذكر بلدان حضرموت ، تحقيق : إبراهيم المقحفي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١ ، ٢٠٠٢م.
٣٤) عبد الله : يوسف محمد، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره ،- بحوث ومقالات- ، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط ٢ ، ١٩٩٠م
٣٥) عريش : منير، معطيات جديدة حول تاريخ مملكة حضرموت القديمة (ق ٧ق.م- ق٣م) حوليات يمنية، ٢٠٠٣م، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية ، صنعاء.
٣٦) عقيل :عزة علي + بريتون :جان فرانسوا، شبوة عاصمة حضرموت القديمة — نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية — المركز الفرنسي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، ط١ ، ١٩٩٦م .
٣٧) علي : جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملايين، بيروت — مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٧٧م، ط٢، ج٢.

٣٨) العمري: هادي صالح، طريق البخور القديم من نجران إلى البتراء وآثار اليمن الاقتصادية عليه، وزارة الثقافة والسياحة. صنعاء، ط١. ٢٠٠٤م.
٣٩) عمشوش: مسعود. حضرموت في كتابات فريا ستارك، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، ط١، ٢٠٠٤م.
٤٠) العيدروس: حسين ابوبكر. مسجد المحضار، تريم للدراسات والنشر، تريم، ط١، ٢٠٠٧م.
٤١) العيدروس: ---------- ، لمحات عن الرسوم الصخرية في المنطقة الوسطى والشرقية والجول الشمالي لوادي حضرموت، حولية ريدان، العدد(٧)، مؤسسة ريدان للدراسات الأثرية والنقشية (عدن). الآفاق للطباعة والنشر، صنعاء.٢٠٠١م.
٤٢) العيدروس: ---------- ، إطلالة على متحف سيؤون للآثار وادي حضرموت، مجلة تراث، نادي تراث الإمارات، أبو ظبي، العدد٢٧، فبراير ٢٠٠١م.
٤٣) غاجدا: ايفونا، جنوب الجزيرة العربية موحداً تحت راية حمير، ضمن كتاب (اليمن في بلاد ملكة سبأ)، ترجمة بد الدين عردوكي، باريس – دمشق، ١٩٩٩م.
٤٤) الفرح: محمد حسين، يمانيون في مواكب الرسول، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ط١، ٢٠٠٤م، جـ١.
٤٥) الموسوعة اليمنية: مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٣م، المجلد٣.
٤٦) فرانتسوزوف: سرجيس، تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده، ترجمة: عبد العزيز بن عقيل، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ط١، ٢٠٠٤م.
٤٧) فوكت: بوركهارد، نهاية ما قبل التاريخ في حضرموت، ضمن كتاب (اليمن في بلاد ملكة سبأ)، ترجمة: بدر الدين عردوكي، معهد العالم العربي - باريس، دار الأهالي – دمشق ١٩٩٩م.
٤٨) الفرح: محمد حسين، يمانيون في موكب الرسول، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ط ٢، ٢٠٠٤م.
٤٩) الشاطري: محمد احمد، ادوار التاريخ الحضرمي، دار المهاجر، المدينة المنورة، ط٣، ١٩٩٤م.
٥٠) الكندي: سالم، العدة المفيدة في تواريخ قديمة وحديثة، تحقيق: عبد الله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، م ج ١.
٥١) كيل: ادوارد، محاولة ثانية لفهم البيئة التاريخية لحصن العر في حضرموت، ترجمة الخالصي: ياسين محمود، دراسات في الآثار اليمنية- من نتائج بعثات أمريكية وكندية- الكتاب الرابع، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية(AIYS)، صنعاء، ط١، ٢٠٠١م.

٥٢) ماكوريستون : جوي ، المستوطنات المبكرة في حضرموت تقرير أولي عن مستوطن من عصر ما قبل التاريخ في شعب منيدر، ترجمة الخالصي: ياسين، ضمن (دراسات في الآثار اليمنية) - من نتائج بعثات أمريكية وكندية- الكتاب الرابع، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية(AIYS) ، صنعاء، ط١، ٢٠٠١م.

٥٣) مكياش : عبد الله احمد، القبائل اليمنية في النقوش ،مجلة اليمن ،العدد ١٩ ، مايو ٢٠٠٤م ،مركز البحوث والدراسات اليمنية ، جامعة عدن .

٥٤) الهمداني : الحسن بن احمد، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد علي الاكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١ ، ١٩٩٠م.

٥٥) النبهاني : سلطان ، الدراسة القانونية والتأثير البيئي لمشروع مجاري مديريات تريم – سيؤون ، سبتمبر ٢٠٠٧م، (كتاب إلكتروني).

٥٦) نعمان : خلدون هزاع ، الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في عهد الملك شمر يهرعش ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ط١ ، ٢٠٠٤م .

٥٦) اليمني: عمارة بن علي،المفيد في أخبار صنعاء و زبيد، تحقيق محمد بن علي الاكوع، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، ط٣، ١٩٨٥م.

<u>ومقابلات شخصية:</u>

٥٧) الدكتور عبد العزيز بن عقيل: مدير إلهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات(المكلا)

٥٨) عيظه حسن العامري : خبير آثار بفرع المكلا .

٥٩) عبد الرحمن حسن بن عبيداللاه : مدير الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات(سيؤون)

٦٠) حسين أبوبكر العيدروس : مدير دائرة الآثار بفرع سيؤون .

٦١) عبدالله صالح حداد : باحث (الشحر) .

المعالم الأثرية والسياحية بمدينة تريم

عبد الحكيم صالح العامري

المقدمة :

يتناول هذا البحث المعالم الأثرية والسياحية بمدينة تريم ، ويأتي إعداده مشاركةً في المشروع الثقافي الابتهاجي الذي تنفذه ثلاثية الدكتور عمر عبد الله بامحسون ومؤسسة الصندوق الخيري للطلاب المتفوقين ومجلة شعاع الأمل بمناسبة اختيار مدينة تريم لتكون عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ٢٠١٠م من قبل المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (الإيسيسكو) .

ويهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على المعالم الأثرية والسياحية التي تزخر بها مدينة تريم من خلال إبراز الجوانب التاريخية والمعمارية لأهم تلك المعالم .

وقد تم تقسيم البحث إلى تمهيد وأربعة محاور وخاتمة تضمنت الأمور الآتية :

يحوي **التمهيد** على نبذة جغرافية وتاريخية عن المدينة .

ويتناول **المحور الأول** المساجد وأربطة العلم ، حيث تم التطرق فيه إلى أقدم المساجد بالمدينة مع التركيز على مسجد الوعل الذي بني سنة ٤٩ هـ / ٦٦٣م ومسجد المحضار ومئذنته الشهيرة التي بنيت من الطين في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، وكذلك مسجد الحداد الذي تم إعادة ترميمه في العقد الأخير من القرن العشرين بشكل يمزج ما بين الأصالة والحداثة .

كما يتطرق هذا المحور أيضاً إلى رباط تريم الذي افتتح سنة ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م ، بالإضافة إلى دار المصطفى للدراسات الإسلامية الذي يُعد أحد أبرز المعالم الحديثة بالمدينة .

ويتعلق **المحور الثاني** بالقلاع والحصون والأسوار وتم التركيز فيه على حصن الرناد وأطلال حصن النجير اللذين يعود بناؤهما إلى ما قبل الإسلام ، وكذلك على الحصون التي كان لها دور في مرحلة الصراع ما بين الدولة الكثيرية من جهة والإمارات اليافعية وقبائل آل تميم من جهة أخرى وفيما بعد مابين الدولة الكثيرية والدولة القعيطية ومن تلك القلاع والحصون (حصن مطهر ، حصن العز ، حصن فلوقه ، حصن عوض، حصن نافي، ... إلخ).

ويتناول المحور الثالث القصور التي تشكل روائع لفن العمارة الطينية بالمدينة والتي مزجت في بنائها بين طراز الفن المعماري الحضرمي الأصيل وفن البناء الأسيوي والمالاوي ، وتم أخذ قصر عشه و قصر المنيصورة و قصر القبة و قصر عبد الرحمن بن شيخ الكاف و قصر دار السلام و قصر حمطوط كنماذج لتلك القصور .

أما المحور الرابع عن مكتبة الاحقاف للمخطوطات .

وتضمنت الخاتمة عدداً من التوصيات والمقترحات للحفاظ على تلك المعالم الأثرية والسياحية .

وأعتمد البحث في مصادره على ما حوته بعض كتب التاريخ الحضرمي في طياتها من معلومات متناثرة عن بعض تلك المعالم ، وكذلك على المشاهدة ، وإجراء المقابلات الشخصية ، متقيدين في ذلك بالأسلوب العلمي .

ونتمنى أن يكون هذا البحث بداية ينطلق منها الدارسون والباحثون لدراسة تلك المعالم، وأن تكون رؤوس الأقلام الواردة فيه مواضيع لدراسات أكاديمية وبحثية متعمقة .

التمهيد

نبذة جغرافية وتاريخية عن مدينة تريم :

الموقع والمساحة والسكان :

تقع مدينة تريم بوادي حضرموت باليمن ، على بعد ٣٤كم شرق مدينة سيئون ، وتقع على دائرة عرض ١٦ درجه ودقيقتين و٥٧ ثانيه شمال خط الاستواء ، وعلى خط طول ٤٨ درجة و ٥٨ دقيقة و٣٢ ثانية شرق خط جرينتش .(١)

وتقدر مساحتها بنحو ٢٨٩٤ كيلومتر مربع ، ويزيد عدد سكانها عن المائة ألف نسمه .

التسمية والنشأة :

وحول تسمية تريم بهذا الاسم يذكر ياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان) بأن " تريم إحدى مدينتي حضرموت لأن حضرموت اسم للناحية بجملتها ومدينتاها شبام وتريم وهما قبيلتان سميت المدينتان باسميهما " ،(٢) بينما يذكر مرتضى الزبيدي في كتابه (تاج العروس) بأن تريم سميت باسم بانيها تريم بن حضرموت ،(٣) وهو القول الذي يأخذ به بعض مؤرخي حضرموت الذين يقولون بأنها سميت بذلك نسبة إلى أحد ملوكها في عهد الحكم السبأي لحضرموت و هو تريم بن حضرموت بن سبأ الأصغر .

واختلفت الآراء كذلك حول تاريخ نشأة هذه المدينة فالبعض يرى أن تأسيسها يعود إلى ما قبل الميلاد بأربعة قرون خلال العهد السبأي ، ورأي آخر يقول بأنها اختطت في زمن الحاكم الحميري أسعد الكامل .(٤)

وتسمى تريم بالغنّاء لكثرة بساتينها وحدائقها الجميلة .

لمحة تاريخية :

اعتنق أهل حضرموت الإسلام طواعية ، حيث جاءت وفودهم في السنة العاشرة للهجرة إلى عند الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة تعلن إسلامها ، ومنها وفد الأشعث بن قيس الكندي ووفد وائل بن حجر الحضرمي ، فأرسل بعد ذلك عليه أفضل الصلاة والسلام عامله على حضرموت وهو زياد بن لبيد البياضي الأنصاري الذي تنقل مركز حكمه ما بين مدينتي تريم و شبام.[٥]

وفي بداية عهد الخليفة أبي بكر الصديق ارتدت بعض قبائل العرب عن الإسلام ، ففي حضرموت ارتدت عدد من بطون قبيلة كنده بزعامة الاشعث بن قيس ، فتصدى لهم زياد بن لبيد ومعه أيضا عدد من الحضارمة الذين ثبتوا على دينهم ، كما كتب للخليفة بالمدينة يخبره بالواقع ويطلب منه المدد ، فوصلت إلى حضرموت قوة المهاجر بن أبي أمية المخزومي القرشي قادمة من صنعاء عن طريق نجران وكذلك قوة عكرمة بن أبي جهل التي قدمت من جهة المشرق بعد إخماد الردّة في عمان والمهرة ، ودارت الحرب بين جيش المسلمين والمرتدين من كندة في موضع يقال محجر الزرقان ، ولحقت الهزيمة بالمرتدين الذين انسحب من تبقى منهم إلى حصن النجير الذي يبعد عن مدينة تريم بحوالي ٨ كم شرقاً ، وهناك دارت المعركة الفاصلة التي انتصر فيها جيش المسلمين ، وقد جرح في هذه المعركة عدد من الصحابة ، فجاءوا إلى تريم للتداوي بها ، فمات بعضهم ودفنوا فيها بمقبرة زنبل .[٦]

وظلت تريم تحت لواء الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ، ثم في عهد الدولة الأموية ، وبقيام ثورة الأباضيين التي بزعامة عبد الله بن يحيى الكندي ضد الأمويين سنة ١٢٩هـ / ٧٤٦م دخلت تريم تحت حكم الأباضيين .

ومع بداية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي قامت في بلاد اليمن العديد من الدول المستقلة عن الدولة العباسية في بغداد ومدّت سيطرتها على مدن حضرموت ومنها مدينة تريم إلى أن استولت عليها إمارة آل راشد التي يعود تأسيسها إلى بداية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، واتخذت منها مركزاً لها ، و آل راشد هم أسرة من بني قحطان إحدى القبائل الحميرية ، واشتهر من سلاطينها السلطان العادل عبد الله بن راشد الذي ينسب إليه وادي حضرموت فيقال له وادي ابن راشد .[٧]

وبقيت تريم تحت حكم آل راشد إلى أن قامت دولة آل يماني التي أسسها مسعود بن يماني بالسيطرة عليها حتى امتد إليها نفوذ الدولة الكثيرية الأولى - الممتدة من سنة ٨١٤ هـ/ ١٤١١م إلى سنة ١١٣٠ هـ / ١٧١٧م - حين حاصرها السلطان الكثيري بدر أبو طويرق سنة ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م لمدة عشرين يوماً ورماها بعد ذلك بالبنادق النارية حتى أجبر آل يماني على الاستسلام وإعلان الطاعة . وبذلك فرضت الدولة الكثيرية لأول مرة سلطانها على مدينة تريم .(٨)

وبحدوث الشقاق والخلاف بين آل كثير على حكم الدولة الكثيرية بقيام بدر بن عبد الله الكثيري بالاستيلاء على عرش الدولة وخلع عمه السلطان بدر بن عمر الكثيري ، الأمر الذي دفع بالأخير للاستعانة بالإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم الذي أرسل جيشه سنة ١٠٧٠ هـ / ١٦٥٩م واستولى على جانب من وادي حضرموت ، وأعاد السلطان بدر بن عمر الكثيري إلى الحكم ، وبذلك أصبحت مدن حضرموت بما فيها تريم خاضعة اسمياً للنفوذ الإمامي بصنعاء .

وفي منتصف القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي استولت القبائل اليافعية التي كانت جزءاً من جيش الدولة الكثيرية على مدن ومناطق حضرموت منهيه بذلك حكم الدولة الكثيرية الأولى .

وأصبحت مدينة تريم في عهد الطوائف اليافعية خاضعة لثلاث سلطات هي سلطة آل غرامه وسلطة آل همام وسلطة ابن عبد القادر ، واستقلت قبيلة آل تميم بالسلطة في مناطقها التي تتبع المدينة .

وحولت تلك السلطات المدينة إلى مسرح للمعارك فيما بينها إلى أن تمكن السلطان غالب بن محسن الكثيري مؤسس الدولة الكثيرية الثانية من الاستيلاء على المدينة في سنة ١٢٦١ هـ/ ١٨٤٦م .(٩)

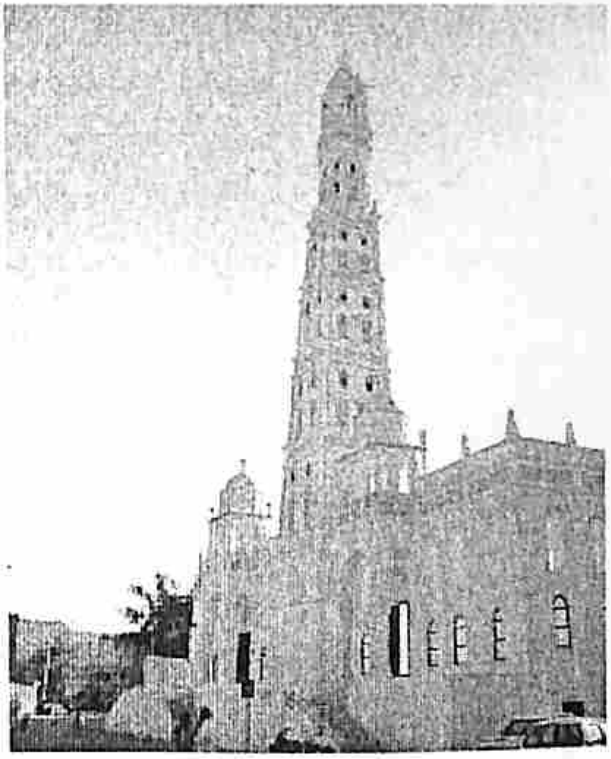
ومُنذ ذلك الحين ظلت تريم تحت حكم الدولة الكثيرية الثانية حتى سقوطها سنة ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧م بتحقيق الاستقلال الوطني وقيام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ، وبتحقيق الوحدة اليمنية في سنة ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م أصبحت مدينة تريم إحدى مدن الجمهورية اليمنية .

المحور الأول : المساجد وأربطة العلم :

تشتهر مدينة تريم بكثرة مساجدها حتى إن البعض يذهب إلى القول بأنها تقارب ألـ ٣٦٠ مسجداً.

وشيدت مساجد تريم وخصوصاً القديمة منها على نمط مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام والمتكون من بيت الصلاة الذي ينقسم إلى قسمين مغلق ومفتوح وصحن وحمامات، ومن تلك المساجد (مسجد الوعل و مسجد الجامع و مسجد باعلوي و مسجد السقاف ومسجد المحضار ومسجد العيدروس ومسجد الشيخ علي بن أبي بكر و مسجد باجرش ومسجد الزهرة و مسجد الشيخ سالم بافضل و مسجد الحداد و مصلى الجبانة ...وغيرها).

مسجد المحضار ومئذنته الشهيرة :



يُعد مسجد المحضار ومنارته (مئذنته) الشهيرة من أروع المعالم الأثرية بالمدينة ، فقد بناه الشيخ عمر المحضار بن عبد الرحمن السقاف سنة ٨٢٣ هـ / ١٤١٩م ، بمساحة تقدر بنحو (٦٣×٩٣) قدماً ، وقام فيما بعد العلامة أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب المتوفى سنة ١٢٦٢ هـ / ١٨٤٥م بتوسعته وبناء مئذنته ، وأصبحت مساحته بعد التجديد نحو (١٤٢) قدماً

شرقاً بغرب (١٢٦) قدماً شمالاً بجنوب داخل فيه المجاز، كما أن المسجد يحوي صحناً مربعاً مكشوفاً محاط برواق من صفين من الأعمدة الدائرية المتجاورة ،ويبلغ عدد سواري المسجد إجمالاً (١١٤) سارية ، وقام بالبناء والتصميم المهندسون والعمال التريميون عوض سلمان عفيف وإخوانه .[١٠]

وتُعد مئذنة مسجد المحضار آية فريدة في البناء والفن المعماري الحضرمي ، حيث بنيت من اللبن الطيني وتم طلاؤها بالنورة (الجير) ، وبنيت على شكل رباعي خلافاً للمآذن القديمة بالمدينة التي تتخذ الشكل الدائري ، إذ يبلغ ضلعها في الدور الأرضي حوالي أربعة أمتار وتتناقص هذه الأبعاد بالتدريج وبطول المنارة ذات السبعة الأدوار حتى تصل حوالي مترين في الدور الأخير بينما يقدر ارتفاعها بحوالي (٤٦) متراً ، وهو ما جعلها محل إعجاب الزائرين لها .[١١]

مسجد الوعل :

يقع بحارة الخليف وهو أقدم مساجد مدينة تريم الباقية إلى اليوم و يعود تاريخ بنائه إلى سنة ٤٣ هـ /٦٦٣ م بناه التابعي أحمد بن الصحابي الجليل عبّاد بن بشر ، ثم جدد عمارته الشيخ علي بن محمد الخطيب الملقب بصاحب الوعل والمتوفى سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٣م ، فنسب إليه ، كما جددت عمارته مرة أخرى سنة ٩١٦هـ /١٥١٠م ومن ثم جدد عمارته العلامة عمر بن عبد الرحمن بامصباح الكندي وبعد ذلك عمر بإشراف العلامة أحمد بن أبي بكر الخطيب سنة ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م .[١٢]

مسجد الجامع :

يقع بقلب المدينة وسوقها ، وتذكر كتب التاريخ أن الحسين بن سلامه النوبي الذي تولى سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٥م أمر الدولة الزيادية باليمن هو الذي أنشأه ، وشهد الجامع عدة تجديدات منها في سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م ، وكذلك في سنة ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م عندما وسع على نفقة السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري بعد أن كتب إليه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بلحاج بافضل يدعوه إلى توسيع الجامع الذي أصبح غير كافٍ للمصلين ، أما التوسعة الأخيرة فقد انتهت سنة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٣م وتمت عملية البناء فيها بالحجارة والاسمنت ممثلة خرقاً لفن العمارة الطينية التي تتميز بها المدينة .[١٣]

وأصبحت مساحة الجامع (١٩١١٠قدماً مربعاً) وتحمل سقفه ستين سارية اسطوانية قطر الواحدة منها (١٦بوصة) ، وله ثمانية أبواب ، ويبلغ ارتفاع منارته نحو (١١٥قدماً) .

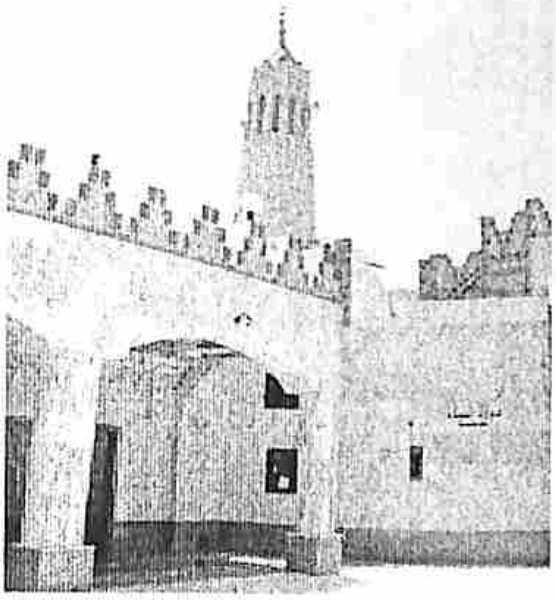
مصلى الجبانة :

يقع مصلى الجبانة في حارة الخليف ، بناه راشد بن شجعنه سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م ، ثم أدخلت على عمارته التجديدات ، والجبانة في اللغة "المصلى العام في الصحراء وتسمى بها المقابر" ، ويصلى فيه صلاة العيدين وكذلك الصلاة على الأموات .

ويتسع المصلى إلى مئات المصلين ، ويظهر في المصلى الطراز القديم المستخدم في عملية سقف المبنى المعروفة بالعكف التي كانت أكثر شيوعاً قديماً حيث سقف المصلى باللبن (المدر) والطين على شكل تقاو يس ترتفع على سواري طينية اسطوانية الشكل .

مسجد الحداد :

يقع في حارة الحاوي ، بناه الإمام عبد الله بن علوي الحداد الذي عاش في الفترة (١٠٤٤هـ / ١٦٣٤م – ١١٣٢هـ / ١٧١٩م) ، وقد جدد أحفاده عمارته في العقد الأخير من القرن العشرين بشكل جعل منه تحفة معمارية تجمع فنون العمارة الإسلامية ، فزينت جدرانه بالرخام الملون وسقوفه بالزخارف ، وكتبت على جدرانه بعض الآيات ، كما كتب راتبه ما بين أقواس السواري .



الأربطة الدينية :

تمثل مدينة تريم مركز إشعاع حضاري يتوافد إليه طلاب العلم من داخل وخارج اليمن ، حيث افتتحت فيها مُنذ عهود قديمة الكثير من الكتاتيب والزوايا العلمية ، وبعضها لازالت قائمة إلى اليوم محافظة على منهجها التعليمي في حفظ القرآن الكريم وتدريس العلوم الدينية مثل :

معلامة (كُتاب) باغريب و معلامة باحرمي اللتان يعود تأسيسهما إلى القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي .

زاوية الشيخ سالم بافضل لتدريس علوم الفقه التي تعود للقرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي.

زاوية قبة أبي مريم لتحفيظ القرآن الكريم التي أسست قبل أكثر من ستمائة سنه .

ومن أبرز الصروح العلمية التي تمثل معالم بارزة في المدينة :

رباط تريم :

يقع في السوق وسط قلب المدينة ، وتم افتتاحه في ١٤ محرم سنة ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٧م ، وكان برئاسة مفتي الديار الحضرمية الإمام السيد عبد الرحمن بن محمد بن حسين المشهور مؤلف كتاب (بغية المسترشدين) ، وتكمن شهرة هذا الرباط في كونه تخرج منه الكثير من الدعاة الذين حملوا رسالة الدعوة الإسلامية واتجهوا بها نحو بلدان شرق آسيا وكذا شرق إفريقيا .

تعتمد الدراسة في هذا الرباط منذ تأسيسه على طريقة الحلقات العلمية فجراً وضحىً وظهراً وعصراً وليلاً في شتى العلوم الدينية والعربية لا سيما في فقه الشافعي والنحو والصرف والحديث والتفسير وغيرها حتى اليوم ، ويسكن فيه أكثر من مائتي وأربعين طالباً من اليمن وخارجها ، ويتكفل الرباط بتعليمهم وأكلهم ومسكنهم ، ويدرس فيه مجاميع من طلبة العلم من مدينة تريم وضواحيها يبلغ مجموعهم بين المغرب والعشاء نحو (١٥٠٠ طالب) ألفاً وخمسمائة طالب يشكلون سبعة وأربعين حلقة في الفقه والحديث وغير ذلك .[١٤]

دار المصطفى للدراسات الإسلامية :



من الصروح العلمية الحديثة بالمدينة ، يقع بمنطقة عيديد ، تأسس سنة ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م وتخرجت أول دفعه سنة ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م ويأتيه الدارسون من كل أنحاء اليمن ومن بقاع مختلفة من العالم يتلقون في حلقات المشائخ دروس التفسير والحديث والفقه والسيرة واللغة العربية ، وتشمل الدار سكناً للطلاب مع مرافقها الخدمية .



المحور الثاني : القلاع والحصون والأسوار

إلى جانب تميز مدينة تريم بفن العمارة المدنية والدينية تتميز أيضا بفن العمارة العسكرية ، حيث تنتشر في المدينة والقرى التابعة لها الكثير من القلاع والحصون منها على سبيل المثال لا الحصر (حصن الرناد و حصن عوض بن محمد الزغلدي و حصن الدكين وحصن نافي و حصن متاش و كوت الجلاني وحصن مطهر و حصن فلوقه و حصن العز) .

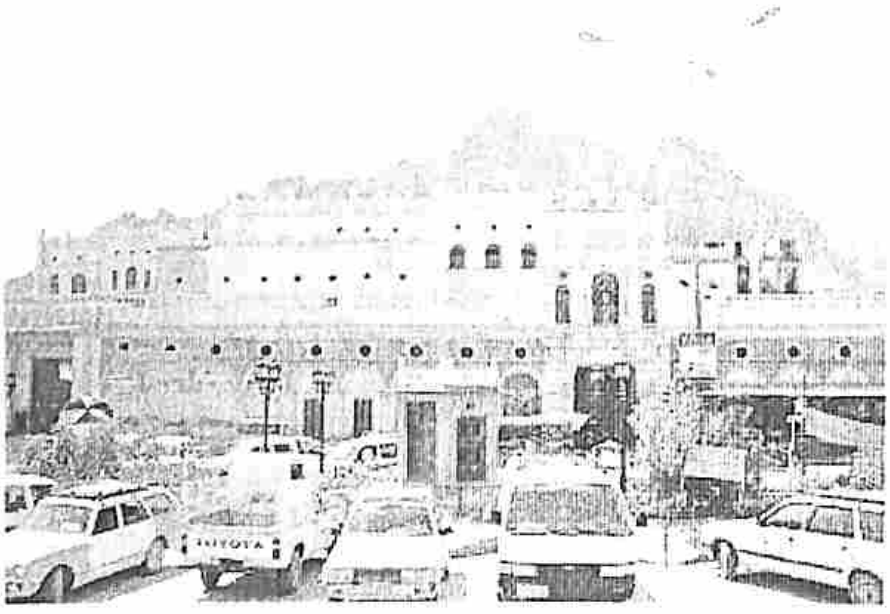
ولأن تلك الحصون قد أقيمت لغرض الحماية وترصد المغيرين نجد أن أغلبها يشترك في عدة عناصر دفاعية منها :

١- أنها تقع على السفوح المرتفعة التي تكشف المنطقة المحيطة بها .

٢- تشتمل على المعاصر (الأبراج) في الأركان التي من خلالها تتم عملية مراقبة البوابات والجهات الأربع للقلعة أو الحصن ، كما يوجد بالجدران فتحات صغيرة ثلاثية الشكل يطلق عليها مشاويف ومنها تتم المراقبة وإطلاق الرصاص الناري .

٣- يوجد بداخلها بئر ماء أو قريبة منها وكذلك مستودعات لتخزين الغذاء والرصاص وهو ما يسهم في صمود المقاتلين بها لفترة طويلة في أثناء تعرضها للحصار .

حصن الرناد :



يمثل حصن الرناد الذي ينتصب وسط المدينة رمزاً للسلطة والحكم بتريم إذ اتخذت منه جميع الدول المتعاقبة على حكم المدينة مقراً لها .

ويعود تاريخ بناء الحصن إلى ما قبل الإسلام ، ويحدد البعض ذلك بنحو أربعمائة سنه قبل البعثة المحمدية .

وشهد الحصن عدداً من الترميمات والتوسعات أبرزها سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣م في عهد السلطان عبد الله بن راشد بن قحطان ، وكذلك في سنة ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨م عندما أمر حاكم تريم محمد بن محسن الكثيري بهدم أجزاء منه وإعادة بنائها من جديد على النمط المتأثر بالعمارة الهندية و كُتِب على البوابة تاريخ الانتهاء من صنعها في ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م . فأصبح الحصن بذلك يجمع بين أنماط البناء الحضرمي واليوناني والآسيوي .

ويتكون الحصن من عدة مبان وملحقات وغرف متعددة وفناءات تحتوي على نقوش وزخارف بديعة التنفيذ ، كما كتبت على واجهته التي زينت بالأقواس أبياتا شعرية تخليداً لعمليات التجديد والترميم التي تعرض لها في مراحل مختلفة في تاريخه ، وهذه الأبيات :

قصر عليه تحية وسلام بسامة لهلاله الأيام .

ويوجد بداخل الحصن بئر قديمة وكذلك نفق أرضي يؤدي إلى خارج سور المدينة.

وقد وصفته المهندسة المعمارية الدكتورة سلمى سمر الدملوجي في كتابها وادي حضرموت هندسة العمارة الطينية بقولها : " يغلب عليه التأثر بالطراز الكولونيالي الذي يسود فيه الأداء النيوكلاسيكي الأوروبي ، هذا الأداء يبدو أكثر وضوحا على واجهات القصر الخارجية ، حيث الأعمدة الدورية الناتئة متجمعة على جدران السور الجانبية كما يبدو في التزيين الزخرفي للمدخل ، حيث واجهة الرواق المعمّد ، المتوج بقوصرة (مثلث علوي) نهضوية أوروبية ، والمتشكل من عدد من الأقواس الرومانسكية نصف الدائرية ، مما لم يكن في ما سبق ميزة للعمارة الحضرمية أو الإسلامية.. أن المخطط الداخلي ، والنسب وتصميم فضاءات قصر الرناد يجعله واحدا من أجمل القطع المعمارية والتصميمية ، وهذا يتضح على أحسن وجه في تتابع الفضاءات الداخلية ، وفي الفصل بين الفضاءات العامة والخاصة ، وأخيرا في تتالي الفناءات المفتوحة وفي سعة الغرف المغلقة التي ترتبط بواسطة سلالم وممرات

متنوعة ، وجميعها مطلية بالأبيض ومتشكلة برصانة تعبر عن النوعية للتصميم الحضرمي بناءً وتخطيطاً ".[١٥]

وتجرى في الوقت الحاضر عملية ترميم واسعة للحصن بدأت مُنذ أواخر سنة ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦م بتمويل الحكومة اليمنية وبإشراف هيئة المدن التاريخية.

حصن النجير :



تقع أطلال حصن النجير بقرية مشطه على بعد نحو (٨كم) شرقي مدينة تريم ، ويذكر الهمداني في الجزء الثامن من كتابه الإكليل بأن ذلك الحصن لبني معد كرب بن كندة ، وتكمن الأهمية التاريخية للحصن في كونه شهد واقعة النجير الشهيرة في عهد الخليفة أبي بكر الصديق التي دارت رحاها بين المرتدين عن الدين الإسلامي من قبيلة كنده بحضرموت بزعامة الأشعث بن قيس الكندي من جهة و جيش المسلمين من جهة أخرى ، والتي كانت نتيجتها انهزام المرتدين ونصر عظيم للمسلمين .

وفيه يقول أحد الشعراء العرب :

عرفت رسما بالنُجير عفا لزينب أو لسارة

لعزيزة من حضرموت على محياها النضارة .

حصن العز :

يقع في القرية التي تسمى بحصن العز ، ويبعد عن قلب مدينة تريم بمسافة ٢كم جنوباً .

وقد بناه السلطان الكثيري عبد الله بن علي سنة ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م أثناء حربه على السلطان دويس بن راصع بن يماني الذي يسيطر على حكم مدينة تريم وقتئذ ، وكان ذلك من أجل تضيق الخناق على المدينة لإرغام آل يماني على الاستسلام .[١٦]

ويسمى الحصن أيضاً بحصن القرقدة ،[١٧] وتكمن أهميته العسكرية في كونه قريب من عقبة كتبة النافذة من ثبي إلى بلدة تريم وبالعكس حيث تقع في الجهة الغربية من الجبل الذي يقع عليه الحصن والتي اتخذها بدو الحيق طريقاً لهم لمن أراد النزول من الهضبة إلى تريم وذلك لقربها .

حصن مطهر :



يقع على الجانب الشرقي من جبل كحلان الواقع على الطريق العام مقابل قرية السويري ، وعلى بعد نحو ٧كم جنوبي مدينة تريم .

يعود الحصن لآل مطهر اليافعيين ، وقد اشتراه منهم عبد الله بن عمر بن مقيص الأحمدي اليافعي بدعم من العلويين ليكون قاعدة عسكرية لدولته التي أعلن عن قيامها سنة ١٢٤٣هـ/١٨٢٧م واستمرت قرابة عامين ووضع في الحصن مدفع بارودي تأكيداً على هيبة الدولة .

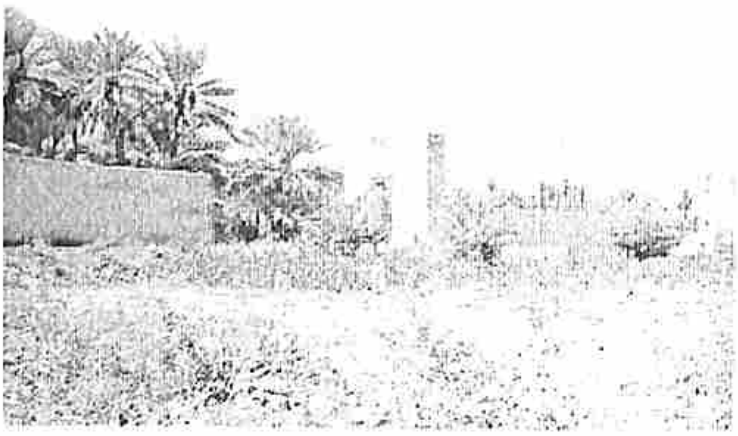
وفي سنة ١٢٦١هـ ١٨٤٤م اشترى عبود بن سالم الكثيري الحصن من ابن مقيص بثلاثمائة ريال ، عند بداية تأسيس الدولة الكثيرية الثانية واحتله برجاله .[١٨]

ونتجه للخلاف بين فرعي آل قصير و آل شملان اللذين ينتميان إلى قبيلة آل تميم ، أصبح آل قصير حراساً للحصن من قبل آل كثير نكاية بآل شملان الذين كانوا على علاقة قوية بالقبائل اليافعية . وبقيت يد القصيرين مترتبة على الحصن أمداً طويلاً حتى أصبح الحصن ينسب إليهم .

ولموقع الحصن المتحكم على الطريق المؤدي لمدينة تريم الخاضعة لحكم الدولة الكثيرية والقرى المجاورة لها التابعة للدولة القعيطية . سيطرت عليه الدولة القعيطية في العقد الثاني من القرن العشرين ، وأقامت أسفل منه مركزاً جمركياً ونقطة تفتيش للمارة ظلت حتى صدور قرار اللجنة الشعبية العليا للجبهة القومية بإلغاء المراكز الجمركية والحدود بين قطاعي حضرموت في ١٠أكتوبر ١٩٦٧م.

ويجذب الحصن إليه أنظار المارة في الطريق العام بجمال بنائه وروعة تصاميمه ، إذ يشكل أنموذجاً رائعاً لفن العمارة العسكرية بحضرموت .

سور المدينة :



من آثار المدينة الباقية أطلال سورها الذي يرجع تاريخ بنائه إلى سنة ٦٠١ هـ / ١٢٠٤م في عهد السلطان عبد الله بن راشد القحطاني ، وقد تعرض هذا السور للهدم والتجديد مرات

عديدة منها ما ذكره المؤرخ محمد بن هاشم في كتابه (تاريخ الدولة الكثيرية) بأن السلطان بدر بن محمد الكثيري هدم ذلك السور في سنة ٨٩٥ هـ / ١٤٨٩م وجدده . ثم هدمه وآلي تريم عبد الله بن راصع سنة ٩١٠ هـ / ١٥٠٤م وأعاد بناءه محمد بن أحمد بن راصع سنة ٩١٣ هـ/ ١٥٠٧م وأحكم بناءه بإتقان إذ عمل له ثلاثة أبواب عظيمة أحدها من جهة الجنوب بالقرب من بئر كانوا يقولون لها بئر عاسل وثانيها من جهة الشرق عند حارة كانت تسمى حارة آل باشريف وثالثها من جهة الشمال عند حارة القصارص .[١٩]

وفي القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي جددت الدولة الكثيرية الثانية عمارة السور في عهد مؤسسها السلطان غالب بن محسن الكثيري ليشمل ما امتد إليه نفوذها من أرض مدينة تريم ، وجعلت للسور بوابات أو سدداً في جهاته المختلفة وهي سدة عيديد في الجهة الغربية باتجاه وادي عيديد و سدة يادين للقادمين من الجهة الجنوبية و سدة اللمي في الجهة الشمالية الشرقية لمن يأتي من مشطة ومسيلة عدم و سدة عامر في الجهة الشمالية الشرقية أيضاً وهي لمن يأتي من اتجاه قسم وعينات و سدة بريح أو دمون أو محبوب وهي المؤدية إلى منطقة دمون ، ولا تزال بقايا هذا السور تشاهد واضحة باتجاه منطقة دمون حيث يمتد إلى أعلى الجبل إلى الحصن الموجود حاليا والقائم بجدرانه المسمى(حصن متّاش) أو حصن بريح .[٢٠]



وأصبح سور المدينة في العهد الأنجلوسلاطيني حداً فاصلاً مابين مدينة تريم الواقعة تحت نفوذ الدولة الكثيرية وبين القرى المحيطة بها والواقعة تحت نفوذ الدولة القعيطية وذلك بموجب

اتفاقية ١٣٣٧ هـ / ١٩١٨م بين سلاطين الدولة الكثيرية والدولة القعيطية التي حصرت نفوذ الدولة الكثيرية بمدن وقرى (سيئون وتريم وتريس ومريمة والغيل) وما تشمله حدود القبائل الشنفرية التابعة لها وهي قبائل (آل عمر و آل عامر و الفخائذ آل كثير والعوامر و آل باجري و آل جابر) ، بينما أطلقت يد الدولة القعيطية على بقية مناطق حضرموت بما فيها القرى التابعة لمدينة تريم والتي تسكنها قبائل آل تميم المتحالفة مع القعيطي .

ويروي ممن عاصروا تلك الفترة بأنه في حالة اختلاف الدولتين القعيطية و الكثيرية في رؤية هلال شهر رمضان أو هلال العيد . فيكون أهل المدينة الواقعين داخل السور صياماً بينما أهل القرى الواقعة خارج السور مفطرين والعكس . متقيدين برؤية الهلال من قبل الدولة التابعين لها .

وقد شبه مراسل مجلة العربي الكويتية سليم زيبال في استطلاع له عن المدينة في الستينيات من القرن الماضي ذلك السور بسور برلين .

المحور الثالث : القصور

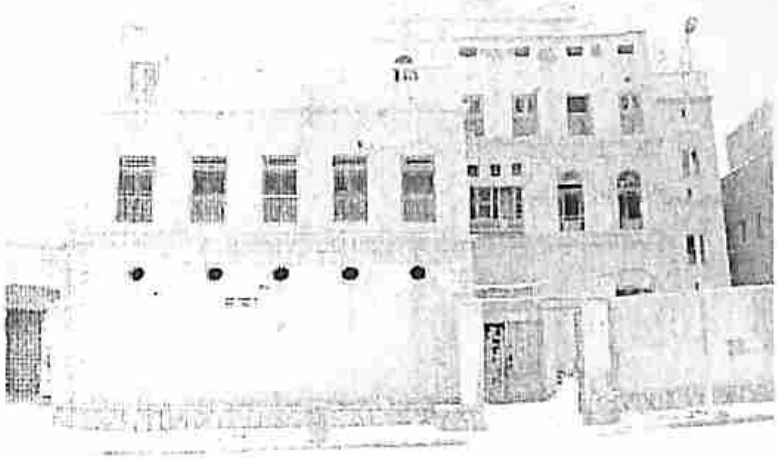
تزخر مدينة تريم بالكثير من القصور الفاخرة المبنية من الطين و مواد البناء المحلية التي بناها عمال من أبنائها استطاعوا المزج في بنائها بين طراز الفن المعماري الحضرمي الأصيل وفنون البناء الآسيوية والمالاوية .

وقد أسهمت هجرة الحضارمة إلى سنغافورة و أندونيسيا والهند في تطوير الحركة العمرانية بمدينة تريم ، وظهرت مُنذ القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي أسر ثرية كأمثال آل الكاف و آل بن يحيى و آل العيدروس و آل بن سهل التي تنافست في تشيد القصور الضخمة .

فمن هذه القصور (دار السلام و المنيصورة و قصر القبه و عشه و التواهي ، الرياض ، الطائف و أسمرة و خميران و البطيحة و سلمانة و بخيته و بن علي و بلعشر و باحواش و حمطوط و المدح و الخضيب و قصر عبد الرحمن بن شيخ الكاف) .

وقد تعرضت مع مرور الزمن بعض من أجزاء هذه القصور للتهدم والانهيار وأندثر البعض الآخر ، وإلى هذه اللحظة لم تلق هذه القصور الجميلة التي تنتشر في ربوع مدينة تريم العناية الكافية من حيث الصيانة والترميم للمحافظة عليها .

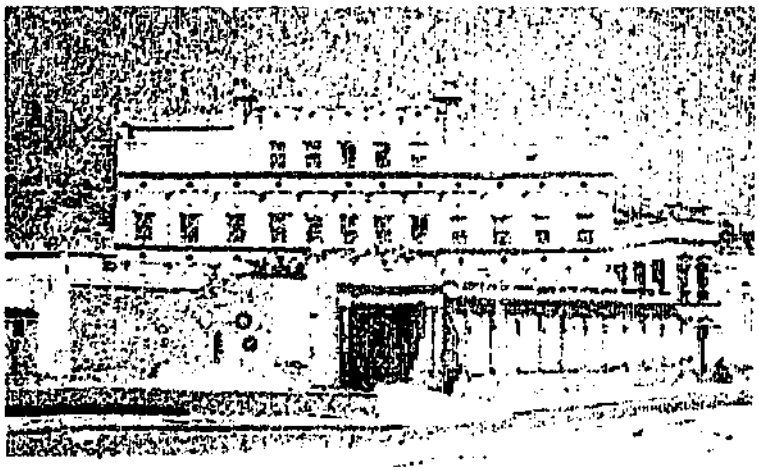
قصر (عشه) :



يقع في حارة المحضار ، وهو قصر عمر بن شيخ الكاف ، و يعود تاريخ استكمال بنائه إلى سنة ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠م على يد المعلم عمر يعمر وبإشراف المهندس علوي أبي بكر الكاف ، وسمي بعشّة نسبة إلى اسم بئر عشة (الأرض الزراعية) التي أقيم عليها ، و يُعد بحق نموذجاً رائعاً لفن العمارة الطينية بالمدينة ، إذ شيد من الخامات المحلية باستثناء الزجاج وبعض القطع الحديدية والخشبية التي استخدمت في صناعة الأبواب والنوافذ فقد استجلبت من الهند وسنغافورة ، ويتميز القصر بزخارفه الطينية ومنحوتاته الخشبية والنقوش الزجاجية ، ولعل أكثر ما يلفت انتباه الزائر للقصر سقف الغرفة الوسطى بالطابق الثاني الذي زخرف بالمرايا الزجاجية التي أعطت للغرفة منظراً جذاباً ، وكذلك النقوش الزجاجية الموجودة بالحمام في الطابق الأول.

وفي سنة ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣م نفذ فريق عمل مشترك من الهيئة العامة للآثار اليمنية وجامعة كولومبيا الأمريكية وجمعية التاريخ والتراث بمدينة تريم التي تتخذ من القصر مقراً لها - عملية توثيق للمبنى بالصور الرقمية والمساقط الهندسية ، وبجهود ذلك الفريق نفذ مشروعان للترميم الإسعافي للقصر .[٢١]

قصر المنيصورة :



يقع شرق مسجد المحضار ، ويعود إلى أحمد بن عمر بن عبد الله بن يحيى الذي أسسه سنة ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م ، وهو من القصور ذات الطراز المعماري الكولونيالي ، ويجمع بين الأصالة التي مثلتها النوافذ الحضرمية ذات الفتحات المعكوفة والمعاصرة التي مثلتها التيجان والزخارف التي تميز الواجهتين الشرقية والجنوبية .[٢٢]

قصر القبة :



يقع في حارة عيديد بجهة المزارع ، بناه محمد بن حسين بن شيخ الكاف حوالي سنة ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م ، وقام بالبناء ووضع التصاميم الهندسية للقصر المعلم عمر يعمر باحريش . ويتميز القصر بقبته التي اشتق منها اسم القصر ، وكذلك بالنقوش والألوان الزاهية التي تزين الواجهة الشرقية حيث المدخل الرئيس للقصر .

وفي سنة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م تم ترميم القصر وأعيد طلاؤه بالألوان بعد أن تم تأميمه من قبل السلطة الحاكمة آنذاك وتحويله إلى استراحة لاستقبال الزائرين والسياح .[٢٣]

ويوجد بحديقة القصر بركة السباحة التي تعد أكبر بركة سباحة بمدينة تريم آنذاك وتحيط بها الأشجار العملاقة والأزهار المتفتحة ، وأتذكر في أثناء زيارتي للقصر في سنة ١٩٨٣م وجود الخيول والعديد من الحيوانات الأليفة في حديقة القصر .

قصر عبد الرحمن بن شيخ الكاف :

يقع في حارة عيديد ، تم ترميمه مع إضافة ملحقات أخرى للمبنى سنة ١٣٥٧هـ / ١٩٨٣م بإشراف المهندس علوي بن أبي بكر الكاف ، وقد كُتبت في أعلى واجهة القصر سنة الترميم مع الأبيات الشعرية الآتية :

يا قصرُ مجدك باذخْ وطودُ عزك راسخْ
قُـل للمهنـدسِ أرخْ قصرٌ بهيجٌ شامخْ

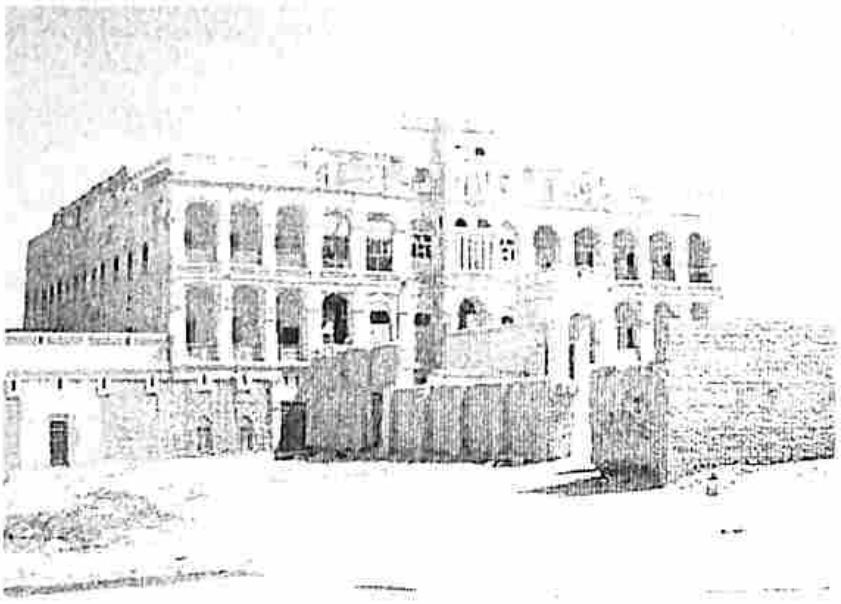
وتضفي الزخارف البديعة والأعمدة الضخمة التي تميز واجهة القصر وكذلك النوافذ المتناسقة منظراً جمالياً يستشف منه التأثر بالفن المعماري الشرق آسيوي ، وتتخذ جمعية تريم لخدمة التراث من القصر مقراً لها .

قصر دار السلام :

يقع بحارة المحيضره ، وهو أحد قصور محمد بن حسين الكاف ، بني تقريباً في سنة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م ، يتكون من ثلاثة طوابق بالإضافة إلى السطوح ويتميز بالأعمدة الأسطوانية التي تقوم عليها البالكونات ، ولا زالت توجد في المدينة حرفة صناعة الحجارة المدورة التي تستخدم في بناء الأعمدة الأسطوانية .

وقد نشرت الدكتورة سلمى الدملوجي في كتابها (وادي حضرموت هندسة العمارة الطينية – مدينتا شبام وتريم) رسوماً وخرائط للقصر .

قصر حمطوط :



يقع بحارة المحيضره ، أنشأه حسين بن شيخ الكاف في سنة١٣٦١هـ / ١٩٤٣م تقريباً ، ويروي الكثير بأن تسمية القصر بحمطوط نسبة إلى المزرعة التي بني عليها ، ويمتاز القصر بوجود مسبح بداخله .

المحور الرابع : مكتبة الاحقاف للمخطوطات

تعد مكتبة الأحقاف للمخطوطات التي تقع في الجهة الشمالية لمسجد الجامع من أبرز المعالم الحضارية لمدينة تريم وواحدة من أهم مكتبات العالم التي يأتي إليها الكثير من الباحثين والزوار والوفود من مختلف أنحاء العالم وذلك لما تحتويه من كتب مخطوطة ومراجع ثمينة من نوادر كنوز التراث اليمني والعربي والإسلامي التي تعطي لقرائها صورة عن التقدم العلمي والمعرفي الذي شهدته الحضارة الإنسانية .

كانت المكتبة قبل تكوينها عام ١٩٧٢م عبارة عن مجموعة من المخطوطات المتناثرة في الكثير من المكتبات الأهلية التي أوقفها أصحابها لطلبة العلم وفي مكتبات الأربطة الدينية ، وأبرز تلك المكتبات تعود لكل من : آل الكاف و آل بن يحيى و آل سهل و آل الجنيد و آل الحداد و آل الحسيني و آل العيدروس و مكتبة رباط تريم و ومكتبة السلطان صالح بن غالب القعيطي بمدينة المكلا .

وفي عام ١٩٧٢م جاء قرار تجميعها ووضعها في مكتبة واحدة حفاظاً عليها من الضياع والتلف وتسهيلاً للباحثين والقراء ، وأطلق عليها اسم مكتبة الأحقاف للمخطوطات نسبة لوادي حضرموت حيث أن الأحقاف هو الاسم القديم لوادي حضرموت والحقف في اللغة هو المرتفع من الرمال .[٢٤]

ومعظم المخطوطات بمكتبة الأحقاف تعود إلى القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين ، أما أقدمها يعود للقرن الخامس الهجري ونذكر نماذجا منها :

نسخة من البيان في تفسير القرآن (الجزء الخامس)لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، نسخت سنة ٥٩٥هجرية بخط نسخي مهمل النقط في الأكثر .

نسخة من الجزء الثاني من كتاب القانون في الطب لابن سيناء نسخت سنة ٦٣٣هجرية و بها حواش منقولة من نسخة المؤلف .

نسخة في جزئيين بخط بديع ومزين بالذهب لكتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي نسخت سنة ٧٦٣هجرية .

نسخة لخمسة أجزاء من الدر المنثور في التفسير لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي نسخت سنة ٨٩٧هجرية ومزينة بالذهب بالأسلوب المملوكي ، وعليها إجازات مكتوبة بخط المؤلف .

في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينات من القرن العشرين تم تصوير الكثير من تلك المخطوطات من قبل بعثة المخطوطات بالمنظمة العربية بالكويت والبعثة اليمنية السوفيتية .

وتشمل المكتبة على الأقسام الآتية :

قسم المخطوطات : ويحتوي على ٣٢٤١مجلداً مخطوطاً فيها ما يزيد على ستة آلاف ومائتي عنوان مرتبة في الدواليب على حسب فنون الموضوعات التي تحتويها كالتفسير و الحديث والفقه والتصوف والتراجم والسير والتاريخ و الأدب واللغة و الطب و المجاميع و هي مخطوطات تشمل على أكثر من نصف وموضوع ، ولكل مخطوط رقم وبطاقة خاصة به تعطي معلومات كاملة عن المخطوطة ، كما توجد فهارس على شكل جداول تعطي معلومات أولية للباحث .

قسم المطبوعات : يحتوي على الكثير من المراجع المتعلقة بالمخطوطات وكذا فهارس بعض المكتبات العالمية وكتب ودوريات في شتى العلوم ، ويزيد عدد المطبوعات فيه على ٢٥٠٠ مطبوع ولها فهرسة خاصة بها .

قسم الكمبيوتر والتصوير : يقوم بعملية صف وإعداد الفهارس وكذا تصوير المخطوطات (الفوتوكوبي والرقمي) لحفظها ولخدمة الباحثين .

قسم الصيانة : يحتوي على مواد وورشة متواضعة للتجليد .

قسم التصفح الالكتروني : يحتوي على جهاز كمبيوتر لتصفح المخطوطات المصورة والفهارس وكذا مجموعة من الموسوعات الالكترونية لمساعدة الباحث في عملية التحقيق والتأكد من المعلومة بأيسر الطرق العلمية .



و أهم الواجبات والأعمال اليومية التي تقوم بها المكتبة هي خدمة الباحثين الذين يفدون إليها من المؤسسات العلمية والجامعات الحكومية والأهلية والأجنبية ، كما تسهم المكتبة في عملية التعريف بالتراث الثقافي اليمني خاصة والعربي والإسلامي عامة وذلك من خلال استقبالها للوفود الرسمية الكبيرة كرؤساء الدول والحكومات والوزراء الزائرين لليمن والتي لا تخلو برامجهم من زيارة المكتبة وكذلك الأفواج السياحية من جميع أنحاء العالم ، حيث يقدر معدل الزوار الذين يرتادون المكتبة سنوياً بنحو ستة آلاف زائر .[٢٥]

الخاتمة

إن اختيار المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (الإيسيسكو) لمدينة تريم لتكون عاصمة للثقافة الإسلامية للعام ٢٠١٠م فرصة يجب استثمارها في ترميم وإعادة تأهيل معالم المدينة الأثرية والسياحية والحفاظ عليها . ونلخص بعض المقترحات المساعدة في تحيق تلك الغاية :

- الإسراع في استكمال ترميمات حصن الرناد ، وتحويله إلى مركز تراثي للمدينة يحوي على متحف للموروث الشعبي وخاصة ما تزخر به المدينة من الحرف والأشغال اليدوية وكذلك معرض لفنون العمارة الطينية ، وأن تنتقل إليه مكتبتي الأحقاف للمخطوطات وللمطبوعات ، ويكون مقراً للجمعيات والمنتديات المهتمة بالثقافة والتراث .
- استكمال ما ابتدأته بعض المؤسسات والمراكز العلمية المتخصصة في عملية توثيق للقصور الأثرية بالصور الرقمية والمساقط الهندسية لتشمل هذه العملية باقي المعالم الأثرية في المدينة .
- البدء في عملية الترميمات الإسعافية للمعالم المعرضة للانهيار على طريق استكمال الترميمات الشاملة.
- يجب تفعيل قوانين حماية الآثار والتراث حتى يكون تراث المدينة بمنأى عن التجاوز وتغيير المعالم والإلغاء تحت أي مسمى أو عنوان .
- عند ترميم وتوسعة المساجد الأثرية يجب الحفاظ على الطراز المعماري الطيني الذي تمتاز به.
- عمل لوحات للدلالات والتعريفات بالمفردات الأثرية والسياحية بالمدينة .
- ويجب أن تسعى المؤسسات الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني لجعل مدينة تريم وموروثها ضمن اهتمامات المنظمات الدولية الأخرى وخاصة مؤسسة اليونسكو والمنظمة الدولية للتوثيق والتراث المعماري (السيبا) ومؤسسة الآغا خان العالمية للثقافة وغيرها للاهتمام بتراث المدينة .

الهوامش :

١) حداد أبوبكر بالفقيه : تريم اسم في ذاكرة الزمن ، مجلة الفيصل ، الرياض ، ٢٠٠١م ، العدد ٣٠٠ ، ص ٥٢ .

٢) ياقوت بن عبدالله الحموي : معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت ، ج٢ ، ص ٢٨ .

٣) محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس ، منشورات دار مكتبة الحياة ، مصر ، ١٣٠٦هـ ، ج ١ ، ص ٧٦٣١ .

٤) سعيد عوض باوزير : معالم تاريخ الجزيرة العربية ، منشورات مؤسسة الصبان وشركاه ، عدن ، الطبعة الثانية ، ص.

٥) محمد بن أحمد الشاطري : أدوار التاريخ الحضرمي ، دار المهاجر ، المدينة المنورة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٤م ، ص٨٣، ٨٧.

٦) محمد بن أحمد الشاطري : المرجع السابق ، ص ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٧ .

٧) عبد الحكيم صالح العامري : السلطان بدر أبو طويرق ، دار تريم للدراسات والنشر ، حضرموت – تريم ، ٢٠٠٦م ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

٨) عبد الحكيم صالح العامري : المرجع السابق ، ٤٩- ٥١ .

٩) ثابت صالح اليزيدي : الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ، ٢٠٠م ، ص ١٠١ - ١٠٦.

١٠) عبد القادر محمد الصبان : تعريفات تاريخية عن وادي حضرموت ، طبع بمكتب الأمين لخدمات الكمبيوتر ، سيئون ، ٢٠٠٠م ، ص١٦ .

١١) سالم عوض رموضه : دراسات في العمارة الطينية في اليمن ، اصدار جامعة حضرموت ، ٢٠٠٥م ، ص ٨١.

١٢) أحمد بن عبدالله بن شهاب: تريم بين الماضي والحاضر، دار تريم للدراسات والنشر ، تريم حضرموت ، ص ٩٠، ٩١.

١٣) أحمد بن عبدالله بن شهاب : المرجع السابق ، ص ٧٨ ، ٨٠ .

١٤) http://rubat-tareem.net .

١٥) دسلمى سمر الدملوجي : وادي حضرموت هندسة العمارة الطينية - مدينتا شبام وتريم ، ١٩٩٠م ، ص ٢٩٤.

١٦) محمد بن أحمد الشاطري : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ .

١٧) سالم بن محمد بن حميد الكندي : تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة ، تحقيق : عبد الله محمد الحبشي ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ٢٠٠٣م ، ص ٦٩ .

١٨) سعيد عوض باوزير : صفحات من التاريخ الحضرمي ، مكتبة الثقافة ، عدن ، ص ١٩٢ .

١٩) محمد بن هاشم : تاريخ الدولة الكثيرية ، دار تريم للدراسات والنشر ، تريم حضرموت ، ٢٠٠٢م ، ص ٥٢.

٢٠) عمر بن أحمد بن عبدالله المشهور : غُنْيَة مَنْ تَمَنَّى في تَوْضيح مَعالِم تَرِيم الغَنَّاء ، كتيب ، ١٤١٥هـ ، ص ٨.

٢١) محمد بن عبد الله الجنيد وحسين بن محمد الكاف : المهندس علوي بن أبي بكر الكاف رائد العمارة الطينية اليمنية في حضرموت ، مركز النور للدراسات والابحاث ، الناشر مكتبة دار الفقيه للنشر والتوزيع ، حضرموت – تريم ، ٢٠٠٨م ، ص ١١٨- ١٢٢ .

٢٢) محمد بن عبد الله الجنيد وحسين بن محمد الكاف : المرجع السابق ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

٢٣) عبد القادر محمد الصبان : تعريفات تاريخية عن وادي حضرموت ، طبع بمكتب الأمين لخدمات الكمبيوتر ، سيئون ، ٢٠٠٠م ، ص ١٧ .

٢٤) المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف م/ حضرموت : انجازات المركز اليمني خلال عشر سنوات ١٩٧٩- ١٩٨٩ ، المكلا ، يناير ١٩٨٩م ، ص ١٠٠ .

٢٥) مقابلة مع الأستاذ حسن عمر أحمد الهادي ، الأمين العام للمكتبة ، في ١٢أكتوبر ٢٠٠٨م .

مدى ملاءمة المباني الطينية للعمارة البيئية

دراسة حالة مدينة تريم - وادي حضرموت

د. محمد عبدالله السقاف

ملخص البحث:

مدينة تريم من المدن القديمة التي جاء ذكرها في نقوش المسند وذلك لموقعها على طريق التجارة ، تقع ضمن المنطقة المدارية التي تتميز بالمناخ الحار الجاف.

تُعد العمارة الطينية الأساس في بناء المباني السكنية وغيرها من المباني في وادي حضرموت نظراً لخصائص البيئة المناسبة التي تتناسب ومناخ الوادي الذي يتسم(بالحار الجاف) وتشكل نسبة المباني الطينية في الوادي (٩٥٪) ، تُعد الخصائص الفيزوحرارية لمادة الطين التي تختلف عن سواها من المواد الأخرى على درجة كبيرة من الأهمية والكفاءة التي جعلت استخدامها في وادي حضرموت مدن وقرى لعدد من السكان يقدر بحوالي نصف مليون نسمة.

الطرق الحالية التي تعمل بها القوالب الطينية المسماة (المدر) هي الطريقة البدائية ومع التقدم في العصر الحالي وتكنولوجيا البناء فان استخدام واستحداث تطور في خام الطين وتحسين مواصفاته وتصنيعه بالكم الكبير بالجودة الكبيرة يساعد على تطوير البناء والعمارة وتحقيق العمارة البيئية دون اللجوء إلى البلوك والمباني الخرسانية وكذلك توفير إسكان مناسب لمحدودي الدخل.

ونستخلص من الدراسات مدى جدوى البناء بالطين في تحقيق عمارة بيئية مناسبة للظروف الطبيعية والجغرافية والبيئية لوادي حضرموت بصفة خاصة ولليمن بصفة عامة. وسوف يتعرض البحث إلى نموذج من المباني الطينية المقامة في وادي حضرموت، ودراسة خصائصها والمواد المستعملة فيها. وينتهي البحث باستعراض أهم النتائج التي يتوصل إليها والتوصيات اللازمة.

المقدمة :

فرضت العمارة الطينية في وادي حضرموت حضوراً متميزاً نابعاً من توظيف واستعمال المواد البنائية المحلية بتشكيل ينسجم وبيئة الإنسان وحاجاته ومتطلباته. فيما يتعلق بالحفاظ وتطوير تكنولوجيا العمارة الطينية المتبعة حالياً في وادي حضرموت من خلال منهجية علمية تعتمد في الأساس على دراسة الجوانب المختلفة لهذا الموضوع آخذين بنظر الاعتبار التغيرات السريعة في هذه المرحلة بالذات .

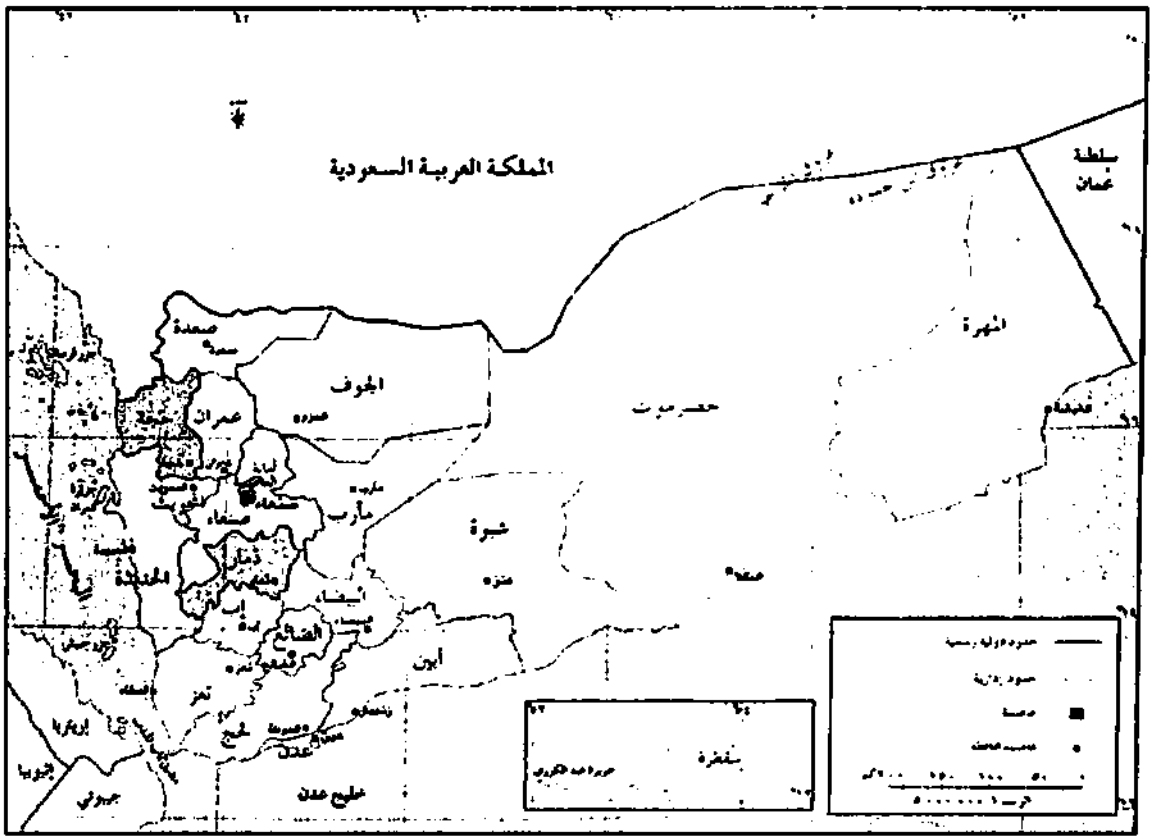
خلال العقدين الماضيين صدرت العديد من الدراسات والبحوث التي تتطرق إلى جوانب مختلفة شملت التقنيات الأثرية ودراسة المحميات والتجمعات السكنية من جوانبها المختلفة وتبنت مؤسسات ومراكز بحثية دولية كاليونسكو(Unesco) ومحلية هذه العملية وأصبح حلم الوصول إلى اليمن والتعرف عليه يراود العديد من المهتمين لما لهذا البلد من جذور حضارية تمتد الى عمق التاريخ. حيث بقي اليمن منعزلاً عن العالم مدة طويلة وبقي اتصاله بالعالم الخارجي عن طريق المدن الساحلية أما التوغل في داخله فقد كان أسطوره بعيدة التحقيق.

في أواخر القرن الثامن عشر بدأ المغامرون الرحالة وعلماء الآثار بمحاولات للوصول إلى هذه المنطقة والتجول فيها، أما بالنسبة للعرب فقد تأخرت زيارات العلماء والرحالة المتخصصين إلى مطلع القرن العشرين. تم خلال هذه الزيارت لوادي حضرموت مسح وتصوير جوانب مختلفة من طبيعة الوادي والتعرف على الشواخص المعمارية وتوثيق جوانب مختلفة من البيئة الحضرمية.

أولاً: وصف الموقع وحالة المناخ بوادي حضرموت:

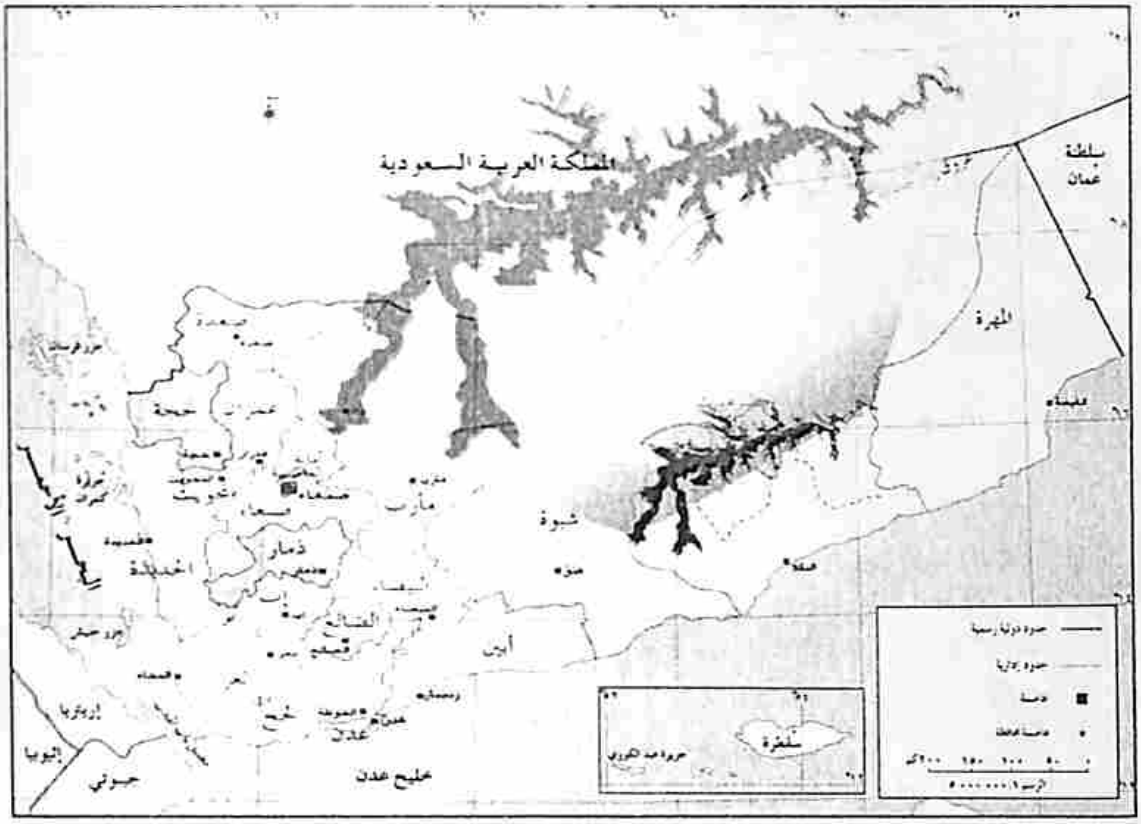
١- ١ : وصف الموقع :

تقع محافظة حضرموت بين خطي العرض(١٤°، ١٩°) شمالاً، وخطي طول(٤٦°، ٥٢°) شرقاً شكل رقم(١).

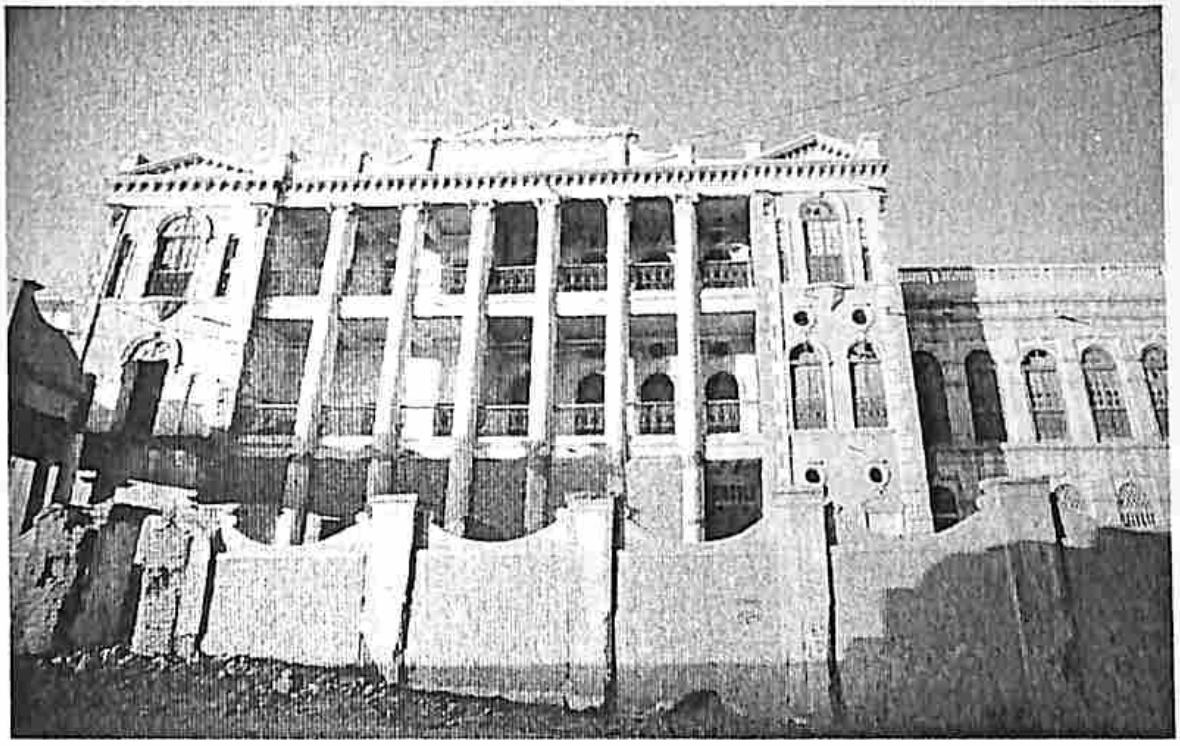


شكل رقم (١) يوضح موقع محافظة حضرموت بالنسبة للجمهورية اليمنية

أما موقع وادي حضرموت فيقع بين (١٥°، ١٧°) شمالاً،(٤٨° - ١٥ ٤٩°) شرقاً. ويتضح من الخريطة شكل رقم(٢)، أن وادي حضرموت يقع في محافظة حضرموت والتي تقع بالجزء الشرقي للجمهورية اليمنية، مجاوراً للربع الخالي بين خطي عرض (١٥°- ١٧°)، وخطي طول (٤٨°- ١٥ ٤٩°) درجة... وتبلغ مساحة الإقليم الوادي والصحراء(١٢٦٠٠٠ كم٢)ويشكل حوالي (٧٨٪) من مساحة محافظة حضرموت والتي تبلغ مساحتها (١٦١٠٠٠كم٢) ويشكل الإقليم(٢٨٪)من إجمالي مساحة الجمهورية اليمنية [٨].



شكل رقم (٢) يوضح موقع وادي حضرموت بالنسبة للمحافظة ومحافظات الجمهورية



شكل رقم (٣) يوضح أحد القصور التاريخية بمدينة تريم

يعتبر وادي حضرموت من أكبر أودية اليمن، يبلغ طول الوادي(٩٠٠كم)، يرتفع الوادي عن مستوى البحر بـ (٧٠٠) متر ويصل في قسَم إلى حوالي (٥٠٠) متر عن مستوى سطح البحر، ترتفع الجبال الكلسية المحيطة بالوادي إلى(٣٥٠)مترشكل رقم(٣)،(A٣) ويكون قعر الوادي منطقة خصبة عرفت بوفرة محاصيلها الزراعية. تتفرع منه وديان عمودية علية (ستة عشر وادياً) أهمها وادي عدم والعين ودوعن وعمد، وجعيمة، تستقر في هذه الوديان تجمعات سكنية طينية طورت طابعاً من العمارة البرجية المميزة والمتفردة، ففي مدينة شبام يصل ارتفاع المباني فيها إلى ثمانية طوابق شكل رقم(٤) أما في مدينة تريم فيصل ارتفاع منارة المحضار إلى(٣٨متر) شكل رقم(٥) خلقت هذه الحالة تضاداً لونياً مع كثافة الخضرة المحيطة بها[٩].



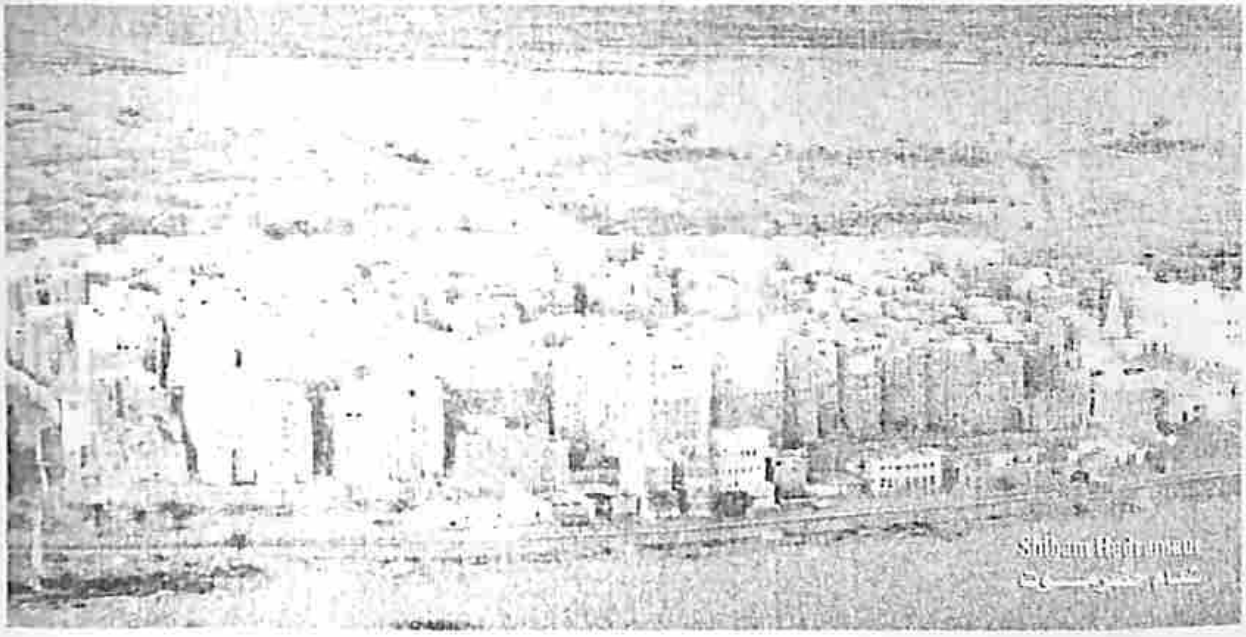
شكل رقم (A٣) يوضح وادي حضرموت

ويتضح به جانب من مدينة سيؤن الهضبة الشمالية بارتفاع يصل إلى ٣٥٠ مترا.



شكل رقم (٤) يوضح مدينة شبام التاريخية

ومجرى السيول في مستوى بطن الوادي والمدينة على مرتفع من الأراضي



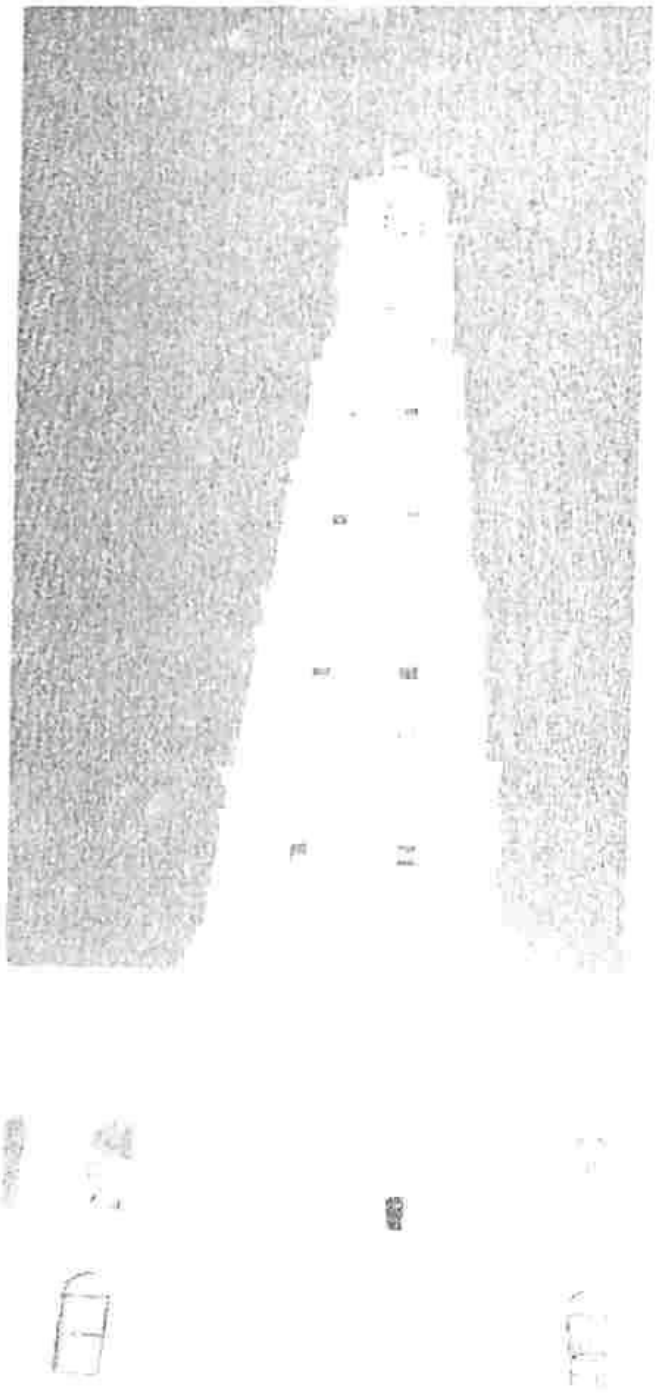
شكل (٤A) يوضح مدينة شبام التاريخية مساء

والإضاءة الصناعية جعلت المدينة تتألق بمبانيها التراثية وتوضح مدى الاهتمام بها

تعبر الصور عن مدينة شبام التاريخية مدينة السحر والجمال مدينة الخيال ومهد العلم والتجارة ومدينة الوادي وكنز من كنوزه التي يفتخر بها كل يمني ويعتبر ما وصل إلية تفكير أجداده من تطوير البناء المعماري في وادي حضرموت .

وتسمو مباني مدينة شبام وترتفع إلى أعلى شاهقة نحو السماء في أطوال متوازية وزوايا متناسقة تبلغ أطوالها في معدل ثابت يتراوح بين ثلاثة وعشرين إلى أربعة وعشرين مترا كلها من الطين والخشب لا تتأثر بالعواصف والأمطار مصقول أعلاها متقد أسفلها بلغ عدد منازلهم خمسمائة منزل متجاور متعاضد بعضها مع بعض تتخللها الأزقة ويتوسطها المسجد الجامع بمئذنته العالية التي تقل عن ارتفاع المنازل ويقابل كل ذلك قصر الحكم والحصن النجدي وبوابات المدينة ومنازل الجنود .

وما تم عرضه يؤكد أن وادي حضرموت مليء بالتراث الحضاري المبني بالطوب الطيني وتؤكد عظمة وتاريخ البناء الطيني واستدامته والحفاظ عليه بمرور الزمن .



شكل رقم (٥) يوضح منارة جامع المحضار بمدينة تريم
الفريدة في طرازها وجمال تصميمها من المدر الطيني والتي ترتفع بحوالي ١٧٥ قدماً.

١-٢: وصف مناخ وادي حضرموت بما يلي:

١. الارتفاع العام في درجات الحرارة إذ لا يقل معدلها السنوي عن(٢٧.١م°) والزيادة واضحة في درجات الحرارة في فصل الصيف إذ بلغت معدلات درجة الحرارة في شهر يوليو(٤٢.٢م°) والانخفاض النسبي في درجات الحرارة في فصل الشتاء إذ وصلت أدنى معدلات درجات الحرارة في شهر يناير(٧.٨م° .جدول [١].

٢. المدى الحراري اليومي والفصلي كبير نتيجة للهوة الكبيرة في درجات الحرارة بين الليل والنهار وبين الصيف والشتاء حيث وصل معدل المدى الحراري نحو(٣٢م°)[٢].

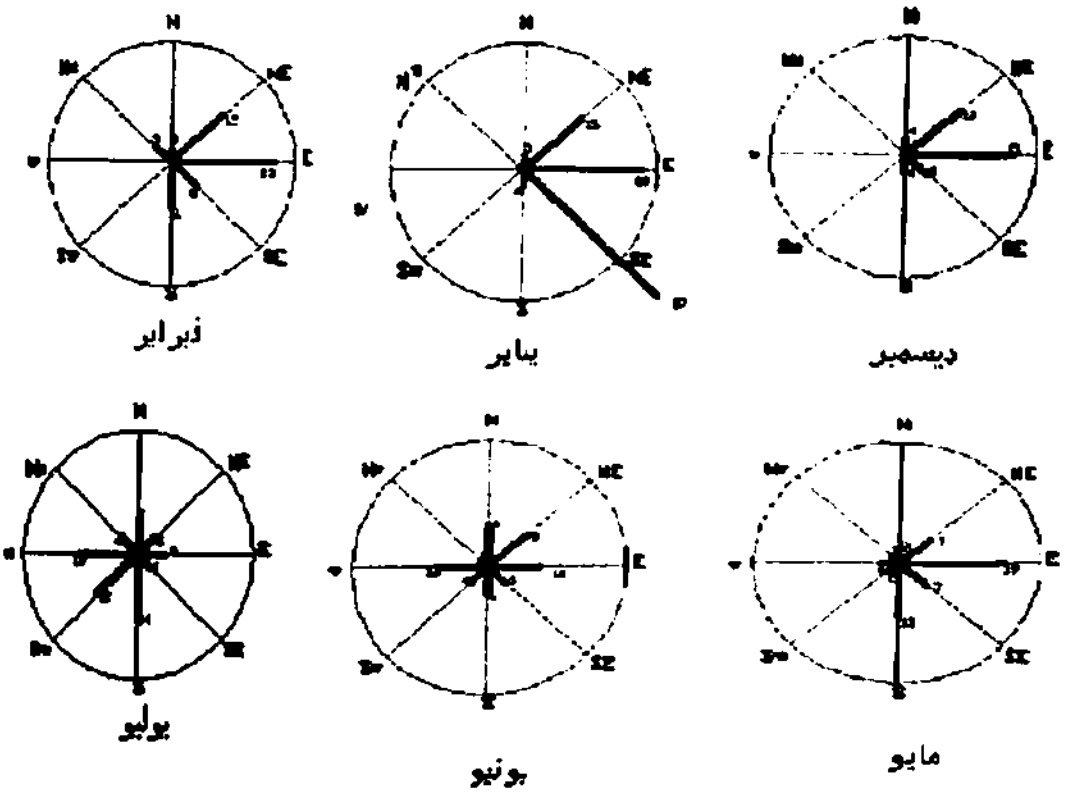
٣. الانخفاض العام في الرطوبة النسبية في الجو إذ وصل معدلها السنوي إلى(٤٢.٤م)، إلا أن معدل الرطوبة النسبية يرتفع في فصل الشتاء مقارنة بفصل الصيف إذ سجلت أعلى متوسطات للرطوبة في شهر يناير(٥٥٪)وأدناها في شهر يوليو (٣٣.٢٪) [٢].جدول (١) .

٤. الاتجاه العام للرياح السائدة في هذا الإقليم غربي وشمالي غربي بواقع(٢٠٪، ١٦٪، ١٢٪) على التوالي إذ تمثل هذه الاتجاهات الثلاثة مجتمعة نحو(٤٨٪) من جملة الريح التي تهب على هذا الاقليم[٧]. شكل رقم (٦).

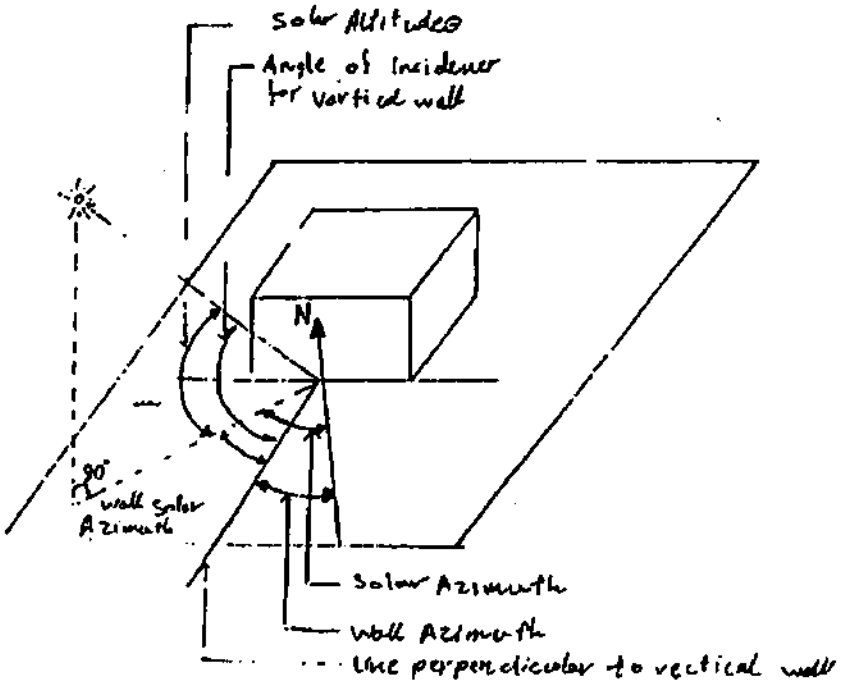
٥. أعلى معدل الإشعاع الشمسي وصل في شهر يونيو(٨١٥واط/م^2) والسبب عائد إلى أن الشمس تكون عمودية في هذا الفصل، وأقل معدل سجل في شهر ديسمبر(٦٧٣واط/م^2) ذلك عائد إلى اختلاف زاوية السقوط وصفاء السماء[٧].شكل رقم (٧).

درجة الحرارة العظمى لعام ٢٠٠١	درجة الحرارة الصغرى لعام ٢٠٠١	الرطوبة النسبية لعام ٢٠٠١
٢٩,٤	١١,٥	٣٧,٤
٣٢,٢	١٨,٥	٤٧,٦
٣٤,٥	١٥,٧	٢٩,٧
٣٧,١	١٩,٢	٢٥,٥
٤١,٧	١٩,٨	١٩,٥
٤٢,٥	٢٢,٥	١٨,٣
٤٢,٤	٢٥,٦	٢٤,٠
٤٢,٦	٢٥,٠	٢٠,٧
٤١,١	٢١,٨	١٨,٥
٣٥,٧	١٥,٢	٢٤,٧
٣١,١	١١,٨	٢٧,٦
٢٨,٩	٨,٢	٣١,١

جدول رقم (١) درجة الحرارة العظمى والصغرى والرطوبة النسبية لوادي حضرموت(سيؤن)



شكل رقم(٦) يوضح سرعة واتجاه الرياح لأشهر فصل الشتاء(ديسمبر، يناير، فبراير)
وأشهر فصل الصيف(مايو، يونيو، يوليو) في وادي حضرموت (سيئون)



شكل رقم(٧) يوضح توصيف زوايا الإشعاع

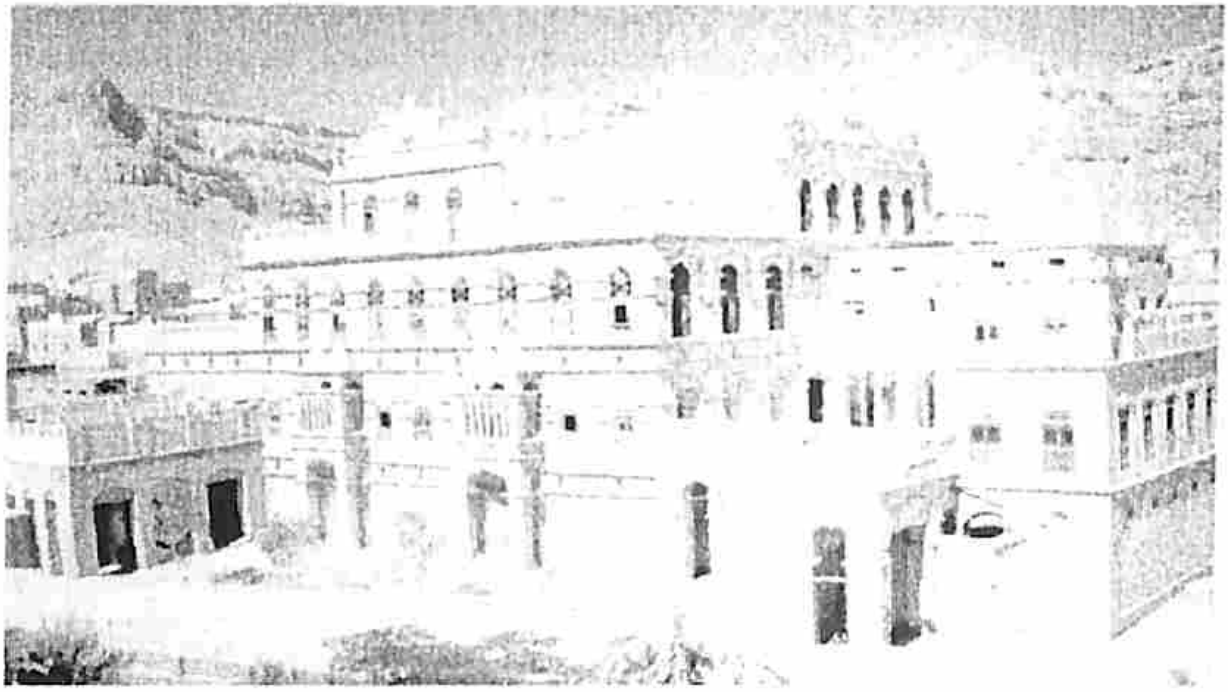
ثانياً: المباني الطينية بوادي حضرموت ومواد البناء التقليدية المستعملة فيها وخصائصها:

٢-١ المباني الطينية في وادي حضرموت:

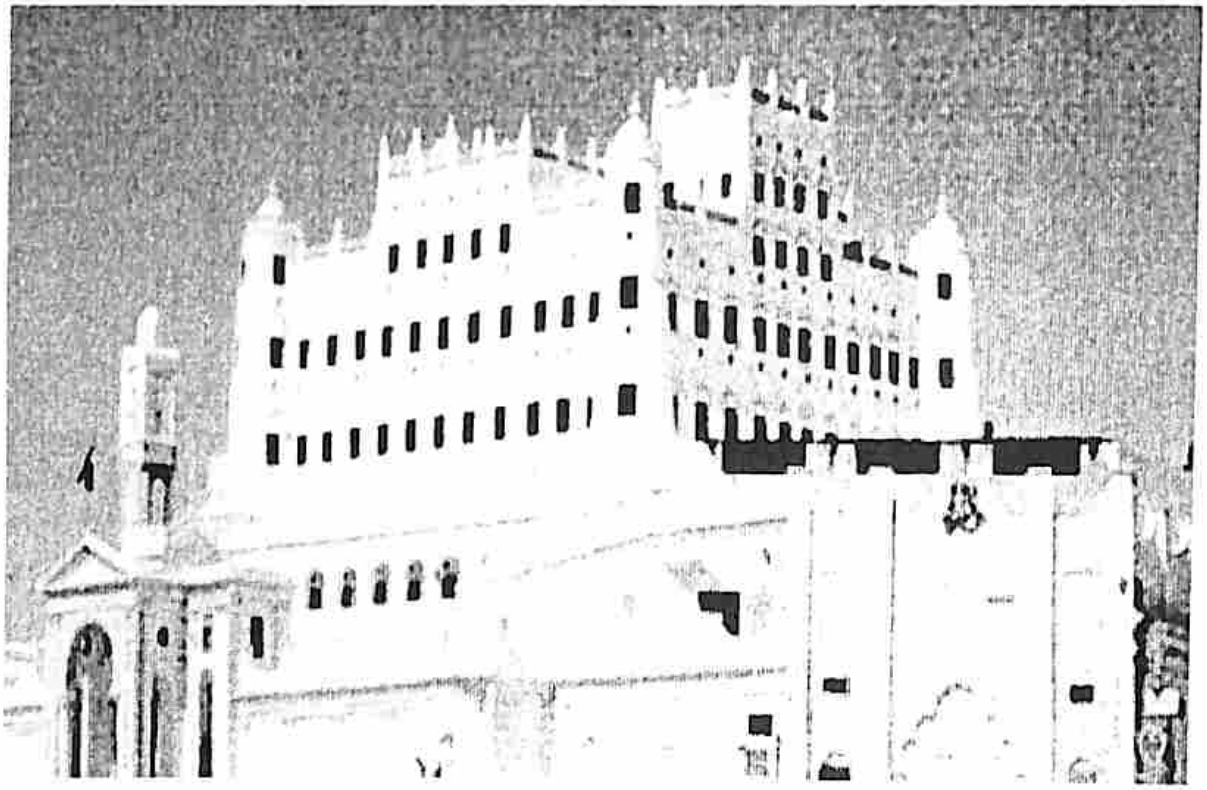
كان الطين منذ فجر التاريخ ولإستقرار الإنسان في وادي حضرموت واحداً من مواد البناء الأساسية، ساعد على استخدامه تواجده بوفرة في كل مكان وسهولة تشكيله واستخدامه، وتعتبر العمارة الطينية امتداداً للأرض الطبيعية حيث أكدت على ارتباط الإنسان الحضرمي بأرضه. وشكلت هذه المباني الجذور التقنية والثقافية للعمارة التقليدية الحضرمية شكل رقم(٨)،(٩)، كما ساعدت على تقوية رابطة الانتماء الإنساني للمسكن والأرض.

ولقد تطورت تقنية البناء بالطين في وادي حضرموت من خلال التجربة والخطأ منذ بدء الإنسانية. وتتميز العمارة الطينية بنعومة التشكيل وتعدد الأشكال وإمكانية الزخرفة والانسجام داخل الفراغات، وإمكانية ارتفاع المباني الطينية إلى ثمانية طوابق.

يظهر استخدام الطين في مدن وادي حضرموت إلا أن مدينة شبام (شكل رقم(٤)) تعد من أروع الأمثلة للعمارة الطينية حيث يطلق عليها(منهاتن الصحراء) بمبانيها الخمسمائة التي تشبه غابة من ناطحات السحاب التي يصل ارتفاع بعضها إلى (٣٠متراً)[٣].



قصر آل الكاف

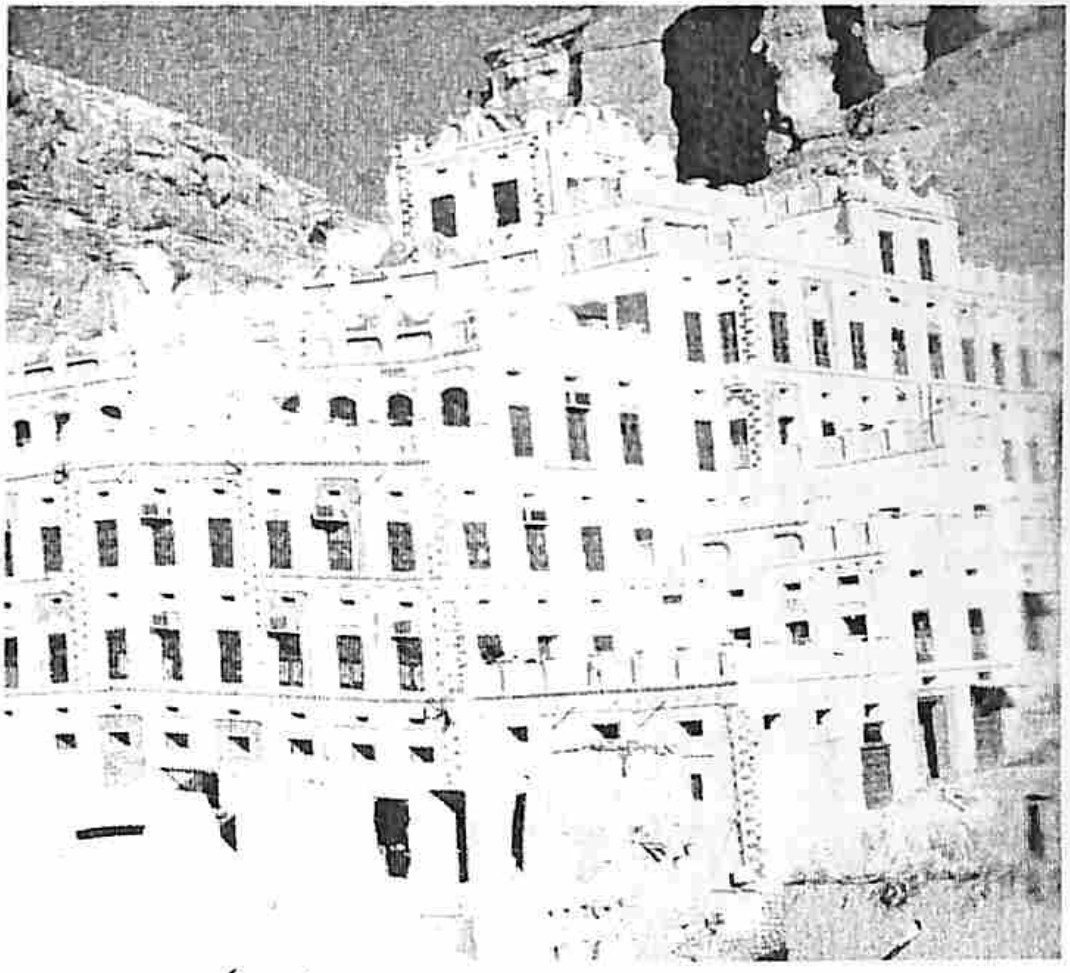


قصر سيئون

شكل رقم (٨) يوضح مباني طينية تراثية بوادي حضرموت تعتبر من أهم المعالم الأثرية والتاريخية بمدن تريم وسيئون .



قصر الحوطة



قصر الشيخ عبدالله أحمد بقشان (حديث معاصر)

شكل رقم (٩) يوضح مباني طينية تراثية بوادي حضرموت
تعتبر من أهم المعالم الأثرية والتاريخية بمدن الحوطة ودوعن .

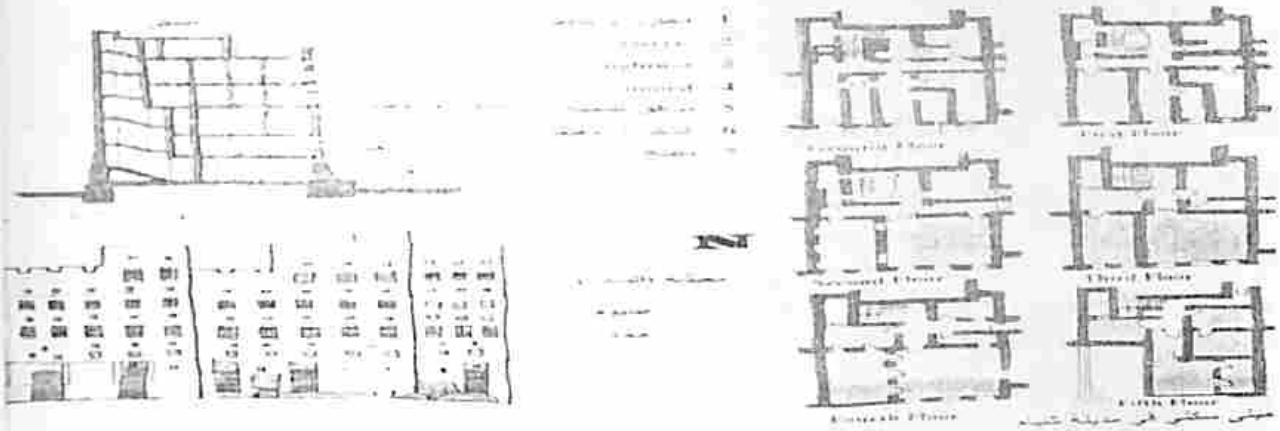
وتؤكد المباني التراثية المعروض أنها تراث تاريخي عريض في تصميماته المعمارية وفي عظمة بنائه بالطوب الطيني الجيد في تصنيعه محلياً وقوة وعظمة مبانية بما يحقق عمارة طينية ذات خصائص فريدة في مكوناتها وقوة تحملها لعصور تاريخية تؤكد عظمة الفكر والبناء لأجدادنا وتؤكد ضرورة الحرص منا على الحفاظ عليها .

٢-٢ أسلوب البناء للبيت الطيني الشبامي التقليدي بوادي حضرموت:

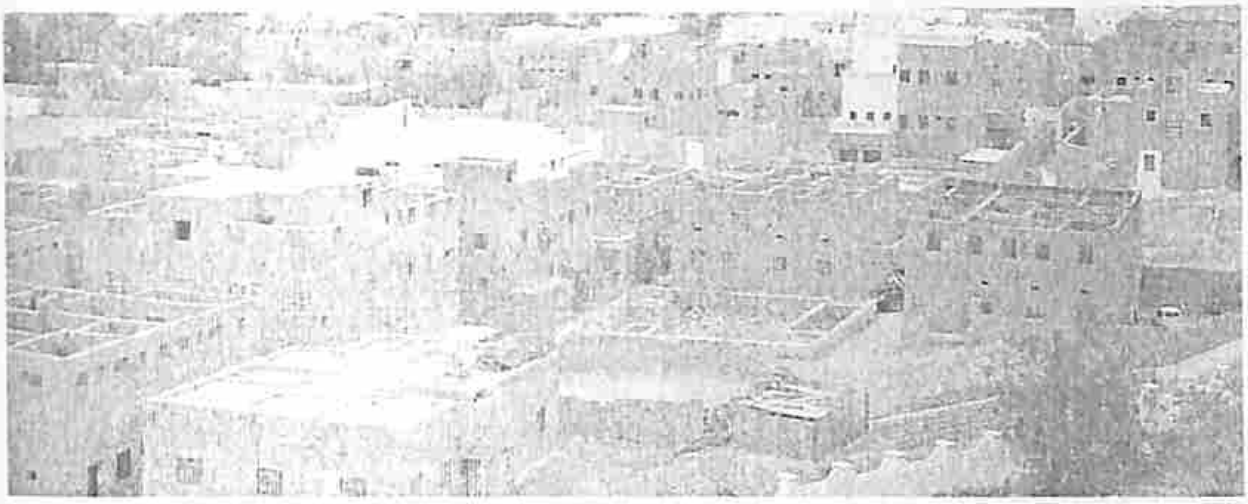
هو جزء من التراث القديم حيث يتم بناء الأساسات من الحجر حيث يصل عمق الأساس إلى(١.٢٠م) ويستمر إلى ارتفاع(١.٢٠م) فوق سطح الأرض ويصل سمك جدار الأساس إلى(١.٥٠م)، يبدأ بعد ذلك البناء بالطوب المجفف بأشعة الشمس(المدر) بسمك(١م) في الطابق الأرضي ويقل سمك الجدار إلى(٠.٣٠م) أو (٠.٢٠م) في الدور الأخير السطوح المكشوفة (الريوم). أما الأسقف فتعمل بصورة عامة من أغصان الأشجار أو جذوع النخيل التي تقطع إلى أربعة قطاعات طويلة وتسد الفراغات بينها بقطع من المدر أو الحجر (شكل رقم(١٠)).

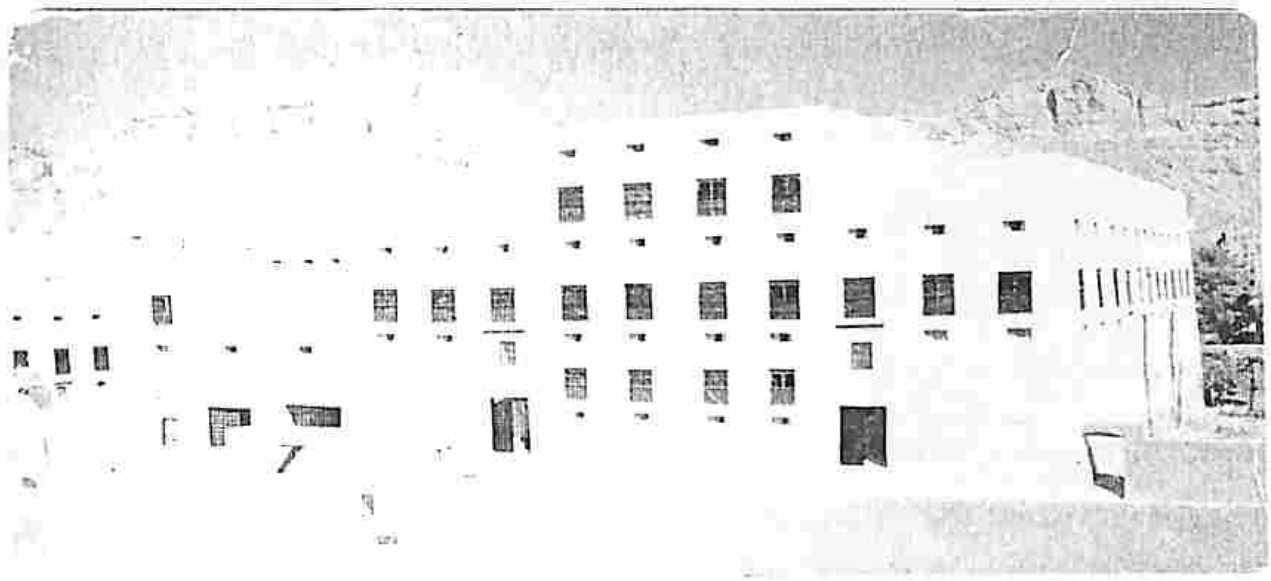
الطرق الحالية التي تبنى بها المباني الطينية السكنية الجديدة هي الطريقة البدائية ومع التقدم في العصر الحالي وتكنولوجيا البناء يتم استحداث تطور في خام الطين وتحسين مواصفاته وتصنيعه بالكم الكبير وبالجودة الكبيرة يساعد على تطوير البناء والعمارة الطينية بوادي حضرموت في الوقت الحالي (شكل رقم(١١)).

يقتصر استخدام الزخرفة في مباني شبام على الأبواب والنوافذ والأعمدة الداخلية وأحياناً النوافذ الخارجية بواسطة إطار بارز ذي عقد مدبب. تطلى الواجهة في الجزء السفلي والعلوي بالنورة ويبقى الجزء الوسطي بلون الطين شكل رقم(١٠، ٤). بالنسبة لتوجيه الفراغات فتوجه الخدمات إلى الجهة الشمالية وتوجه جميع الواجهات الرئيسية قدر الإمكان إلى الجنوب وفيها الفتحات والنوافذ للاستفادة من أشعة الشمس في فصل الشتاء لتدفئة المنازل[٤].



شكل رقم (١٠) يوضح المساقط الأفقية لمبنى سكني طيني تقليدي في مدينة شبام يتكون من ستة طوابق ويوضح القطاع مستويات الطوابق وتوضح الواجهة الطابع المميز لها.





شكل رقم (١١) يوضح صورة علوية لمباني طينية سكنية جديدة نفذت بإحدى مدن الوادي وبارتفاعات من طابقين إلى ٣ طوابق مع سماكات صغيرة للحوائط.

يشكل أسلوب البناء الموضح بالمباني الطينية لمدينة تريم التاريخية وغيرها من مدن الوادي والمباني بارتفاع من ستة إلى ثمانية طوابق نوعاً من العظمة في حساب عملية البناء بالطوب الطيني والكفاءة الكبيرة لقوة تحملها والكفاءة الوظيفية لعادات وتقاليد السكان والمراعاة الحقيقية للجانب الطبيعي لحالة المناخ والظروف الطبيعية والبيئية المحيطة .

٢-٣ مواد البناء التقليدية بوادي حضرموت:

تتنوع مواد البناء التقليدية المستخدمة بوادي حضرموت ومنها مايلي:

١. الطوب الطيني(المدر):

يصنع المدر بخلط الطين المستخرج من الحقول الزراعية مع كمية من التبن(مخلفات الحنطة أو الشعير) ويعمل التبن على تقليل الشقوق ونسبة الانكماش عند الجفاف إضافة إلى زيادة قوة التماسك للمادة الطينية. ثم يترك يتخمر فترة أسبوع أو أسبوعين ثم يصب في قوالب خشبية مختلفة الأبعاد تبعاً لموضع البناء . ويترك ليجف تحت أشعة الشمس (شكل رقم(١٢)).

٢. الأحجار:

تستخدم الأحجار الكلسية في بناء الأساسات للمباني الطينية ،الذي يجلب من مناطق الجبال المحيطة شكل رقم(١٣).

٣. الجير(النورة):

عبارة عن مادة بيضاء ناعمة الملمس تدخل في الصناعات البنائية. وهناك تقنية خاصة تعتمد في الأساس على حرق الأحجار الجيرية في أفران(كورة) ثم تضرب وتفتت وتحول إلى مسحوق ناعم يمزج مع الرمل ، تطلى بها السطوح وأوجه المباني كمادة عازلة للرطوبة شكل رقم(١٤).

٤. الخشب:

يستخدم الخشب كمادة أساسية في إنشاء الأسقف والأبواب والنوافذ...وغيره، ومن أشهر الأشجار المستخدمة في وادي حضرموت شجرة العلب(النبق) فيستخدم جذعها في صنع العوارض التي تلحم أطراف السقوف المسطحة والأعمدة التي تدعمها أما فروعها فتستخدم لتغطية عوارض السقف. كذلك سعف شجرة النخيل وكذلك أغصان شجرة الراك شكل رقم(١٥)[٦].



شكل رقم (١٢)

يوضح شكل وحجم الطوب الطيني وعملية تصنيعه اليدوية في وادي حضرموت



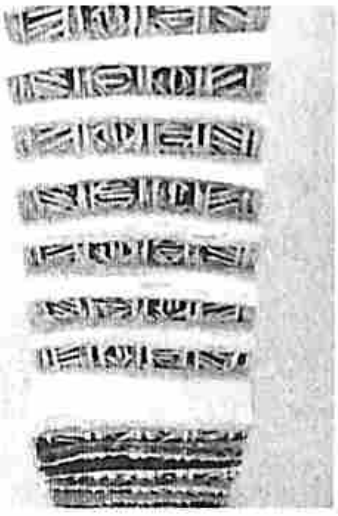
شكل رقم (١٣)

يوضح تكوين أساس الحوائط من الحجر الكلسي بعرض لا يقل عن ٤٠ سم.



شكل رقم (١٤)

يوضح عملية التليس بالنورة التي تستخدم مع المدر وتشكل طابع عام للواجهات بوادي حضرموت



شكل رقم (١٥)

يوضح تكوين وتركيب الأسقف الخشبية من جذوع النخيل والنباتات

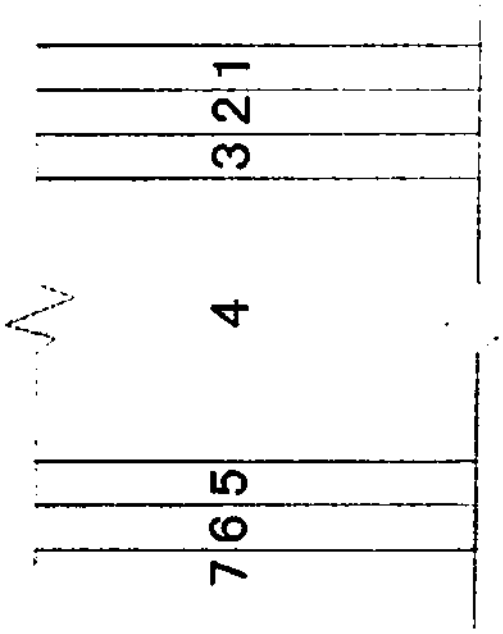


شكل رقم (١٦)

يوضح عمليه التليس بالطين للحوائط بعد بنائها لتعطي الشكل المناسب لها من الخارج.

٢-٤ خصائص مواد البناء التقليدية بوادي حضرموت:

لقد أجريت بعض التجارب لمواد البناء الطينية لمدينة شبام التاريخية بوادي حضرموت في أكاديمية أوديسا الحكومية للبناء والعمارة(جمهورية أوكرانيا) وتمثلت هذه التجارب في معرفة بعض الصفات الفيزوحرارية للجدار الطيني من أحد مباني مدينة شبام مع الأخذ بعين الاعتبار الطبقات التليسية المضافة في الجدار الطيني كما هو موضح في الشكل رقم(١٧) [٥].



شكل رقم(١٧) يوضح طبقات الجدار الطيني لمبنى بمدينة شبام.

النتائج المخبرية تؤكد أن قيمة معامل التوصيل الحراري لمواد البناء الطينية للعينة المدروسة تظل ثابتة وحتى عند امتصاصها للرطوبة والتي يمكن أن تصل إلى ٧٠٪ (أي إنه ليس مرتبطاً بعامل الرطوبة) خصوصاً عند الظروف المناخية الحارة والجافة والتي تعمل عندها جدران بيوت المدينة.

أما فيما يتعلق بالمتانة فمن خلا التحاليل المخبرية التي قمنا بها وجد أن الحد النهائي للمتانة ضد الانضغاط (نقطة الكسر) في الحالة الجافة للعينة الطينية الطبيعية من جدار الطابق الأول والطابق السادس والمنقولة من بيت من بيوت مدينة شبام التاريخية (بيت جرهوم) ويعادل ٣,٣١ MPa مع الأخذ في الاعتبار أن المتانة المعيارية تساوي ٢,٥ MPa أما المتانة عند انضغاط العينات الطينية ذات الطبقات الرطبة عند بارامترات الاتزان الرطب تساوي ٢٪ ،

متوسط الرطوبة النسبية ٧٠٪ ويساوي ٣.١٥ MPa وهذا يعني أن انخفاض شدة المتانة عند تلك الظروف الاصطناعية بلغت حوالي ٥٪ مقارنة بالنسبة لشدة المتانة في الحالة الجافة ، هذه النسبة المئوية في الشدة تعتبر انحرافاً تقنياً وتشغيلياً مسموح به عند مقارنته بالمطلب المعياري التقني المتعارف عليه وهذا يؤكد أن معامل امتصاص الجدار للرطوبة سوف يكون أقل وينخفض أكثر إذا وضعنا في الاعتبار وجود ٣ طبقات تجصيصية وتلييسية إضافية في كل من الجانب الداخلي والخارجي للجدار وظيفتها حماية الجدار الأساسي من التأثيرات السلبية نتيجة لتغيرات درجات الحرارة والرطوبة للوسط المحيط فينتج عن ذلك زيادة إضافية لعامل المتانة وابتعاد أكثر من الحد النهائي للمتانة [٥].

ثالثاً: ملاءمة البيئة المعمارية لمواد البناء التقليدية:

شكلت العمارة الطينية في وادي حضرموت أحد أهم المميزات التي أعطت الإقليم أهميته منذ قرون وحتى اليوم إذ شكل هذا العمران البيئي مواءمة متكاملة في جوانبها الطبيعية والاجتماعية بين ساكنيه وما يملكون من قيم وعادات وتقاليد، وبين خصائص البيئة الطبيعية بعناصرها المختلفة.

تظهر لنا المواءمة البيئية واضحة بين طبيعة البيوت وظروف البيئة المحلية وهي أن لكل بيئة ولكل طقس نمطاً من البناء يكمل المنطقة التي يقوم فيها ويحقق المتطلبات الجمالية والحياتية من خلال الاعتماد على موارد البيئة المحلية.

فمواد البناء المستخدمة محلياً في وادي حضرموت(كالطين مثلاً) تؤمن لتلك الأبنية حماية جيدة من الشروط المناخية القاسية سواء في فصل الصيف الحار أو في فصل الشتاء البارد وكذا أمام العواصف المطرية والرياح السائدة خاصة بعد خلطها بالتبن وطلائها بالنورة. ولعل الدراسات والأبحاث المتعلقة بالسكن توصلت إلى أن العمارة الطينية هي الأفضل بحكم كونها أكثر ثباتاً لإجهادات الشد ومقاومة للعواصف المطرية وأمانة مضمونة لقاطنيها خاصة وأنها تعتمد على المواد المحلية المتوفرة.

لذا فإن الأهمية البالغة لهذه العمارة تتمثل في تعاملها الإيجابي مع البيئة المحلية بكل جوانبها الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية، وهذا كفل لها البقاء كشواهد حية رغم مرور الزمن وتغير الظروف الاقتصادية والاجتماعية المحيطة بها.

ظلت موارد البيئة المحلية المصدر الوحيد والأساسي للعمارة في وادي حضرموت، بالرغم من دخول مواد البناء الغريبة بشكل واضح مؤخراً (كالإسمنت والأخشاب المستوردة... إلخ) إلا أن مواد البناء التقليدية تشكل أهمية في العمران في المنطقة مثلما كانت في السابق. وهذا يعكس أهمية هذه المواد وصمودها أمام مختلف الظروف وهو يعكس في نفس الوقت إبداع الإنسان في هذه المنطقة وقدرته على الاستفادة من موارد البيئة المحلية على أحسن وجه[١].

رابعاً: مدينة تريم حضرموت :

تعتبر مدينة تريم هي المدينة التي تعرف بأنها المدينة المستلقية على بساط من التراث والمخطوطات ، وتعتبر من أهم المدن في مديرية سيئون وتقع شمال شرق مدينة سيئون وادي حضرموت حيث يبدأ وادي المسيلة.

يعود أقدم ذكر لمدينة تريم إلى مطلع القرن الرابع الميلادي عندما حاصرها السبئيون كما جاء فالنقش المرسوم بـ(٣٠rI)

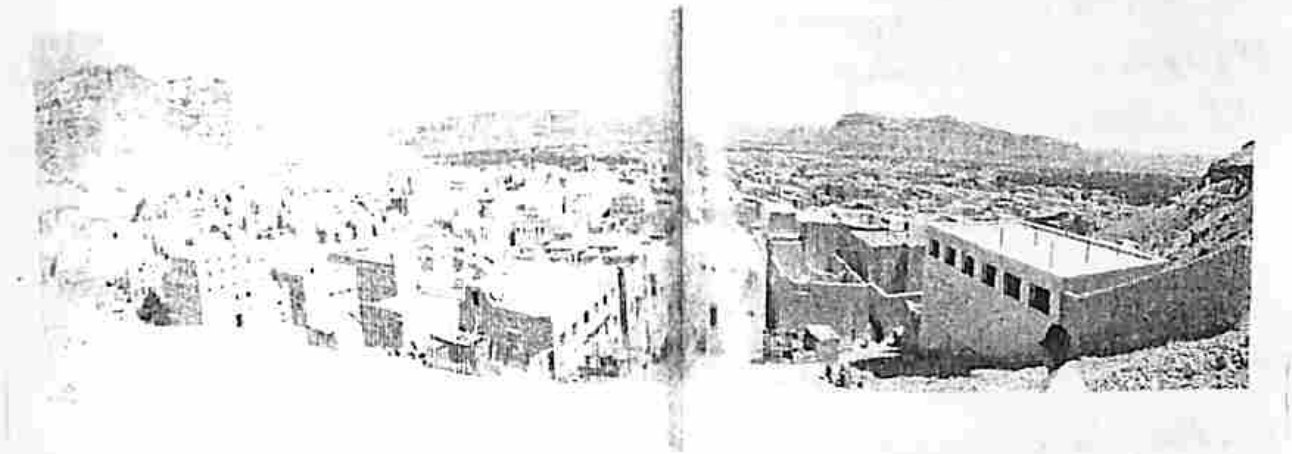
ثم ظهرت في مطلع العالم الإسلامي كعاصمة لوادي حضرموت حيث كان يقيم فيها العامل (لبيد بن زياد الأباضى) عامل الخلفاء الراشدين .. وكانت بين حين وآخر تتبادل مع شبام زعامة الوادي عام (٢٠٣هـ) عندما جاء الزيادون إلى حضرموت .



شكل رقم (١٨) ارتباط عمران مدينة تريم بالوادي (وادي حضرموت) حيث تظل المدينة على الوادي وبيئته الزراعية وخلف المدينة الهضبة الشمالية.[١١]

٤-١- خصائص مدينة تريم :

الموقع : تقع مدينة تريم في حضن الهضبة الشمالية وقد توسعت في اتجاهات مختلفة وطبقاً لبيانات مديرية الأشغال بالمدينة فإن التوسعات حدثت منذ الثمانينيات والتسعينيات (١٩٨٠ حتى عام ٢٠٠٠م) وامتد العمران شرقاً ثم في عمق وادي دمون وغرباً ثم في عمق وادي عيديد .. بل امتدت العمران في بطن الوادي في مناطق سكنية جديدة مثل منطقة المطار ومنطقة حصن عوض شكل رقم (١٩).[١٢].



شكل رقم (١٩) يوضح امتداد العمران في مدينة تريم في بطن الوادي

- بلغ تعداد السكان : بالمدينة عام ٢٠٠٤ الإحصاء العام ٢٧٦٢٧ نسمة.
- بلغت مساحة المدينة عام ٢٠٠٤م : حوالي ٢٥٥٣ فداناً .
- بلغت الكثافة السكانية : ١٠,٥ نسمة / فدان وهي كثافة منخفضة جداً نظراً لاتساع رقعة المدينة وقلة عدد سكانها .

مساجد المدينة: من المساجد الهامة بها جامع المحضار بمئذنته الشاهقة وتشهر المدينة بالعدد الكبير من المساجد بها والذي وصل عددها الى ثلاثمائة وستين مسجداً .. ثم ظهرت المساجد الكبيرة التي تستوعب أعداداً غفيرة من المصلين فتهدم بعضها وتوسع البعض الآخر مما أدى إلى تقلص ليصل في الوقت الحاضر إلى مائة مسجد تقريباً .. وأدخلت عملية الترميمات والتحسينات على مساجدها وأعيد تصميمها على أشكال هندسية حديثة ومثال ذلك المسجد الجامع المقام في

قلب مدينة تريم والذي يرجع بناؤه إلى ما قبل ألف عام أي مابين (٣٧٥- ٤٠٢) وكذلك مسجد بن علوي وهو مسجد قديم أسسه الإمام علي بن علوي في حوالي ٥٣٠هـ، وهو مبني من الطين والنورة على أجمل صورة وهو من أكثر المساجد زواراً بالمدينة[١٢].

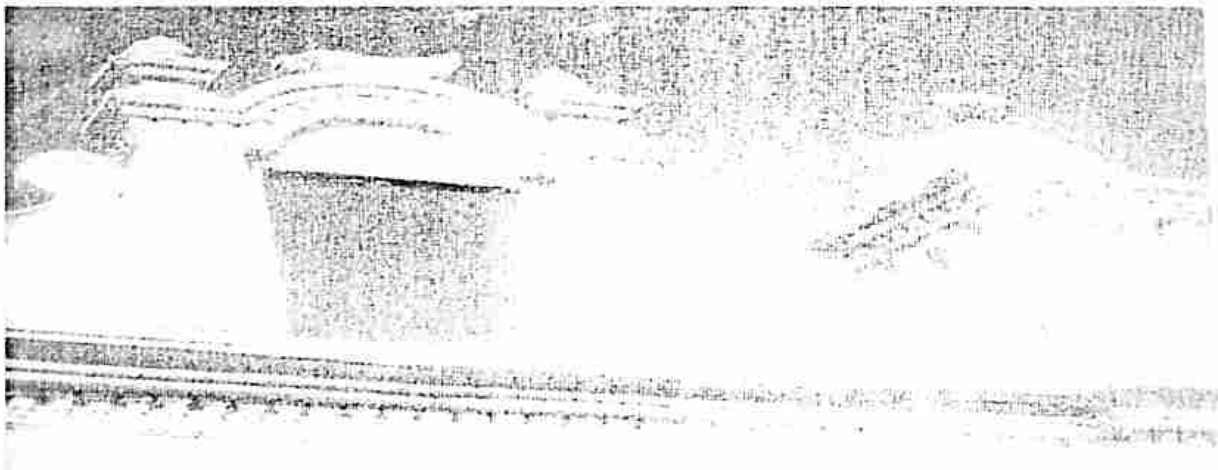
مكتبة الأحقاف :

تمثل الدور الأرضي من مبنى جامع تريم .. وهي مكتبة دعت الحاجة إلى إقامتها نظراً لكثرة المخطوطات في مدينة تريم والمدن المجاورة وذلك لكون تريم كانت تتمتع بمركز علمي مرموق في وادي حضرموت منذ القرن الرابع الهجري .. واشتهرت بوجود المكتبات والأربطة والمعاهد والزوايا العلمية وكثرة العلماء الأجلاء .

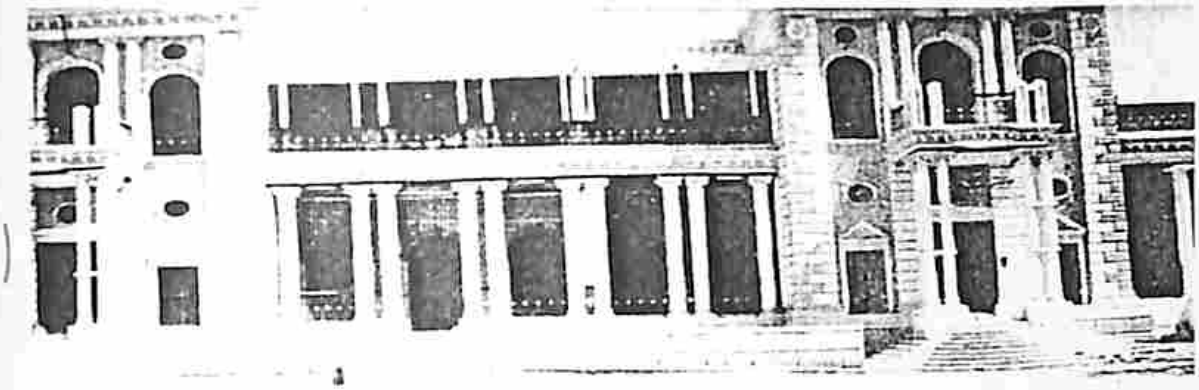
وتضم المكتبة اليوم حوالي ٥٣٠٠ كتاب مخطوط في شتى المعارف والعلوم (التفسير – الفقة – الحديث – الصرف – اللغة – الأدب – التاريخ – السيرة النبوية – الطب – الرياضيات – وغيرها من المعارف والعلوم [١٢].

القصور :

تزخر تريم بكنوز من الفن المعماري المتمثل في تلك القصور لأثرياء آل الكاف المشهورين ومن هذه القصور قصر النجير أقدم قصور تريم (شكل رقم (٢٠)) وقصر التواهي (شكل رقم (٢١)) وكذلك قصر آل الكاف (شكل رقم (٨)).



شكل رقم (٢٠) يوضح قصر النجير أقدم قصور مدينة تريم



قصر التواهي بتريم

شكل رقم (٢١) يوضح قصر التواهي بتريم أحد أشهر قصور مدينة تريم

وبالإضافة إلى ذلك يوجد قصر دار السلام(١٩٥٥م – ١٣٧٥هـ) ، وقصر عشة (١٩٢٥م- ١٣٤٤هـ) ،وقصر المحضار (١٩٠٨م- ١٣٢٧هـ) ،وقصر سلمانة (١٩٤٤م- ١٣٦٤هـ) ، وقصر القبة ،وقصر عبدالرحمن بن شيخ ، وقصر الرياض ،وقصر المنصورة ، وغيرها من القصور العديدة بالمدينة [٨].

٤-٢- المباني الطينية والتراث الحضاري بمدينة تريم :

وقد تم العرض السابق لطبيعة وادي حضرموت وهو أرض زراعية محصورة بين هضبتين شمالية وجنوبية ويعتمد السكان على الزراعة بصفة أساسية والتربة الزراعية تربة طينية بطبيعة الحال واعتمد القدماء على بناء مساكنهم باستخدام الطين وتصنيع المدر (الطوب الطيني) والمخلوط بالقش الناتج عن الزراعة ومع توفر الحجر بالهضبتين على طول الوادي إلا أن الطين هو الأفضل استخداماً بمبانيهم لحمايتهم من الحرارة في فصل الصيف واستخدام الحجر في أساسات المباني للحماية من الأمطار والسيول التي تغمر الوادي في فصل الشتاء .

وكان ذلك داعياً إلى إنشاء الأجداد لمبانيهم الهامة من الطوب الطيني وتحسين تصنيعه والبناء به للمباني الهامة من المساجد والقصور عبر التاريخ ومنذ إنشاء مدينة تريم أقدم مدن الوادي وكذلك المدن الأخرى.

٤-٣- العمارة البيئية وأهميتها :

تعتبر العمارة البيئية التي تراعي طبيعة الأرض وحالة المناخ واستخدام المواد البنائية المناسبة من المواد الطبيعية أمراً بالغ الأهمية في العصر الحديث .. وكان للبناء الطيني في وادي حضرموت عامة ومدينة تريم خاصة المميزات الآتية :

❖أن الطين مادة طبيعية متوفرة بوادي حضرموت بالأكثر من الاحتياجات الأولية نظراً لسقوط مادة الطين من الهضاب مع الأمطار والسيول باستمرار وتوفرها بمواد متعددة من أرض الوادي.

❖أن مادة الطين مادة سهل البناء وسهل تشكيلها وحملها إلى عدة طوابق بالطريقة اليدوية العاملة .

❖أنها مادة رخيصة ومتوفرة للبناء للفقراء والأغنياء .

❖أن جمال استخدامها كان الأجداد في كيفية الاستفادة منها في بناء عمارة بيئية جديدة باقية لعدة عقود تشهد على قوة وجودة البناء بالطوب الطيني وتشهد على عظمة الأجداد في العصر الحديث بالتراث والحضارة التي شهدها وادي حضرموت عامة ومدينة تريم خاصة .

❖ومن أشهر الأمثلة على ذلك مسجد جامع المحضار ومأذنته الشهيرة العالية المبنى من الطوب الطيني وجذوع النباتات بمدينة تريم والقصور الشهيرة بآل الكاف والقصور بمدن سيئون والقطن وشبام التراثية والتاريخية.

خامساً: اقتصاديات البناء للعمارة الطينية:

التكلفة في العمارة الطينية بوادي حضرموت لا تقارن مع تكلفة العمارة المعتمدة على المواد المستوردة(كالإسمنت.. وغيره)وهي لا تحتاج إلى مستوى تكنولوجي متطور فهي عمارة شعبية ظلت عامرة إلى اليوم وحققت شروطا أفضل للسكن بأقل كلفة ممكنة(حيث حقق البناء بالطين نسبة وفر اقتصادية تقدر بحوالي ٣٦٪ من مثيلاتها في المباني الحديثة) وذلك لما لها من مميزات تسمح بتحقيق الإيجابيات التالية :

١. إن الطين كمادة طبيعية ومتوافرة في وادي حضرموت جعل السكان المحليين يعتمدون على استخدامها من خلال تقنيات بسيطة في تصنيعها ويعرفون تمام المعرفة الفوائد الفيزيائية لمساكنهم فهي ذات مناخ صحي معتدل باردة صيفاً ودافئة شتاء[١].

٢. إن ضرورة البحث عن مواد طبيعية تزيد يوماً بعد يوم في الوقت الذي نلاحظ فيه غلاء المواد الحديثة المصنعة كون هذه المواد رخيصة التكاليف كمواد بديلة في عملية البناء[١].

٣. إن مادة الطين من أفضل المواد البيئية ولا تشكل أي تلوث للبيئة أثناء التصنيع أو التنفيذ أو التعديل أو في حالة هدم المبنى وإعادة بنائه أو حتى في حال هجره وتداعيه فهي آتية من الأرض وتعود إليها[١].

٤. إضافة إلى أن الطين يعزل الحرارة والبرودة والرطوبة ويؤثر ذلك في تحسين المناخ، ويمكن بإضافة مواد رابطة وبنسب مدروسة الوصول إلى تحقيق المتانة والعزل اللازمين في البناء[٥].

٥. الطين يوفر الطاقة المستخدمة في التصنيع حيث يحتاج الطين إلى(١٪) فقط من الطاقة اللازمة للبيتون وعند إنتاج هذه الطاقة تحتاج للأوكسجين وتنتج مواد مضرة[٥].

٦. لوحظ بالتجربة أن الجدران المصمتة الخارجية السميكة تحقق أكبر قدر من التأخير الزمني في الناقلية الحرارية وأن جدران الطين بسماكة(٤٠ سم) تؤخر الحرارة(١٥ ساعة). وبالمقابل نجد أن جدران البلوك الإسمنتي بسماكة (٢٠ سم) لا تؤخر الحرارة سوى خمس ساعات وست دقائق فقط[٥].

٧. إن الطين المرصوص وبدون مواد ليفية أو قشية له وزن نوعي(١٨٠٠ كغ/م٣) وبإضافة(٤٠ كغ) تبن لكل(م٣) يصبح وزنه النوعي(١٤٠٠كغ /م٣) وبإضافة(٦٠ كغ) تبن يصبح وزنه النوعي(١٠٠٠كغ/م٣) وبإضافة(٨٠ كغ) تبن يصبح وزنه النوعي فقط(٦٠٠ كغ/م٣). وللمقارنة فإن الوزن النوعي للبيتون ٣٣،(٢٥٠٠كغ/م٣)[٥].

٨. لقد بلغت قدرة تحمل وحدة طينية تحتوي(٢٤٪)غضاراً ناعماً و(٣٤٪)جزئيات ترابية و(٣٣٪) رملاً ومجففة بالهواء (٣٥ كغ/ سم٢)[٥].

٩. من خلال تجربة في ريف دمشق وبمقارنة المبنى الطيني بمبنى بيتوني تحققت نسبة وفر اقتصادية تصل(٣٦٪)عما يحتاج إليه المبنى البيتوني.

١٠. إن هذه المادة المتوافرة الرخيصة تستطيع أن تقدم إنتاجاً مباشراً وسريعاً[٥].

١١. هذا النوع من العمارة يستطيع التحرر من قيود المركزية والبيروقراطية والاحتكار.

١٢. إن اعتماد عمارة الطين يعيد العلاقة الحميمة بين الإنسان والعمارة المتمثلة في حجوم وأشكال وفنون وتراث نابع من الإنسان ومن مقياسه الإنساني الذي يتناساه غالباً أصحاب ما يسمى بالطراز العالمي.

١٣. تعتبر مادة الطين مادة بناء هامة في المجتمعات النامية وباستخدام بعض المواد الحديثة المحسنة لها تعطي مؤشراً لاستخدامها في بناء المجتمعات الحديثة وإسكان ذوي الدخل المحدود .

١٤. من أهم ما يميز العمارة الطينية أنها عمارة بيئية توارثها الأجداد بوادي حضرموت عامة ومدينة تريم خاصة بل استخدمها سكان الأودية المماثلة في مصر والعراق والهند وغيرها من الدول النامية بقارتي آسيا وأفريقيا .

خلاصة البحث وأهم النتائج :

نستخلص من الدراسات السابقة أهمية البناء بالطوب الطيني في وادي حضرموت مدناً وقرى حيث نوضح الآتي:

أن وادي حضرموت وادٍ زراعي يعتمد على الأمطار والسيول .

أن من أهم خصائص هذا الوادي وقوعه بين الهضبتين شمالية وجنوبية مما جعل له بيئة محددة وخاصة به.

أن المدر المصنوع من الطين والقش اثبت كفاءته البنائية على مر العصور وحقق من الأعمال المعمارية أمثلة حية لمئات السنين شاهداً على قدرة هذه المادة في تحقيق الحفاظ على التاريخ والتراث الحضاري .

من أهم أمثلة هذه المباني بمدينة تريم التاريخية مسجد المحضار وقصر الرناد وكثير من القصور والحصون شاهدة على عظمة هذه المدينة وتراثها وتاريخها.

أن من أهم المباني التراثية والتاريخية القصور المنتشره بوادي حضرموت وروافده في تشكيل مدينة شبام التاريخية رمزاً لحضارة عريقة وتاريخية تشكلت من واقع بيئة هذا الوادي والهضاب المشكلة له.

يشكل استخدام المدر الطيني في أعمال البناء بالوادي نسبه عالية تبلغ حوالي ٩٥ ٪ مما يؤكد على حرص أصحاب الوادي وسكانه على كفاءة استخدامه مناسبا للبيئة من جهة ولاقتصاديات من جهة أخرى.

أن استخدام المدن يحقق الحماية من الحرارة في فصل الصيف وخاصية العزل الحراري له تكييف الهواء الطبيعي بالمسكن الطيني المنشأ به مساكنهم ومبانيهم وقصورهم .

قد أوجدت التكنولوجيا الحديثة نوعا من التطور للطوب الطيني باستخدام وإضافة مواد له بنسبه معينه لتحسين خاصية الطوب في أعمال البناء وتحسين قدرته على التحمل بالإضافة إلى خواصه البيئية.

أهم التوصيات:

تعتبر مادة الطين من أهم عناصر البناء للمباني والمساكن بوادي حضرموت وذلك لتوفرها وسهولة الحصول عليها ومن هذه الدراسة يتأكد لنا أهميتها لبيئة وادي حضرموت لذلك نوصي بعض التوصيات الهامة التي نسعى إلى تحقيق مستقبل مناسب للعمارة الطينية بوادي حضرموت في العصر الحاضر كما يلي:

١. أن تستثمر الجهود البحثية لتصنيع الطوب الطيني في أعمال الصناعة واستمرار الاختبارات عليه من الباحثين والمهتمين به وباستخدامه في أعمال البناء.

٢. أن تقوم المصانع المخصصة لتصنيع الطوب لتسهيل عملية الحصول عليه من جهة ولإمكانية تحقيق أساليب بناء حديثة لتقليل التكلفة البنائية.

٣. أن تتخذ الإجراءات اللازمة من المسؤولين لحصر الأماكن التي تحتوي على كميات الطين غير المستخدمة لتحقق من خلالها الأهداف الطموحة لاستخدامه في أعمال البناء والتصنيع.

٤. أن يهتم المعماريون باستخدام الطوب الطيني لبناء عمارة حديثة تتناسب ومئات الدخول للسكان وادي حضرموت ولغيرهم بشكل المعماري المناسب للبيئة والطابع الحضرمي والمناسب للعصر الذي نعيشه.

٥. أن يهتم المستثمرون بهذا النوع من البناء والتصنيع الذي يحقق العائد الكبير على المجتمع والسكان في وادي حضرموت وبذلك نخطو خطوة نحو التقدم لتحقيق عمارة مناسبة سكنية وعامه لخدمة مجتمعاتنا الحضرمية والريفية لمستقبل طيب بمشيئة الله.

المصادر والمراجع:

١. السقاف ، د.أحمد محمد عبداللاه ، المواءمة البيئية في العمارة الطينية بوادي حضرموت وأهميتها في تحقيق أهداف التربية البيئية ، المؤتمر العلمي الأول ، العمارة الطينية على بوابة القرن الحادي والعشرين ، دراسات وبحوث ، جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا ، مركز العمارة الطينية ، المكلا٢٠٠٠م ، ص ص٣٧- ٤٦.

٢. إسماعيل ، عبدالقادر عساج محمد ، مناخ اليمن ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، صنعاء ، اليمن ، ١٩٩٩م.

٣. خليفة ، ربيع حامد ، الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي ، الدار المصرية اللبنانية ، مصر ، القاهرة١٩٩٢م.

٤. عبدالغني ، ريم ، دراسة في التنظيم المعماري للعمارة التقليدية في اليمن على مثال مدينة شبام ، دبلوم كلية الهندسة المعمارية ، جامعة دمشق ، دمشق١٩٩٧م.

٥. بارعدي ، د.عبدالله أحمد وآخرون ، تأثير أنظمة تكييف الهواء العاملة على كل من المتانة والخواص الفيزوحرارية للجدران الطينية لمنازل مدينة شبام التاريخية ، مجلة عدن للعلوم الطبيعية والتطبيقية ، المجلد السادس ، العدد الثالث ، عدن ، اليمن ، ديسمبر٢٠٠٢م ، ص ص ٥٥٥- ٥٦٥.

٦. رموضة ، د. سالم عوض وآخرون ، الخصائص الهندسية لمدينة شبام ، الندوة العلمية لصيانة مدينة شبام وآثار وادي حضرموت ، فبراير١٩٨٨م ، ص٣٥.

٧. الجوهي ، د.محمد سالم ، أشهر الراحة ومتطلبات الوصول إلى الراحة الحرارية وعلاقتها بالعمران ، المؤتمر العلمي الأول ، العمارة الطينية على بوابة القرن الحادي والعشرين ، دراسات وبحوث ، جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا ، مركز العمارة الطينية ، المكلا٢٠٠٠م ، ص ص٩٩- ١٠٤.

٨. مشروع الأعمال الاستشارية لتطوير وادي حضرموت ، تقرير المرحلة الثانية ، جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا ، إبريل٢٠٠٤م.

٩. سعيد ، د.هيثم خورشيد ، مستقبل العمارة الطينية في وادي حضرموت ، المؤتمر العلمي الأول ، العمارة الطينية على بوابة القرن الحادي والعشرين ، دراسات وبحوث ، جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا ، مركز العمارة الطينية ، المكلا٢٠٠٠م ، ص ص٥٤- ٦١.

١٠. غرفة صناعة وتجارة حضرموت ، دليل حضرموت السياحي ، المكلا ٢٠٠٥م ، ص ١٢٧.

مدى استجابة تجمعات تريم عيديد ودمون لتعريف المدينة في حضرموت وخصوصية تجمعها الحضري

د. علي حسين البار

المقدمة :

تتضمن هذه الدراسة ، التي نحسبها مساهمة متواضعة ضمن إحتفاليّة تريم عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ٢٠١٠م، رسالتين بحثيتين :

الأولى : وتهم معايير تحديد المدينة بشكل عام والمدينة اليمنية- الحضرمية على وجه الخصوص سعياً نحو فصلها عن التجمعات السكنية ذات الألفي نسمة التي لا تمت إلى الحضرية بصلة ، وابراز موقع تجمعات تريم، عيديد ودمون بين مدن حضرموت .

الثانية : وستتطرق إلى خصائص مدن حضرموت الثلاث المختارة، من حيث مواقعها ، مواضعها ، مراحل تطوّر سكانها ومعدلات نموهم وتوزيعهم على أقسامها الإدارية، وأبرز نشاطاتهم ، فضلا عن توسعاتها العمرانية وظروف التعاطي معها كتجمع حضري متصل .

ولما كانت المعايير التي تحدّد مفهوم المدينة عديدة. فإن اختلاف دول العالم في تحديد مدنها له ما يبرّره ، إذ أن ذلك يعزى لاختلاف التخصصات والأغراض التي تنتمي إليها هذه المعايير والمقاييس. لذلك فإن هذا الجزء من البحث يحاول الإجابة على التساؤلات الآتية : ما هي المدينة في حضرموت؟ وما هي المعايير التي يستجيب لها تعريفها؟

الجزء الأول

١ : تعريف المدينة في حضرموت :

المدينة ظاهرة جغرافية ديناميّة، يتغّير حجمها بين وقت وآخر، كما تتغيّر وتتعدّد وظائفها، وتتباين هذه المدن من إقليم إلى آخر ومن مجال إلى مجال تبعا للتقدم الاقتصادي والحضاري الذي وصلته.

ولما كانت المدينة تتحدّى التعريف الجامع المانع والمعادلة الموجزة. وفي ظل سهولة القول ما ليس بالمدينة أكثر من القول بما هي؟ ولكون المدينة المطلقة المثالية إفتراض علمي، إذ ليس هناك مدينة مطلقة أو قرية مطلقة، ليس هناك قطبان - وإنما هناك مقياس متدرّج، كما ليس هناك ثنائية صارمة – بل متصل مدني قروي. لهذا لا ينبغي المبالغة إلى حد القول بوحدة أساسية بين القرية والمدينة[١].

وباعتبار أن المدينة ظاهرة متميّزة عن غيرها من الظواهر الجغرافية الأخرى على سطح الأرض من نواح متعددة كالشكل والبنية والوظيفة، وباعتبارها تمثل أرقى أشكال العمران البشري الذي أقامه الإنسان على سطح الأرض، وأعقدها وأبرزها، فضلا عن سيطرتها وظيفيا على النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإدارية والثقافية للأقاليم التي تقع فيها[٢]. فإنه لمن الصعوبة بمكان أن نعرّف المدن عامة، ومدن اليمن خاصة، ذلك لاختلاف المعايير وتنوّعها تبعا واختلاف التخصصات والأغراض، الأمر الذي لم ييسر إجماعا بين الدول، وأوجد اختلافا في تعاملها مع معايير تحديد المدينة التي نستعرض أهمها فيما يلي :

يعتمد المعيار الإحصائي على متغيري الحجم والكثافة، بتحديد عدد معين من السكان كحد أدنى للمستقرة البشرية حتى تصبح مدينة. ويرتكز المعيار الإداري على قرار رسمي يأخذ بالحسبان أهمية المستقرة البشرية الإدارية كأن تكون عاصمة لمحافظة أو قضاء كما في العراق[٣]. كما يشترط المعيار التاريخي أن يكون للمستقرات البشرية أثرا تاريخيا، الأمر الذي يجعله شكليا لاموضوعيا[٤]. ويكون التمييز بين المدينة والقرية وفق المعيار الوظيفي من خلال الوظائف التي تؤديها كل منهما، فالقرية ما امتهن سكانها الزراعة والصيد، والمدينة ما أدّى سكانها وظائف

تجارية وصناعية وخدماتية. ويعتمد المعيار المشهدي (الشكلي) على مظهر المدينة الخارجي الذي يجمع بين مداخن المصانع والعمارات المتعددة الطوابق ومباني الدوائر والمؤسسات العامة، التي تدل على تنوع كتلتها المعمورة وتباين وظائفها، بعكس القرية التي لا يميز كتلتها المعمورة سوى بيوتها المتشابهة تقريبا[٥]. ويأخذ معيار التجهيزات الحضرية بعين الاعتبار مستوى وتنوع الخدمات العامة: الإدارية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والترفيهية عند التمييز بين المدينة والقرية[٦]، إذ على أساسه مع المعيار المظهري تصبح المدينة حقيقة مادية مرئية[٧].

ممّا تقدم نجد أن تعدّد المعايير واختلافها يفرز اختلافات في تحديد مفهوم المدينة وتمييزها عن القرية. ومن المؤكد أن مشكل التعريف بالمدينة ما كان يطرح في هذا البحث لولا عدم تناسب مفهوم المدينة بالمعنى المتداول في الجغرافيا والواقع الحضري اليمني- الحضرمي في عدة حالات، حيث أن الخاصية المشهدية الحضرية لا تبرز في التجمعات السكنية الصغيرة كما هو الحال في بلدان وأقاليم أخرى كثيرة، وحيث أن الرتبة الإدارية لا تطابق الحجم المطلوب لممارسة الوظيفة، ذلك لقلة السكان وضعف الكثافة على مسافات كبيرة، فمثلا مديرية العبر التي يقودها تجمع سكني يقل عدد سكانه عن ١٠٠ نسمة. واعتبارا لما تقدم يتعين ضبط تعريف المدينة الحضرمية حتى نفصل التجمعات التي لا تمت إلى الحضرية بصلة.

١,١: المعيار الإحصائي:

أخذت اليمن بهذا المعيار منذ التعداد الثاني للسكان والمساكن عام ١٩٨٦ في المحافظات الشمالية، وعام ١٩٨٨ في المحافظات الجنوبية، التي تعدّ منطقة الدراسة جزءا منها حتى عام ١٩٩٠م عندما أعيد تحقيق وحدة اليمن أرضا وإنسانا. ولا غرابة أن يختلف الحد الأدنى من السكان خلال تعدادي ١٩٨٨ و١٩٩٤م، إذ بلغ في الأول ٣ آلاف نسمة[٨]، وفي الثاني ٥ آلاف نسمة[٩]، حيث يعدّ ذلك تماشيا مع النمو الديمغرافي الذي تشهده اليمن، ومتوافقا مع الحركية السكانية التي تعيشها المدن جرّاء الهجرة من الريف إليها.

وبموجب المعيار الإحصائي وحسب معطيات تعداد ١٩٩٤م. وبحسب الجدول(١) يتبين أنّ حضرموت تحتضن ١٢ مركزا يفوق سكانها ٥ آلاف نسمة هي: المكلا٩٤٠٥١، سيئون ٣٤٦٥٧، الشحر٣٠٨٠٧، تريم٢٠٢٦٢، غيل باوزير١٥٣٩٤. قوّة ١٢٩١٤، الديس الشرقية ٩٤٤٩، الحامي ٨٢٥٣، عيديد ٧٥٦٦. شبام ٦٦٦١. دمّون ٥١٦٨، والقارة ٥٠٥٦ نسمة. وتتوزع هذه المدن جغرافيا في محورين رئيسيين كما يتبيّن من الخريطة(١)، هما:

- محور ساحلي يمتد من الشرق إلى الغرب، يضم أكثر المدن الحضرمية (٧ مدن من ١٢) وأكبرها حجما، ويسجل أعلى نسبة للتحضر تتجاوز ٢٤,٥ % من مجموع سكان المحافظة البالغ ٧١٨٠٠٨ نسمة عام ١٩٩٤م.

- محور داخلي، امتداده شرقي- غربي بمحاذاة المحور السابق من الشمال. وهو ذو طبيعة شبه صحراوية، ويعرف بتعدد المدن (٥ مدن)، وبارتفاع نسبي في نسبة التحضر التي تتجاوز ٧,٥ % من مجموع سكان المحافظة في العام نفسه.

- أما بقية مجال حضرموت فتنتشر به المستقرات البشرية المتباعدة، وتكون نسبة التريّف فيه غالبة، إذا ماستثنينا بعض عواصم المديريات التي تتوسط هذا المجال الريفي، الذي يمتد على طول الهضبة الجنوبية الواقعة بين المحورين السابقين وفي غرب المحافظة وفي أقصاها الشمالي.

جدول (١): شبكة تجمعات حضرموت السكانية (٢٠٠٠ نسمة وما فوق) الخاصة بالحجم والنشاط الاقتصادي وتجهيزاتها بالماء، الكهرباء والصرف الصحي عام ١٩٩٤م والتجهيزات الحضرية عام ٢٠٠١م والوظيفة الإدارية عام ١٩٩٩م.

الرقم	التجمع	الحجم السكاني (نسمة)	معدل الشغل الف/ساكن	التجهيزات الحضرية			التجهيز الحضري العام	الوظيفة الإدارية (عواصم)
				عامة	خاصة	المجموع		
١	المكلا	٩٤،٠٥١	٢٣٦	٣٥	٩٥٨	٩٩٣	٤.٦٢	محافظة، منطقة، مديرية
٢	سيئون	٣٤،٦٥٧	١٨٤	٢٥	٢٦٩	٥٩٤	١.٤١	منطقة، مديرية
٣	الشحر	٣٠،٨٠٧	١٧٦	١٨	٧٥	٩٣	٣ ١.٣	مديرية
٤	تريم	٢٠،٢٦٢	١٧٦	١٣	٢٢٧	٢٤٠	١.١٩	مديرية
٥	غيل باوزير	١٥،٣٩٤	٢٠٥	١٥	٨٦	١٠١	١.٣٩	مديرية

٦	فوّة	١٢،٩١٤	٢٩٢	١٦	١١٧	١٣٣	٠.١٤	-
٧	الديس الشرقية	٩،٤٤٩	١٣٥	١١	٣٠	٤١	٠.٠٣	مديرية
٨	الحامي	٨،٢٥٣	١٣٥	٣	١٣	١٦	٠.٨٥ -	-
٩	عيديد	٧،٥٦٦	١٧٨	-	٥٥	٥٥	١.٠٤	-
١٠	شبام	٦،٦٦١	١٨٨	١١	٧٥	٨٦	٥.٢٥	مديرية
١١	دمون	٥،١٦٨	١٥٠	-	١٧	١٧	١.٠٥ -	-
١٢	القارة	٥،٠٣٦	١٧٢	-	٤٦	٤٦	١.٤٢	-
١٣	الغرفه	٤،٢٥٥	١٦٥	١	٢٥	٢٦	١.٤٩	-
١٤	شحير	٤،٢٢٩	١٦٦	٣	٤	٧	١.٨٩	-
١٥	القطن	٤،١٣٢	٢١٩	٩	٨٤	٩٣	١.٥٤	مديرية
١٦	قصيعر	٤،١١١	١٠١	٣	١٤	١٧	٢.٤٧ -	-
١٧	السويري	٣،٩٢٩	١١٩	١	-	١	٠.٦١ -	-
١٨	الحوطه	٣،٨٧٩	٢٠٩	١	٧٨	٧٩	٢.٣٧	-
١٩	الريده الشرقية	٣،٨٢٣	١٢٨	٨	٨٤	٩٢	٤.٨٠ -	مديرية
٢٠	روكب	٣،٣٨٧	١٤٨	٢	١	٣	١.٢٢	-
٢١	مدوده	٣،٠٥٨	١٦٩	١	١٠	١١	٠.٩٤	-
٢٢	عينات	٢،٨٥٥	٩٢	١	٢٠	٢١	١.٩٦	-
٢٣	ساه	٢،٧٠٩	١٠٦	٥	١	٦	-	مديرية
٢٤	السفال	٢،٦٦٧	١٤	-	١	١	٢.٠٧ -	-
٢٥	حريضه	٢،٥٠٠	١٧٣	٩	٢٤	٣٣	٣.٠٨	مديرية
٢٦	لبنه	٢،٤٦٧	٨٦	-	-	-	-	-
٢٧	تاربه	٢،٤٤٤	١٣٧	١	٥	٦	٠.٨٨	-
٢٨	العنين	٢،٣٣٨	١٦٠	-	١٠	١٠	١.٩٩	-
٢٩	صيقة آل عامر	٢،٢٧٥	١١٠	١	-	١	١.٤٧ -	-

٣٠	بروم	٢،١٨٣	١٣٥	٣	٢٦	٢٩	٣ ٦٨	مديرية
٣١	ثبي	٢،١٨٢	١٣٥	-	٢٠	٢٠	١ ٩٣	-
٣٢	تريس	٢،١٧٥	١٤١	-	-	-	١.٩١	-
٣٣	السفيله	٢،٢٧٠	.٩٦	-	١	١	١.٥١ -	-
٣٤	الصداع	٢،١٦٥	١٦١	-	١١	١١	١.٧٧	-
٣٥	جول مسحه	٢،١٣١	٢١٨	١	٥	٦	٢.١٦ -	-
٣٦	الخبّه	٢،٠٧٢	١٥٩	-	-	-	١.٥١	-
٣٧	الردود	٢،٠٠٤	١٠٩	-	-	-	٠.٩٦	-
	المجموع	٣٢٢،٣٥٨	٥،٨٦٦	١٩٦	٢،٣٦٧	٢،٥٦٣	٢٩.٩٤	-
	المعدل	٨،٤٨٣	١٥٤.٤	٥.٢	٦٢.٢	٦٧.٤	٠.٧٩	-

المصدر:

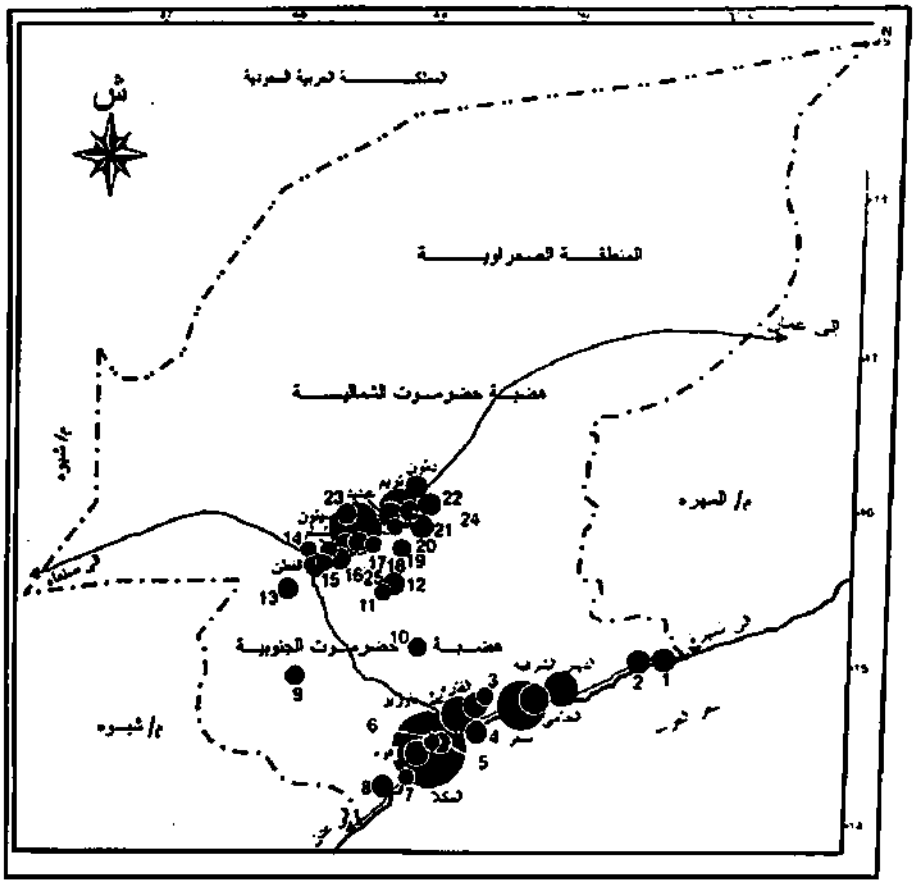
- بيانات السكان: الجمهورية اليمنية، الجهاز المركزي للإحصاء، "النتائج النهائية لمحافظات حضرموت–التقرير الأول"، يناير ١٩٩٦، صنعاء، جدول (١)، ص ص١ – ١٨٣.

- بيانات معدل الشغل لكل ألف ساكن عولجت من بيانات التركيب الاقتصادي لتجمعات حضرموت السكانية ذات الألفي نسمة ومافوق: الجمهورية اليمنية، الجهاز المركزي للإحصاء، صنعاء، مخرجات تعداد ١٩٩٤م، بيانات غير منشورة.

- بيانات التجهيز الحضري من:- استمارة الأنشطة الاقتصادية بتجمعات حضرموت السكانية ذات الألفي نسمة وما فوق(الملحق١) + الدراسة الميدانية المنفذة في الفترة من يناير – سبتمبر ٢٠٠٢م.- بيانات تجهيزات التجمعات السكانية بالشبكة العامة للمياه والإنارة والصرف الصحي: استمارة الجرد لتعداد ١٩٩٤م.

- الوظيفة الإدارية وفق القرار الجمهوري بالقانون رقم (٩) لعام ١٩٩٩م.

خريطة(١) : التوزيع العددي لسكان التجمعات السكانية (٢٠٠٠ نسمة وما فوق) عام ١٩٩٤م



المصدر: تعداد 1994

تجمعات حضرموت السكانية ذات الألفي نسمة فأكثر والأقل من 5 الاف .

1 الريدة الشرقيه	8 السفل	15 الغنين	22 عينات
2 قصيعر	9 لبنة	16 الحوطه	23 منوده
3 الصداع	10 السعينه	17 تريس	24 المحيضره
4 شحير	11 صيفة ال عامر	18 تاربة	25 الغرفه
5 روكب	12 ساه	19 الرنود	
6 جول مسحة	13 حريضة	20 شبى	
7 بروم	14 الخبه	21 السويري	

حجم السكان (نسمة)

94015
34657
2004

0 60كم

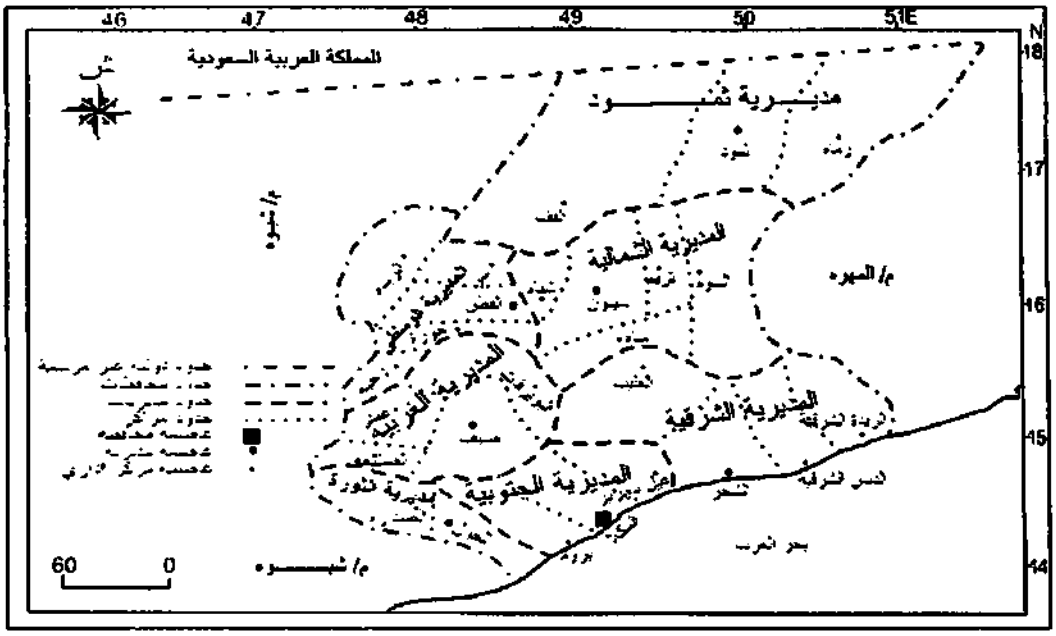
١ , ٢: المعيار الإداري:

تعتمد اليمن هذا المعيار منذ أول تعداد عام ١٩٧٣م، ورغم التغير في تعريف المدينة على أساسه من تعداد إلى آخر، إلا أن تعداد ١٩٩٤م يعتبر كل من أمانة العاصمة ومدينة عدن وعواصم المحافظات والمديريات مدن[١٠]. ومن المآخذ على هذا المعيار مساواته بين مدنه، دون اعتبار للفارق السكاني بينهما، الذي يؤثر على دورها الوظيفي أيضا، إذ تعد على أساس هذا المعيار مدينة المكلا، التي يقترب سكانها من المائة ألف، ومدينة العبر، التي لا يتجاوز سكانها ٨٥ نسمة، كمدن، فضلا عن أن هذا المعيار لا يعكس مدى التطور الذي بلغته المستقرات ومنها المدن.

ويشهد عدد المدن على أساس المعيار الإداري تذبذبا، يعزى سببه إلى التحويرات التي تنتاب التقسيم الإداري، المرتكز عليه هذا المعيار، من فترة إلى آخرى. وقد مرّت حضرموت بالعديد من هذه التحويرات التي أثّرت على مدنها بالزيادة والنقصان منذ الاستقلال الوطني عام ١٩٦٧م وهي:

الأول: وكان عشية الاستقلال حيث تمّ إدماج سلطنتي القعيطي والكثيري في كيان واحد هو المحافظة الخامسة (حضرموت منذ ١٩٨٨م)، وخلاله اشتملت المحافظة على ٢٦ مدينة هي عاصمة المحافظة وعواصم مديرياتها السبع ومراكزها الإدارية أل ٢٦ كما تبيّن ذلك الخريطة الآتية:

خريطة (٢): المدن الإدارية بالمحافظة الخامسة (حضرموت) عام ١٩٧٣

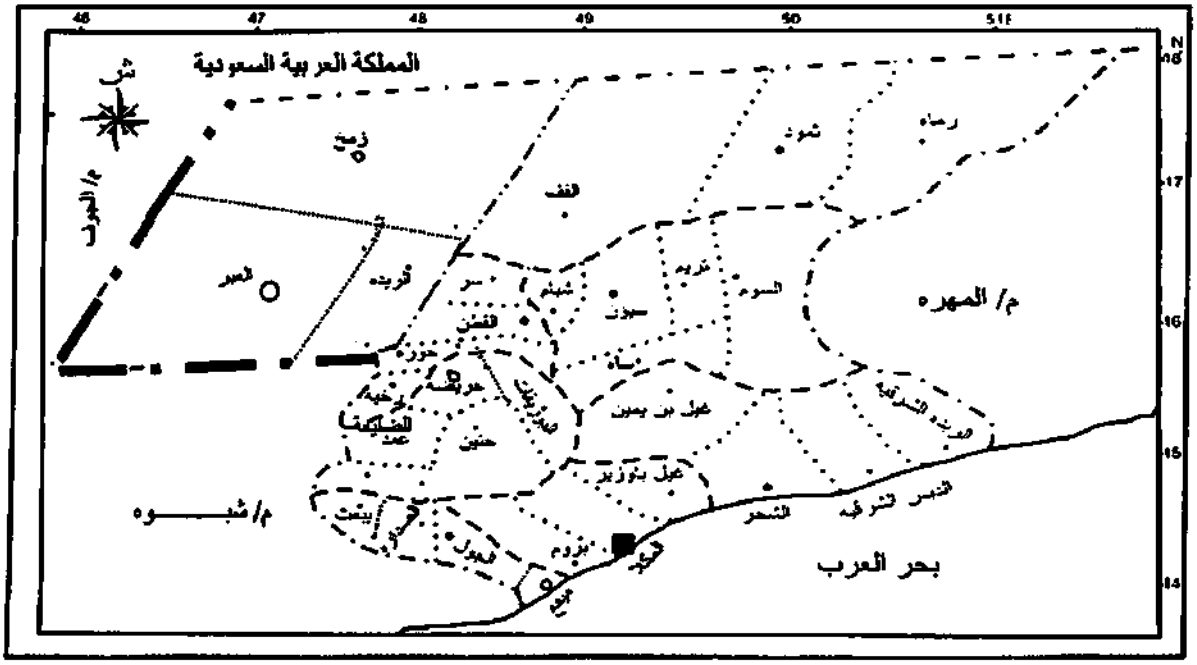


المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء م/ حضرموت، " تعداد ١٩٧٣م "

الثاني: حدث عام ١٩٨٨م، بضم مديرية العبر بمركزيها (العبر، زمخ ومنوخ) إلى محافظة حضرموت، واستحداث ثلاثة مراكز هي: ميفع ويبعث ووادي العين على حساب بعض المراكز الأخرى، لذلك قفز عدد هذه المدن إلى ٣١ مدينة كعواصم إدارية عام ١٩٨٨م، والتي تظهرها الخريطة(٣).

الثالث: حدث وبسبب التغيّر في تعريف المدينة الإدارية في تعداد ١٩٩٤م، الذي أصبح يعترف بعاصمة المحافظة وعواصم المديريات دون عواصم المراكز الإدارية، حيث تراجع عدد المدن الإدارية من ٣١ إلى ٨ مدن هي: المكلا، الشحر، الجول، حريضة، سيؤن، القطن، العبر وثمود، التي تظهرها الخريطة(٤).

خريطة(٣) : المدن الإدارية بمحافظة حضرموت عام ١٩٨٨



المصدر : تعداد 1988م

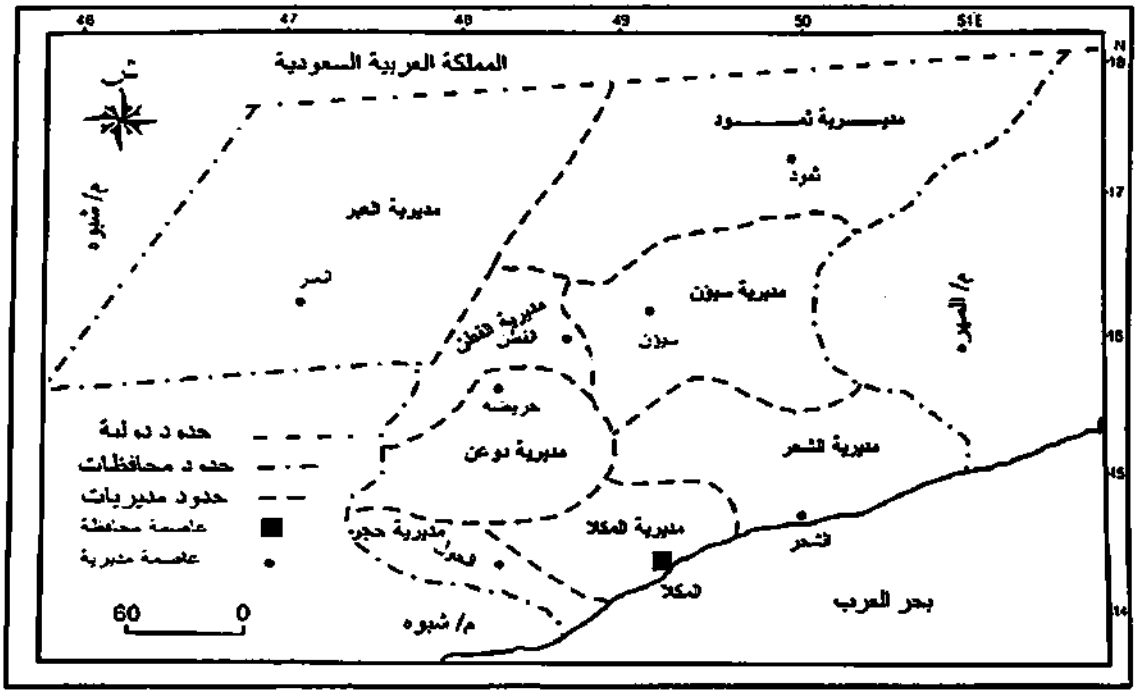
حدود ومدن أضيفت فيما بين عامي1973 و1988م

- حدود محافظات
- حدود مديريات
- حدود مراكز
- عاصمة مديرية
- عاصمة مركز

- حدود دولية غير مرسمه
- حدود محافظات
- حدود مديريات
- حدود مراكز
- عاصمة محافظة
- عاصمة مديرية
- عاصمة مركز

0 60كم

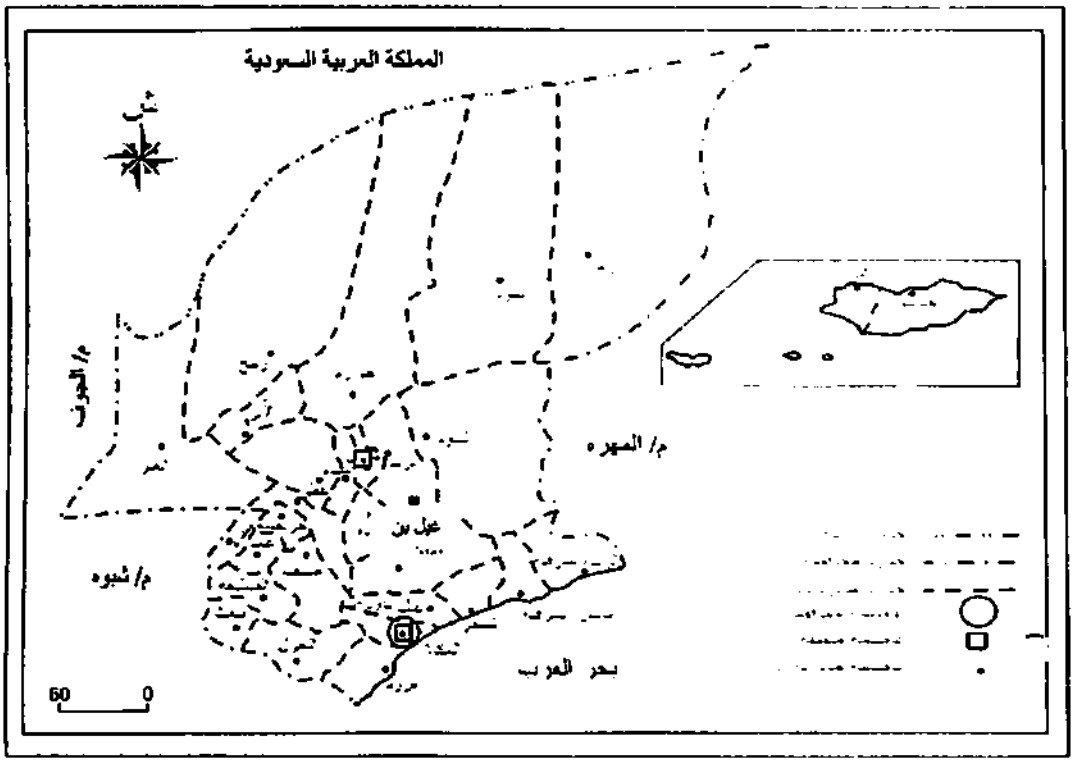
خريطة(٤): المدن الإدارية بمحافظة حضرموت عام ١٩٩٤م



المصدر: الجمهورية اليمنية، وزارة التخطيط والتنمية، الجهاز المركزي للإحصاء، " النتائج النهائية لمحافظة حضرموت – التقرير الأوّل"، صنعاء، ١٩٩٦م، صVII

الرابع: وهو الأحدث إذ يعود إلى عام ١٩٩٩م، وتم بموجبه ترقية المراكز الإدارية إلى مديريات، وضمّت جزيرة سقطري بمديريتيها (سقطرى وقلنسية) إلى محافظة حضرموت، فأصبح عدد المدن على أساس المعيار الإداري ٢٩ مدينة، بعد إلغاء مراكز الصدارة وحورة وسر الإدارية، الخريطة(٥)، وهي: المكلا، سيئون، الشحر، تريم، غيل باوزير، الديس الشرقية، شبام، القطن، وتمثل عواصم ذات أهمية واضحة في كونها تخدم عدد كبير من سكانها وسكان المجالات التي تخدمها، فضلا عن الاكتمال النسبي لجهازها الإداري. أما مدن الريده الشرقية، ساه، حريضة، بروم، فبرغم أنها تمثل تجمعات يفوق سكانها الألفي نسمة إلا أنها، باستثناء حريضة، قد وقع بعثها حديثا كعواصم إدارية لمديريات، فضلا عن صغر المجالات التي تخدمها.وهناك طائفة أخرى من المدن بحسب هذا المعيار، التي يقل سكانها عن ألفي نسمة، وما يزال دورها الإداري ضعيفا لخدمة سكانها وسكان المجالات التي تتبعها، فمثلا الجول، عاصمة مديرية حجر، التي يبلغ عددسكانها ١٦٧٣، وثمود ٥٥٤، والعبر ٨٥ نسمة، كعواصم لمديريتي ثمود والعبر على التوالي.

خريطة(٥) : المدن الإدارية بمحافظة حضرموت عام ١٩٩٩م



المصدر : (R.Y), Survey Authority of Yemen, Hadramaut, scale ١:٤٠٠٠٠٠

١,٣ : المعيار الوظيفي:

لّما كان هذا المعيار يهتم بالأعمال والأدوار التي تقوم بها المدينة، وتعتبر سببا في ظهورها ومنطلقا لإستمراريتها وديمومتها، وبمعنى آخر تعتبر مبرر وجود المدينة[١١]، ومحددة لنمط حياتها وأساس في قيامها وتشكيلها[١٢]، فإن الدراسة ارتأت الأخذ به لتعريف المدينة بحضرموت، رغم صعوبات تحديد الأنشطة القاعدية، الموجهة لخارج المدينة، وغير القاعدية المستهدفة متساكنيها، وبخاصة في ظل وجود سلسلة كاملة ومتواصلة من الأنشطة التي لا تعرف زبائن محليين وأُخَرَ خارجيين[١٣]، وفي غياب التحديد الصارم لما هو داخل المدينة، أي نواتها، وما هو خارج ليشمل ضواحي المدينة، أم يمتد ليصل إلى منطقة نفوذها. كل ذلك إلى جانب غياب البيانات المتجددة لخدمة هذا المعيار أحيانا، وما يكتنفها من قصور أحيانا أخرى، كأن تكون شاملة للسكان من ١٠ سنوات وما فوق ضمن قوة العمل، وعديمة الفصل بين المشتغلين فعلا والذين سبق لهم العمل.

ومن الجدير بالذكر أننا وجدنا في بيانات التركيب الاقتصادي لمدن حضرموت عام ١٩٩٤م، الذي أمدنا بها الجهاز المركزي للإحصاء، حافزا مشجعا لاستخدامها في تعريف المدينة في حضرموت وظيفيا. حيث يرى البحث أن المدينة تصبح كذلك إذا حققت معدلا يساوي أو يفوق ١٥٤عاملا (كمعدل للشغل) لكل ألف ساكن. ولقد استجاب، من بين التجمعات السكانية ذات الألفي نسمة بحضرموت، ١٩ تجمّعا، منها ٩ مراكز يفوق سكانها ٥ آلاف نسمة هي: المكلا، سيئون، الشحر، تريم، غيل باوزير. فوّة. شبام، القارة والقطن. في حين أن المدن المتبقية ذات أحجام متواضعة تتراوح بين ٢ و ٤ آلاف نسمة وهي: جول مسحه، الحوطه، حريضه، مدوده، شحير، الغرفه، الصداع. العنين والخبّه، التي أثر قلة سكانها دون ارتقائها إلى مصاف المدن.كما أن ضعف المؤشر الاقتصادي لمدن الديس الشرقية ، دمون، الحامي وعيديد حال دون إضفاء الوظيفة الاقتصادية لهذه المدن.

١,٤: معيار التجهيزات الحضرية:

يوما بعد يوم تزداد حاجة سكان المدن للتجهيزات الحضرية بأنواعها المختلفة، الإدارية، التعليمية، الصحية، الثقافية، التجارية والمنزلية...، التي لا يمكنهم الاستغناء عنها خلال مراحلهم العمرية المختلفة[١٤]، ومن المرافق العامة كالطرق والساحات والحدائق ووسائط النقل[١٥]، وكذلك الخدمات العامة كالكهرباء، والمياه، والصرف الصحي وغيرها من التجهيزات التي لا يمكن استغناء سكان المدن عنها كتجهيزات مستحاثة، أو تلك المستحثّة التي لا يمكن التغاضي عن دورها في تحسين جاذبية المدن للاستثمار وتركيز المؤسسات الإنتاجية والخدمية بالمدن. ولاعتماد هذا المعيار تمكنّا من حصر التجهيزات المتوفرة بالتجمعات السكانية، التي يفوق سكانها الألفي نسمة، بحضرموت عن طريق العمل الميداني وما أفرزته استمارة الجرد لتعداد ١٩٩٤م، من خدمات عامة اضطلعت بإنشائها السلطة باعتبارها أكثر تراتبا ومتصلبة، وتلك التي يعتبر تأثير القطاع الخاص فيها واضحا، لذلك تميزت ببساطتها وخضوعها للمنافسة وللمبادرة الفردية[١٦]، رغم حداثة حضوره بمدن حضرموت الذي يعود إلى عام ١٩٩٠م بسبب المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي شهدتها اليمن في

هذا التاريخ بدءا بإعادة وحدة اليمن ومرورا بعودة أبنائه المهاجرين إبّان حرب الخليج الثانية، ووصولا إلى البرنامج الطموح الذي أعدّ لمشاركة القطاع الخاص في مناحي الحياة المدنية، التي كانت لها بالغ الأثر في زيادة مجموع مؤسسات القطاع الخاص إلى أكثر من ألفي مؤسسة، في حين لم تتجاوز مؤسسات القطاع العام ١٩٦ مؤسسة، انظر الجدول(١). وعلى أساس هذا المعيار تصبح المستقرة مدينة متى ما بلغ مجموع مؤسسات التجهيز العام والخاص فيها ٦٧ مؤسسة (كمعدل) أو تجاوزته. وقد استجابت لهذا المعيار مدن المكلا، سيئون، الشحر، تريم، غيل باوزير، فوّة، شبام والقطن. ومن التجمعات السكانية التي يقل سكانها عن ٥ آلاف نسمة الحوطة، الريدة الشرقية اللتان تكتسب المؤسسات الخاصة فيهما أهمية كبيرة بسبب بعدها عن هيمنة المدن الكبيرة، نوعا ما، وربما لاختيار نسبة لا بأس بها من العائدين المهاجرين لهما كمستقر. ولم تستجب كل من الديس الشرقية، الحامي، عيديد، دمّون، والقارة لهذا المعيار، رغم أهميتها من حيث الحجم السكاني، بسبب موقعها القريب من المدن المهمة التي فرضت سيطرتها عليها في هذا الميدان مثل الشحر، تريم وغيل باوزير.

نخلص ممّا تقدم إلى أن هناك إشكالية برزت عند تحديد مفهوم المدينة بحضرموت تجلت في قبول تجمعاتها السكانية، ذات الألفي نسمة وما فوق، لأربعة معايير هي: الإحصائي، الإداري، الوظيفي ومعيار التجهيزات الحضرية. وأن الأول كان أكثر وضوحا عند تعريف المدينة في حضرموت، بيد أن الأخرى كانت بدرجات أقلّ، الأمر الذي يجعلنا نؤكد على أن المدينة في حضرموت إحصائية أولا وإدارية وخدماتية في المقام الثاني. ومن خلال المعالجة لمعطيات هذه المعايير توصلنا إلى أن هناك ١٣ مدينة في حضرموت، يمثل سكانها تجمعات حضرية بالمحافظة، وهي مرتبة حسب أحجامها كما يلي: المكلا، سيئون، الشحر، تريم، غيل باوزير، فوّة، الديس الشرقية، الحامي، عيديد، شبام، دمّون، القارة والقطن. على أن هناك عدد من التجمعات، التي يفوق سكانها مدينة القطن إلا أن أهميتها الإدارية وتجهيزها العام والخاص جعلنا نختارها دون تجمعات الغرفة وشحير. كما حال ضعف سكان البعض الآخر من التجمعات دون اختيارها كمدن برغم تجهيزاتها المهمة كالحوطة والريده الشرقية.

٢ : تريم – عيديد – دمون: مثلث حضري متصل:

تتموقع المدن المتجمعة تريم- عيديد- دمون في شمال شرق حضرموت، وتضم، كما يتضح من الجدول (٢)، ٤٧٦٧٤ ساكن، أي ٤.٧%، من مجموع سكان المحافظة، حسب تعداد ٢٠٠٤م(مقابل ٣٢٩٩٦، أي مايعادل ٤.٦٪ عام ١٩٩٤م). وتتميز بهيمنة النشاط الزراعي الذي يشغّل أكثر من ٩٠% من السكان العاملين بالقطاع الأول*، وعددهم عام ١٩٩٤م [١٧]، لذا فلا غرابة أن تنخفض نسبة التحضر في هذا التجمع لتصل إلى حوالي ١١.٤٪ من مجموع سكان المدن، مقابل ٩.٣٪ من مجموع سكان التجمعات السكانية ذات الألفي نسمة وما فوق وعددهم عام٢٠٠٤م ١٣٦٦٥ساكن. وهكذا فإنّ تجمّع تريم – عيديد – دمون ما يزال لا يضم إلا أقل من ٩% من اليد العاملة الصناعية، منهم ٨٠% يشتغلون بقطاع البناء والتشييد[١٨]، مما يدل على ريفيته وتخلفه وأنه طارد للسكان بسبب موقعه الذي ظل هامشيا وتتصارعه دولتي الكثيري والقعيطي حتى الاستقلال حينما أصبح يمثل مركزا إداريا تابعا لمديرية سيئون ثم مديرية قائمة بذاتها منذ عام ١٩٩٩م[١٩]. وتعزيزا لدوره التعليمي الذي كان يمثله رباط تريم، الذي يعود إلى القرن الماضي، فقد أُفْتُتِحَتْ أواخر التسعينيات من القرن الماضي كلية للشريعة تابعة لجامعة الأحقاف الخاصة ودار لتعليم العلوم الشرعية والدينية. كما يضم مستشفى حكومي ذات طاقة سريرية مقدارها ٤.٤٪ من مجموع الأسرّة بالمحافظة وعددها ١٣٦٥سريراً عام ٢٠٠٠م، فضلا عن فندق سياحي واحد، ولا يملك أي مؤسسة مالية، مما يعني أنه يعتمد بشكل كلي في هذه الخدمة على مدينة سيئون. وإجمالا فإنّ قطاع الخدمات في هذا التجمع يضمّ ١٧١٣ عاملا، أي ٢.٧% من إجمالي العاملين بهذا القطاع على مستوى المحافظة عام ١٩٩٤م[٢٠]، منهم ٤١.٦٪ يشتغلون بقطاع التجارة، على الرغم من انعدام محلات تجارة الجملة في هذا التجمع، و٣٨.١٪ بقطاع الإدارة و١٢.٤٪ بالنقل و٧.٩٪ بقطاع السياحة وهي نسبة متدنية رغم أنه شهد ظهور البواكير الأولى للنشاط السياحي، أي منذ عام ١٩٦٥م [٢١].

---

* يضم هذا القطاع المشتغلون بالزراعة والحراجة والصيد البحري والتعدين .

جدول (٢) : سكان تجمع تريم _ عيديد _ دمون ومقارنته مع سكان المدن وتجمعات حضرموت السكانية ذات الألفي نسمة ومافوق واجمالي سكان المحافظة خلال الفترة مابين ١٩٩٤م و٢٠٠٤م

السنوات	سكان التجمع	سكان المدن	٪	التجمعات ذات الألفي ومافوق	٪	سكان المحافظة	٪
١٩٩٤م	٣٢٩٩٦	٢٥١١٥٣	١١.٩	٣٢٢٣٥٨	١٠.٢	٧١٨٠٠٨	٤.٦
٢٠٠٤م	٤٧٦٧٤	٤١٦٤٢٤	١١.٤	٥١٣٦٦٥	٩.٣	١٠١٩٨٠٧	٤.٧

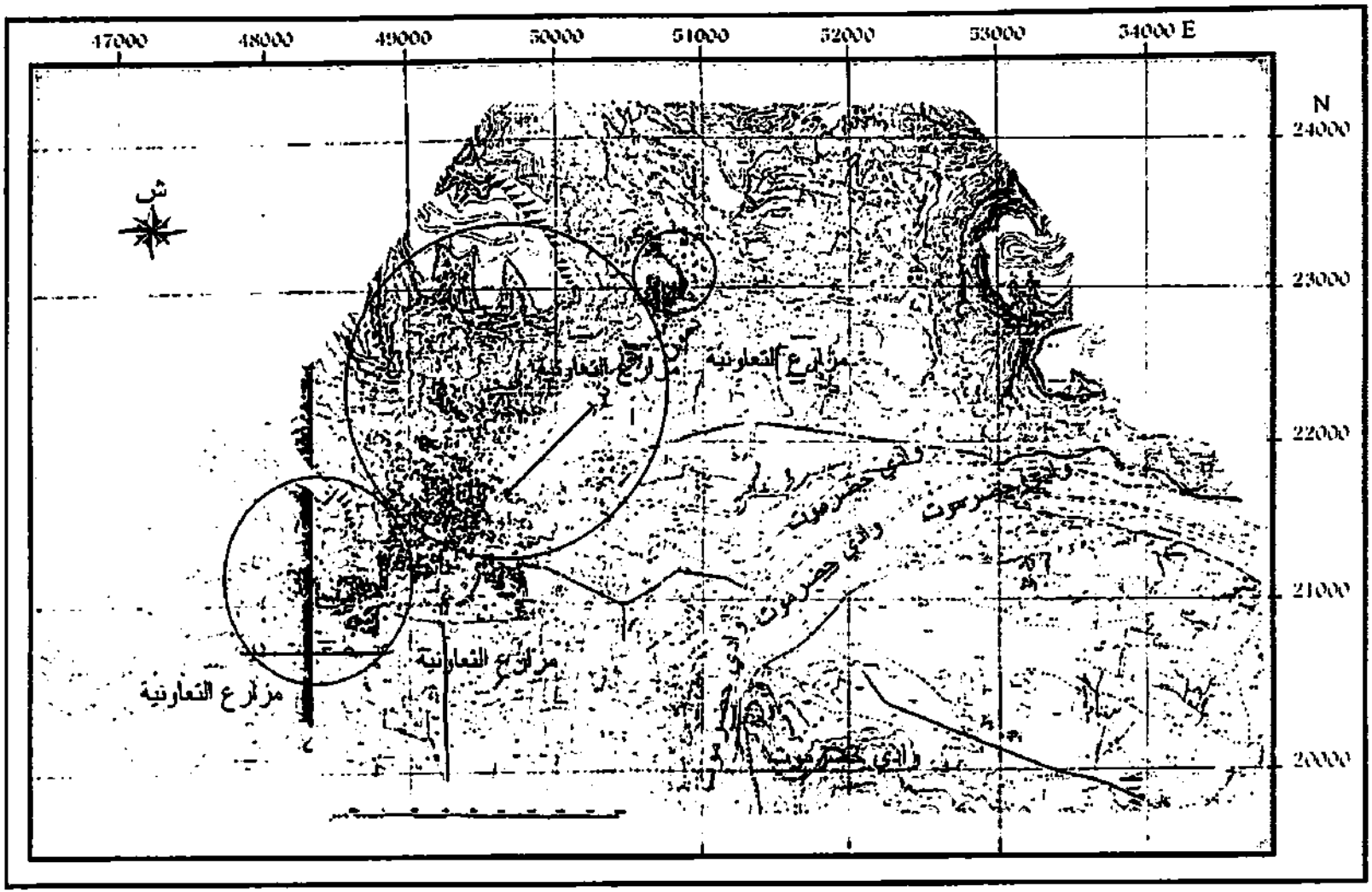
المصدر: بيانات عام ١٩٩٤م من الجمهورية اليمنية، الجهاز المركزي للإحصاء، "النتائج النهائية لمحافظة حضرموت- التقرير الأول" يناير١٩٩٤م، صنعاء، جدول(١)، ص ص ١- ١٨٣.

بيانات عام ٢٠٠٤م من : الجمهورية اليمنية، الجهاز المركزي للإحصاء" النتائج النهائية لمحافظة حضرموت- التقرير الأول".....

وخلافا لموقع المدن المتجمعة تريم – عيديد – دمون، إذ من خلال الخريطة(٦)، يتبيّن أنّ موضعها أكثر أهمية، إذ يشكل مثلثا قائم الزاوية عند التقاء وادي دمون الذي يجري من الشمال إلى الجنوب بواد عيديد الذي يتجه من الغرب إلى الشرق. وتمثّل السلسلة المرتفعة لجبل الخليف الممتدة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي وترًا لهذا المثلث. ولقد مثّلت الأراضي المنتشرة على ضفتي الواديين مزارع لإنتاج الحبوب كالقمح والذرة والخضار والتمور التي تشكّل غذاء رئيسيا لسكان هذه المدن التي سنتناولها حسب الأهمية الديمغرافية على النحو الآتي :

تعتبرتريم من أقدم المدن الحضرمية، فقد ابتناها تريم بن حضرموت بن سبأ الأصغر[٢٢]، وتقع في البقعة التي يبدأ عندها مجرى واد حضرموت يضيق تدريجيا ليصبح عرضه ٣.٢ كم عند تريم ثمّ يضيق أكثر ليصل عرضه ٢ كم عند قرية قَسَم[٢٣]، وبسبب موقعها الهامشي، الذي لا يصله إلا قاصدا، فقد مكّنها رباطها من أن تلعب دورا تعليميا ليس لإقليم حضرموت فحسب، وإنما يؤمّها الطلاب من خارج اليمن أيضا[٢٤].

خريطة (٦): الموقع المتصل لتجمع تريم – عيديد – دمون



المصدر: جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، وزارة الإنشاءات، خريطة تريم، 1981م، مقياس 1/10000

ولقد أسهم الطريق المنجز عام ١٩٨٥م، الذي يربطها بمدينة سيئون ومنها بالعاصمة (المكلا) في فك أحباس هذه المدينة والأرياف التي تدور في فلكها، بعد أن كان ارتباطها بسيئون حضريا بإعتبارهما تنتميان للدولة الكثيرية حتى عام ١٩٦٧م. لهذا تمكنت من تسويق منتجاتها الزراعية الفائضة وجلب محتاجات سكانها من السلع المختلفة، وزاد من أهمية موقعها تنفيذ مشروع طريق تريم - ثمود- شحن بمحافظة المهرة عام ٢٠٠١م والذي عن طريقه تمّ ربط المنطقة الصحراوية بأجزاء المحافظة، كما ربط بلادنا بدول الخليج العربي.

وبعكس موقع مدينة تريم فإنّ موضعها يعتبر مواتيا ذلك بسبب قابليته للتوسع شمالا باتجاه جبل الخليف، الذي يبعد بضعة كيلومترات عن نواتها، فضلا عن جزئها الشرقي الذي يشرف على واد دمون، واتصالها بضاحيتها عيديد في الاتجاه الجنوبي الغربي التي لا تبعد عن المدينة بأكثر من كيلومتر واحد. هذا إلى جانب الانحدار الطفيف لهذا الموضع وأرضه الأكثر صلابة.

ونظرا لأن مدينة تريم مثّلت مسرحا للصراعات بين البطون اليافعية إثر سقوط الدولة الكثيرية الأولى عام ١٠٥٠هـ (١٦٤١م)، حيث توزعت مساحتها بينهم، فكان الخليف وواد عيديد تحت سلطة آل همام، والسوق والرخيمة وواد دمون لآل غرامة، والنويدره والسحيل تحت حكم آل عبد القادر. واستمرت هذه القبائل اليافعية تحكم تريم مع عيديد حتى أُعيدتا إلى حضيرة السلطنة الكثيرية، أمّا مدينة دمون فأصبحت تابعة للسلطنة القعيطية بموجب اتفاقية الصلح بين السلطنتين عام ١٩١٨م[٢٥]. حيث كان لهذا الواقع التشطيري أثره في عدم تواصل مدن هذا المثلث، كما امتد تأثيره إلى الحياة الاجتماعية، بيد أن هذا الوضع لم يستمر وآن له أن يتغير منذ الاستقلال، وبصورة جوهرية، حين أصبحت تريم عاصمة إدارية للمركز الإداري الذي تقع فيه، ويدور في فلك مديرية سيئون، حيث شهد عدد سكانها تزايدا ومجالها اتساعا، كما سنلاحظ ذلك فيما يلي:

سكان المدينة:

لقد تضاعف سكان مدينة تريم المقدّر بنحو ١٥٠٠ ساكن عام ١٩٣٩م[٢٦]، أكثر من ١١ مرة بين ١٩٣٩ و١٩٧٣م، عندما ازداد إلى ١٧٠٩٤ عام ١٩٧٣م[٢٧]، وأصبح ١٦٥٦٧

عام ١٩٨٨م[٢٨]، ويلغ ٢٠٢٦٢ عام ١٩٩٤م، قبل أن يصل إلى ٢٨٠٦٠ نسمة في آخر تعداد عام ٢٠٠٤م. وكل هذا يدلّ على أنّ سرعة النّمو كانت حثيثة بين عام ١٩٣٩ و١٩٧٣م إذ بلغت ٧,٢ ٪ سنويا، لكنّها وخلافا لما كان منتظرا فإنّ سرعة نمو مدينة تريم انخفضت بصفة ملحوظة بين عام ١٩٧٣ وعام ١٩٨٨م، إلى- ١.٢٪ سنويا، ويمكننا تفسير هذا التراجع بأهمية نزوح السكان من المدينة نحو مدن حضرموت الأخرى، وهجرتهم إلى خارج اليمن، وتحديدا إلى البلدان العربية المجاورة وإلى شمال اليمن (سابقا). والتي أجّجها صدور قانون الإصلاح الزراعي عام ١٩٧٣م، الذي يعترف بملكية الأرض الزراعية لمن يفلحها لا لمن يملكها، فضلا عن قانون تأميم المساكن في العام نفسه، وتحديده للملكية العقارية، بمسكن شخصي للعائلة هو أقصى ما يمكن التملّك به من مساكن. وحيث مكّن هذين القانونين الدولة من بسط نفوذها على الأراضي الزراعية والمساكن ذات الملكية الخاصة. كما يعود هذا التراجع في نسبة سكان مدينة تريم، في جزء منه، إلى تراجع دورها التعليمي بسبب إغلاق رباطها الديني من ناحية، وفصل بعض الأحياء عن المدينة الأمّ، مثل المحيضرة(....و نسمة عام ١٩٨٨م)، لتمثّل تجمعات سكانية قائمة بذاتها. إلا أنّ هذا الوضع تغيّر بعد إعادة وحدة اليمن عام ١٩٩٠م نتيجة الإلغاء، غير الرسمي، لقانون تأميم المساكن وعودة الأراضي الزراعية للاّكها. فضلا عن عودة حوالي ٠.٧٪ من مجموع الأسر النازحة، حسب مكان الإقامة السابقة، إلى مدن حضرموت عام ١٩٩٤م وعددها ٤٢٨٥ أسرة[٢٩]، وعودة ١٠٠ أسرة من الخارج إثر حرب الخليج الثانية، من مجموع الأسر الوافدة إلى مدن حضرموت وعددها ٣٩٦٥ أسرة في العام نفسه[٣٠]، فبلغ معدل النمو خلال الفترة مابين ١٩٨٨و١٩٩٤م ٥. سنويا٪، بينما تراجع بين عامي ١٩٩٤و٢٠٠٤م إلى ٣.٣٪ .

ومن خلال الجدول بأدناه فإنّ نمو عدد سكان المدينة خلال الفترة من ١٩٨٨-١٩٩٤م، قد أوجد حراكا سكانيا من أحيائها القديمة، أكتوبر وردفان، باتجاه أحيائها الجديدة، الثورة ومايو. كما يتّضح فيما يلي :

جدول(٣) : تطوّر سكان مدينة تريم وأحيائها للفترة من ٨٨- ١٩٩٤م

الحي/المدينة	عدد السكان (نسمة)		نسبة النمو %
	١٩٨٨	١٩٩٤	
الثورة	٢٩٥٩	٤٣٣٢	٦,٤
أكتوبر	٤٧٠٠	٤٦٨٨	-٠,٠٤
ردفان	٢١٩٧	٢٥٠٤	٢,٢
مايو	٤٤٧٧	٥٥٤١	٣,٦
المحيضرة	٢٢٣٤	٣١٩٧	٦,٠
مدينة تريم	١٦٥٦٧	٢٠٢٦٢	٣,٤

المصدر: - بيانات عام ١٩٨٨م من: جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، الجهاز المركزي للإحصاء، م/حضرموت، "مخرجات تعداد ١٩٨٨م"، بيانات غير منشورة.

- بيانات عام ١٩٩٤م من: الجمهورية اليمنية، وزارة التخطيط والتنمية، الجهاز المركزي للإحصاء، "النتائج النهائية لمحافظة حضرموت – التقرير الأول"، يناير ١٩٩٦م، صنعاء، ص٥٩.

فإذا كان الحي القديم (أكتوبر) يخسر جزءا من سكانه، وبمعدل شخصين سنويا خلال الفترة من ١٩٨٨ و١٩٩٤م، فإنّ معدل النمو لحي ردفان بطيئا، أي ٢,٢ %، وأنه كان سريعا في حي مايو، إذ بلغ ٣,٦ ٪، بيد أنه أسرع في الثورة والمحيضرة ويفوق النسبة العامة للنمو السكاني على مستوى المدينة ومقداره ٣.٤٪ فيما بين ١٩٨٨ و١٩٩٤م، إذ بلغ ٦,٤ ٪ سنويا بحي الثورة، و٦.٠٪ بحي المحيضرة، وهو ما يؤكّد التوسع المجالي لهذين الحيين وتبيّنه الخريطة (٧) لاحقا.

ولقد ساهمت السياحة في إدخال الكهرباء لأول مرة إلى تريم عام ١٩٦٥م، وإن كانت مقتصرة على الساعات الست الأولى من الليل[٣١]، ذلك لسد حاجة القطاع السياحي الذي ابتدأ عام ١٩٦٢م بتجهيز أحد القصور، التي تظهرها الصورة (١)، التي تمتلكها إحدى

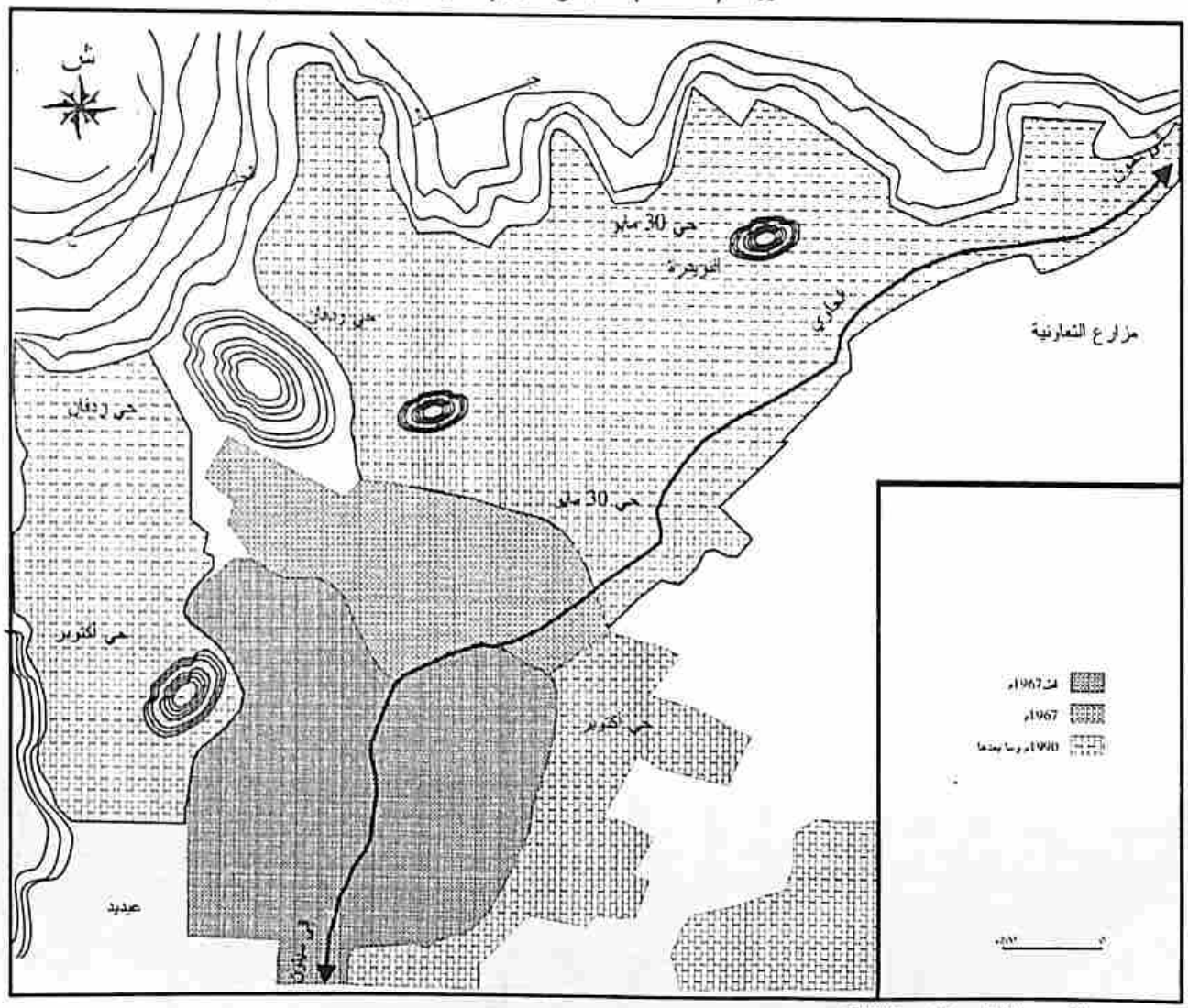
الأسر التريميّة بضاحية عيديد ليمثل فندقا سياحيا لاستقبال السوّاح الوافدين إلى واد حضرموت. إلاّ أنّ تعزيز هذه الخدمة بالمدينة كان منذ أن تمّ ربط حوالي ٩٩.٢٪ من مجموع الأسر فيها والبالغة ٢٤١٠ أسرة بالشبكة العامة للإنارة، ذلك بعد تنفيذ مشروع كهربة واد حضرموت عام ١٩٨٥م، في حين ما تزال المدينة تفتقر لمشروع يلبّي حاجتها في ربط مبانيها بشبكة قنوات صحيّة، حيث أنّ نسبة الأسر المرتبطة بالشبكة العامة للصرف الصحي منخفضة ولا تتجاوز ٤٧٠ أسرة، يمثّلون ١٩.٥٪ من مجموع الأسر بمدينة تريم عام ١٩٩٤م. ناهيك عن قلّة الأسر التي ترتبط بالشبكة العامة

للمياه والمقدّرة بحوالي ٣٣٠ أسرة، أي ١٣.٧٪، من مجموع الأسر القاطنة بمدينة تريم، وإن كانت الشبكة التعاونية للمياه قد غطّت حاجة المدينة من مياه الشرب، أي أنّ نسبة الأسر التي تغطيها هذه الشبكة تصل إلى حوالي ٨٦.٣٪ من مجموع الأسر بتريم وعددها كما أشرنا ٢٤١٠ أسرة.

صورة (١): أهالي تريم يخصصون منازلهم كفنادق، دعماً للسياحة



خريطة (٧]): التوسع المجالي لمدينة تريم ومكوناتها الإدارية



المصدر: خريطة تريم، 1981م، مقياس: 5000/1

وإجمالا فإنّ مدينة تريم تضمّ ٦١,٨ ٪ من مجموع القوى العاملة بالمدينة، وعددهم ٣٠٨٢ عاملا، يعملون بالنشاط الصناعي، منهم ٧٣.٥ ٪ بقطاع البناء والتشييد، مقابل ٣,٣ ٪ للقطاع الأول و ٣٤,٨ ٪ لقطاع الخدمات، الذي يمثل قطاع التجارة فيه ٤٩,٦ ٪ والإدارة ٣١,٨ ٪ والنقل ١١,٣ ٪، أما السياحة فتضم ٧,٤ ٪، ولا تضم المدينة أي بنك حكومي أو تجاري خاص، رغم أنها جاذبة للنشاط السياحي والسوّاح، وبها اليوم ٣ فنادق سياحية، أي عام ٢٠٠١م، تشكّل ٨,٨% من إجمالي عددها بالمحافظة، وإن كانت ذات تصنيفات منخفضة[٣٢]. وتعزيزا لدورها التعليمي أُنشأت بتريم في التسعينيات كلية للشريعة تتبع جامعة الأحقاف الخاصة، فضلا عن معهد متخصّص في الدراسات الإسلامية، مما يعيد لهذه المدينة تألقها في مجال العلم الذي افتقدته في السنوات الماضية. وهكذا نجد أنّ قلّة المشاريع الاستثمارية قد ساهم في تقليص فرص العمل وارتفاع نسبة البطالة بها لتصل إلى ٢٦,٦ ٪ من مجموع قوة العمل بالمدينة عام ١٩٩٤م[٣٣]، وأدّى بالمدينة إلى أن تمثّل محطّة عبور لسكان المناطق الصحراوية النائية إلى عاصمة الوادي والصحراء(سيئون)، وإلى عاصمة إقليم حضرموت (المكلاّ).

وتمثل مدينة عيديد، ثاني مدن هذا التجمع من حيث عدد السكان، ضاحية جنوبية غربية لمدينة تريم، إذ لا يفصلها عنها سوى كيلومتر واحد. لذلك فإنه وبرغم تطور خدماتها منذ التسعينات إلا أنها ما تزال تدور في فلك تريم، وتعتمد على خدماتها الإدارية والتعليمية والصحية خاصة العمومية منها، التي تخلو منها مدينة عيديد، كما تمثّل تريم سوقا لتصريف منتجات عيديد الزراعية، وعبرها يتم تصدير الفائض إلى مدن حضرموت الأخرى، الأمر الذي يجعلها، أي عيديد، تشكل تابعا وظهيرا زراعيا لمدينة تريم.

ولقد أصبحت عيديد منذ التسعينات جاذبة للسكان وبخاصة من تريم، باعتبارها متنفسا غربيا لها، ومن بقية أنحاء المركز الإداري، وأصبحت تتميز بنمو سكاني مرتفع يقدّر بـ٧,٨ سنويا فيما بين عام ١٩٨٨ و١٩٩٤م، لذلك لم يستطع موضعها عند سفح جبل (الفريط) أن يستوعبه، فامتدت توسعاتها العمرانية، التي تؤكدها الكثافة السكنية، حيث تصل إلى ٧.٤ ساكن لكلّ مسكن عام ١٩٩٤م، باتجاه الشِعَاب*، مثل مخاران وخيله والنجير وحنين وبريج

* مفردها شعب، وتعني مسيلات الأودية.

وهي مناطق أصبحت ذات اكتظاظ سكاني، وإن كانت مهددة بالانجراف عند تكرار هطول الأمطار الغزيرة. ويعتبر قطاع البناء والتشييد أهم قطاع مشغّل في صناعة عيديد، إذ يوفّر عام ١٩٩٤م، ٨٩٤ فرصة عمل، مقابل ١٤١ فرصة عمل في الصناعات التحويلية التي تضم إمدادات الكهرباء والغاز والمياه. ويشتمل القطاع الثالث أساسا على قطاع التجارة والإدارة والنقل والسياحة، وتمثل التجارة قطاعا محدود الأهمية من حيث عدد المحلات التجارية وتخصصاتها، فضلا عن تواضعه في توفير فرص العمل، ذلك بسبب ضعف المداخيل من ناحية، ولكونها تعتمد على مدينة تريم في توفير حاجيات سكانها من السلع النادرة والنادرة جدا، كما سيأتي تفصيله لاحقا، من ناحية أخرى. ولا تملك عيديد محلات تجارية لبيع الجملة، وبلغ عدد محلات بيع التجزئة ٦٦ محلا، أي ٠,٩ ٪ من إجمالي عددها في مدن حضرموت عام ٢٠٠١م[٣٤]، ٧٠% منها لقطاع التجارة العادية. وهكذا فأننا نجد أنّ قطاع التجارة يُشغّل حوالي ١٣٠ عاملا، بينما يوفّر النشاط الإداري والتعليمي والصحي ٩٢ فرصة عمل عام ١٩٩٤م، أي بمعنى آخر أنّه يفوق قليلا نصف عدد العاملين بالتجارة، وأنّهم لا يشتغلون على عين المكان، بل يقومون بتنقلات يومية قصيرة نحو مدينة تريم، ذلك بسبب خلو مدينة عيديد من الإدارات الحكومية، فضلا عن المدارس الثانوية والمستشفيات الحكومية. وإذا كانت المدينة تشكو من تدني عدد الأسر المرتبطة بشبكة الصرف الصحي، إذ بلغت نسبتها ١٥,٥ % من مجموعها عام ١٩٩٤م، أي ١٣٠ أسرة فقط، فإنّ أكثر من ٦٠٪ من هذه الأسر ترتبط بالشبكة العامة للمياه، وأنّ جميع هذه الأسر وعددها ٨٤٠ أسرة ترتبط بالشبكة العامة للإنارة.

أما مدينة دمون فتقع على بعد كيلومترين من تريم الجنوبية الغربية، وبسبب الظرف السياسي السابق المتمثل بتبعية كل منهما لكيان سياسي مختلف، لم يكتسب موقع المدينة أهميته إلا بعد إنجاز طريق سيئون- تريم الذي فك عزلتها وأسهم في ربطها بمدينة سيئون ومنها إلى العاصمة (المكلا)، حيث استطاعت تسويق منتجاتها الزراعية إليها، كما ساعد طريق تريم - ثمود - شحن على أن تتصل دمون بالتجمعات السكانية المنتشرة في المنطقة الصحراوية النائية.

وبخلاف الموقع فإنّ موضع دمون يعتبر مناسبا لدرجة كبيرة ذلك لأنه يشرف من الشرق على واد دمون الواسع والذي تصطف عليه أشجار النخيل وتتخلله الأراضي الزراعية المنتجة للحبوب كالقمح والذرة وأنواع الخضروات والتمور التي تُسْقَى بمياه العيون المنتشرة في الجبال المحيطة بالمدينة من الشمال والغرب، بينما يكون هذا الموضع منبسطا باتجاه الجنوب والجنوب الغربي ليحقق امتداد المدينة تلاحمها مع الامتداد الشمالي الشرقي لمدينة تريم.

وكانت دمون تمثل قرية زراعية صغيرة حتى السبعينات، ولقد قدّر عدد سكانها بـ٢٤٩٨ ساكن عام ١٩٧٠م[٣٥]، وفي عام ١٩٨٨م بلغ ٣٣٩٣ نسمة[٣٦]، لذا فإن المدينة شهدت نموا سكانيا محدودا جدا في هذه الفترة، ولم يتعد ٢% سنويا (مقابل١,٦ ٪ كمعدل لنمو عدد سكان المحافظة فيما بين عام ١٩٧٣ وعام ١٩٨٨م)[٣٧]، ثم ارتفع عدد سكانها إلى ٥١٦٨ ساكن حسب تعداد ١٩٩٤م[٣٨]، أي بمعدل نمو مقداره ٧% في الفترة من ١٩٨٨-١٩٩٤م، وهو يفوق معدل نمو سكان المحافظة بمقدار مرة ونصف تقريبا، في الفترة ذاتها. وهذا الوضع، برغم تراجع معدل النمو السنوي إلى ١.٩٪ بين عامي ١٩٩٤و٢٠٠٤م، يعزى لارتفاع نسبة الخصوبة والانخفاض الملحوظ في نسبة الوفيات بسبب التحسن في الخدمات الصحية (العلاجية والوقائية)، وربما يعود إلى النزوح الذي شهدته المدينة من قبل سكان تريم إثر إعادة هيكلة هذا المركز الإداري بعد الاستقلال وانهيار الكيانين السياسيين اللذين أديا إلى فصل المدينتين. وإن لم يؤثّر هذا الوضع في إمكانيات التشغيل في مدينة دمون التي بقيت محدودة ونسبة العاطلين عن العمل مرتفعة، حيث قدرت بحوالي ٢٧.٥٪ من قوة العمل بالمدينة البالغة ١٢٥٦ عاملا عام ١٩٩٤م[٣٩]. ومما يفسّر ضعف سوق الشغل عدم ظهور حركة بناء وتشييد نشطة بالمدينة كما وقع في أغلب مدن حضرموت، برغم أن الدموني ماهر في هذا المجال، ذلك بسبب ندرة المهاجرين من أبناء مدينة دمون في دول الجزيرة والخليج، واكتفائهم بالنزوح الريفي إلى مدن حضرموت للمشاركة في النهضة العمرانية التي شهدتها المحافظة منذ التسعينات، كما أشارت إلى ذلك استمارة الجرد لتعداد ١٩٩٤م، وأن النازحين إليها هم من دول فقيرة كأفريقيا أو ذات مستوى معيشي عال مثل أوروبا، فضلا عن أن نسبتهم ضعيفة، أي ٠,٥ ٪ من إجمالي النازحين إلى مدن حضرموت من الخارج وعددهم

٣٩٦٥ أسرة عام ١٩٩٤م[٤٠]، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن ضعف حركة البناء والتشييد تعود أيضا إلى أهمية المساكن الشاغرة نتيجة لهجرة أبنائها إلى بقية مدن حضرموت للعمل كبنائين ماهرين. وفي الجملة فإن الصناعة والبناء والتشييد أصبحت تشغّل حوالي نصف اليد العاملة بمدينة دمون، مقابل ٣٥,٣ ٪ لقطاع الخدمات و١٣,٩ ٪ للقطاع الزراعي. وتملك دمون عيادتين للطب العام و٤ مخازن لصرف الأدوية، فضلا عن ٦١ محلا تجاريا للبيع بالتجزئة، أي ٠,٩ ٪، ٤٧ للتجارة العادية و١٣ لنصف النادرة وواحد لبيع الأدوات الكهربائية كسلعة نادرة. وهكذا فإن مدينة دمون تشكو من نقص عدد الأسر المرتبطة بالشبكة العامة للمياه والصرف الصحي، التي بلغت النسبة في كل منهما ٣,٢ ٪ و٢,٤ ٪ على التوالي، من إجمالي عدد الأسر في المدينة البالغة ٦٢٠ أسرة عام ١٩٩٤م، لذلك لم تستفد المدينة إلا من مشروع كهربة واد حضرموت الذي ربط ٩٩,٢ ٪ من مجموع الأسر فيها.

وخلاصة لما تقدّم فإنّ المدن المتجمعة تريم- عيديد- دمون تتميز بأهمية نشاطها التجاري، مقارنة بتجمعات حضرموت الأخرى، إذ يشكل المنتسبون إليه نسبة ٤١,٦ ٪ من جملة العاملين بالقطاع الثالث، وكذلك بامتلاك تريم نفوذا عقاريا وزراعيا على ظهيرها ومنذ فترة طويلة، أي منذ الستينات حينما كانت أراضي عيديد ملك لمتغيبين من سكان مدينة تريم.

ولقد تسببت إتفاقية عام ١٩١٨م، بين القعيطي والكثيري ومصادقة بريطانيا عليها، في عزل تريم عن ظهيرها الشمال الشرقي دمون حيث وقع ربطها بالواقع القعيطي تحت قيادة وهيمنة العاصمة المكلا التي تبعد عنها بأكثر من ٣٠٠ كم، الأمر الذي لم ييسر لها استقطاب أي نشاط هام. وعلى العكس من ذلك فإن التحام عيديد بتريم مكّنها من أن تجذب إليها نشاطا سياحيا استطاع أن يؤسّس لنشاط سياحي مستقبلي على مستوى حضرموت.

وهكذا يمكن اعتبار المدن المتجمعة تريم- عيديد- دمون كامتداد لسيئون عاصمة واد حضرموت والصحراء، وأن ربطها بالعاصمة المكلا مرهون بإنجاز طريق الشحر- تريم، الذي لعب دورا هاما، في الزمن القديم، أثناء ما كانت الشحر تمثل الميناء للدولة الكثيرية وتعتمد عليها مدينة تريم.

الهوامش:

(١) جمال حمدان، "جغرافية المدن"، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية(منقحة)، ١٩٧٧م، ص١٤.

(٢) عبدالرزاق عباس حسين، "جغرافية المدن"، مطبعة أسعد، ١٩٧٧م، ص ج.

(٣) مالك إبراهيم الدليمي ومحمد العبيدي، "التخطيط الحضري والمشكلات الإنسانية"، بغداد، جامعة بغداد، ١٩٩٠م، ص ٢٨١.

(٤) جمال حمدان، مصدر سابق، ص ٩.

(٥) المصدر السابق، ص١٠.

(٦) محمد الجديدي، "مسائل في الجغرافيا الحضرية"، المعهد الأعلى للتربية والتكوين المستمر، جامعة تونس ١، ١٩٩٧م، ص ٢٤.

(٧) جمال حمدان، مصدر سابق، ص ٩.

(٨) محمد سالم الجوهي، "توزيع السكان في محافظة حضرموت ـ الجمهورية اليمنية(١٩٧٣- ١٩٨٨م)"، أطروحة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب ـ جامعة بغداد، ١٩٩٥م، ص ٥٩.

(٩) الجمهورية اليمنية، الجهاز المركزي للإحصاء، "النتائج النهائية لمحافظة حضرموت ـ التقرير الأول"، يناير ١٩٩٦م، صنعاء، ص VII.

(١٠) المصدر والصفحة نفسيهما.

(11) BEAUJEU- GANIER(J.)et CHABOT(G.),"Trait et Paris,1970,p.104 Geographie urbain",Acolin

(١٢) جمال حمدان، مصدر سابق، ص ١٧.

(13) MERLIN(Pierre),"Methodes quantitatives et espace urbaine",Collectionde geographie,Masson,Paris,1973,p.44.

EAUJEU-GANIER(J.),"Geographie urbain",CollectionV., Acolin,Paris,1980,p.225.

(١٤) ساطع محلي، "جغرافية العمران"، مطابع الوحدة، ١٩٨١- ١٩٨١م، ص ٢٠٦.

(15) EAUJEU-GANIER(J.), 1980, op.cit., p.225

(16) Idem

(١٧) الجمهورية اليمنية ، وزارة التخطيط والتنمية ، الجهاز المركزي للإحصاء – صنعاء، مخرجات تعداد ١٩٩٤م، "التوزيع العددي والنسبي للسكان(١٠سنوات فأكثر) حسب نوع النشاط الاقتصادي"، بيانات غير منشورة.

(١٨) المصدر السابق.

(١٩) القرار الجمهوري بالقانون رقم (٩) لعام ١٩٩٩م.

(٢٠) التوزيع العددي والنسبي للسكان.....، مصدر سابق.

(٢١) مجلة العربي، "إستطلاع تريم"، العدد ٨٧، فبراير ١٩٦٦م، ص ١٣٤.

(٢٢) محمد أحمد الحجري اليماني. "مجموع بلدان اليمن وقبائلها"، تحقيق وتصحيح ومراجعة إسماعيل بن علي الأكوع، المجلد الثاني، الجزء الثالث والرابع، دار الحكمة اليمانية للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م، ص ١٤٣.

(٢٣) محمود أبو العلاء، "جغرافية شبه جزيرة العرب – الجزء الرابع- جغرافية اليمن الديمقراطية الشعبية"، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م، ص ٢١.

(٢٤) مجلة العربي، "إستطلاع تريم"، مصدر سابق، ص ص ١٢٦- ١٣٠.

(٢٥) دبليو إتش إنجرامس، "حضرموت ١٩٣٤- ١٩٣٥م"، تعريب سعيد عبدالخير النوبان، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص ٩٧.

(٢٦) المصدر السابق، ص ١٤٦.

(٢٧) جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، الجهاز المركزي للإحصاء- م/ حضرموت، "المجموعة الإحصائية لعامي ٨٦- ١٩٨٧م"، العدد السادس، سبتمبر ١٩٨٩م، المكلا، جدول (٢/٣)، ص ١٢.

(٢٨) جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، الجهاز المركزي للإحصاء- م/حضرموت، "مخرجات تعداد ١٩٨٨م"، بيانات غير منشورة.

(٢٩) إستمارة الجرد لتعداد ١٩٩٤م.

(٣٠) المصدر السابق.

(٣١) مجلة العربي، "إستطلاع تريم"، مصدر سابق، ص ١٣٤.

(٣٢) الدراسة الميدانية.

(٣٣) الجهاز المركزي للإحصاء- صنعاء، مخرجات تعداد ١٩٩٤م، "التوزيع العددي والنسبي للسكان (١٠ سنوات فأكثر) حسب نوع النشاط الاقتصادي"، مصدر سابق.

(٣٤) الدراسة الميدانية.

(٣٥) جمهورية اليمن الديمقراطية، المحافظة الخامسة، إدارة مأمور المديرية الشمالية، "الدليل الإحصائي والسياحي للمديرية الشمالية من المحافظة الخامسة لعام ١٩٧٠م"، إعداد احمد محمد بن صافي، الطبعة الثانية، بحث مسحوب بالرونيو، ص١٣.

(٣٦) الجهاز المركزي للإحصاء، م/ حضرموت، "مخرجات تعداد ١٩٨٨م"، بيانات غير منشورة.

(٣٧) بلغ عدد سكان حضرموت ٤٩١٣٠٤ عام ١٩٧٣م، ثم ازداد إلى ٦٢٦٢٩٥ ساكن عام ١٩٨٨م، ينظر: الجمهورية اليمنية، وزارة التخطيط والتنمية، الجهاز المركزي للإحصاء - مكتب محافظة حضرموت، "حضرموت في أرقام ١٩٩٤م"، سبتمبر ١٩٩٥م، المكلا، ص١.

(٣٨) الجهاز المركزي للإحصاء- صنعاء، "النتائج النهائية لمحافظة حضرموت – التقرير الأول"، مصدر سابق، ص٥٩.

(٣٩) الجهاز المركزي للإحصاء – صنعاء، مخرجات تعداد ١٩٩٤م، "التوزيع العددي والنسبي للسكان (١٠ سنوات فأكثر) حسب نوع النشاط الاقتصادي"، مصدر سابق.

(٤٠) استمارة الجرد لتعداد ١٩٩٤م.

المصادر

المصادر العربية :

الكتب :

- جمال حمدان، "جغرافية المدن"، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية(منقحة)، ١٩٧٧م.
- محمد أحمد الحجري اليماني، "مجموع بلدان اليمن وقبائلها"، تحقيق وتصحيح ومراجعة إسماعيل بن علي الأكوع، المجلد الثاني، الجزء الثالث والرابع، دار الحكمة اليمانية للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.
- دبليو إتش إنجرامس، "حضرموت ١٩٣٤- ١٩٣٥م"، تعريب سعيد عبدالخير النوبان، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- محمود أبو العلاء، "جغرافية شبه جزيرة العرب – الجزء الرابع- جغرافية اليمن الديمقراطية الشعبية"، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.
- عبدالرزاق عباس حسين، "جغرافية المدن"، مطبعة أسعد، ١٩٧٧م.
- مالك إبراهيم الدليمي ومحمد العبيدي، "التخطيط الحضري والمشكلات الإنسانية"، بغداد، جامعة بغداد، ١٩٩٠م.
- محمد الجديدي، "مسائل في الجغرافيا الحضرية"، المعهد الأعلى للتربية والتكوين المستمر، جامعة تونس ١، ١٩٩٧م.
- ساطع محلي، "جغرافية العمران"، مطابع الوحدة، ١٩٨١- ١٩٨١م.

الدوريات :

- جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، الجهاز الركزي للإحصاء- م/حضرموت، "مخرجات تعداد ١٩٨٨م"، بيانات غير منشورة.
- الجمهورية اليمنية، وزارة التخطيط والتنمية، الجهاز المركزي للإحصاء – صنعاء، مخرجات تعداد ١٩٩٤م، "التوزيع العددي والنسبي للسكان(١٠سنوات فأكثر) حسب نوع النشاط الاقتصادي"، بيانات غير منشورة.

- جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، الجهاز المركزي للإحصاء- م/ حضرموت، "المجموعة الإحصائية لعامي ٨٦- ١٩٨٧م"، العدد السادس، سبتمبر ١٩٨٩م، المكلا.
- الجمهورية اليمنية، الجهاز المركزي للإحصاء، "النتائج النهائية لمحافظة حضرموت. التقرير الأول"، يناير ١٩٩٦م، صنعاء.
- الجمهورية اليمنية، الجهاز المركزي للإحصاء، "النتائج النهائية لمحافظة حضرموت. التقرير الأول"، يناير ١٩٩٦م، صنعاء، ص VII.
- القرار الجمهوري بالقانون رقم (٩) لعام ١٩٩٩م.

الرسائل الجامعية والمجلات:

- محمد سالم الجوهي، "توزيع السكان في محافظة حضرموت - الجمهورية اليمنية(١٩٧٣-١٩٨٨م)"، أطروحة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب. جامعة بغداد، ١٩٩٥م.
- مجلة العربي، "إستطلاع تريم"، العدد ٨٧، فبراير ١٩٦٦م.

المصادر الأجنبية:

- BEAUJEU- GANIER(J.)et CHABOT(G.),"Trait et Geographie urbain",Acolin Paris,1970.

EAUJEU-GANIER(J.),"Geographie urbain",CollectionV., Acolin Paris,1980.
MERLIN(Pierre),"Methodes quantitatives et espace urbaine", Collection de geographie,Masson,Paris,1973.
, Paris,1980..

الرحلة العلمية إلى حضرموت

من القرن السادس إلى القرن الخامس عشر الهجري

محمد علوي عبدالرحمن باهارون

الملخص:

شكلت حضرموت رافداً من روافد العلم والمعرفة في جنوب الجزيرة العربية وانتشر الذكر الحسن لها في شتى أصقاع المعمورة كجنوبي وشرقي إفريقيا وآسيا وذلك بفضل جهود أبنائها الدعاة الذين حملوا إلى تلك المناطق القصية الدعوة الإسلامية والأخلاق النبوية الكريمة التي اتصفوا بها.

وقد أصّل ذلك الاتصال لحضرموت عموماً ومدينة تريم على وجه الخصوص العظمة والجلال في قلوب الشعوب الآسيوية والإفريقية فإذا ذكرت حضرموت عندهم ذكروا بها أولئك الدعاة الصادقين ودورهم الدعوي والإرشادي والتجار الأمناء الذين عبقوا بلدانهم بتلك الأخلاق الفاضلة وذلك من باب الاعتراف بالفضل لأهله.

إن ذلك الوصف الذي قد يكون فيه شيءٌ من المبالغة في نظر السامع قد حدا بالعديد من الرحالة في القرون الماضية وشوقهم لزيارة تلك المنطقة التي تدعى بحضرموت للتعرف على تلك الأوصاف عن كثب، وعندما يأتون إليها ويجدون ما عليه أهلها من إقبال على العلم والطاعة يتيقنون أن تلك الأوصاف حقيقة وليست من باب المجازفة في القول.

وفي هذه الورقة البحثية يحاول الكاتب إبراز تلك الخاصية التي حظيت بها حضرموت على مر قرون متتالية من توافد طلاب العلم إليها زرافات ووحدانا للاستزادة من العلوم الشرعية في معاهدها وزواياها وأربطتها المتعددة.

وتركز الورقة على ذكر الشخصيات العلمية الوافدة إلى حضرموت لطلب العلم كنشوان الحميري ويوسف ابن عابد، والرحالة الوافدين لزيارة مآثرها والالتقاء بمشايخها لأخذ منهم السند العلمي كالعلامة اليافعي والمغربي في الفترة مابين القرنين السادس والخامس عشر الهجريين.

المقدمة :

عرف العرب الرحلة عن الأوطان منذ أزمان غابرة واستعملوها لعدة وسائل للتجارة والسياحة ونحوها، وقد نوه القرآن الكريم بتلك الرحلات التجارية التي يقوم بها عرب الجزيرة العربية في رحلتي الشتاء والصيف، الأولى إلى اليمن والثانية إلى الشام ، ولما جاء الإسلام حث على السياحة في الأرض لأسباب متعددة مثل التأمل في المخلوقات والاتعاظ بآثار الأمم البائدة وذلك في عدة آيات من القران منه قوله تعالى (قل سيروا في الأرض) وقوله تعالى (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها) ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل شجع الإسلام على السفر بتخفيف بعض الأعباء الدينية مثل الفطر في الصوم والقصر والجمع في الصلاة للمسافرين.[1]

وقد عرف الحضارمة الرحلة منذ فجر التاريخ وتطالعنا كتب التراجم والتاريخ في العصور الإسلامية عن رحلات العديد من الشخصيات العلمية إلى خارج حضرموت للدراسة ولقاء العلماء ، وكان أكثر هذه الرحلات إلى زبيد وتعز وعدن ومكة والمدينة وظفار والهند وبلدان السواحل الإفريقية كما كان البعض منهم يرحل إلى القدس والشام ومصر وتلقى بعضهم العلم في الجامع الأزهر وفي هذه الرحلات كانوا يلتقون العلماء ويدرسون عليهم علوم الشريعة واللغة العربية وغيرها من العلوم ويأخذون عنهم الإجازات والإذن بالإفتاء والتدريس.[2] وما تلك الرحلة العلمية التي قام بها الشيخ العلامة سالم بن فضل بافضل (ت: ٥٨١هـ) في القرن السادس الهجري إلى العراق والحجاز التي دامت أربعين عاما إلا دليل على الرحالة الحضرمي وتعطشه في الازدياد من العلم فطلب العلم من المهد إلى اللحد.[3]

وبمثل ما حرص الحضارم على الرحلة العلمية والاستكثار من المشايخ والإجازات حرص غيرهم من طلاب العلم في جميع الأقطار الإسلامية فقد ارتحلوا إلى المناطق النائية على متن السفن الشراعية وعلى ظهور الجمال وقد نالت حضرموت بثلة من أولئك الرحالة الذين تشرفوا بالأخذ عن العلماء والفقهاء الحضارمة.

موضوع الدراسة:

تناقش هذه الدراسة موضوع الرحلة في طلب العلم إلى حضرموت منذ القرن السادس الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري حيث وفد إلى حضرموت المئات من مشايخ وطلاب العلم من شتى الأقطار العربية والأجنبية لطلب العلم والالتقاء بمشايخها عبر عصور التاريخ الإسلامي .

هدف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى إبراز الأهمية العلمية لحضرموت عبر عصورها التاريخية والتي تبوأت بها المرتبة العليا من بين المناطق الإسلامية والعربية في نشر الدعوة الإسلامية إلى شرق آسيا وإفريقيا والفلبين وغيرها مما جعلها مهوى لأفئدة العشرات من أبناء هذه المناطق وموطن رحلتهم لطلب العلم الشرعي إلى اليوم من بين حواضر العالم الإسلامي كمكة والمدينة ومصر، وتلك هي الميزة التي بوأت مدينة تريم أشهر المدن العلمية في حضرموت بان تختار عاصمة للثقافة الإسلامية لهذا العام ١٤٣١هـ ـ٢٠١٠م من قبل المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو).

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة من أنها طرقت موضوعاً جديداً واضعة النقط على الحروف وفاتحة به باباً غير معروف لكثير من سكان حضرموت ألا وهو وفود جمع من علماء المسلمين من يمنيين ومصريين وحجازيين ومغاربة وغيرهم من المشهود لهم بالعلم والفقه والصلاح إلى حضرموت للأخذ عن مشايخها والالتقاء بصلحائها وواضعة بذلك المفتاح على قفله لفتحه أمام طلاب العلم والمثقفين وأصحاب الاختصاص للتوسع في دراسته في المستقبل.

الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة في الأساس على منهج البحث التاريخي بتتبع أخبار أولئك الأعلام من أمهات كتب التاريخ الحضرمي والتراجم وغيرها من الكتب المستعان بها ، وقد تعرج بعض الشيء على المنهج الوصفي التحليلي إذا دعت عملية البحث لذلك.

تقسيم الدراسة:

وقد حاول الباحث جاهدا أن يستقصي بعض الشخصيات العلمية التي قدمت إلى حضرموت في الفترة مابين القرنين السادس والخامس عشر الهجريين وضمنها هذه الدراسة التي جاءت في ثلاثة مباحث وخاتمة يستعرض بها أهم النتائج المتوصل إليها وذلك على النحو التالي:

المبحث الأول: الرحلة في طلب العلم تاريخها وأهميتها.

المبحث الثاني: الرحالة الوافدون إلى حضرموت مابين القرنين السادس والرابع عشر الهجريين.

المبحث الثالث: الطلاب القادمون للدراسة في الأربطة والجامعات الحضرمية.

نأمل بذلك أن نكون بذلك قد أضفنا شيئاً جديدا إلى المكتبة الحضرمية يقطف من ثماره أجيالنا اللاحقة ويكون دافعاً لهم في طلب العلم والرحلة إليه... والله ولي التوفيق.

المبحث الأول

الرحلة في طلب العلم تاريخها وأهميتها وفوائدها وآدابها

عرفت الرحلة في طلب العلم والمعرفة منذ فجر التاريخ ، وأقدم رحلة علمية يحدثنا عنها القرآن الكريم هي تلك الرحلة العلمية التي قام بها نبي الله موسى عليه السلام من مصر إلى مجمع البحرين أي ملتقى بحري فارس والروم بالمشرق عند سيدنا الخضر عليه السلام بأمر من الله تعالى ليعلمه العلم وقصته شهيرة في القرآن الكريم في سورة الكهف.(٤)

ولما جاء الإسلام سلك المسلمون سنن الرحلة في طلب العلم والحديث من وقت مبكر جداً بدأً منذ عصر النبوة ، وكتاب (الرحلة في طلب الحديث) وثيقة مهمة تثبت ذلك بما أخرج فيه الخطيب البغدادي من الأحاديث الصحيحة في ذلك ويرد على أولئك المستشرقين من أمثال (جولد تسهير) الذين يدعون أن المسلمين لم يعرفوا الرحلة في طلب العلم والحديث إلا في العصر الأموي.(٥)

وقد رحل الصحابة رضوان الله عليهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة من بلدان بعيدة يحملهم الشوق لهذا الدين العظيم ولمعرفة تعاليمه السمحة ، فهذا الصحابي كليب بن سعد بن كليب البرهوتي رحل من أقصى حضرموت من وادي برهوت وافدا على النبي عليه الصلاة والسلام ومعه هدية من أمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهي كسوة من نسيج يدها ولما تقدم إلى الرسول عليه الصلاة والسلام بهدية أمه وقصيدته القائل فيها:

من وشز برهوت تهوى بي عذافره ... إليك يا خير من يحفى وينتعل

تجوب بي صفصفاً غبرا مناهله ... تزداد سيراً إذا ما كلت الإبل

شهرين أعملها نصا على وجل ... أرجو بذاك ثواب الله يا رجل

أنت النبي الذي كنا نخبره ... وبشرتنا بك التوراة والرسل

فمسح الرسول بيده الشريفة وجهه تطييباً لنفسه فكان كليب وذريته يفاخرون بهذا المسح غيرهم.(٦)

كما رحل الصحابة رضي الله عنهم إلى بعضهم البعض وذلك طلباً للأحاديث التي كانوا يسمعونها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل رحل بعضهم في طلب حديث أو كلمة لم يمكنه سماعها من النبي صلى الله عليه وسلم ، ويحدثنا الإمام الخطيب البغدادي في كتابه القيم (الرحلة في طلب الحديث) عن عدد من الصحابة رحلوا إلى مصر والشام والكوفة من أجل سماع حديث واحد فقط ومنهم على سبيل المثال رحلة جابر بن عبدالله رضي الله عنه من المدينة إلى الشام ليسمع حديثاً واحداً من عبدالله بن أنيس الأنصاري لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله عليه الصلاة والسلام (يحشر الله العباد عراة غرلاً بُهماً...) الحديث بطوله[٧] ، ورحلة أبي أيوب الأنصاري من المدينة إلى مصر ليسمع حديثاً من عقبة بن عامر وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم (من ستر مؤمناً في الدنيا على خربة ستره الله يوم القيامة).[٨]

وهكذا في عصر التابعين ومن بعدهم فقد رحلوا في طلب العلم والحديث إلى البلاد البعيدة فهذا سعيد بن المسيب التابعي الجليل يسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد وغيره الكثير منهم.[٩] وذاك الإمام مجاهد بن جبر المخزومي التابعي الجليل المتوفى سنة ١٠٣ هجرية عن ثلاث وثمانين سنة ،رحل إلى حضرموت ليرى بئر برهوت الذي أشار إلى ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أحاديثه بأنه مأوى لأرواح الكفار.[١٠]

وصارت الرحلة في طلب العلم وعلو السند ديدن أهل الفضل من علماء هذه الأمة ويحدثنا التاريخ عن علماء الإسلام من محدثين وفقهاء وأنباء رحلاتهم المضنية التي قاموا بها من أجل العلم رغم أبعاد السفر الشاسعة ومشقاته في أيامهم يجتازون العقبات ويستهينون بالصعوبات في سبيل العلم لا يطمحون من وراء ذلك إلى جاه أو وظيفة يشغلونها ولا يطمعون في دنيا يصيبونها.[١١] مسترشدين بقول الإمام الشافعي عليه رحمة الله :

تغرب عن الأوطان في طلب العلا وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تَفَـرُّجُ هـم ، واكتـساب معيـشة وعلـم وآداب ، وصـحبة ماجـد

وقد ارتبط طلب العلم بالرحلة ارتباطاً واسعاً ، وكان من العلوم الإسلامية ما يرتبط بالرحلة ارتباطاً عضوياً لا انفصام له مثل الجغرافيا ولذلك نجد الجغرافيين المسلمين من الرحالة لا يكتفون برحلاتهم بل يأخذون عمن التقوا بهم من الرحالة أيضا ، ومنها ما يرتبط بالرحلة

ارتباطاً شديداً غير انه لا يبلغ مبلغ ارتباط الجغرافيا بها ، مثل النبات والتاريخ وفعلا اعتمد النباتيون كأبي العباس احمد ابن الرومية (ت:٦٣٧هـ) والمؤرخون كالمسعودي أبي الحسن علي بن الحسين (ت : ٣٤٦هـ) على الرحلات في إتمام كتبهم القيمة.[١٢]

ومن العوامل التي دعت إلى الرحلة ندرة الكتب في أول العهد الإسلامي فجعلت من الرحلة من أجل طلب العلم أمراً شائعاً كل الشيوع ، وبسبب البعد، انتهز علماء المغرب بخاصة رحلة الحج للأخذ عمن يلتقون بهم من العلماء ، بل السعي إلى اللقاء بهم والأخذ عنهم مما جعل هذه الرحلات تستغرق سنوات ، وعلى الرغم من ذلك كان عدد المغاربة الراحلين إلى المشرق لطلب العلم دون أن يستهدفوا الحج أو التجارة كبيراً وقد أورد المقري أسماء ٢٨٠ شخصاً من الأندلسيين وحدهم الذين فعلوا ذلك، ولاحظ كراتشكوفسكي بحق إن طابع الرحلة في طلب العلم طغى على ما عداه من أنواع الرحلات الأخرى في المغرب منذ القرن السابع الهجري /الثالث عشر الميلادي ،وأقدم رحلة بلغتنا من هذا النوع هي رحلة الإمام محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠-٢٠٤هـ).[١٣]

وقد ذكر الدكتور نور الدين عتر فوائد عدة للرحلة العلمية سنذكرها مع شيء من الاختصار :[١٤]

١. التمكن من الجوانب العلمية ،وذلك إن الإنسان يتأثر ببيئته ومحيطه ، فإذا رحل إلى بيئة أخرى وجد آراء في مسائل جديدة تبحث سبق له أن درسها فيتسع فقهه واجتهاده بدراسة تلك المسائل الجديدة وذلك مثل رجوع الإمام الشافعي عن مذهبه القديم الذي كان بالعراق إلى المذهب الجديد الذي أنشأه بعد رحلته إلى مصر.

٢. نشر العلم الذي حصله العالم ،وذلك أن العالم كثيراً ما ينبغ في بلد لا يجد فيه مجالاً لبث علمه لعدم توفر الكفاءات ولقلة اهتمام أهل البلد بهذا الاختصاص فيرحل إلى مدينة تكون أوسع مجالا وتعظم مكانته عند أهلها ولولا الرحلة لما عظم شأنه ولما كثرت ثمرات نبوغه ، وذلك مثل رحلة الشيخ عز الدين بن عبدالسلام من الشام بالكرك إلى القاهرة بمصر.

٣. اتساع الثقافة العامة، وذلك لكثرة احتكاك الإنسان بغيره من الناس وما لديهم من عادات وثقافة وحكم وأمثال ونوادر فيتأثر بذلك وتتكون لديه حصيلة ثقافية واسعة ومعرفة

بأحوال الشعوب من خلال كل رحلة ولقاء ولذلك احتل الرحالون مراكز الصدارة في المجالس واجتذبوا الناس إليهم بما يحكون من أنباء رحلاتهم العلمية.

٤. **تنمية الفضائل والكمالات في النفس** ، كان هذا غرضاً يرحل إليه الراحلون يقصدون أهل الفضل للتأسي بأحوالهم وصفاتهم ويتعلم من تلك الرحلة أخلاقاً طيبة تغرسها في النفس مثل الصبر على المتاعب ومداراة الناس وغيرها من الأخلاق الفاضلة.

٥. **كسب صداقات جديدة خالصة** ، الرحلة وسيلة نافعة في كسب أصدقاء جدد يتعرف عليهم ويعرف بهم أهل بلده ، ويتحدث عن فضائلهم في مجالسه فيؤدي ذلك إلى تعارف الشعوب وتحابيها.

وللرحلة العلمية آداب ينبغي أن يتحلى بها طالبها لتثمر له تلك الرحلة الانتفاع وتكون وسيلة له في الازدياد من العلم والخير منها :

١. أن يقدم أولاً التعلم على علماء بلده على الرحلة للآفاق فهو أيسر وأقل تكلفة فإذا فرغ من التلقي عن علماء بلده عزم على الرحلة وسلك سبيلها.

٢. أن يحسن اختيار أماكن رحلته بأن تكون تلك البلدان مشهورة بالعلم وعامرة بالعلماء والفضلاء الذين يستفاد منهم.

٣. أن يهتم بكثرة المادة العلمية المتلقاة ولا يقنع منها بحال من الأحوال فمنهومان لا يشبعان طالب عالم وطالب مال.

٤. أن يعتني بالمذاكرة مع المحققين لتمكين التعمق في العلم ومدارسة المسائل العلمية.

٥. أن يراعي الآداب العامة في السفر فهي مطلوبة من كل مسافر خصوصاً صاحب الرحلة لطلب العلم منها المداومة على الطاعة وذكر الله والسخاء بالمال والصبر على متاعب الطريق وغيرها من الآداب.[١٥]

المبحث الثاني

الرحالة الوافدون إلى حضرموت

ما بين القرنين السادس والرابع عشر الهجريين

ازدهرت الحياة العلمية في حضرموت في القرن الرابع الهجري وذلك بعد قدوم الإمام المهاجر أحمد بن عيسى الحسيني إليها سنة ٣١٧هـ ونشر بها العلم والمعرفة ، وبرز فيها الكثير من الفقهاء والعلماء والأخيار الذين تضرب لهم أكباد الإبل وتعمل إلى لقائهم المطي وفي ذلك يقول الشاعر السيد احمد بن عبدالله السقاف :

إن في حضرموت كانوا ولازا ... لوا رجالا هم الشموس والأقمارا

قد علوا بالعلوم والفضل والاعـ ... ـمال والزهد والتقى مقدارا

من مضى منهم مضى بعد أن ... خلد من حسنى سعيه أثارا

كان وادي الاحقاف خلوا ولكن ... بعد أن حله المهاجر صارا

بقعة غير ذات زرع ولكن ... ينبت الصالحين و الأخيارا[١٦]

ويعتبر الزمن الذي يقع فيما بين قدوم المهاجر إلى حضرموت في مطلع القرن الرابع وبين ظهور طريقة التصوف بها وانتشارها حوالي أواخر القرن السادس ومستهل القرن السابع على يد سيدنا الفقيه محمد بن علي باعلوي (ت: ٦٥٣هـ) ومن في طبقته من مشايخ التصوف بحضرموت يعتبر دوراً متميزاً وكان يسمى بعصر الفقه أو عصر الفقهاء وفي هذا الدور كانت النهضة العلمية التي انتشر بها مذهب الإمام الشافعي في الفروع ومذهب أهل السنة والجماعة في الأصول كما صرح بذلك العلامة علوي بن طاهر الحداد في كتابه عقود الألماس ص٢٧٣ ، وانه من المعلوم إن هذه النهضة قد امتدت في تقدمها ونموها العظيم المدهش حتى أنها بلغت تريم إلى تلك الذروة العليا وانتهت إلى القمة الشامخة التي لا تسامى بوجود ثلاثمائة مفت بتريم في وقت واحد أي بذلك العصر الذهبي الواقع في أواخر القرن السادس.[١٧]

وكان في ذلك العصر الذي عرف بعصر الفقه والفقهاء كتب السنن والمسانيد ومؤلفات الشافعي وغيرها كلها تقرأ في جوامع حضرموت إلى آخر القرن الثامن الهجري يتناولها رجال من الحفاظ من أهل تريم وشبام حيث كانتا من سوق الحديث في القرن السابع الهجري هاجر إليها رجال من الشرق والغرب وقد كانت حضرموت في الدور الثاني دار الحديث وعلوم السنة وإنما اندرست تلك الأسواق بعد القرن التاسع الهجري.[١٨]

وفي تلك العصور الذهبية رحل إلى حضرموت رحل العديد من العلماء الأعلام للأخذ عن مشايخها وزيارة من فيها من الأخيار ، ونحن في هذه الدراسة المختصرة نشير إلى أولئك الرحالة الذين وفدوا لزيارتها مابين القرنين السادس والرابع عشر الهجريين بإعطاء القارئ لمحة يسيرة عن ذلك الدور العلمي الذي لعبته حضرموت مما جعلها مهوى لقلوب أولئك الرحالة.

أولاً: الإمام العلامة الأديب نشوان بن سعيد الحميري اليمني :

العلامة الكبير والفقيه اللغوي الشهير مؤلف شمس العلوم والراتع في المنطوق والمفهوم ومبدع المنثور والمنظوم ، لا يعرف مكان ولادته ولا السنة التي ولد فيها ويحتمل أن تكون في حوث شمال صنعاء ويظهر أنها كانت مرتع صباه ومسرح نشأته ودراسته ، ثم بعدها فارقها لأسباب غير معروفة ، وقد هيأته مواهبه ونبوغه للمشاركة القوية في جميع معارف زمانه من نحو وصرف ومعاني وبيان وتفسير وتاريخ وآداب ولغة وفلك ثم معرفة ملل الناس ونحلهم ومذاهبهم ومعتقداتهم إلى غير ذلك فما من علم من هذه العلوم إلا وله فيه يد قوية ولا ينبئك مثل آثاره وفي مقدمتها موسوعته اللغوية الشهيرة (شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم) ، وقد أخذ في التنقل بين البلدان و انتهى به المطاف إلى بلاد خولان بن عمرو حيث استقر بها حتى وافاه الأجل المحتوم ودفن بموضع كان يسمى الجحفات ويسمى اليوم بالشاهد على مسافة ميل من حيدان وذلك عصر يوم الجمعة رابع وعشرين من ذي الحجة سنة ٥٧٣هـ.[١٩]

رحلته إلى حضرموت:

ذكر المؤرخون الحضارمة أن العلامة نشوان الحميري وفد على حضرموت قاصدا مدينة تريم في عهد حاكمها السلطان العادل عبدالله بن راشد للقاء من بها من المشايخ والأعيان،

وكان قد أقام بها مدة يتلقى العلم على علمائها وقد التقى فيها بجملة من الفقهاء وفي مقدمتهم الشيخ العلامة علي بن محمد الحاتمي المتوفى بتريم في أجواء ٦٠٠هـ وشيخه العلامة يحيى بن سالم أكدر وغيرهم.[٢٠]

ولما عاد إلى اليمن كتب كتاباً إلى السلطان عبدالله ومشاهير تريم ضمنه انطباعاته عنها لما رأى ما بها من العلماء وأهل الصلاح والزهد والورع وما قام به السلطان عبدالله من العدل والأمان والرفق بالرعية وقد صدره بهذه الأبيات:

رعى الله إخواني الذين عهدتهم ... بطن تريم كالنجوم العوائم
عليا حليف النجدة ابن محمد ... وأبنا أخيه الغرّ من آل حاتم
وكم في تريم من إمام مهذب ... وسيد أهل العلم يحيى بن سالم
أولئك أهل الفضل في ظل فاضل ... عظيم من الأملاك عالي الدعائم
أمنت بهم من سالف الدهر برهة ... فكانت لياليه كأضغاث حالم
وفارقتهم كرهاً ونار فراقهم ... تأجج ما بين الحشا والحزائم
ألا هل لأيام تقضت برجعة ... أو ابكي عليها بالدموع السواجم
وهل لزمان الوصل بالوصل عودة ... وهيهات ليس الصدع كالمتلائم
لئن بعدت أجسامنا فقلوبنا ... تزاد بود غير واهي العزائم
سلام عليكم من صديق بقلبه ... جراح فراق ما لها من مراهم

ثم قال فيه: أطال الله بقاء صمد المشايخ الأجلاء الفقهاء الفضلاء إطالة تبلي جديد الدهر وتفني كل ليلة وشهر، وأعلى مجدهم على الكواكب العلوية في سائر الأفلاك، ورفع قدرهم ارتفاعاً في الأملاك شوقي إلى زيارة ناديهم الرحيب، مترادف الوجد والنحيب، كشوق صادٍ في شهر ناجز إلى الماء الفياح أو ذات جناح إلى الأفراخ أو شمطاء الذوائب إلى واحدها الغائب، تبادر إلى كل راكب، وتكفكف فيض دمعها الساكب.

تسائل عن حبيب غاب عنها ... وقد يشفي من الكمد السؤالُ

ولما صاح داعي البين، وسوّد في صحيفة النائين آذن بالفراق يوم الأحد، ولم أجد لذلك من ملتحد وخرجت من ربعهم المعمور بالكرم والجود وناديهم المعتصر لكل منجود

كنت كأبينا آدم حين خرج من الجنة فأصبح من النادمين وعُدَّ بخروجه من الآثمين ، فيا ليت شعري! أيعفو الله عز وجل عني من هذه الخطية أم يقصر بي عن العفو جسور المطية، ويتوب علي كما تاب على آدم فيما سلف من الدهر وتقادم ، فأكون من الأتقياء أم أكون بذلك الخروج من الأشقياء؟! فخروجي من نادي الحكمة المبينة في موجب الكتاب والسنة كخروج آدم عليه السلام من الجنة ، انتجعت روضة الأدب ، ومن انتجع عنها أفلس وأجدب ما تريم إلا جنة نعيم ؛لان في تريم ملك كريم حام الديار والحريم ، لو فارقها لأصبحت كالصريم وقد صح عن الرسول صلى الله عليه وسم فيما روي في الخبر المنقول أنه قال: (سلطان عادل خير من مطر وابل وسلطان غشوم خير من فتنة تدوم) والله تعالى يحرس الكريم بطول بقائه ويصرف الشر عن لقائه ،ويرخي على المسلمين ستر عدله ويجمل الدنيا بجميل فضله.[٢١]

ثانيا: الإمام العلامة سفيان اليمني :

أحد الأعلام الذين وفدوا إلى حضرموت في بدايات القرن السابع الهجري لقصد زيارة نبي الله هود عليه السلام ولقاء من فيها من العلماء والأعيان وبرفقته الشيخ أحمد بن أبي الجعد ، ومن الذين اجتمع بهم الفقيه المقدم الإمام محمد بن علي باعلوي المتوفى سنة ٦٥٣هـ وكان من أوائل الآخذين عنه في علوم التصوف والحقائق ، ثم سافر الشيخ سفيان بعد تلك الزيارة إلى اليمن فأرسل سيدنا الفقيه إلى سفيان اليمني بكراسة ضمنها مسائل دقيقة فلما وصل الكتاب إلى الشيخ سفيان قال هذا لم تبلغه أحوالنا يافقيه.[٢٢]وقد أخذ مع رفيقه الشيخ احمد بن الجعد وتتلمذا على الشيخ محمد بن سالم باوزير مولى عرف.[٢٣]

ويذكر صاحب المشرع الروي أن الشيخ سفيان اليمني لما زار حضرموت ونزل مدينة تريم وسألوه أن يستقي بهم أي يصلي بهم صلاة الاستسقاء فقال أصلحوا السواقي فأغاثهم الله بسيول كثيرة وغزيرة.[٢٤]

ثالثاً: الإمام العلامة الشيخ سعد الدين محمد بن علي الظفاري :

من أئمة العلماء المتقدمين والفقهاء المشهورين بالصلاح والتقوى قرأ على الإمام صاحب مرباط الشيخ محمد بن علي باعلوي المتوفى سنة ٥٥٦هـ وعلى الشيخ محمد بن سالم باوزير مولى عرف وله أوثق الصلات بالفقيه المقدم.[٢٥]

رحل من ظفار بعمان إلى حضرموت متنقلا بين قراها آخذا عن الشيوخ حتى طاب به المقام واستقر بمدينة الشحر وابتنى بها مسجدا عرف بمسجد الشيخ سعد إلى اليوم وقد اخذ عن الشيخ سالم بن فضل بافضل والشيخ عبدالله الأسدي كما تتلمذ عليه جماعة من أهل حضرموت من اجلهم الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي المتوفى سنة ٦٥٣هـ فقد أخذ عنه بالمكاتبة وتبادلا الرسائل العلمية التي قام تلميذه الشيخ محمد بن علي باطحن بشرحها في مؤلف خاص وكانت فاته بالشحر سنة ٦٠٧هـ.[٢٦]

رابعاً:الحافظ الحجة قاضي القضاة هبة الله بن عبدالرحيم بن إبراهيم بن أحمد البارزي الجهيني :

ولد في خامس رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة بحماه وسمع من أبيه وجده والشيخ عز الدين الفاروقي والشيخ جمال الدين بن مالك وجماعة وأجازه الشيخ عز الدين بن عبد السلام والشيخ ندم الدين البادرائي والحافظ رشيد الدين العطار وأبو شامة وطائفة. وقد انتهت إليه مشيخة المذهب ببلاد الشام وقصد من الأطراف وكان إماما عارفا بالمذهب وفنون كثيرة له التصانيف الكثيرة منها شرح الحاوي والتمييز وترتيب جامع الأصول والمغنى ومختصر التنبيه والوفاء في سرائر المصطفى ، وتولى قضاء حماه ، ذكره الذهبي في المعجم المختص وقال كان عديم النظير له خبرة تامة بمتون الأحاديث وانتهت إليه رياسة المذهب ، توفي في وسط ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة هجرية ٧٣٨هـ.[٢٧]

رحلته إلى حضرموت:

ذكر العلامة ابن جندان في معجمه أن البارزي المذكور قدم إلى حضرموت من بلاد مصر ودخل شبام واجتمع بمن فيها من المحدثين والأعيان [٢٨]، والعلامة البارزي المذكور هو صاحب متن الزبد في الفقه الشافعي الذي نظمه العلامة احمد بن رسلان في منظومته المشهورة بالزبد التي سارت بذكرها الركبان وحفظها الطلاب الشافعية في شتى البلدان ، وقد تداولها الحضارمة عبر العصور بالحفظ والشرح وأطلقوا عليها (بنت احمد) و(حصاة الثبان) ولازالت تقرر في معاهد وأربطة حضرموت إلى اليوم .

خامساً: الإمام المحدث المسند أبو زكريا يحيى بن أبي بكر بن عبدالقوي البوني التونسي المغربي المالكي :

وهو ممن سمع عن أبي الحجاج يوسف ابن زكي الدين عبدالرحمن المزني .

رحلته إلى حضرموت:

قدم إلى حضرموت سنة ٧٤٩هـ كما ذكره المؤرخ احمد بن عبدالله شنبل في تاريخه ونقل صالح بن علي الحامد في تاريخه وسالم بن احمد بن جندان في معجمه انه قدم في ١٧ من شهر رجب سنة ٧٥٢هـ ودخل شباماً وأقام فيها مدة واخذ عنه أكثر من ألف رجل وامرأة وسار إلى تريم يزور الإمام عبدالرحمن السقاف المتوفى سنة ٨١٩هـ وأخذ كل منهم عن الآخر وأجاز الشيخ محمد بن أبي بكر باعباد إجازة عامة مطولة ذكر فيها جميع مشايخه ، وسافر في رمضان.[٢٩]

سادساً: العلامة الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن أسعد اليافعي المكي :

أحد أعلام مكة المكرمة ولد سنة٧٥١هـ وترعرع بها في بيئة علمية تحت رعاية والده الإمام العلامة عبدالله بن اسعد اليافعي صاحب المصنفات النافعة.

رحلته إلى حضرموت:

أمره والده الإمام عبدالله بن اسعد اليافعي (ت: ٧٦٨هـ) بالرحلة إلى زيارة حضرموت والاجتماع بمن فيها من الشيوخ والعلماء والأخذ عنهم ، والذين كان قد اتصل هو بهم في مكة المكرمة أمثال الشيخ عبدالله بن محمد بن علي الخطيب المتوفى سنة ٧٩٣هـ والشيخ الإمام فضل بن عبدالله بافضل عندما حج سنة ٧٦٤هـ وقد نوه بهم في قصيدته بقوله:

وحضرموت بها قوم بفضلهم ... يستمطر الواكف الهامي من الديم
بنو أبا علوي والكرام بنو ... عباد السادة الحامون للحرم
وعصبة في نواحي الشحر بل ببني ... أبا وزير ذوي الإحسان والكرم[٣٠]

فسار ابنه المذكور إلى جدة ثم بعدها ركب البحر إلى مدينة الشحر والتقى بمن فيها من الشيوخ كالفقهاء آل السبتي وآل باهراوة وغيرهم حيث قوبل بالحفاوة والإكرام وقام ببناء مسجدا بالشحر عرف بمسجد اليافعي ثم زاد في عمارته وتوسيعه آل مزروع من أهالي الشحر ولهذا نسب إليهم وهو بحارة المقد (الحوطة) ذكره السيد عبدالله بن محمد باحسن في تاريخه.[٣١]

ثم بعدها رحل إلى وادي حضرموت ودخل مدينة تريم التي هي كوزنها عظيم واجتمع بمن فيها من المشايخ والفقهاء من آل البيت النبوي وغيرهم ومكث بها ما شاء الله ثم رجع قافلا إلى مكة ولما عاد إليه سأله عنهم فقال له رأيتهم لا يحصون كثرة ورأيت أنوارهم مشرقة كالشمس وأنشد شعرا :

مررت بوادي حضرموت مُسلّماً ... فألفيته بالبشر مبتسماً رحبا
وألفيت فيها من جهابذة العلا ... أكابر لا يلقون شرقاً ولا غربا[٣٢]

وسبب زيارته تلك هو ما ذكره المؤرخ عبدالله بن حسن بلفقيه في بحثه القيم(لمحة من زاوية التاريخ الحضرمي) الذي شرح فيه هذه الأبيات إن والده الإمام عبدالله بن أسعد عندما قصد اليمن لزيارة شيخه علي الطواشي المتوفى سنة ٧٤٧هـ وأدرك عجزه عن الرحلة إلى وادي حضرموت الرئيسي بنفسه للاتصال الشخصي بمن فيه من جهابذة الملة وأعلام المشيخة لم يسعه إلا إرسال ابنه عبدالرحمن لينوب عنه في هذا الاتصال الذي كانت تنبعث لديه الرغبة الأكيدة في تحقيقه.[٣٣]

وقد تداولت كتب التاريخ الحضرمي هذه الرحلة بعدة روايات والصواب هو ما ذكره المؤرخ بلفقيه عن الشيخ علي بن أبي بكر السكران ابن الإمام عبدالرحمن السقاف في كتابه البرقة المشيقة فقد حقق له رحلتان الأولى ما ذكرناها والثانية هي ما ذكره السيد احمد بن عبدالله شنبل في تاريخه في حوادث سنة ٧٩٤هـ بقوله: وفيها قدم ولد عبدالله بن اسعد اليافعي حضرموت.[٣٤]

ومن الشيوخ الأكابر والعلماء الجهابذة الذين يحتمل أن يكونوا في مقدمة من لقيهم واتصل بهم الشيخ العلامة عبدالرحمن اليافعي فيما بين أوائل وأواخر النصف الثاني من القرن الثامن الهجري بوادي حضرموت:

١. الإمام محمد مولى الدويلة بن علي بن علوي بن الفقيه المقدم المتوفى سنة ٧٦٥هـ.
٢. الإمام عبدالرحمن السقاف بن محمد مولى الدويلة (٧٣٩-٨١٩هـ).
٣. الإمام محمد بن أبي بكر باعباد (٧١٢ - ٨٠١هـ).
٤. الشيخ الإمام فضل بن عبدالله بافضل (٧٣٠-٨٠٦هـ).
٥. الإمام الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن باوزير المتوفى بعد عام ٨٥٠هـ. وغيرهم.[٣٥]

سابعاً: العلامة المغربي:

هو أحد الذين رحلوا إلى حضرموت بعد أداء فريضة الحج سنة ٨٦٥هـ برفقة أحد السادة أهل تريم من ميناء جدة إلى ميناء الشحر ثم إلى تريم ومكث بها برهة من الزمان التقى بمن فيها من الأعيان ووصف أخبارهم وأحوالهم مشاهدة وليس الخبر كالعيان كما هو في رحلته المطبوعة آخر كتاب صلة الأهل للشيخ محمد بن عوض بافضل، ويذكر صاحب تاريخ الشعراء الحضرميين عند ترجمته أحد الأعلام التريميين تلك الفترة بقوله: دعنا نزيح ستائر الأيام المسدولة بين أيامنا وأيامه حتى تتراءى لنا تريم في عصره ذلك العصر الذي كانت توصف فيه شوارع تريم بأنها شيخ من لاشيخ له ويوجد في أحد أحيائها ثلاثمائة مفتي، وهذا القاصد المغربي الفاسي يحدثنا في رحلته إلى حضرموت سنة ٨٦٥هجرية ويقنعنا أنه وجد أهل تريم أشبه بالملائكة منهم بالنوع الإنساني لشذوذهم في حياتهم وعباداتهم في أيامهم ولياليهم وزهدهم وورعهم وأعمالهم الصالحة التي تتجاوز الاستطاعة البشرية، وخذ صورة أخرى

خاطفة لتلك البيئة العلوية الترميمة فان هذا الرحالة المغربي يروي في رحلته أيضاً أنه وجد ذلك المجموع يرى القهقهة ورفع الصوت جريمة في الأخلاق العلوية ويعد مراجعة الأم حتى في شأن تافه ولو كانت في ذلة وخضوع خلقاً غريباً في الوسط العلوي تنوح له الأم والأخت والخادمة حتى ترجو لابن مولاتها توبة.[٣٦]

والسبب في رحلته أن والده كان دائما يذكر علماء حضرموت ويثني عليهم ويصفهم أنهم أشبه بالملائكة عند زيارته لها قبل حوالي ٣٠ عاما فلما رأى أحوالهم وما هم عليه من الجد في الطاعة تأكد من قول والده السابق ،[٣٧]بل قال سيدنا الإمام علي بن محمد الحبشي عندما قرئت عليه رحلة المغربي انه لو عرف حقيقتهم لقال أنهم أفضل من الملائكة ؛ لأن الملائكة معصومون من المعاصي وهؤلاء بشر ليست لهم عصمة إلا أنهم حفظوا أنفسهم بفعل الطاعات وترك المخالفات.[٣٨]

وإن كان هناك من يشكك في وقوع هذه الرحلة إلا أن العلامة السيد أحمد بن حسن العطاس (ت : ١٣٣٤هـ) يؤكد وقوعها ويقول انه وقع فيها تحريف من حيثية الأسماء والمعرفة لا من حيثية الوقوع. وقد ذكر انه وقف على رحلة حضرموت لأحد المغاربة بالمغرب وهي في نحو عشرين كراسا بيّن فيها حضرموت وما فيها ،[٣٩]ولعلها لوالد صاحب الرحلة المذكور أو غيره والله اعلم .

ثامناً: الإمام جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (٧٩١ - ٨٦٤هـ) :

شارح المنهاج للنووي احد فقهاء الشافعية الأفذاذ ذكر العلامة احمد بن حسن العطاس في مجموع كلامه انه سافر من مصر لزيارة حضرموت ودخل عينات واجتمع بسيدنا الشيخ أبي بكر بن سالم المتوفى سنة ٩٩٢هـ ،[٤٠] ولكن يتبين من تاريخ وفاة المحلي استبعاد لقاءه بالشيخ أبي بكر بن سالم لكونه متأخرا عنه وإنما لعله الشيخ جمال الدين محمد بن أحمد المحلي المتوفى سنة ٩٩٠هـ [٤١] وهو الأقرب ، ويؤيد ذلك ما ذكره العلامة يوسف بن عابد الحسني في رحلته من المغرب إلى حضرموت عن الشيخ مخلوف المغربي المدرس بالجامع الأزهر إن رجلا جاء من الهند وهو من قرية المحلة من أعمال مصر ذهب إلى حضرموت لزيارة من فيها من

الصالحين أشراف وغيرهم وفيها شريف اسمه أبوبكر بن سالم فتذاكر المحلي والشيخ أبوبكر فيمن ينتفع به من الأولياء بمصر والشام أو المغرب فجوب عليه بما يقتضي سؤاله في الحال وذكر له انه موعود بولد يقرأ العلم في مدينة فاس يقصد ابن عابد ، ثم ذهب مع الشيخ مخلوف المذكور إلى زيارة المحلي في بيته بمصر فلم يجده وكان ذلك سنة ٩٩١هـ فيتبين من ذلك إن المحلي هو الرجل المذكور نسبة إلى المحلة وليس شارح المنهاج كما يذكره الشيوخ في أماليهم لاشتباه الاسم عليهم والله أعلم.[٤٢]

تاسعاً: الشيخ الفاضل المقري المحقق الفقيه شمس الدين محمد بن أبي بكر بن الفخر البغدادي :

أحد الأئمة الأعلام الذين وفدوا إلى حضرموت من مدينة بغداد بالعراق في أوائل القرن العاشر الهجري واستقر بمدينة الشحر وكان علامة في علم القراءات وانتفعوا به خلق كثير في الشحر ونواحيها وبعد صيته في تلك الجهة وكانت وفاته في شهر رجب سنة ٩١٠هـ.[٤٣]

عاشراً : الإمام العلامة يوسف بن عابد بن محمد الإدريسي الحسني الفاسي المغربي:

كان ميلاده في سنة ٩٦٥هـ في بلدة انقاد مابين مدينة فاس ومدينة تلمسان وعاش في كنف أبويه مع أخويه محمد وأبو القاسم ، مات والده وهو ابن عشر سنين ، وترعرع في جهات آبائه - على حد قوله- وبينهما تردد يدخل فيها ويدخل فيها أرحامه إلى أن بلغ العشرين.[٤٤]

وفي سنة ٩٨٥هـ بدأ في طلب العلم والإفادة من أفواه الرجال وقراءة القران من حفاظ القران المشهورين حيث توجه إلى مدينة السلام فاس وهو ابن واحد وعشرين ولهذا غلب عليه اسم الفاسي لإقامته في مدينة فاس لأنها دار آبائه الأدارسة وبقي في مدارس فاس مترددا بينها وبين مدينة مكناس واخذ عن جملة من الشيوخ منهم الشيخ محمد أبوشتا والشيخ عبدالله بن حسون السلاسلي والشيخ عمر البطوي والشيخ موسى بن علي الرياحي والشيخ منصور بن عبدالنعيم وغيرهم.[٤٥]

رحلته إلى حضرموت والإقامة بها:

لقد فصل رحلته من بلاده المغرب إلى حضرموت في كتاب خاص حيث بدأت من عام ٩٩٠هـ عندما توجه من فاس إلى مصر والتقى فيها بجملة من الشيوخ وفي مقدمتهم الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري ثم توجه إلى الحرمين الشريفين لحج بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ودخل مكة في ١٠ رمضان ٩٩١هـ ثم نتركه يحدثنا عن رحلته قائلا : ثم فتحوا الكعبة ودخلت مع جملة من دخل وسألت الله أن يبلغني مرادي ثم خرجت إلى جدة خرج وركبت في مراكب اليمن وذلك في شهر محرم من شهور سنة اثنين وتسعين من القرن العاشر وخرجت على بندر جازان بعد شدة طوفان في البحر فانجانا الله من الغرق ثم توصلت إلى قرية أبو ريش فيها المشايخ آل حكمي .. وخرجت مع قافلة خارجة إلى الجوف فيها أشراف الحمزات آل غر وال جودة فزودني أمير الزاهر وكان اسمه ياسين بن ناصر من الجودة ثم جئت إلى الشيخ أبي بكر بن سالم مع زوار كثير خرجوا من وادي بيحان ومعهم أمل للشيخ كثير .. وأقمنا عنده ثمانية أيام وحكمني فيها وكان دخولي عليه في ثاني عشر من ربيع الثاني من شهور سنة اثنين وتسعين في القرن العاشر)[٤٦] ، ثم بعدها ذهب إلى مأرب وعاد وأقام عنده نحو خمسة عشر يوما ثم أمره أن يعزم إلى يشبم وأقام بها عند الشيخ عبيد بن عبدالمالك مدة شهر رمضان ثم عاد قبيل وفاته وجاء بعده لزيارة الشيخ اثنان واحد من الروم اسمه شكر وواحد شريف حسيني من وراء النهر وعيدوا عنده عيد عرفة ومكث الشيخ يوسف بعينات حتى وفاة الشيخ ليلة الأحد ٢٦ذي الحجة ٩٩٢هـ.[٤٧]

ثم بعد وفاته اخذ يتنقل في بعض قرى حضرموت وقد شاع ذكره في جهة حضرموت بواسطة الشيخ أبي بكر بن سالم حين أمرهم أن يقرأوا عليه في علم التوحيد وقد اشتهر به في حضرموت فقرأ السنوسية في جامع سيئون بحضور جمع من العلماء وبقراءة الشيخ احمد بن محمد بارجاء حتى ختموها في حياة الشيخ ابوبكر ،ثم أضافوه أهالي مريمة وقرأوا عليه في العقيدة وزوجوه بإحدى بناتهم وحببوا له الإقامة بينهم فابتنوا له بيتا سكنه مع أهله ، ثم ذهب إلى قيدون وتزوج بها عند المشايخ آل العمودي وقرئوا عليه في عقائد السنوسي بقراءة صهره الشيخ احمد بن عمر العمودي ، وكانت بينه علاقة حميمة بين سلاطين حضرموت

وفي مقدمتهم السلطان عمر بن بدر بن عبدالله الكثيري حتى أنه لما أراد أن يسافر إلى صنعاء سنة ٩٩٧هـ في سبب قام به قال له السلطان المذكور يشق علينا فراقك لما ألفناك ولا جاء أحد للجهة من المغاربة مثلك وأنت اعلم بالجهة منا.[٤٨]

ثم أخذ يتنقل بين مدن وقرى حضرموت واليمن حتى ألقى عصاه في بلدة مريمة إلى أن توفي سنة ١٠٤٤هـ وقد دون تفصيل حياته بحضرموت في رحلته المذكورة فليرجع لها من أراد الزيادة.

الحادي عشر:الشيخ العلامة عبدالرحيم الحساوي البصري الحسيني الشافعي:

من أعيان مكة المكرمة رحل إلى حضرموت في حياة الشيخ أبي بكر بن سالم العلوي والتقى به واخذ السند العلمي عنه وبشره بالذرية الصالحة فكان منهم العلامة الفقيه السيد عمر بن عبدالرحيم البصري المتوفى في سنة ١٠٣٧ هـ مفتي مكة المكرمة وفقيهها وصاحب الحاشية على التحفة لابن حجر،الذي تخرج عليه جملة من الفقهاء الحضارمة من أجلهم الشيخ عبد الله بن سعيد باقشير والسيد الجليل عبد الرحمن كريشه السقاف.[٤٩]

وقد ذكر العلامة يوسف ابن عابد في رحلته المتقدم ذكرها أن الشيخ أبي بكر بن سالم رضي الله عنه عقد له الأخوة مع الشيخ محمد بن عمر الخطيب بارجاء والشريف عبدالرحيم الحساوي وذكر أن ولده الآن في سنة ١٠٣٦ هـ قاضي في مكة اسمه عمر بن عبدالرحيم.[٥٠]

الثاني عشر: الشيخ العلامة أبو السعادات محمد بن أحمد بن علي الفاكهي المكي الحنبلي :

كان مولده سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وكان له اليد الطولى في جميع العلوم وأنه قرأ في المذاهب الأربعة . ومن شيوخه الشيخ الكبير المحقق العلامة أبو الحسن البكري وشيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي والشيخ محمد الحطاب في آخرين من أهل مكة وحضرموت وزبيد يكثر عددهم . ويقال أن الذين أخذ عنهم يزيدون على التسعين وأجازوه ومقروءآته كثيرة جدا لا تنحصر. ومن محفوظاته الأربعين النواوية والعقائد النسفية والمقنع في فقه الحنابلة وجمع الجوامع في أصول الفقه وألفية ابن مالك في النحو وتلخيص المفتاح في المعاني والبيان

والشاطبية في القراءآت ونور العيون في السير لابن سيد الناس وكان يحفظ القرآن العظيم ويقرأ للسبعة مع التجويد ونظم ونثر وألف غير واحدة من الرسائل المفيدة منها الذي تكلم فيها على آية الكرسي وهي مفيدة جدا ومنها شرح مختصر الأنوار المسمى نور الأبصار في فقه الشافعية ومنها رسالة في اللغة.[٥١]

رحلته إلى حضرموت :

رحل إلى حضرموت في أواخر القرن العاشر الهجري وزار مدنها كتريم وعينات والتقى فيه بالعديد من المشايخ الإثبات في مقدمتهم الشيخ أبي بكر بن سالم ذكر في صاحب النور السافر انه كانت له محبة في السادة آل باعلوي وذهب إلى حضرموت لزيارتهم فلقي جماعة من أعيانهم وعادت عليه بركتهم ودخل الهند وأقام بها مديدة ثم رجع إلى وطنه مكة المشرفة في سنة سبع وخمسين فحج ذلك العام وزار النبي صلى الله عليه و سلم ثم حج في السنة التي تليها وعاد إلى الهند في سنة ستين وتسعمائة فأقام بها إلى أن توفي بها رحمه الله في يوم الجمعة الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة ٩٩٢هـ.[٥٢]

الثالث عشر: الشيخ العالم الشريف عمر بن عيسى باركوة السمرقندي المغربي:

المقبور بمنطقة الغرفة بوادي حضرموت ، أصله من المغرب وحصلت له واقعة مع شيخه فقال له أنا لست شيخك ، وشيخك بالمشرق ،فرحل وجاء إلى حضرموت وقصد الشيخ أبي بكر بن سالم ولنتركه يحدثنا عن قصته تلك بعد فراق شيخه قائلا : فخرجت من عنده وحججت بيت الله الحرام وتوجهت إلى حضرموت حتى دخلت بلدة تريم فأقمت بها مدة فلم يكلمني أحد من المشايخ الذين هم بها فاتفق ذات يوم أن جرى ذكر الشيخ أبا بكر بن سالم باعلوي فقلت أين هو فقالوا بعينات فحينئذ خرجت من تريم وقصدته فلما رآني رحب بي وقال أنا شيخك الذي قال لك الشيخ فلان.[٥٣] وذكر العلامة احمد بن حسن العطاس انه كان يجهر بالذكر في طريقه إذا مشى ومن ذكر الله معه فهو رفيقه يأخذ عنه ويلقنه واليه ينسب ذكر التوحيد الذي يأتي به بعد الصلوات أخذاه عنه الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس والشيخ احمد بن عبدالقادر باعشن.[٥٤]

الرابع عشر: الشيخ العلامة أحمد بن عبدالكريم الحساوي الشجار :

ولد في الإحساء بالحجاز وعاش بها ولما انتشر ذكر العلامة عبدالله بن علوي الحداد في تلك الجهات رحل إليه إلى حضرموت في سنة ١١١٥هـ وقد تحمل مشاق السفر من ذلك أنهم أصابهم طوفان عظيم في غبة قمر بالبحر وهم في سنبوق صغير فيه سبعة أشخاص وصار الماء يدخل من جوانبه فنجاهم الله ووصلوا بالسلامة إلى سيحوت. وقد مكث عنده يخدمه ويطلب العلم على يديه قرابة ١٨ عام ثم رحل إلى بلاده الإحساء داعيا ومرشدا.[٥٥] وكان من أخص تلاميذ الإمام الحداد وقد قام بجمع كلامه المنثور في "تثبيت الفؤاد بكلام القطب الحداد" الذي تناقله العلماء وتدارسوه فيما بينهم وكان يعكس صورة المجتمع الذي عاش فيه الحداد ، ثم هذبه فيما بعد واختصره أحد أحفاد الحداد العلماء وهو العلامة علوي بن احمد الحداد باختصاره في "بهجة الفؤاد"[٥٦] كما قام العلامة الاحسائي المذكور بنظم الفزازية في مدح خير البرية التي تنشد في مساجد حضرموت في ليالي شهر رمضان وذلك بمعية العلامة الأديب عبدالله بن جعفر مدهر المتوفى سنة ١١٦٠هـ.

الخامس عشر: محدث الحرمين الشريفين العلامة الشيخ عمر حمدان المحرسي:

ولد الشيخ عمر حمدان بتونس عام ١٢٩٢هـ ثم هاجر مع والده إلى المدينة المنورة عام ١٣٠٣هـ وهو في الحادية عشرة من عمره فعكف على تلاوة القران على الشيخ إبراهيم الطرود وبعد أن حفظه أقبل على طلب العلم بالمسجد النبوي يلتهم المسائل العلمية التهاماً لا تكاد تفوته دقيقة من دقائق الموضوع ، كما تلقى علومه عن علماء من المدينة وتونس وفاس ودمشق ومكة واليمن ، ولم يشتغل بغير التدريس في الحرمين الشريفين ومدرسة الفلاح والمدرسة الصولتية حتى توفي يوم ٩ شوال عام ١٣٦٨هـ بالمدينة.[٥٧]

رحلته إلى حضرموت :

في سنة ١٣٤٣هـ سافر إلى عدن ثم رحل إلى حضرموت فدرس في مساجدها وأخذ العلم عن علمائها وتنقل في مدنها وقراها المتعددة كتريم وقيدون وسيون والقويرة والتقى فيها بجملة من الشيوخ أخذ عنهم واستجازهم منهم: السيد المحدث محمد بن سالم السري ، والحبابة السيدة بنت

الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر وأختها بعيديد ، والسيد عبدالله بن هادون المحضار ، والحبيب مصطفى بن أحمد المحضار ، والحبابة خديجة بنت أحمد المحضار ، والسيد محمد بن هادي السقاف ، والسيد شيخ بن محمد الحبشي ، والسيد عبدالله بن طاهر الحداد ، ثم عاد إلى مكة وشرع يدرس بالمدرسة الصولتية والمسجد الحرام شتاءً وينتقل إلى المدينة المنورة صيفاً فيلقي دروسه بمسجدها.[٥٨]

وقد ذكر الشيخ المعمر عبدالله بن أحمد الناخبي المتوفى ١٤٢٧هـ في ثبته المختصر أخذه عنه واستجازه لما قدم المكلا سنة ١٣٤٤هـ وسمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية وأجازه إجازة عامة ، وكان يقوم بقراءة بعض كتب الحديث ، ثم يتبع ذلك بالشرح والتقرير ، وكان يقرأ في كتاب الجامع الصغير للسيوطي وكان له درس أسبوعي ينتقل في البيوت.[٥٩]

السادس عشر: العلامة الشيخ عبدالله بن محمد بن سالم باكثير الكندي:

كان مولده بمدينة لامو بساحل إفريقيا الشرقية عام ١٢٧٦هـ وعاش بها يتيما حيث مات أبوه وهو في سن الصبا حيث لم يتجاوز السنة الخامسة من ميلاده ولما بلغ عمره العشرين عاما كان في الرحلين إلى الحرمين لأداء النسكين وزيارة خاتم المرسلين وأقام بمكة عدة سنوات في استقاء علوم الشريعة والحقيقة من مناهلها الطافحة والتقرب إلى الله بأنواع القربات وقد أخذ على جماعة بالحرمين منهم العلامة مفتي مكة حسين بن محمد بن حسين الحبشي والعلامة محمد بن سعيد بابصيل والعلامة عمر بن أبي بكر باجنيد ، ثم عاد إلى إفريقيا واستوطن زنجبار منذ عام ١٣٠٩ متتلمذا على عالمها ومفتيها العلامة احمد بن أبي بكر بن سميط الذي حثه على زيارة حضرموت والالتقاء بجهابذتها والعلماء ، ومكث بزنجبار على العلم والتعليم حتى انتقل إلى رحمة الله في ليلة الثلاثاء ١٤شوال شعبان ١٣٤٣هـ.[٦٠]

رحلته إلى حضرموت :

في ٢١شوال سنة ١٣١٤هـ سافر من زنجبار بصحبة ابنه أبي بكر والسيد أبي بكر بن احمد بن الشيخ أبي بكر بن سالم ومعاوية بن حسن ، ووصلوا الشحر في ١٧ القعدة وزاروا مآثرها وزار الشيخ العالم سالم بن محمد بن سعيد باوزير المتوفى عام ١٣١٨هـ عن ١١٨سنة واجتمع بالسيد جعفر بن عبدالله العطاس ثم سافر من الشحر إلى وادي حضرموت فدخلوا سيئون

واجتمع بالعلامة الحبيب علي بن محمد الحبشي ثم دخل إلى تريس وزار العلامة المؤرخ سالم بن حميد الكندي وحقق نسبته إلى آل كثير وزار الغرفة وشبام والتقى بمن فيها من الرجال الكرام كالعلامة محمد بن عيدروس الحبشي والعلامة عبدالله بن طاهر بن سميط ، ثم رحل إلى مدينة تريم ومكث بها شهرين لطلب العلم في رباطها العلمي على جماعة من علمائها الأفاضل من أبرزهم مفتي الديار الحضرمية العلامة عبدالرحمن بن محمد المشهور المتوفى سنة ١٣٢٠هـ وفي رحلته الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية فصل برنامج إقامته بتريم من المحافظة على الصلوات في جماعة والأذكار وحضور الدروس العلمية عند شيخه المشهور كما يلي: بعد الفجر درس في مغني المحتاج ثم درس في المنهاج في قسم المعاملات ودرسين في العبادات وفي مختصر بافضل ، وبعد العصر روحة يحضرها العلماء والطلبة وجملة الذين يقرؤون عليه نحو أربعين قارئاً كل في كتابه إلى قريب المغرب ، وبعد المغرب حزب القران إلى قريب العشاء فيقرأ راتب الإمام الحداد الشهير ، وفي يومي الاثنين والخميس بعد طلوع الشمس يدرس في فتح الوهاب في داره ، وبعد عصر يوم الأحد يدرس في الإحياء وبعد طلوع الشمس يومي السبت والأربعاء يدرس في علم الحديث وفي كلام القوم والمنهاج وذلك في الرباط وبعد الظهر في يومي الاثنين والخميس يدرس في الفقه في زاوية الشيخ علي بن أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف ، ثم قال وقد عددت من يقرأ عليه في ذلك الوقت فبلغوا خمسين قارئاً بين مختصر ومطول وشروح ومتون مع التوضيح والتقرير والمباحثه ، ولم يزل ذلك ديدنه مدة إقامته بتريم الغناء في حضور تلك الدروس العلمية التي حصل له بها النفع العظيم وحصل له من مشايخ حضرموت الإجازات العلمية ، ثم رحل إلى حج بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ثم عاد إلى بلده زنجبار في محرم سنة ١٣١٦هـ.[٦١]

السابع عشر: السيد العلامة عمر بن أحمد بن أبي بكر بن سميط :

من المشايخ الأعلام ولد عام ١٣٠٣هـ ببلدة أساندا من جزر القمر في بيئة علم وصلاح تحت رعاية والده علامة تلك الجهات السيد احمد بن أبي بكر بن سميط ولما بدت عليه مخايل النجابة في سن مبكرة واستصحبه والده إلى حضرموت مقر أهله ببلدة شبام فتخرج على

أعلام الرجال الذين جمعوا بين العلم والعمل وفي طليعتهم العلامة عيدروس بن عمر الحبشي والعلامة علي بن محمد الحبشي والعلامة احمد بن حسن العطاس. ثم عاد أدراجه إلى إفريقيا عالما وداعيا وقاضيا حتى انتقل إلى رحمة الله في بلدة مروني من جزائر القمر في ٩صفر١٣٩٧هـ.[٦٢]

رحلته إلى حضرموت:

رحل إلى حضرموت رحلتين الأولى سنة ١٣٣٩هـ من أرض زنجبار بإفريقيا وسماها النفحة الشذية إلى الديار الحضرمية والثانية سنة ١٣٧١هـ جاء إليها بعد حج بيت الله الحرام سماها تلبية الصوت من الحجاز وحضرموت وقد التقى فيهما بجملة من المشايخ والأعيان في المكلا شبام والحوطة وسيئون وتريم وأخذ فيها عن جملة من العلماء الأعيان وفي مقدمتهم العلامة علوي بن عبدالرحمن المشهور والعلامة المحدث محمد بن سالم السري وأجازه في جميع مروياته الحديثية واسمعه حديث الأولية بالرحمة والعلامة محمد بن محمد باكثير والعلامة محمد بن عوض بافضل وغيرهم من العلماء الذين كانت تزخر بهم حضرموت في تلك الفترة.[٦٣]

يقول العلامة محمد بن هاشم عن تلك الرحلتين شاهدت فيهما عجباً واقتطفت طيلة سيري فيهما أثمارا يانعة من الأدب الرائع والعلم النافع وملأت وطابي من النفائس الغراء ما جعلني مغرما بالحديث عن هاتين الرحلتين في مجالسي مع كرام الناس متلذذا بذكر ما حوتاه مما لذ وطاب.. ويجد المطالع أثناء تطوافه في ميادين تينك الرحلتين ومروجها الخضراء رجالا من أعظم عباقرة العلم والتقوى ومكارم الأخلاق تنزل الرحمة عند ذكرهم وتحيا القلوب بالمنقول عنهم من المذاكرات والأنفاس بما نقله عنهم الرحالة من أحاديثهم ووصاياهم وإجازاتهم النافعة الناجعة للمستعصي من أمراض القلوب.[٦٤]

الثامن عشر: السيد العلامة القاضي أبي بكر بن أحمد بن حسين الحبشي المكي:

ولد في رجب ١٣٢٠هـ بمكة ونشا في حجر والده وجده السيد حسين بن محمد الحبشي مفتي الشافعية المتوفى عام ١٣٣٠هـ فبدأ يقرأ القرآن على يد الشيخ احمد حمام ثم التحق بمدرسة الفلاح ونال الشهادة الابتدائية ثم الثانوية ثم تصدر للتدريس والإفادة حتى وفاته عام ١٣٧٤هـ.[٦٥]

رحلته إلى حضرموت:

في عام ١٣٤٥هـ سافر إلى حضرموت مع والده فبهره ما فيها من علماء أعلام فاخذ ينتقل من بلد إلى أخرى طلبا للعلم وارتشافاً من مناهله العذبة فأخذ عن جملة من علماء حضرموت وأجازه منهم السيد شيخ بن محمد بن حسين الحبشي والسيد محمد بن علي بن محمد الحبشي والسيد محمد بن هادي السقاف والسيد حسن بن محمد بلفقيه والسيد عبدالله بن عيدروس العيدروس والسيد عبدالله بن محمد الحداد والسيد محمد بن سالم السري والسيد عمر بن محمد مولى خيله والسيد زين بن عبدالله العطاس والسيد محمد بن سالم بن أبي بكر العطاس والسيد عمر بن طاهر بن عمر الحداد والسيد عبدالله بن هادون المحضار والسيد مصطفى بن احمد المحضار والسيد عمر بن حسين الحبشي والشيخ سالم بن أبي بكر باسودان والسيد عبدالله بن علوي البار والحبابة سيدة بنت السيد عبدالله بن حسين بن طاهر والسيد والحبابة خديجة بنت السيد علي بن محمد الحبشي والسيد عبدالله بن طاهر الحداد والسيد حسين بن احمد البار والسيد احمد بن محسن الهدار والسيد المعمر علي بن حسين البيض والسيد علوي جنيدي والسيد عبدالرحمن بن محمد بن الشيخ أبي بكر بالمكلا وقد فصل تلك الإجازات التي زوده بها أولئك الأعلام في ثبته الشهير بـ"الدليل المشير إلى فلك أسانيد الاتصال بالحبيب البشير".[٦٦]

المبحث الثالث

الطلاب القادمون للدراسة في الأربطة والجامعات الحضرمية

مع مطلع القرن الرابع عشر الهجري شهدت حضرموت نهضة تعليمية ونشاطا علميا عظيما شمل جميع مدن القطر الحضرمي وامتدت إلى قراه وكثير من أوديته وبواديه ، فكانت كل مدينة وكل قرية ظاهرة لا تخلو عن معهد للعلم من رباط أو مدرسة أو كتاب وقد يوجد في بعضها كل هذه الأنواع كتريم وسيؤن وتلك المعاهد الشرعية مختصة بتدريس العلوم الشرعية وآلاتها وهي تصل إلى مستوى عال لا يقل عن مستوى الأزهر الشريف بالقاهرة ولا يقل خريجوها عن خريجيه من العلماء الشرعيين ولا نغالي إذا قلنا إن كثيراً من خريجي المعاهد الشرعية الحضرمية يفوقون علماء الأزهر في فقه الشافعي والتاريخ الإسلامي وفي فني النحو والصرف وهي الفنون التي كثيراً ما يتخصص فيها علماء حضرموت في العهد الأخير.[٦٧]

وقد تأسست فيه العديد من المدارس والأربطة وأقدم رباط تأسس في العهد الأخير (سنة ١٢٩٦هـ) هو رباط العلامة الداعية علي بن محمد الحبشي بسيؤن ، ويليه في التأسيس رباط تريم الشهير _ أزهر حضرموت _ سنة ١٣٠٤هـ وقد تخرج منه ألوف من العلماء والطلاب بحضرموت واليمن وعدن وصوماليا وزنجبار وملايا واندونيسيا وغيرها وأكثرهم على يد شيخه الكبير العلامة عبدالله بن عمر الشاطري الذي تولى التدريس فيه لمدة نصف قرن من الزمن ، وبلغوا تلاميذه الآخذين عنه ثلاثة عشر ألف تلميذ من أشهرهم: العلامة الشيخ محمد بن سالم البيحاني مؤسس المعهد الإسلامي بمدينة عدن ، والعلامة السيد محمد بن عبدالله الهدار مؤسس رباط البيضاء . وتلتها فيما بعد رباط الغيل أسسه العلامة محمد بن عمر بن سلم سنة ١٣٢١هـ ، ورباط عينات ورباط قيدون ورباط الشحر وغيرها.[٦٨]

وقد امتدت بوادر تلك النهضة العلمية إلى القرن الخامس عشر الهجري حيث تأسست الجامعات والمعاهد العلمية منها جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا وجامعة الاحقاف بمدينة المكلا ، ودار المصطفى للدراسات الإسلامية وكلية الشريعة بتريم وغيرها من المعاهد

والمدارس الحديثة ، والى تلك الأربطة والجامعات والمعاهد وفد عشرات الطلاب الأجانب لتلقي العلوم الشرعية والعصرية من شتى مناطق العالم من شرق آسيا وأفريقيا ودول الخليج العربي ولا يزال وفود أولئك الطلاب تتوالى دفعة بعد دفعة إلى يومنا هذا تحتضنهم تلك المراكز العلمية المذكورة.

وفي تلك المراكز يتلقون العلوم الشرعية على غرار تلك الطريقة القديمة التي أخذ عليها علومهم أولئك الرحالة الكرام ، وقد بلغ عددهم في السنوات الأخيرة المئات من الخريجين الذين يقومون بنشر العلم والتعليم في بلدانهم بفتح المعاهد العلمية التي تضم بين جنباتها الآلاف من الطلاب ثم بعد إكمال تعليمهم فيها يتم إرسالهم إلى حضرموت للارتشاف من معين شيوخها العلمي.

وسنثبت في هذا المبحث نموذجا من عدد الطلاب الوافدين إلى حضرموت للدراسة في معاهدها ونظراً لضيق وقت البحث سنقتصر على الطلاب الوافدين إلى جامعة الاحقاف في كلية الشريعة والقانون بتريم وكلية الدراسات الإسلامية للبنات بالمكلا وذلك لإعطاء القارئ لمحة يسيرة عن ذلك الزخم الطلابي المتوافد في العصر الحاضر ولنحكم على الجزء بالكل:

في عام١٤٣٠هـ الموافق ٢٠٠٩م تخرج من الكليتين المذكورة ٥٣ طالبا منهم ٨ إناث ويحملون الجنسيات التالية اندونيسي ، تنزاني ، كيني ، نيجيري. وعدد الوافدين في هذا العام ١٩٣طالباً.

وبلغ عددهم في الجامعة المذكورة في العام الحالي١٤٣١هـ - ٢٠١٠م: ٤١٠ طالبا وطالبة مابين اندونيسي، وتنزاني، ونيجيري، وباكستاني، وصومالي، وبركينابي، وغاني، وتيلاندي، وكيني وسنغافوري، وأردني، وكندي، وفلسطيني، وموريتاني، وفرنسي، وماليزي.[٦٩]

الخاتمة

لقد صارت الرحلة العلمية ديدن أهل العلم والمعرفة منذ عصر النبوة حتى العصر الحاضر وقد ضرب الصحابة الكرام ومن بعدهم من التابعين أروع الأمثلة في ذلك وقد بسط الحديث عنهم الإمام الحافظ الخطيب البغدادي في كتابه المفيد الرحلة في طلب الحديث ، كما صارت الرحلة أيضا من أساسيات طالب العلم، وكان السابقون لا يعدون العالم عالماً إلا إذا سافر وتكبد المتاعب ولسان حالهم قائلاً :

يغوص البحر من طلب اللآلي ومن طلب العلا سهر الليالي
ومن طلب العلوم بغير كد أضاع العمر في طلب المحال

إن انتشار صيت علماء حضرموت إلى شتى بلدان العالم حدا بأولئك العلماء الأعلام حث مطاياهم إلى زيارتهم والالتقاء بهم واخذ السند العلمي عنهم في علوم الفقه والحديث وغيرها ، ومن أولئك العلماء من جاء مختبرا للقدرات العلمية لدى علماء حضرموت كما جاء عن العلامة الحبيب عبدالرحمن بن عبدالله بلفقيه المتوفى سنة١١٦٢هـ أنه لقي سائحاً من المغرب أرسله شيخه ليمتحن علماء حضرموت ، فقبض الحبيب عبدالرحمن قبضة من التراب الذي يطأه وشمها واخبره باسمه واسم شيخه وانه - أي شيخه- مات الآن فقال السائح بعلم هذا أم بكشف فقال بعلم أما عندكم شيء من علم الأرض.[٧٠] وقد حافظت حضرموت على تلك الأهمية والميزة العلمية قرون من الزمن ولازالت صامدة رغم التحديات العصرية إلى يومنا هذا.

لقد بسطنا الحديث في هذه الدراسة التي خضنا غمارها وسبرنا أغوارها عن الرحلات العلمية إلى مدن حضرموت كتريم والشحر وشبام وسيئون وذكر الأعلام اليمنيين والمصريين والمغربيين والحجازيين الذين مارسوا تلك الرحلات وتجشموا الصعاب في سبيل تحقيق ذلك حتى إذا ما نالوا بغية ما تمنوا ووصلوا إلى ما أرادوا عادوا مزودين بالعلم ومتعجبين ومتحلين بأخلاق أولئك العلماء الذين بهرتهم ، وبعضا منهم استطاب الإقامة في حضرموت وجعلها

موطنا له بدل بلاده وعاش فيها بقية عمره إلى أن مات كالعلامة سعد الدين الظفاري ويوسف بن عابد المغربي ولا يزال أحفادهم موجودين في كل من الشحر وسيئون إلى اليوم والليلة.

كما تطرقنا أيضا لذكر بعض العلماء الذين ينتمون إلى حضرموت إلا إنهم ولدوا وعاشوا وماتوا في غيرها ولكنهم وفدوا إليها لطلب العلم والالتقاء بشيوخها ثم عادوا دعاة وعلماء تخرج على أيديهم العشرات من الطلاب.

وفي ختام هذه الدراسة نقول إن هناك الكثير من الشخصيات العلمية التي وفدت إلى حضرموت من خارجها لم يسعفنا الوقت في تتبع أخبارهم إذ الميسور لايسقط بالمعسور ، نأمل أن نكون قد وفقنا للكتابة في هذا الموضوع الجدير بالبحث والتنقيب .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش :

(١) انظر: الدكتور حسين نصار ، أدب الرحلة ص٤ ، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان ،١٩٩١م

(٢) سعيد عوض باوزير ، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ص٩١.

(٣) المرجع السابق ص ١١٨ ، وعبدالله محمد السقاف ، تاريخ الشعراء الحضرميين ج١ص٥٤.

(٤) الخطيب البغدادي ، الرحلة في طلب الحديث ص٩٧- ١٠٧.

(٥) د. نور الدين عتر ، مقدمة كتاب الرحلة في طلب الحديث ص٣١.

(٦) تاريخ الشعراء الحضرميين: ج١ ، ص٤٩.

(٧) انظر: الرحلة في طلب الحديث ص ١٠٩ ـ ١١٧.

(٨) المرجع السابق: ص١١٨ـ١٢٤.

(٩) المرجع السابق: ص ١٢٧ـ١٢٩.

(١٠) شمس الدين الذهبي ، تذكرة الحفاظ ج١ ، ص ٩٣.

(١١) مقدمة الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي ص٩.

(١٢) أدب الرحلة ص ٣٢ ، ٣٣.

(١٣) المرجع السابق: ص٣٤.

(١٤) انظر: مقدمة كتاب الرحلة في طلب الحديث ص ٢٤ ـ ٢٨.

(١٥) انظر: المرجع السابق: ص٢٩ ، ٣١.

(١٦) ديوان السيد أحمد بن عبدالله السقاف العلوي ص ١٦٣.

(١٧) عبدالله بن حسن بلفقيه ، استدراكات وتحريات على تاريخ حضرموت في شخصيات ص ٦٥.

(١٨) سالم بن أحمد بن جندان ، الدر والياقوت في بيوتات عرب المهجر وحضرموت (مخطوط) ج٤ص ٦٠، ٦١.

(١٩) إسماعيل بن علي الأكوع ، نشوان بن سعيد الحميري ص ١٠ ، ١١ ، ٨٦ ، دار الكتاب الجديد ، بيروت.

(٢٠) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين ج١ ، ص٥٨.

(٢١) محمد بن علي باحنان ، جواهر تاريخ الاحقاف ص ٤١٦ ، ٤١٧ نقلا عن الجوهر الشفاف للشيخ عبدالرحمن بن محمد الخطيب التريمي.

(٢٢) انظر: محمد بن علي خرد ، غرر البهاء الضوي ص ١٥٢ ، محمد أحمد الشاطري ، أدوار التاريخ الحضرمي ص ٣٠٢.

(٢٣) انظر: الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ص١٢٨.

(٢٤) محمد بن أبي بكر الشلي ، المشرع الروي في مناقب آل أبي علوي ج٢ ، ص٨.

(٢٥) باوزير ، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ص١٢٣.

(٢٦) انظر ترجمته بتوسع في نشر النفحات المسكية للسيد عبدالله بن محمد باحسن جمل الليل.

(٢٧) تاج الدين عبدالوهاب بن علي السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ج١٠ ص٣٨٧، ٣٨٨.

(٢٨) انظر: ابن جندان ، الدر والياقوت في بيوتات عرب المهجر وحضرموت ج٤ ، ص ٦٠ ، ٦١.

(٢٩) انظر: تاريخ شنبل ص ١٢٤ ، وتاريخ حضرموت للحامد (٦٧٦/٢)، والدر والياقوت (٦١/٤).

(٣٠) نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية (مخطوط).

(٣١) عبدالله بن حسن بلفقيه ن لمحة من زاوية التاريخ الحضرمي ص٢٥٥ ، ٢٥٦

(٣٢) النور السافر في تاريخ القرن العاشر للعلامة عبدالقادر بن شيخ العيدروس ص ٤١ .

(٣٣) لمحة من زاوية التاريخ الحضرمي ص ٢٥٦ .

(٣٤) المرجع السابق ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل ص ١٥٠.

(٣٥) انظر: لمحة من زاوية التاريخ الحضرمي ص٢٥٩ ـ ٢٦٧.

(٣٦) تاريخ الشعراء الحضرميين ج ١ ، ص٧٩ ، ٨٠ .

(٣٧) انظر: رحلة المغربي آخر كتاب صلة الأهل في تراجم آل بافضل للشيخ محمد بن عوض بافضل .

(٣٨) جواهر الأنفاس مجموع كلام العلامة علي بن محمد الحبشي ، عمر بن محمد مولى خيله (مخطوط).

(٣٩) تذكير الناس من مجموع كلام الحبيب احمد بن حسن العطاس ، للعلامة أبي بكر العطاس بن عبدالله الحبشي ص ١٤٤.

(٤٠) المرجع السابق ص ١٦٢.

(٤١) انظر: الأعلام للزركلي (٢٩٢/٥).

(٤٢) رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب إلى حضرموت ص ٩٩ ، ١٠٠.

(٤٣) محمد بن عمر الطيب بافقيه ، تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر ص٧١ ، ٧٢.

(٤٤) رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب إلى حضرموت ص ٢٥ ، ٢٧ ، ٣٣.

(٤٥) المرجع السابق ص ٣٤ ، ٥٢.

(٤٦) رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب إلى حضرموت ص ١٠٢ ، ١٠٣.

(٤٧) المرجع السابق ص ١٠٤.

(٤٨) انظر: الرحلة ١٠٨ ـ ١١٣.

(٤٩) انظر: محمد الأمين المحبي ، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ج٣ ص٣١٠ ، ٣١١.

(٥٠) رحلة ابن عابد الفاسي ص ١٠٨.

(٥١) النور السافر ص ٢٠٠.

(٥٢) المرجع السابق.

(٥٣) انظر: الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي ، عقد اليواقيت الجوهرية وسمط العين الذهبية ج ٢ ، ص٧١.

(٥٤) انظر : تثبيت الفؤاد بذكر كلام مجالس الإمام الحداد ج١ ص١٨ .

(٥٥) تذكير الناس ص ١٠٨.

(٥٦) أدوار التاريخ الحضرمي ص٣٢٧.

(٥٧) عمر عبدالجبار ، سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة ص٢٠٤.

(٥٨) المرجع السابق : ص ٢٠٦.

(٥٩) محمد أبوبكر باذيب ، الثبت المختصر للعلامة الشيخ عبدالله بن احمد الناخبي ص٣٧.

(٦٠) عبدالله بن محمد السقاف ، مقدمة رحلة الأشواق القوية لصاحب الترجمة.

(٦١) ا نظر تفصيل تلك الرحلة في كتابه رحلة الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية فقد أبدع فيه وأجاد.

(٦٢) احمد مشهور الحداد ، مقدمة الرحلتان النفحة الشذية وتلبية الصوت ص ٦.٩.

(٦٣) انظر النفحة الشذية إلى الديار الحضرمية ص ١٧ وما بعدها ، ٨٥ومابعدها.

(٦٤) المرجع السابق ص ١٠ ، ١١.

(٦٥) سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة ٢٥ ـ٢٧.

(٦٦) المرجع السابق.

(٦٧) الشاطري ، ادوار التاريخ الحضرمي ص٤٢٢.

(٦٨) المرجع السابق : ص ٤٢٣.

(٦٩) أرشيف وحدة شؤون الطلاب الوافدين بجامعة الاحقاف ٢٠٠٨ ـ٢٠١٠م.

(٧٠) تذكير الناس : ص ١٥٠.

ثبت المراجع

١. د. حسين نصار ، أدب الرحلة ، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان ، ١٩٩١م.

٢. سعيد بن عوض باوزير ، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، دار الطباعة الحديثة ١٣٨١هـ_ ١٩٦١م.

٣. عبدالله بن محمد السقاف ، تاريخ الشعراء الحضرميين ،مكتبة المعارف الطائف ،الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ.

٤. أبوبكر بن أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، الرحلة في طلب الحديث ، تقديم وتحقيق د. نور الدين عتر ، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٥. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ، تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي.

٦. عبدالله بن حسن بلفقيه ، استدراكات وتحريات على تاريخ حضرموت في شخصيات، ولمحة من زاوية التاريخ الحضرمي ،مجموعة كتب في تاريخ وأنساب حضرموت ،الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ ، تريم للدراسات والنشر.

٧. سالم بن أحمد بن جندان ، الدر والياقوت في بيوتات عرب المهجر وحضرموت (مخطوط) بخط المؤلف.

٨. إسماعيل بن علي الأكوع ، نشوان بن سعيد الحميري ، دار الكتاب الجديد ، بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٥م.

٩. محمد بن علي باحنان ، جواهر تاريخ الاحقاف، دار المنهاج، جدة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ_ ٢٠٠٨م.

١٠. محمد بن علي خرد ، غرر البهاء الضوي ودرر الجمال البديع البهي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

١١. محمد أحمد الشاطري ، أدوار التاريخ الحضرمي ، عالم المعرفة جدة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١٢. محمد بن أبي بكر الشلي ، المشرع الروي في مناقب آل أبي علوي ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ ـ١٩٨٢م

١٣. تاج الدين عبدالوهاب بن علي السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، دار إحياء الكتب العلمية ، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي ، مصر.

١٤. صالح بن علي الحامد ، تاريخ حضرموت ، مكتبة الإرشاد صنعاء.

١٥. عبدالله بن محمد باحسن جمل الليل ، نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية (مخطوط) بخط المؤلف.

١٦. عبدالقادر بن شيخ العيدروس ، النور السافر في تاريخ القرن العاشر.

١٧. أحمد بن عبدالله شنبل ، تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، طبع على نفقة الشيخ محفوظ سالم شماخ ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ ـ١٩٩٤م.

١٨. رحلة المغربي آخر كتاب صلة الأهل في تراجم آل بافضل للشيخ محمد بن عوض بافضل.

١٩. عمر بن محمد مولى خيله ، جواهر الأنفاس مجموع كلام العلامة علي بن محمد الحبشي، (مخطوط) بخط تلميذه المعلم الشيخ محفوظ باخميس الشحري.

٢٠. أبي بكر العطاس بن عبدالله الحبشي ، تذكير الناس بما وجد من المسائل الفقهية وما تعلق بها في مجموع كلام الإمام احمد بن حسن العطاس، مطبعة حسان ـ القاهرة، سنة ١٣٩٧هـ.

٢١. خير الدين الزركلي ، الأعلام ، دار العلم للملايين - بيروت الطبعة الخامسة ١٩٨٠م

٢٢. محمد بن عمر الطيب بافقيه ، تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي مكتبة الإرشاد صنعاء، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ _١٩٩٩م.

٢٣. ديوان السيد أحمد بن عبدالله السقاف العلوي ، مكتبة الإرشاد جدة ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ـ١٩٧٩م.

٢٤. رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب إلى حضرموت ، تحقيق إبراهيم السامرائي وعبدالله محمد الحبشي ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

٢٥. الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي ، عقد اليواقيت الجوهرية وسمط العين الذهبية ، الطبعة الثانية ، سنقافورة ، ذي القعدة ١٤٠٢هـ.

٢٦. عمر عبدالجبار ، سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ ، تهامة ، جدة.

٢٧. محمد بن أبي بكر بن عبدالله باذيب ، إجازة عامة في الأسانيد والمرويات وهو الثبت المختصر للعلامة الشيخ عبدالله بن احمد الناخبي ، دار الفتح للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى ، شوال ١٤٢٥هـ ـ نوفمبر ٢٠٠٤م.

٢٨. عبدالله بن محمد بن سالم باكثير ، رحلة الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية ، بتعليقات المؤرخ عبدالله بن محمد السقاف ، طبع عام ١٤٠٥ على نفقة الشيخ محمد عبدالرحمن باشيخ.

٢٩. محمد الأمين المحبي ، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر.

٣٠. احمد بن عبدالكريم الحساوي الشجار ، تثبيت الفؤاد بذكر مجالس الإمام عبدالله بن علوي الحداد.

٣١. أرشيف وحدة شؤون الطلاب الوافدين بجامعة الاحقاف ٢٠٠٨ ـ ٢٠١٠م.

٣٢. عمر بن أحمد بن أبي بكر بن سميط ، النفحة الشذية إلى الديار الحضرمية ، وتلبية الصوت من الحجاز وحضرموت ، طبع على نفقة أحد المحبين المحسنين.

الهجرة والحوار الحضاري
مدخل للسلام العالمي
دراسة في تأثيرات الهجرة الحضرمية

د. رزق الجابري

ملخص البحث:

تعد الهجرة احد عوامل التواصل بين شعوب الأرض الذين ينتمون إلى حضارات متباينة، والمهاجرين يمكن أن يكونوا رسل سلام بين الشعوب وراعون لحوار حضاري أو عكس ذلك، وهذا يتوقف على التكوين الحضاري للمهاجر، منطقة المحيط الهندي احد مناطق التعدد الحضاري، هناك الحضارة العربية، والإسلامية، و الهندية والصينية والأفريقية، وقد ارتبطت هذة الحضارات بعلاقات متينة منذ عصور خلت ولعب الحضارمة المنحدرين من الحضارة العربية الإسلامية الدور الرائد في هذه العلاقة. ومن باب حوار الحضارات قنوات الاتصال بين الشعوب من الضرورة بمكان الوقوف على هذه العلاقة والمراحل التي مرت بها ونتائجها كدروس مستفادة لأثار الهجرة بهدف تأسيس حوار بين الحضارات بدلا من صراعها الذي بداء يتشكل مع مطلع الألفية الثالثة.

من هنا جاءت هذه الدراسة لندوة تريم عاصمة الثقافة الإسلامية ضمن ثلاثية بامحسون لتتناول بالشرح والتحليل أثار هجرة الحضارم في بلدان حوض المحيط الهندي المتباينة حضاريا في أرسا حوارا حضاريا وإشاعة السلام بين شعوب هذه المنطقة.

تتكون الدراسة من ثلاثة أجزاء تسبقهم مقدمة خصص الجزء الأول لمراحل الهجرة الحضرمية وعواملها، الجزء الثاني يستعرض الحواري الحضاري بين عرب حضرموت وشعوب هذه المنطقة، والجزء الثالث يتناول نتائج الحوار لحضاري كنموذج لحوار حضاري في الألفية الثالثة. وتنتهي الدراسة بخاتمة تتضمن توصيات يعتقد الباحث بأنها مفيدة في تأسيس حوار حضارات لإشاعة السلام بين الشعوب.

الجزء الأول

مراحل الهجرة الحضرمية وعواملها

١- ١- التعريف بحضرموت:

من الصعب دائما وقد يكون تعصبا وبعيدا عن المنهج العلمي الخوض في الحوار الحضاري للمهاجرين دون أن نلتفت إلى موطن انحدارهم الأصلي.إضافة إلى ذلك فان المعرفة بالمكان وخصائصه الاجتماعية وتطوره الجو سياسي هام للإحاطة بنشوء الظاهرة، ، إذ إن للمكان آثرا نسبيا في تشكيل السلوك البشري وتكوين صورة ذهنية تجاه ألاماكن الأخرى، وما يترتب عليها من هجرة وحوار حضاري . كما يفيد في هذه الدراسة إلى تكوين معارف الجغرافية التاريخية.

حضرموت في الوقت الحاضر تكون احد المحافظات الشرقية للجمهورية اليمنية التي ظهرت إلى حيز الوجود بعد توحيد جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية والجمهورية العربية اليمنية سنة ١٩٩٠م. وقبل ذلك فقد كانت (حضرموت) احد ممالك جنوب الجزيرة العربية ثم مخلافا إسلاميا لعب دورا كبيرا في نشر رسالة الإسلام المرتكزة على الحوار والتسامح.

أما الامتداد الجغرافي لحضرموت تظهر الوثائق التاريخية اختلافه من حقبة تاريخية لأخرى ،وربما يعود ذلك إلى طبيعة العلاقة مع دول جنوب الجزيرة العربية في مختلف دورات التاريخ السياسي لها .وكان لهذا أثرا في حدوث موجات مهاجرة من حضرموت في جميع المراحل التاريخية عامة والتاريخ الإسلامي والحديث خاصة، باتجاه شمال الجزيرة العربية والخليج العربي و بلدان المحيط الهندي .

بالنسبة للموقع الجغرافي والحدود : جاء في دائرة المعارف للبستاني أن حضرموت واقعة على البحر الهندي يحدها شمالا الدهناء وهي صحراء رملية .وشمالا بشرق عمان .وجنوبا البحر .وغربا اليمن [1] (علي رضا كحالة ص ٣٣٥) . وورد في تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعدة العصور الوسطية المبكرة القرن الرابع –الثاني عشر الميلادي.

حضرموت (والمقصود هنا مملكة حضرموت) التي استمرت في الوجود من القرن الخامس أو السادس قبل الميلاد وحتى نهاية القرن الثالث الميلادي، كانت أوسع بكثير من حضرموت في العهد الإسلامي.فقد كانت تشمل شبوة عاصمة المملكة طوال تاريخها وضواحيها، وعلى ميناء قنا والأراضي الواقعة على طول الشريط بين قنا وشبوة ، وعلى بعض مناطق ظفار المسماة في النقوش القديمة بساكلين [٢] (سيرجي ، ترجمة عبد العزيز بن عقيل تاريخ حضرموت) وتعد حضرموت من ضمن المجتمعات الحضارية التي تضرب جذورها في تربة التاريخ الحضاري وقد ترتب على ذلك ظهور العديد من المدن في مختلف العصور التاريخ القديم والحديث والمعاصر. فهناك المدن التي يعود تاريخ نشؤها إلى العصر الجاهلي وتراجعت أهميتها في مرحلة من التطور الحضاري لحضرموت لعل أهمها الشحر والهجرين وشبام وحريضه، وهناك مدن نشئت في العصر الحديث واكتسبت أهميتها من وضعها الإداري لحضرموت سواء كانت في المنطقة الساحلية أو في وادي حضرموت وخير مثال المكلا وسيؤن ،والبعض الأخر من المدن يعود تاريخ نشؤها إلى العصور القديمة وحافظت على مكانتها الحضارية مع التطور الحضاري لحضرموت و تزايدت أهميتها من بين جموع المدن الحضرمية في عصر السيادة الإسلامية وأصبحت مدينة للثقافة الدينية لما تحويه من موروث حضاري إسلامي من مساجد، أربطة ، وكم هائل من الفقهاء قاموا بنشر الثقافة الإسلامية المبنية على ثقافة التسامح في أكثر من مكنان سواء في مناطق الجزيرة والخليج العربي أو في المناطق الساحلية لبلدان المحيط الهندي وهذا ما قامت بة تريم حاضرة حضرموت الدينية ويهتم هذا البحث لا براز هذا الدور من خلال تتبع المهاجرين الحضارم في جنوب وجنوب شرق آسيا وشرق افريقية ، وحوارهم مع شعوب تلك البلدان وما نتج عنه من انتشار الإسلام وثقافة التسامح وإشاعة السلام بين المجموعات الاثنية المتباينة حضاريا .

١- ٢- مراحل الهجرة الحضرمية وعواملها :

يقسم الباحثون في شؤون الهجرة والاغتراب الحضرمي أن الحضارمة طرقوا باب الهجرة منذ عصور ما قبل الإسلام واستمرت حتى الوقت الحاضر وخلال هذه المدة اتخذ منحنى خط

مراحل الهجرة في مساره صعودا وهبوطا بحسب الظروف التي تسود حضرموت. فبينما كان منخفضا في مرحلة الدولة الحضرمية القديمة نجدة يرتفع في عصر السيادة الإسلامية قبل أن يعود للهبوط في الزمن الحديث والمعاصر، لهذا فمن الأهمية بمكان الوقوف على التطور التاريخي للهجرة الحضرمية ويمكن توصيفه في المراحل آلاتية :

١- ٢- ١- الهجرة الحضرمية القديمة :

الحديث عن هجرة الحضارم وما نتج عنها من نشر الإسلام وثقافة التسامح يتطلب الإحاطة ببداية هذه الظاهرة والمتمثلة في الهجرة التي حدثت قبل الإسلام .تظهر أدبيات الديموجرافيا التاريخية أن بداية الهجرة الحضرمية تعود إلى الإلف الثالثة قبل الميلاد أو قبل ذلك بقليل أي في عهد مملكة حضرموت القديمة وأنها توالت تباعاً واستمرت بشكل متقطع، أما نهايتها بظهور الإسلام.

وتعزى أسبابها إلى التغيرات الجغرافية التي أصابت البيئة الطبيعية [٣] (جواد علي ١٩٦٩م) والمتمثلة في ظهور دورة جفاف أو على الأقل تغيير نسبي في الظروف المناخية اتجهت بحضرموت نحو الجفاف على أثر التغيير في توزيع الضغوط الجوية وأنواعها فوق اريتريا والجنوب العربي والهند والمحيط الهندي، وتبع ذلك ضعف أو تحول في الموسميات التي تهب على البحر العربي، هذا التغير أدى إلى نوع من الجفاف في جنوب غرب الجزيرة العربية وامتد هذا الجفاف إلى الساحلي الجنوبي ووادي حضرموت[٤] (محمد سعدوي ١٩٧٧م).وهذا اثر على اقتصاد حضرموت التجاري من صادرات اللبان ويؤكد ذلك كتابات الإغريق.

يقول استرا بون بأن الإقليم(حضرموت) في وقت سابق كان منتجاً لكثير من النباتات العطرية والتمر واللبان والتوابل والقرفة. أما الإنتاج في الوقت الحاضر الذرة ونخيل التمر والسمسم. كما أن الزراعة في حضرموت تعتمد على المياه الجوفية. هذا الاختلاف في أنواع المنتجات يفسر اختلاف الظروف المناخية للرطوبة في الماضي والجفاف حالياً.[٥] (محمود طه ١٩٦٩م).

إلى جانب الجفاف حروب حضرموت مع ممالك جنوب الجزيرة العربية و احتلال لحضرموت وما تبع ذلك من تدمير لمعظم المكونات الاقتصادية والحضارية للحضارة الحضرمية القديمة ومنها ميناء بئر علي(ميناء اللبان).

أما عدد المهاجر تظهر المصادر إنهم كثر ويتكونون من قبيلة واحدة أو عدة قبائل. ومن القبائل المهاجرة قبيلة حبشت وهى من أكبر القبائل الحضرمية عدداً وأخذت الحبشة اسمها منها.

١- ٢- ٢- الهجرة في مرحلة السيادة الإسلامية:

تنحصر هذه المرحلة في الفترة من ٦٣٢م إلى ١٥٢٣م أي منذ بداية ظهور الإسلام وحتى وصول البرتغاليون إلى سواحل حضرموت.وخلال هذه المدة حدثت عدة متغيرات شكلت دوافع لحقبة جديدة من الهجرة الحضرمية ومنها:

١- ٢- ٢- ١- الفتوحات الإسلامية:

فقد تمخض عن ظهور الإسلام، والرغبة في نشره خارج الجزيرة العربية باعتباره آخر ديانة بشرية وتكليف رباني إلى دفع أعداد كبيرة من سكان حضرموت، المشاركة في ذلك.فكانت الفتوحات الإسلامية التي اتجهت إلى بلاد فارس ووسط أسيا وشمال افريقية. كان للحضارم حضورا كبيرا .

يقول لمار مول كر فنجال أنه في عام ٩٩٩م عبر ثلاثة شعوب من العرب إلى أفريقية منهم بنو هلال ويكونون جميعاً خمسين ألف مهاجر[٦] (لمار مول كر فنجال ١٩٨٣م)

أما ممدوح عبد الرحمن عبد الرحيم يقول جاءت قبيلة كندة مع الجيش العربي الإسلامي الذي فتح مصر سنة ٦٤٠ م وكان لها دورا بارز في عهد النبي (ص) حيث قال عنها أحابت الله ورسوله.) كما أنها اشتركت في فتح بلاد فارس وغيرها من الفتوحات الإسلامية[٧] (ممدوح عبد الرحمن عبد الرحيم ، ١٩٩٥م).

ولم يقتصر اتجاه الحضارم في مشاركتهم في الفتح الإسلامي على المسالك البرية فقد سلكوا الخطوط البحرية لوصول الإسلام إلى سواحل المحيط الهندي الإفريقية والأسيوية ولم

يشاركهم احد في ذلك . وجل هذا التيار المهاجر من الحضارم الهاشميين الذين اختلفت أدواتهم في نشر الإسلام عن بقية التيارات الأخرى.

١- ٢- ٢- ٢- التجارة البحرية:

التجارة من المهن التي مارسها الحضارمة منذ عصور غابرة حتى تحولت إلى حرفة لمعظمهم وحدث تلازما بين هجرة الحضارم والتجارة .و في هذه المرحلة (عصر السيادة الإسلامية) عمل الحضارمة على تعزيز الروابط التجارية وتجذير العلاقات الثقافية بين شعوب جنوب الجزيرة العربية و شعوب بلدان المحيط الهندي ذات الحضارات المتباينة ، وساعدهم في ذلك تطور العلوم ومنها الرياضيات وعلم الفلك والفنون والآداب والملاحة [٨] (خلدون النقيب، ١٩٨٦م)،

لم تكن حضرموت بمعزل عن هذه النهضة العلمية في الدولة الإسلامية ، فقد صار لكل من الشحر وتريم مكانة علمية، وأنشأت فيهما المدارس لهذا الغرض. واهتمت بدراسات علم الفلك وركزت على علم الفلك الديني و البحري والزراعي . بهدف ضبط مواقيت الصلاة والصوم والأعياد الدينية ، إلى جانب خدمة أغراضهم البحرية والزراعية [٩] (عبدالرحمن الملاحي ١٩٨٩م) وقد ظهر العديد من علما البحار أمثال ابن ماجد وسليمان ألمهري وباطايع وبامعيبد فقد قاموا بوضع عدد من المرشدات الملاحية والأراجيز والقصائد التي تبين طرق الملاحة في المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر . وهذه المرشدات البحرية التي يطلق عليها رحمانيات قد صيغت بأسلوب شعري ترشد الربان كيفية الإبحار والمواسم البحرية من خلال الاهتداء بالنجوم والشمس واستعمال البوصلة [١٠] (شوقي عبدالقوي ١٩٨٠م) . كما تُعرف الربان بمعالم السواحل والجزر وخصائص المياه وطبيعة القاع وقدرا من المعلومات عن الأسماك والطيور وحشائش البحر. وقد وصف المقدسي في كتابة (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) الملاحين العرب ومن بينهم الحضارمة من أنهم من أبصر الناس به (يقصد البحر العربي)وبمراسيه وارتياحه وجزائره ٠ويضيف قائلا : رأيت معهم دفاتر في ذلك يتدارسونها ويعولون عليها ويعملون بما فيها [١١] (محمد بن احمد المقدسي.) .

وفى ظل هذا الزخم المعرفي تم كشف الكثير من أسرار البحار وتطويع مياه المحيط الهندي لخدمة حركة سفنهم الشراعية من سواحل جنوب الجزيرة العربية عامة وحضرموت خاصة إلى سواحل بلدان المحيط الهندي. فقد عرفوا التيارات الهوائية السائدة في المياه السطحية للمحيط الهندي، ومن هذه التيارات الرياح الموسمية واستفادوا من حركة اتجاهها فالموسميات الشمالية الشرقية الشتوية استثمرت في قدوم سفنهم إلى شرق أفريقية والعودة من جنوب وشرق آسيا وتدفعهم الموسميات الجنوبية الغربية الصيفية في طريق العودة إلى حضرموت من شرق أفريقيا والسفر للسواحل الهندية والاندونيسية والماليزية وغيرها من تلك الجزائر [١٢] (محمد عبدالهادي المعارف البحرية ، ١٩٤٧م) . وبذلك وضعوا مواسم للسفر إلى شرق أفريقيا وجنوب وجنوب شرق آسيا وفقاً وحركة هذه الرياح.

إلى جانب ذلك فقد تمكنوا من معرفة العواصف والأعاصير المصحوبة بالأمطار الغزيرة في البحر العربي والمحيط الهمدي لتجنبها التي تسمى عند بحارة الشحر (طوفانات) ومنها طوفان الدامانى الذي يضرب بحر الهند في الخريف في أواخر موسم الرياح الجنوبية الغربية وطوفان الأحمير (الحيمر)، ويضرب ساحل بحر العرب من مدركة بساحل عُمان إلى الشحر، وقد يصل في بعض السنين إلى عدن في شهر أكتوبر. وكذلك طوفان البنات الذي يضرب ساحل بحر العرب من مصيره إلى قرب عدن، وقد يعم الساحل كله ويحدث في الفترة من (٢٢ ديسمبر إلى ٢١ يناير) . وهناك طوفان التسعين الذي يضرب أرض الهند وعرض المحيط الهندي وقد يضرب أرض الاحقاف وهى الأجزاء الشمالية من حضرموت ويتم ذلك في ٢٢ ديسمبر إلى ٢١ يناير [١٣] (حسن صالح شهاب، البحار اليمني سليمان ٢٠٠٠م ص ٢٤.٢٥).

كما شهدت هذه المرحلة تطورا في صناعة السفن الشراعية التي استخدمت في ربط سواحل حضرموت بتلك السواحل الآسيوية والأفريقية وقد صنعت لمقاومة وتحمل العوامل والتأثيرات الجوية والبحرية القاسية [١٤] (سيد ماهر ١٩٦٧م) . واهم أنواعها الزعيمة والطراد أشهر سفن حضرموت. أصبح المحيط الهندي بحيرة إسلامية حضرمية وترتب على ذلك حدوث هجرة حضرمية إلى تلك البلدان.وقد صاحبها انتقال للثقافة الإسلامية ذات الخصوصية الحضرمية إلى تلك المهاجر التي استقر فيها .

١- ٢- ٣- الوجود البريطاني:

الثورة الصناعية وبروز حركة الاستعمار واحتلال بريطانيا لعدن سنة ١٨٣٩م. وامتداد سيطرتها على إمارات وسلطنات الخليج وجنوب الجزيرة العربية بما في ذلك السلطنات الحضرمية وهي سلطنة الواحدي وسلطنة ألمهري والسلطنة الكثيرية في وادي حضرموت والسلطنة القعيطية في ساحل وأجزاء من وادي حضرموت. وبعد إبرام معاهدة الحماية والاستشارة بين تلك السلطنات (القعيطية والكثيرية) وبريطانيا تجدرت تبعية حضرموت ببريطانيا وزادت إمكانية الحركة السكانية بين حضرموت ومناطق المحيط الهندي الآسيوية والأفريقية الخاضعة للنفوذ البريطاني، وبذلك تكون عامل أخر للهجرة الحضرمية. ومما زاد من حركة الهجرة قيام بريطانيا بربط مستعمراتها في سواحل المحيط الهندي مع بعضها البعض. يتجلى ذلك من خلال العملات المتداولة في حضرموت ومنها الروبية الهندية وشلن شرق افريقية كما ان صرف معاشات الموظفين يتم بهذه العملات . بالإضافة إلى ذلك فتحت بريطانيا باب الوظيفة في الجندية والسلك القضائي للكفاءات الحضرمية في الهند وشرق افريقية . كما قامت بربط حضرموت بمحكمة النقض الكينية وبذلك أصبح للحضارم هيئة رسمية في الهند وشرق أفريقية حفزتهم للهجرة.وبالإضافة إلى ذلك توفر فرص العمل في التجارة والخدمات في كل من حيدر أباد في الهند، وفي ممباسا ودار السلام ومقديشو وكسمايو وما ليندي فضلا عن زنجبار في شرق أفريقية وغيرها من المناطق الأخرى .وقد تمخض عن حركة الموارد البشرية الحضرمية حركة الثقافة الإسلامية إلى هذه البلدان.

الجزء الثاني

الحوار الحضاري بين عرب حضرموت وشعوب بلدان حوض المحيط الهندي

في هذا الجزء من الدراسة سوف نناقش الحوار الحضاري بين الحضارم وشعوب بلدان المحيط الهندي وقبل الدخول في ذلك نمهد بتعريف الحوار والحضارات. الحوار في اللغة من الحور وهو الرجوع ويتحاورون أي يتراجعون الكلام. وقد ورد في ثلاثة مواضع في ألقرآن الكريم كلها تظهر الاختلاف بين المتحاورين ومحاولة إقناع بعضهم بعضاً، الأول ورد في قصة أصحاب الجنة" فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً" [15][الكهف: ٣٤]، والثاني فيها أيضاً "قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً" [16] [الكهف: ٣٧]. والثالث في أول سورة المجادلة "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا] [17]"المجادلة: ١]. ونفهم من هذه المواضع الثلاثة أن الحوار مراجعة

أما الحضارة فهي في اللغة من الحضر وهي الإقامة في المدن والقرى وهي نقيض او ضد البداوة، وفي العصر الحديث أطلق البعض هذا المصطلح على كل نتاج مادي لأمة من الأمم من عمران ومخترعات وابتكارات وتنظيمات. وتوسع النطاق ليشمل بالإضافة على النتائج المادية القيم الدينية والثقافية. وعليه فكل أمة تشترك في هذه المعاني لها حضارة تخصها، فهناك الحضارة الإسلامية، والحضارة الأوروبية الغربية المسيحية، والحضارة الأوروبية الشرقية المسيحية، والحضارة الهندية، وحضارة الشرق الأقصى وحضارة شرق افريقية وغير ذلك.

وبالنسبة لأنماط الحوار .تركز الورقة البحثية على اثنان نعتقد أنهما في غاية الأهمية لتأثيرهم في تطور الحضاري للشعوب الأول الحوار الديني، وثانيا الحوار الاجتماعي. وقبل ذلك نعرج على مقومات هذا الحوار لان الدراسة ستكون ناقصة إذا لم تصطحبها عمليات سبر جانبية للتعرف على تلك المقومات وهي : .

٢- ١- العُمق الحضاري :

يأتي المقوم الحضاري في المقدمة . حيث تمدنا معطيات التاريخ بان حضرموت من ضمن المجتمعات الحضارية التي تضرب جذورها في تربة التاريخ الحضاري ، فقد نشأت فيها حضارة راقية تماثل تلك الحضارات الإنسانية في شتى بقاع المعمورة ومنهما الحضارة الفرعونية والحضارة اليونانية وحضارة بلاد الرافدين ،

تظهر مصادر وكتب التاريخ أن حضارة حضرموت ارتكزت على العمليات التجارية والزراعية ، وارتبط الحضارمة مع عدد من شعوب الأرض بعلاقات تجارية تطورت إلى ثقافية في سبيل الحصول على السلع التجارية أو تسويقها بدلا من الحروب والإغارة . جاء في كتاب تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعدة .

الحضارمة الحضر في القرن الرابع الميلادي يملكون تقاليد دولتهم الخاصة الممتدة بجذورها عنان السنين وهم شعب مستقر في مدن منها شبام تريم والشحر وقنا وهذا ميناء حضرموت القديم ، ويضيف قائلا أن الجماعات الحضرمية قد غابت عنها المركزية العسكرية وهذا ما جعل من الحضارمة شعب يجنح إلى السلم . كما أن المأثورات العربية تعزز هذا الرأي حيث تقول. أن القبائل الحضرمية قد عرفت الحياة الحضرية التي كانت منتشرة في أوساطها إلى جانب ذلك فهي قبائل مسالمة وقد تخلت عن الحياة العسكرية في حل مشاكلها وامتد هذا السلوك والثقافة الحضرية للحضارم منذ العصور الغابرة حتى وقتنا الحاضر وكان لهذا أثر في تعايشهم مع شعوب المهاجر التي استقروا فيها. .

٢- ٢- الثقافة الدينية :

المقوم الآخر للحوار الحضاري هو الثقافة الدينية فالحضارم من شعوب الجزيرة العربية التي اعتنقت الإسلام سلما، ومع إسلامهم تأصلت ثقافة التسامح والتعايش مع الآخرين والمستمدة من موروثهم الحضاري ومنطلقين من تعاليم الإسلام - إنما المسلمين إخوة- . وبعد استقرار حضرموت على اثر أاختفى الصراعات بين المذاهب والفرق الإسلامية وسيادة المذهب الشافعي . انحسرت الصراعات القبلية ولم تعد سائدة إلا في المناطق البدوية . وقد كان

لهذا تأثيرا على الأوضاع الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية وتكوين ثقافة التسامح ، فقد انصرف أهالي حضرموت إلى الأنشطة الاقتصادية كالزراعة والبناء والصناعات الحرفية والى تلقي علوم الدين واللغة فانتشرت الأربطة في عموم حضرموت وجاءت تريم في مقدمة حواضر حضرموت من حيث عدد الأربطة وحلقات الدروس الدينية التي تتم في المساجد أو في حلقات الذكر التي تلقى في أكثر من مكان .ومن الطبيعي أن ينجم عن هذا الاعتكاف اليومي مع القران الكريم والسنة النبوية ثقافة دينية وسلوك نابع من روح وقيم الإسلام النبيلة لدى ابسط الناس يستطيع توظيفها عند الحاجة.

وقد حمل الحضارم مكونهم الحضاري والديني إلى مهاجرهم الأسيوية والإفريقية وحولوها إلى سلوك يومي في تعاملهم مع شعوب تلك البلدان ومكنتهم من التحاور معهم ولعل ابرز تلك الحوارات :

الحوار الديني : الإسلام دين حواري ويبتعد عن الجدل إلا إذا كان هذا نافعا للمجتمع ومقيدا بالحسنى وجاء ذلك في موضعين، في قوله سبحانه" :وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ][18] "العنكبوت: ٤٦]، وقوله سبحانه وتعالى: وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ [19] النحل:١٢٥] . فالحوار الذي يدعو إليه الإسلام ليس بين المسلمين فحسب بل مع غير المسلمين " والقرآن مليء بمحاورات الرسل مع أقوامهم هناك حوار بين إبراهيم وقومه ومنه مدعي الربوبية يقول الله تعالى "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ"[[20]البقرة ٢٥٨]. وكذلك حوار موسى مع فرعون مدعي الإلوهية والربوبية في سور عديدة في القرآن وكذلك بقية الرسل عليهم صلوات الله وسلامه حيث يحاورون أقوامهم بالحكمة لدعوتهم إلى الله وبيان الحق لهم.

هذه النصوص الدينية بُنيت عليها الحضارة العربية الإسلامية في حوارها مع الحضارات الأخرى. معظم كتب المستشرقين تقول أن الحضارة الإسلامية على مدى التاريخ هي حضارة الحوار فقد حاور علماء المسلمين كافة أهل الملل والنحل بالمنهج القرآني والدعوة إلى الحي القيوم عكس الحضارات الأخرى التي تقوم على الجدل .ويمكن القول أن الحوار في الحضارة

الإسلامية مبدأ للحياة بين المسلمين مع بعضهم البعض من ناحية والمسلمين واليهود والمسحيين من ناحية أخرى.

بالنسبة لليهود والمسيحيين يقول اشرف عبد الوهاب في كتابة التسامح الاجتماعي بين التراث والتغيير :

أفرزت الحضارة العربية هذا المصطلح - الحوار - فهي ليست متسامحة إزاء الآخر بأي حال من الأحوال فهي حضارة تقوم على فكرة استعلائية مستمدة دينيا من فكرة الشعب المختار التي ورثتها المسيحية عن العهد القديم والذي يتحدث عن بني إسرائيل القدماء الذين يزعمون أن الرب اختارهم وميزهم عن سائر البشر وقد ضاعفت الحضارة الغربية (الكاثوليكية ثم البروتستانتية فيما بعد) مفهوم الحوار لحل مشكلات ثقافية واجتماعية أوربية في أواخر العصور الوسطى ، وفي بداية عصر النهضة بعد أن تفاقمت أزمة الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية تتجه الصراع بين الكنيسة الكاثوليكية وبين الذين تمردوا على مفاهيم الكنيسة الضيقة في مختلف الجوانب العلمية والثقافية والاجتماعية . وصار التسامح والحوار شعارات الحياة الفكرية في القرن العشرين [٢١]

وبالنسبة لحوار الحضارة الإسلامية مع غيرها من الحضارات فقد جسده المهاجرون الحضارم في مختلف الأمصار الإسلامية وغيرها بعد أن نقلوا مكونهم الديني بكافة عناصره ثم شرعوا في محاورة شعوب تلك البلدان وساعدهم في ذلك أن جلهم من الصفوة المتعلمة من حفظة القران والحديث أي المتفقهون في الدين وهذا يماثل هجرة العقول في الزمن الحاضر بمعنى آخر أنها هجرة نوعية. يضاف إلى ذلك أن هؤلاء المهاجرين لديهم مشروع حضاري .

فحوارهم في البلدان الإسلامية ما حدث في مصر : يقول الباحث ممدوح عبد الرحمن في بحثه اثر قبيلة كندة في الحياة السياسية والثقافية في مصر خلال عصر الولاة :

لعبت قبيلة كندة دورا هاما على مسرح الأحداث الثقافية وفي مختلف أنشطة الحياة العامة فهناك رجال العلم والأدب والدين ومنها علوم قراءة القران الكريم والفقه وعلم الحديث والنحو. كما تولوا القضاء. [٢٢]

أما حوارهم مع شعوب البلدان غير الإسلامية وهو الأهم لما ترتب عليه من أسلمة معظم تلك الشعوب فقد استثمروا ثقافتهم الدينية و شخصية موطنهم الأصلي فهم منحدرون من جزيرة العرب مهبط الوحي ومنبع الإسلام وهذا جعل تلك الشعوب من أن تستمع لهم فقد كانوا يلتمسون آرائهم ويطبقونها نصا وروحا وما من تأثير لحضارتهم فقد كان اشد نفاذا . فثقافة التسامح الديني ذات التأثير الحضرمي أصبحت سائدة في معظم أنحاء تلك البلدان.

يقول العلامة الجنيد : عمل الحضارم منذ وصولهم إلى شرق افريقية إلى نبذ العنف وإرساء ثقافة التسامح بأنواعها المتعددة لأنهم معتدلون في المذهب والمعتقد [٢٣] ويمكن استجلاء ذلك من خلال المذاهب المنتشرة في شرق افريقية فهناك انتشار لمعظم المذاهب والفرق التي عرفها التاريخ الإسلامي مثل الاباضية والإسماعيلية والزيدية والشافعية. و يتبع الاباضية العمانيون والحضارم المذهب الشافعي .

ويعتبر المذهب الشافعي أشهر المذاهب الإسلامية انتشارا رغم أن العمانيين يحكمون شرق افريقية فقد ضل المذهب الاباضي مذهب الأسرة الحاكمة وبقية العمانيون . وهذا يعود إلى ثقافة التسامح التي غرسها الحضارم وحافظ عليها الحكام العمانيون تجاه المذاهب والفرق الإسلامية بهدف الحفاظ على السلم الاجتماعي والتنمية المكانية ، واحترامهم للتاريخ الإنساني ، فلحظة الحضور العماني في شرق افريقية كان المذهب الشافعي هو الشائع عن طريق المهاجرين الحضارم فقد صار سكان الساحل من إتباع المذهب الشافعي في الفترة الواقعة بين (٨١٢ و ٩٧٠م) بينما دخل المذهب الاباضي إلى الساحل عام (١٧٤٩م) بعد أن نقل السيد سعيد مقر سلطنته إلى زنجبار .فعدم فرض المذهب الاباضي على مسلمي شرق افريقية من قبل الحكام العمانيون يجسد نموذجا للتسامح الثقافي والتنمية الحضارية المنبثقة من التعاليم الإسلامية والمبنية على التنوع . وهنا ينبغي تعريف العالم للاستفادة منة لتقديم صورة أن الإسلام ليس نمطيا في ممارسة شعائره بل قائم على التعدد والتنوع.

الحوار الاجتماعي:

الاستقرار والتسامح الاجتماعيين عوامل رئيسة في تطور الحضارات وتعايشها كونهما يحققان الوئام المدني بين الثقافات حيث تتولد ذهنية تنتج علاقة جيدة هي علاقة الاعتراف المتبادل بين الجماعات الاثنية .والطريق إلى ذلك الحوار فهو ملازما للدولة المدنية أو المجتمع المدني الذي يصون الحقوق الطبيعية للأفراد سواء كانوا مواطنين أو وافدين وهذا تنص عليه الآيات والأحاديث النبوية

ويمكن القول أن الحوار الاجتماعي نظام قيمي ، فهو قيمة أخلاقية إذ لا يمكن فهمه إلا نقيض التعصب وقيمه فلسفية صفاتها تجارب التعايش الإنسانية وقيمة دينية لا يمكن فهمها بعيدا عن مفهوم المحبة والإخاء وقيمة سياسية تقبل بالحجة والاختلاف وقيمة حقوقية تدعو إلى عدم التمييز وتحدد الطريق في إطار المواطنة فالعيش قي مجتمع متسامح هو العيش في مجتمع يقر الاحترام لكل فرد وهذا ما هو سائد في حضرموت الموطن الأصلي للمهاجرين وتم استنساخه وترجمته إلى سلوكيات في موطن الاستقبال الأسيوي والإفريقي ويتضح من الآتي:

التعايش مع الاثنيات:

حرص الحضارمة منذ وصولهم إلى بلدان المحيط الهندي إلى التعايش مع جميع الاثنيات في مهاجرهم والتي يوضحها الجدول الآتي: .

المهجر الحضرمي	المجموعة الاثنية
اندونيسيا	جاواي.سيندانسي.بيهاري .ماديرسي .اكثر من ٣٠٠ مجموعة عرقية أخرى
بروناي	مالاوي .صيني .هندي. آخرون
سنقافورة	صيني. مالاوي. هندي. آخرون
ماليزيا	مالاوي . صيني . ميوري .باجوا .هندي . آخرون .
الهند	هندي .آري .تأميل (درافيديون) آخرون

اوغندة	باغنده . بانيورو . تيسو . بانيان.باسوجا . باجيزو .باشيجا .لانجو .اشولي. ماساي .باندي .لو. باجندا . آخرون .
تنزانيا	تورو .جوجو .نياموبزي .ايراكو .سيكيما .سواحيلي .هبهب .بنا .ماكوندي .هايا .ماساي .آخرون
كينيا	كيكيويو .لهيا .ليو . اكمبا ناندي .فاندي .اللوتوكو .توركانا .وشاجة .ماساي .كالينجين .آخرون .
المصدر : [٢٤] سيد احمد قاسم ، اجناس واعراق السكان في العالم جغرافية انثروبولوجية .مكتبة الرشد ، الرياض ، ٢٠٠٦ ص١٠٧. ١٢٥ .١٢٧ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٦٠ .	

نستجلي من الجدول حقيقتين :

الأولى هناك كم هائل من المجموعات الاثنية المتباينة مكانيا وحضاريا وهذا في مفهومة العام وجود هويات أو حضارات متنافسة ومن الطبيعي أن يؤثر على التعايش مع أى جماعة من خارج الدائرة الاثنية

الحقيقة الثانية الأقلية العربية الإسلامية التي استقرت بين اثنيات تلك المناطق وتريد أن تتعايش معها دون حدوث صراعات ينبغي أن تكون على درجة عالية من الحضارة المادية والمعرفة بما فيها المعرفة الدينية والسلوك الحسن والتسامح وهذا ما نجده في المهاجرين الحضارم.

لقد تعايش الحضارم مع تلك الاثنيات ولم يسجل التاريخ أي حادثة تنافر وصدام وهي حالة نادرة في التاريخ الحضاري فالشواهد التاريخية من فلسطين وأمريكا الشمالية (الولايات المتحدة وكندا) وجنوب افريقية واستراليا تظهر العداء بين المهاجرين والسكان الأصليين في تلك المناطق.

يقول هنتجتون في كتابة صراع الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي الجديد : الهجرة محركاً للتاريخ في قرون مضت أدت معدلات النمو السكاني والظروف الاقتصادية والأحوال الطبيعية والسياسات الحكومية إلى هجرات واسعة قام بها العرب واليهود واليونانيون والقبائل الجرمانية والإسكندنافيون والأتراك والروس والصينيون وغيرهم من

سكان الأرض، أحياناً كانت تلك الهجرات سليمة نسبياً وأحياناً كانت شديدة العنف، أوربيو القرن التاسع عشر كانوا هم الجنس الأول بالنسبة للغزو الديموجرافي ، بين عامي ١٨٢١ و ١٩٢٤ م هاجر حوالي ٥٥مليون من الأوربيين عبروا البحار إلى أمريكا الشمالية (الولايات المتحدة وكندا) وجنوب افريقية واستراليا) عبر البحار منهم ٢٤ مليونا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، الغربيون عزوا شعوبا أخرى كانوا يبيدونها ، كما استوطنوا الأراضي الأقل كثافة سكانية . ربما كان تصدير البشر هو البعد الوحيد الأكثر أهمية في نهوض الغرب بين القرنين السادس عشر والعشرين (٢٥)

ويمكن القول أن التعايش الذي حدث بين الحضارمة والمجموعات الاثنية في بلدان حوض المحيط الهندي الإفريقية والأسيوية قد حدث بعد ردم ما يعرف بخطوط التقسيم الحضاري و حدث من العمق الحضاري ورسالة الإسلام الحضارية المبنية على ثقافة التسامح التي تكون الشخصية الحضرمية و يسعون إلى إيصالها إلى شعوب الأرض قاطبة .

الاندماج الاجتماعي:

وهو من المؤشرات الدالة على الحوار الحضاري للحضارم في مهجرهم الأسيوي والإفريقي وعملية الاندماج فرضتها مجموعة من العوامل المتداخلة .

أولها : البعد الجغرافي وكبر المسافة بين حضرموت وجنوب آسيا وجنوب شرقها.وكذلك بين حضرموت وشرق افريقية . وهذا جعل من الهجرة الحضرمية أن تكون طويلة و فردية ولم تكن عائلية فالمهاجرون لا يصطحبون زوجاتهم ، ولان الحضرمي لا يستطيع الصبر على العزوبة أو أن يبقى عليها مدة طويلة لأنه محتاج إلى مساعدة في نظام حياته وترتيب منزله فقد دفع به إلى إقامة علاقات مع معظم اثنيات المهاجر وتوجت بالزواج .

ثانيا : التجارة فقد فرضت على المهاجرين الحضارم التعامل بهدوء وتساهل مع الآخرين ، فهي كما تشير كتب التراث وأدب الرحلات و الدراسات الجغرافية القناة التي عبر من خلالها الاندماج الاجتماعي وهي من أهم الأنشطة التي استقطبت معظم المهاجرين،

حيث مارسوا التجارة الثابتة والمتجولة معاً وقد حقق أوائل الباعة المتجولين أرباحاً كبيرة كانت سبباً في توجيه المهاجرين الجدد إلى هذا النشاط، وقد ساعدهم في ذلك إقبال السكان الوطنيين على سلعهم التجارية وتعلق السكان هناك بكل ما هو قادم من أرض الجزيرة العربية مهبط الديانة الإسلامية، كما يقوم المهاجرين بشراء سلعهم ومنتجاتهم وتصديرها إلى الجزيرة العربية. إلى جانب ذلك كانت عملية التبادل التجاري في شكل مقايضة وهذه العملية محدودة جدا أو البيع والشراء بطريقة دينية كما يقوم المهاجرون بالدعوة إلى الإسلام وبناء المساجد التي لا تتطلب تكاليف باهظة في عمليات البناء، هذا السلوك اوجد حوار وتفاهم بين الحضارم وتلك الشعوب ومع استمرار عمليات البيع والشراء بهذا الأسلوب تولد لسكان جنوب آسيا وجنوب شرقها و شرق أفريقية احترام للمهاجرين و الميول نحو حضارتهم واعتناق دينهم الإسلامي.

ثالثا: الطبيعة الاجتماعية للإسلام فقد أسهمت في عملية الاندماج الاجتماعي كون الإسلام يتميز عن بقية الأديان السماوية الأخرى بأنه دين يدعو إلى الأخوة بين المسلمين، وزيادة الروابط الاجتماعية، ويعمل على إذابة الفوارق العرقية منها ما هو مرتبط بالطبقة أو اللون أو الجنس فلا فرق بين عربي وغير عربي ولا فرق أيضاً بين أبيض وأسود قال تعالى: "**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**"[٢٦] فحقيقة المساواة بين الأجناس شكلت مدخلا للمهاجرين في حوارهم الحضاري مع حضارات تلك البلدان وجسرا لنشر الإسلام، ونجاح الدعاة في مهامهم بين أوساط السكان الأصليين. كما شجع تلك الشعوب على الدخول في الدين الإسلامي. فمنذ اللحظة الأولى من دخولهم يسير الفرد سيراً طبيعياً على المبادئ القائمة على أخوة المسلمين جميعاً وتساويهم أمام الله فلون البشرة و غيرها من الصفات الجنسية لم يحملا بأية حال إخوانه المهاجرين أن يتعجبوا عليه، كما أن المهاجرين لم يعاملوا السكان هنا على أنهم من جنس منحط كما تصنفهم بعض النظريات الأثنية التي اعتبرتهم أنصاف بشر.

ثالثا : عدالة وأخوة الإسلام: شعرت معظم شعوب المهاجر التي استقر فيها الحضارمة في الهند واندونيسيا وماليزيا وسنغافورة وشعوب شرق أفريقية منذ اللحظة الأولى لدخول الإسلام بالإخوة الحقيقية بينهم وبين الدعاة من المهاجرين ، فالدعاة المسلمين ينفذون إلى أحاسيس وعقول تلك الجماعات الاثنية ويحولونهم إلى الإسلام. وبذلك أصبح السكان هنا ينظرون إلى الإسلام على أنه دينهم ومخلصهم من أي سلوكيات أو قيم واقعة في أدنى السلم القيمى للمجتمعات، قال رسول الله- ﷺ - : "**لا فرق بين عربي وعجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح**"(٢٧) وبذلك لا توجد فروق بين الحضارمة والسكان في تلك البلدان هذه الصفات الحميدة للإسلام شكلت من السكان هناك يتوافدون ويدخلون في دين الإسلام طوعاً.

رابعا: سلوك المهاجرين تجاه السكان الأصليين: اتسم سلوك المهاجرين بالتسامح والطيبة ويؤكد ذلك هارولد انجرامس، إذ يقول أن المهاجرين من حضرموت في شرق أفريقية ذو طباع وأمزجة حادة ولكنهم يتمتعون بالانضباط والطاعة للقوانين واحترام الآخرين ويصل العمل عندهم إلى مرتبة القداسة. وهم مثابرون على صلواتهم ومقتصدون في مأكلهم ومشربهم وملبسهم ويكاد التبذير حالة شاذة وهم لا يتأثرون بسلوك وطرق المعيشة التي يعيشها الآخرين حولهم بل يؤثرون فيهم(٢٨) لهذا فالمهاجرون قدوة طيبة تتمثل فيهم أخلاقيات وسلوك الإسلام الصحيحة في الحب والتسامح والعدل وكلمة الحق والنجدة والوفاء وما إلى ذلك من سلوك حسن، الأمر الذي جعل الأفارقة يسارعون إلى تقبل أفكارهم وثقافتهم ودينهم لذلك فان اعتناق الإسلام عن حب ورضاء طواعية ولم يكن كرها (٢٩)

المحور الثالث

نتائج الحوار الحضاري بين الحضارمة وشعوب بلدان المحيط الهندي

تورد في هذا الجزء من الدراسة نتائج الحوار الحضاري بين المهاجرين الحضارم وشعوب بلدان محيط الهندي كدروس مستفادة لإعداد برامج وخطط عمل لحواري حضاري في الألفية الثالثة .ومن هذه النتائج .

إرساء قاعدة التنوع اللغوي:

نقل المهاجرين الحضارم مكونهم اللغوي إلى مهاجرهم الأسيوية والإفريقية والتي ظلت كلغة تخاطب في محيطهم العائلي سواء الأسرة أو مجتمعهم المهاجر واستخدمت أبجدياتها في كتابة اللغات المحلية في تلك المهاجر قبل أن تحل محلها الحروف اللاتينية .

في مهجر شرق افريقية وبقية المهاجر الأخرى لم يستغل الحضارم سيطرتهم التجارية لفرض لغتهم وتعريب المنطقة رغم دعم الإسلام فاللغة العربية لغة القران التي ينبغي على المسلمين وغيرهم تعلمها حتى يتمكنوا من العبادة المثلى، لان أداء شعائره ولاسيما الصلاة والتي من شروطها تلاوة القرآن الكريم مرتبط أساساً باللغة العربية. فالوظيفة الدينية للغة العربية يمكن أن تكون مدخلا لتعريب تلك البلدان وفرض الحضارة العربية ولكنهم فضلوا العمل مع بقية الجماعات الاثنية لإيجاد لغة تخاطب للجميع تأخذ من جميع اللغات واللهجات سواء كانت مهاجرة أو وطنية .وطبيعي أن يكون الحوار أساسا لذلك فتلاقت الحضارة العربية الإسلامية بالحضارة الهندية والفارسية وحضارة شرق افريقية وتلاقحت فتولد منها اللغة السواحلية التي أخذت من كل المجموعات اللغوية بنصيب حتى أصبحت ناضجة، وهي ليست عربية محرفة ولكنها أفريقية معربة، أصولها البعيدة في البانتو ولكنها أخذت عبر الزمن بواسطة المهاجرين صفات العربية[٣٠]

دور المهاجرين العرب ومنهم الحضارمة في تطوير اللغة السواحيلية يظهره العالم (Reusch) وهو أحد المتخصصين في اللغة السواحيلية وتاريخها، فيقدر عدد الكلمات العربية التي دخلت مفردات اللغة السواحلية من الربع إلى الخمسين في المائة وكثير من هذه المفردات في

الدين وشعائره وفى التجارة والمعاملات وكذلك أسماء الأشياء الحضارية ، وقد كتبت اللغة السواحيلية بحروف عربية[٣١] منذ لحظة ظهورها وحتى ثلاثينيات القرن الماضي حيث تم استبدال كتابتها بالحروف اللاتينية[٣٢] ورغم ذلك فقد بقيت بعض الكلمات في اللغة السواحيلية عربية كاملة مثل شكراً، وأهلاً، والسلام عليكم. والسوق، والشارع، كما أن بعض الكلمات يكفى أن تضيف إليها حرف (ى) إلى الكلمة الأصلية لتصبح سواحلية مثل أخباري، وتعنى أخبار وسماكي وتعنى سمك وسكارى وتعنى سكر. والى جانب اللغة السواحلية هناك اللغة الانجليزية واللغة العربية والفارسية . هذه التنوع اللغوي الذي أسهم المهاجرين الحضارم في إرساء قاعدته لم نشاهده في المهاجر الأوربية في أمريكا السكسونية أو اللاتينية أو استراليا .ويقدم درسا في الحواري الحضاري على دور المهاجرين في التقارب بين الجماعات الاثنية ذات اللغات المتباينة .

نشر ثقافة التسامح:

التسامح في مفهومة العام تقبل المواقف الفكرية والعلمية التي تصدر من الغير وهو ما يفسر عمليا استعداد الفرد لتحمل معتقدات وممارسات وعادات تختلف عما يعتقد فيه وهي إشارة إلى التسامح الديني بوجود الآراء الدينية وأشكال العبادة المناقضة أو المختلفة .وبالنظر إلى مجتمع المهاجرين في آسيا وشرق افريقية نجدهم قد جسدوا هذا المفهوم .

جاء في معظم كتب التاريخ والوثائق والمخطوطات لمدونين من السكان الأصليين في تلك البلدان أو من قبل الرحالة والمستشرقين إلى جانب الحضارم أنفسهم لم تسجل حادثة تعارض بين المهاجرين وشعوب بلاد المهجر الإفريقي والأسيوي ، ولم يشعر الحضارم بأنهم أقلية في مجتمع غير إسلامي، وقد مارس المهاجرون عاداتهم وشعائرهم الدينية ومنها الزواج على الطريقة الإسلامية والذبح الحلال ودفن الموتى وفقا لأحكام الإسلام وإقامة المدارس الدينية وإصدار الصحف والنشرات بلغة المهجر واللغة العربية والدعوة إلى الإسلام بالكلمة الطيبة والسلوك الحسن . وقد نتج عن ثقافة التسامح اندماجهم في تلك المجتمعات. هذا يوضح أن الحضارم قد حققوا ما لم تحققه بعض الجاليات المدعومة من موطنها الأصلي كما هو بالنسبة للصينيين في شرق آسيا أو العمانيين في شرق افريقية وهذا يتطلب مزيد من الدراسات للاستفادة منة في إيجاد حوار حضاري بين شعوب الأرض.

الشراكة التنموية التنمية المتوازنة:

منذ وصول المهاجرين الحضارم إلى مهاجرهم عملوا على تنمية تلك المهاجر وأول عمل تنموي قاموا بتنشيط التجارة بين مستقرات المهجر بعضها بالبعض و بين المهاجر الإفريقية والأسيوية و بين تلك المهاجر وحضرموت وبقية سواحل الجزيرة العربية . فحدث التزاوج والارتباط ق بين الهجرة الحضرمية والتنمية المكانية المعبر عنها بالتجارة لاسيما البحرية. ويؤكد ذلك أدب الرحلات الجغرافية فالرحالة الإغريقي مؤلف كتاب الكشاف البحري في القرن الأول الميلادي حين كتب عن دور العرب (الحضارم) في تنمية التجارة البينية بين أقاليم حوض المحيط الهندي، قائلاً :

تأتى سفنهم من سواحل الجزيرة العربية ومن كل صوب في المحيط الهندي وهى محملة بالملابس القطنية والخناجر والرماح والزجاج والمراهم والبخور والأحجار الكريمة[٣٣] وكذلك الأسماك المجففة والصيغة والبخور واللبان والتمور وتعود بمنتجات شرق أفريقية منها العاج والذهب وريش النعام والجلود وأعمدة المانجروف التي تستخدم على نطاق واسع في شبه الجزيرة العربية وإيران في بناء أسقف المنازل وصناعة السفن الشراعية، وهذه الأخشاب ينتشر الطلب عليها بصفة خاصة لمقاومتها للقوارض وخاصة النمل، كما أنها تتحمل الظروف الجوية المختلفة من الرطوبة والحرارة[٣٤] إلى جانب ذلك الرقيق الذي اعتبره البعض أهم سلعة تجارية في مرحلة رواج النشاط التجاري بين الجزيرة العربية وشرق أفريقية

ولم يقتصر أثر المهاجرين الحضارم في تنمية مهاجرهم على المشهد التاريخي المذكور سلفاً بل امتد إلى الوقت الحالي فقد كان لهم حضورا تنمويا في جميع الأنشطة الاقتصادية .في التنمية الزراعية فقد أنشأ المهاجرين المزارع واهم محاصيلها المانجو والقول السوداني وجوز الهند، والذرة والدخن والخضروات وبالنسبة للتمنية الصناعية فقد أقام المهاجرين العديد من الصناعات ومنها صناعة طحن الحبوب وصناعة الأخشاب وصناعة المشروبات وصناعة دبغ الجلود والبهارات انظر الصور التي تبين ذلك الصور في الملحق توضح ذلك

كما أسهم المهاجرون في التنمية الاجتماعية لمهاجرهم فقد انشئوا والمدارس و المراكز الصحية ولم يقتصر دورها على تقديم الخدمات العلاجية بل شمل ذلك المساعدات العلاجية والوسائل الصحية للسكان الوطنيين، كما حدث عند انتشار حمى الملاريا في بعض دول شرق أفريقيا ، فقد قام المهاجرين بتقديم الأدوية للعيادات الثابتة والمتنقلة في الأقاليم كما قاموا بتقديم وسائل الحركة لذوى الاحتياجات الخاصة المعاقين حركياً والصور الملحق توضح ذلك.

الخلاصة :

وقفت الورقة البحثية على الدور الذي لعبة المهاجرين الحضارم في الحوار الحضاري بين الحضارة الإسلامية وتلك الحضارات في مهاجرهم الأسيوية الإفريقية وتبين أنهم حاورا عدد غير قليل من المجموعات الاثنية وكان من نتائج هذا الحوار انتشار الإسلام و ثقافة التسامح والشراكة التنموية . وفي وقت يشهد العالم شرخا في نسيجه الحضاري يؤثر سلبا على التنمية المستدامة فان الورقة تقدم توصيات يمكن أن تفيد في وضع أسس حوار حضاري وهي:

١- إجراء مزيد من الدراسات العدسية في كل مهجر يتواجد فيه الحضارمة ودورهم في التنمية الحضارية خاصة والتنمية المستدامة عامة.

٢- إنشاء هيئة علمية تقوم بجمع الكتب والمخطوطات والوثائق التي تختص بحضرموت

٣- إنشاء مركز متخصص للدراسات والبحوث الإنسانية في حضرموت.

٤- إنشاء منتدى ثقافي يهتم بالندوات وحلقات النقاش لتراث وتاريخ حضرموت مع فتح نافذة الكترونية لتعريف العالم بدور الحضارمة في نشر الإسلام وثقافة التسامح بين شعوب الأرض .

الهوامش :

١ - علي رضا كحالة ، جغرافية شبة الجزيرة العربية ، مكتبة النهضة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٤م

٢ - سيرجي ترجمة عبد العزيز بن عقيل ، تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعدة العصور الوسطية المبكرة (القرن الرابع- الثاني عشر الميلادي)، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، ٢٠٠٤م.

٣- جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٩م

٤ محمد عبد الغني سعودي ، الاتصالات العربية في العصور القديمة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومعهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة . ١٩٧٧م .

٥ - محمود طه ابو العلا ، المؤثرات العربية في شرق افريقية ، الجمعية الجغرافية المصرية ، المحاضرات العامة ، الموسم الثقافي ١٩٦٩م .

٦ - لمارمول كرنفال ، ترجمة عمر حجي وآخرون ، اقريقيا ، الجمعية الجغرافية المغربية للتأليف والترجمة والنشر الرباط ، ١٩٨٣م .

٧ - ممدوح عبد الرحمن عبد الرحيم ، اثر قبيلة كندة في الحياة السياسية والثقافية في مصر خلال عصر الولاة ، مجلة كلية الآداب ، جامعة جنوب الوادي ، كلية الآداب بقنا ، العدد١٥ ، الجزء الثاني ، ١٩٩٥م ، ص ٣٨٨.

٨ - خلدون النقيب .المجتمع والدولة في الخليج العربي ، شركة كاظمة ، الكويت ، ١٩٨٦م ، ص٥٩.

٩ - عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي ، معارف ملاحي جنوب الجزيرة العربية ، ١٩٨٩م .

١٠ - شوقي عبد القوي عثمان ، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية ، مجلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت . الكويت ، ١٩٨٠م

١١ - محمود محمد الحويري ، ساحل شرق افريقية من فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي. دار المعارف . القاهرة ، ١٩٨٦م .

١٢ - محمد عبد الهادي ، المعارف البحرية ، دار نشر الثقافة بالإسكندرية ، ١٩٤٧م .

١٣ - حسن صالح شهاب البحار اليمني سليمان المهري ، مرشد الملاحة العربية في المحيط الهندي ، مؤسسة الشرعبي .صنعا ، ٢٠٠٠م .

١٤ - سيد ماهر ، البحرية في مصر الإسلامية ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧م

١٥ - سورة الكهف.الآية ٣٤

١٦ - سورة الكهف ، الآية ٣٧

١٧ - سورة المجادلة الآية ١ .

١٨ - سورة العنكبوت ، الآية ٤٦.

١٩ - سورة النحل الآية ١٢٥.

٢٠ - سورة البقرة الآية ٥٨

٢١ - اشرف عبد الوهاب ،التسامح الاجتماعي بين التراث والتغيير ، مكتبة الأسرة ،القاهرة .٢٠٠٦م

٢٢ - ممدوح عبد الرحمن في بحثه اثر قبيلة كندة في الحياة السياسية والثقافية في مصر خلال عصر الولاة .مجلة كلية الآداب .جامعة جنوب الوادي.

٢٣ - الجنيد . اليمنيون الحضارم في شرق افريقية. بدون تاريخ ودار نشر

٢٤ - سيد احمد قاسم ،أجناس وأعراق السكان في العالم جغرافية انثروبولوجية .مكتبة الرشد ،الرياض

٢٥ - صمويل هنتجتون ، صدام الحضارات، ترجمة طلعت الشايب ، وإعادة صنع النظام العالمي الجديد نيويورك ،١٩٩٨م

٢٦ - سورة الحجرات ،الآية ١٢ .

٢٧ - حديث شريف.

٢٨ - هارلد انجرامس حضرموت، ترجمة سعيد عبد الخبير النوبان، دار جامعة عدن للطباعة، ٢٠٠١،

٢٩ - الكتاب رقم ٧٩، الإسلام في الصومال، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، اللجنة التعريفية بالإسلام، ١٩٧٣م

٣٠ - محمد عبد الغنى سعودى، الاتصالات العربية الأفريقية، مصدر سبق ذكره،

٣١- جمال زكريا قاسم، الروابط العربية الأفريقية قبل حركة الشئون الجغرافية وحركة الاستعمار الأوربي في القرن الخامس عشر، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٥

٣٢ - في مهاجر المغتربين، مجلة الوطن، وزارة شئون المغتربين، العدد صفر السنة الأولى، مارس ١٩٩٠،

(٣٣)nited Republic of Tanzania East African From ١٨٥٠ to The Present

(٣٤) Boch R.E. The East Africa Ivory Cost Trade in The Nineteen Century, ١٩٦٧, p. ٢٧٠. (٤) Boch. R.

ريادة النهضة العلمية والثقافية في تريم في القرن الرابع عشر الهجري

صالح مبارك عصبان

مدخل :

شهدت حضرموت في القرن الرابع عشر الهجري نهضة عامة تجلت أكثر معالمها في التعليم والثقافة، حيث تكونت الجمعيات وأنشئت الصحف والمكتبات، وبرز الوعي الوطني وأعقبه نشاط سياسي منظم، وقد بدأت خيوط هذه النهضة بعد توافر عدد من الأسباب من داخل حضرموت وخارجها وشق الرواد طريقهم وسط أشواك الحذر في مجتمع تنازعه قوى تقليدية (سياسية وعلمية وقبلية) متشابكة المصالح مع وجود حماية استعمارية.

وبما أن حضرموت وحدة متجانسة من الأفكار والعادات لم تستطع الحواجز المصطنعة ومحاولات التفتيت والتفرقة أن تمنع انتشار الأفكار الجديدة والتواصل بين أصحابها وكانت عملية التغيير تمشي بشكل متشابه في مدن وقرى حضرموت.

وفي تريم، المدينة ذات الشهرة العلمية وصلت مقدمات النهوض في وقت مبكر لوجود كثير من أبنائها في المهجر، الذين سارعوا إلى الأخذ بزمام المبادرة في إنشاء الجمعيات والأندية الثقافية والتأليف، وكان لهم قصب السبق في مجالات عديدة رغم وجود المعوقات في تريم أكثر من غيرها.

إن مفهوم النهضة كما ورد في أدبيات الفكر العربي يتطلب توافر شروط لتحقيقها، ومنها (أن أي مشروع إصلاحي يبدأ بتغيير الإنسان) .. فهو أداة النهضة ووسيلتها، لكن هذا التغيير يظل ناقصا إذا لم ينقل العقول من رواسب الاستعمار والتخلف وأصناف القهر، ويرتكز التغيير أساسا على تغيير الأفكار لتتفق مع الأصول العامة للإسلام، ومنها إزالة المنكرات التي لا تقبلها العقيدة[1]، ويتفرع عن هذا (مشكلة الثقافة) التي لا بد من تحديد لمفهومها (وتنظيف موضوعها من الحشو والانحراف الذي حدث فيه)[2]، فضبابية المفهوم تؤدي إلى خلط وتشويه في مكوناته، لأن للثقافة وظيفة حضارية في النهضة المأمولة، وتتجاذب هذا الأمر – أعني النهضة – مسميات عدة من قبيل (التجديد) و (الانبعاث) و(التنوير) و (الإصلاح)،

وما نقرره هنا لا يعني بالضرورة أن تلك النهضة قد اجتمعت فيها كل الشروط والمقومات من تحرر فكري وتغيير جذري في كل مجالات الحياة، كما لا يعني أن أولئك الرواد قد امتلكوا كل صفات الريادة من فكر منهجي وتجرد وعلمية وإقدام وامتلاك مشروع حضاري ينقل المجتمع إلى مرحلة متطورة، ولا ندعي في هذا الاستعراض إسقاط المفهوم الشامل للنهضة – حتى العلمية والثقافية منها – على موضوع بحثنا لأسباب أهمها، أن هذا النهوض محكوم بعوامل كثيرة منها ما هو ذاتي متعلق بالرواد، سواء من حيث بناؤهم العلمي والفكري وتوجهاتهم، ومنها ما هو موضوعي يتعلق بواقعهم المليئ بالمتناقضات، فكان أن جاءت نتائج محاولاتهم مختلفة من حيث انتشارها وقوة أثرها فهي في الجانب التعليمي و الثقافي أكثر منها في غيره من الجوانب، ففي تطوير الخطاب الدعوي وتغيير مراكز التأثير العلمي والواقع الاجتماعي كانت ضعيفة، وهذا لا يلغي دورهم إذا أخذنا بعين الاعتبار العوامل السابقة. وبالرغم من كل ما يمكن أن يؤخذ على النهضة ويظهر بعض النواقص فيها إلا أننا لا نستطيع أن نغفل ريادة أولئك الأفراد والهيئات للنهضة العلمية والثقافية التي أصبح لها شأن يذكر وتأثير لاحق في مجمل الأوضاع، فهي التي هيأت وأهلت القيادات المستقبلية للعملية التعليمية والثقافية بل السياسية، وفي بحث – كهذا – لا يمكن الحديث عن سير النهضة دون ربط الفترات الزمنية بعضها ببعض ودون بتر، لأن حركة التغيير متداخلة وآثارها متدرجة والأحداث التاريخية مترابطة، كما تعترض المتتبع لشؤون التاريخ الحضرمي إشكالية التأليف الذي يشوبه عدد من الأمور كعدم الموضوعية وتحكم العواطف والاتجاهات السياسية والفئوية، كما تقف بعض الأقلام عند العناوين والمسميات دون تعمق في المضامين.

وسنمهد لهذا البحث بجولة سريعة حول أوضاع حضرموت قبيل وأثناء النهضة مع لمحة عن مسار العلم والثقافة خلال العصور الإسلامية، ثم الحديث عن سير النهضة (أسبابها ومعوقاتها) ونعرج بشيء من التفصيل عن أوضاع تريم آخذين في الحسبان مراكزها المؤثرة من جمعيات ومدارس وأندية وصحافة مع إبراز أهم الرواد ثم نختتم بأهم الآثار.

إن عملاً مثل هذا يحتاج إلى جهد أكبر وتحليل أعمق ومراجع أوفر، وحسبنا أننا لم نبدأ الخطوة الأولى فقد تتبع كثير من الكتاب هذه المسألة ما بين مقل ومكثر ووفروا لنا مادة

ساعدت في إنجاز هذا العمل، وختاماً (فإن الأفكار النهضوية التي نادى بها المصلحون في شتى ميادين الحياة ما زالت مطالب لنا حتى اليوم ولا زلنا نشكو من العلل عينها التي شكوا منها من الفقر والجهل والمرض والاستبداد والتفرق والأنانية والظلم والاستخفاف بالناس)[٣].

حضرموت في بداية النهضة :

عاشت حضرموت ما بين النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري وبدايات القرن الرابع عشر في صراعات وفتن قبلية، وتكونت دويلات وكيانات في المدن وكانت السمة الغالبة عليها الضعف والاحتراب الداخلي، وعمت الفوضى القرى والبوادي وتوسع لدويلة أو تقلص لأخرى، (أما تريم فقد تقاسمتها القبائل اليافعية فاستولى آل همام على حارة الخليف، وسيطر آل عبدالقادر على حارة النويدرة ، وأخذ آل غرامة حافة السوق)[٤] وتطلع البعض إلى ملء الفراغ وتغيير الحكام فجرت محاولات من قبل طاهر بن حسين عام (١٢٢٠هـ/١٨٠٥م)، ودولة بن مقيص عام (١٢٤٣هـ/١٨٢٧م)، وحملة إسحاق بن عقيل بن يحيى عام (١٢٦٥هـ/١٨٤٨م)، وغيرها[٥]، وسيطر على الأوضاع حملة السلاح، وبلغت السخرة من قبل أصحاب القوة مداها، وانقسمت الحواضر إلى (حويف وحارات)[٦]، ولم يكن الوضع الاجتماعي بأحسن حال حيث التفرقة الطبقية والجهل والتخلف، وظلت الأمور على هذا الحال إلى أن تمكن الكيانان الناشئان (القعيطي والكثيري) من تغيير خارطة التحالفات، ولن نقف طويلاً عند تفاصيل النشأة والصراع على الحكم، وحسبنا أن نشير إلى ما له تأثير في الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي، ومن ثم الحالة العلمية والثقافية، حيث انتهى الأمر بتوغل قعيطي في أكثر مناطق حضرموت وسيطرة كثيرة على ما تبقى، ولخص بيان صادر عن جمعية الأخوة والمعاونة عام (١٣٦٨هـ/١٩٤٩م) الأوضاع بقوله: ((إن حضرموت في نصف القرن الرابع عشر الهجري قد بلغت منتهى درجات التأخر والانحطاط والفوضى في جميع نواحيها، سياسيا وثقافيا واجتماعيا، حيث منيت بسلاطين مستبدين، وعشائر بدوية وحضرية تثير الفتن والقلاقل لأتفه الأسباب))[٧] ، وجاءت معاهدة الحماية البريطانية مع السلطنة القعيطية عام (١٣٠٥هـ / ١٨٨٨م)، لتكون المنفذ الأول الذي فتح

شهية بريطانيا وسياستها الاستعمارية للتدخل في شؤون حضرموت، ثم معاهدة الصلح في عدن عام (١٣٣٦هـ / ١٩١٧م) لتعترف السلطنة الكثيرية بالتبعية لبريطانيا، ولحقتها معاهدة الاستشارة مع القعيطي عام (١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م) ومع الكثيري (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م) ليبدأ النظام الاستعماري بالتسلل في البلاد، وعززت هدنة انجرامس (١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م) هذا الوجود (وقد كان دخوله حضرموت هو المدخل للاستعمار وتوغله وسيطرته وبتوقيع المعاهدة فإن الحبل ترك على الغارب ليعمل انجرا مس المستشار المقيم بالمكلا ما يرى)[٨] ، وكان للآخرين أيضاً تطلعات، فقد أرسل قائد الجيوش العثمانية بلحج كتاباً إلى العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف يطلب منه اعتراف سلاطين حضرموت بتبعيتهم له[٩]، ولم تخل الساحة من معارضة لتدخلات بريطانيا سواءً أكانت فردية وهو ما عبر عنه مثلا ابن عبيد الله بأنها أشر من الاستعمار، وكذا مواقف المثقفين والشعراء، أو حركية كحركة ابن عبدات في (الغرفة) التي (تعد أول حركة إصلاحية منظمة قامت ضد الاستعمار البريطاني وحلفائه)[١٠] ، وبعد هذا لعب الاستعمار الدور الرئيس في مجريات الأحداث فاستخدم أساليب الإغراء والامتيازات لمعاونيه، وأسلوب القوة والترهيب لمناوئيه، وفي خضم هذه الأحداث جرت محاولا ت داخلية لإصلاح الأوضاع من قبل أطراف عدة ولأهداف متباينة أهمها مؤتمر الإصلاح في الشحر عام (١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م) ومؤتمر سنغافورة في العام نفسه، ورسائل السلاطين إلى المهاجرين الحضارم، ومع الاستقرار النسبي ظهرت مقدمات التنظيم الإداري ليلبي حاجة النظام ومقتضيات التغيير، وأزاحت هذه التطورات – تدريجياً – الغشاوة عن الأعين مما أفسح المجال لنزعات التحرر والتعلم ولوعن طريق الهجرة والرحلة.

وضع التعليم والثقافة :

كان النشاط الديني للعلماء والمربين عبر دروسهم ومواعظهم وفتاويهم يمثل الاستثناء في المسار العام للأوضاع، وذلك لما يمثله من مكانة في نفوس الناس، وحذر من قبل المستعمر، بيد أن نظام التعليم ونقل المعارف ظل محكوماً بالإرث التقليدي الذي ستبينه السطور اللاحقة، ولا يمكن الحديث عن تريم بمعزل عن حضرموت بشكل عام، وكما أسلفنا فإن

الضرورة تقتضي الإلمام بالحالة العامة لأنها مؤثرة في الجزء، وعموماً فعلى المستوى النسبي تشكل الأمية نسبة كبيرة في أوساط الشعب، وتوجد بضعة مدارس في قليل من المدن، وتمثل الكتاتيب والزوايا أماكن للتعليم، (وحضرموت كلها ليس للمعارف فيها سوق و لا رواج وإن وجدت بها كتاتيب للأطفال فإنما هي أمكنة صغيرة لإخراج من يؤمها من عمق الأمية إلى طرفها، وفي أمهات المدائن كتريم وسيئون وغيرها معاهد مبعثرة مقتصرة على تدريس الفقه والنحو وسرد شيء من التفسير والحديث وكلام الأسلاف)[11]، وفي تريم انتشرت زوايا العلم ومدارسه ومنها، مدرسة آل عبدالله بن شيخ العيدروس، وزاوية الشيخ علي بن أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف، وزوايا مساجد سرجيس ونفيع وسويه وبن حاتم، وزاوية الشيخ سالم بن فضل بافضل، وجاء افتتاح رباط تريم في عام (١٣٠٥هـ/١٨٨٧م) – بمساع من بعض العائلات – لينقل التعليم وطرق التدريس إلى مرحلة أكثر ترتيباً ومعرفة مع مغايرة في أسلوب التلقي والأخذ، وأول من أشرف عليه العلامة عبدالرحمن بن محمد المشهور(ت ١٣٢٠هـ) واعتنى الرباط بالتفسير والحديث والفقه والتصوف[12]، ومن روافد هذا النوع أربطة سيئون وعينات وغيل باوزير، وللعلامة عبد الله بن عمرالشاطري (ت١٣٦١هـ) سهم كبير في تاريخ الرباط والتصدر في التعليم والوعظ، كما للعلامة أحمد بن عمر الشاطري (ت١٣٦٠هـ) جهد في البحث والتدريس.

وفي نهاية القرن الثالث عشر الهجري وبداية القرن الرابع عشر ظهرت أفكار إصلاحية أخرى مغايرة للمألوف، فالأمير اليافعي عبدالله عوض غرامة يتعهد لابن قملا النجدي بنشر أفكاره، بل قام بأعمال أثارت عليه السخط، وكان يجالس العلماء، ويقرأ عليهم كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومن العلماء الذين ناصروه العلامة أبوبكر بن عبد الله الهندوان (ت ١٢٤٨هـ) وينفي المؤرخ ابن عبيد الله السقاف الزعم القائل بأن العلامة الهندوان يعلم غرامة آراء (الوهابية) ويعد ذلك غلطا كبيرا[13]، ومن المصلحين في حضرموت الشيخ علي أحمد باصبرين (ت ١٣٠٤هـ) وله أفكار تحررية في مجال علمه حيث انتقد الإغراق في التصوف وقداسة الشيوخ والتقليد المفرط في الفروع وأنكر الخرافات، ويعد أحد رواد النهضة الحديثة بحضرموت وأحد حاملي لواء التغيير والإصلاح[14]، ومن مساعي التحديث ما ورد في وثائق

مؤتمرات إصلاح حضرموت التي عقدت في عام (١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م) من إشارات إلى ضرورة إصلاح التعليم ،كما (كان لابن عبدات طموحات كبيرة في إصلاح أحوال حضرموت وتطويرها عن طريق الاهتمام بنشر التعليم)[١٥]. وفي ظل الشعاع الذي لاح في الأفق عبر المدارس والأربطة، فقد تعالت أصوات الداعين إلى التطوير والنظر إلى ما يعتمل في البلدان الأخرى من اهتمام بالعلم مع التنبه إلى ما يمكن أن يتسلل من أفكار استعمارية تبشيرية والاستعداد لمواجهتها فكتب الأستاذ محمد ابن هاشم محذراً (إن حضرموت لا تخرج عن سنن الكون الطبيعية في شيء فإذا هي لم تبدأ من الآن في إعداد العدة واتخاذ الحيطة بنشر المعارف بين طبقات الشعب وإيجاد قومية شريفة في نفوس النشء وإبدال هذه التربية والأخلاق بغيرها مما هو أصلح لمكافحة المستقبل الغشوم وأجدر باقتناص النجاح في المعترك الحيوي، وإذا هي لم تقم بالواجب العظيم ليوشكن أن تذهب يوماً ضحية إحدى هاتين البليتين)[١٦] ، وله صيحات أخرى بمقال في صحيفة حضرموت التي تصدر في المهجر (العدد ٨٩ في سنة ١٣٤٤هـ) يصف حالة بلده المتردية الواقعة بين الشقاء والفتن والأحقاد، وحكام يعيشون في أبراج عاجية وعلماء جامدين وأغنياء أعمتهم الثروة، وتجدر الإشارة هنا إلى حركة الاستشراق والدراسات الغربية التي ترددت على حضرموت على شكل رحلات استطلاعية أو سياحية ابتداء من الرحالة (فريده) في عام ١٨٤٣م، وهيرش في عام ١٨٩٣م، ثم رحلة فاندير ميلين و غ . فون ويزمان في عام ١٩٣١م بتكليف من الحكومة الهولندية وكانت رحلتهما (استشراقية بامتياز) ودراسات الإنجليزي سارجنت عن حضرموت، (واهتمت مراكز البحث الغربية والآسيوية بالهجرة الحضرمية باعتبارها عاملاً من عوامل انتقال أفكار التجديد إلى موطنهم الأصلي)[١٧]، وتركز مؤلفات الرحالة والمستشرقين والمستشارين على (تخلف التعليم والطرق والري) وهي حلقات مهمة في سلسلة أولويات التطوير حسب السياسة الاستعمارية .

ولم تكن هدنة انجرامس (١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م) إلا وسيلة لتهدئة الأوضاع لتتمكن بريطانيا من السعي في تنفيذ مخططاتها، إذ أن الفوضى الأمنية تمثل عائقاً كبيراً للتوسع، ونتج عن الهدنة بعض التنظيم الإداري الملبي لمتطلبات الحكم وخاصة في الجيش والزراعة، وظلت

عجلة التغيير تمشي ببطء بالرغم من محاولات دفعها إلى الأمام غير أن كثيراً من المعوقات وقفت بالمرصاد فالوضع العام لا يسمح بنسمات الحرية (ففي ظل تلك الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية المتردية عاشت حضرموت عزلة ثقافية حجبتها من الاتصال أو التأثر بالحركات الإصلاحية والثقافية التي كانت والجهالة المتفشية وكانت تتحكم فيها الأفكار القديمة والتقاليد البالية الأمر الذي أشاع روح اليأس والخنوع والاستسلام لمعتقدات باطلة ما أنزل الله بها من سلطان)[١٨] .

أما على المستوى الثقافي فلم يكن للصحافة والمكتبات العامة وجود (باستثناء مكتبات الأسر المشهورة بالعلم)، ولا زال للشعر سطوته كوسيلة من وسائل التعبير في المناسبات والزهد والمنظومات، وكان للشعر الشعبي حضوره القوي الذي سجل أحداثاً تاريخية والصراعات على الحكم، وقضايا اجتماعية، وسهل له الرمز والتعريض دخول مجالات كثيرة، ومن خلال قراءة بعض نصوصه يمكن التعرف على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

مسار العلم والثقافة في حضرموت مع الإشارة إلى مكانة تريم :

إثر عودة الوفود الحضرمية من المدينة ومبايعتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وفيهم وائل بن حجر الحضرمي و الأشعث بن قيس الكندي وربيعة بن لهيعة الحضرمي وامرؤ القيس بن عابس وغيرهم انتشر الإسلام في حضرموت وأرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم زياد بن لبيد عاملاً على حضرموت[١٩] وأشرقت شمس العلوم لتبدد ظلمات الجهل، وبدأ الحضارمة ينهلون من معين كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فأخذوا عن الصحابة علوم الحديث والتفسير والأحكام كعمر وبن ميمون الأزدي الحضرمي صاحب معاذ بن جبل وتلميذه[٢٠]، ونشروا تلك العلوم وظلوا على منهج السلف الصالح في العقيدة والعبادة، حتى تأثرت حضرموت كغيرها من البلاد الإسلامية بما حصل من انحرافات وفرق ابتداء بالإباضية ومرورا بالشيعة والقرامطة وانتهاء بالتصوف، وحفلت كتب التاريخ الإسلامي بذكر كثير من العلماء ذوي الأصول الحضرمية خاصة بعد هجرتهم ومشاركتهم في الفتوحات، وتبوأ بعضهم مراكز مرموقة في العلم والقضاء حتى قال الشاعر :

لقد ولي القضاء بكل أرض من العز الحضارمة الكـــرام
رجال ليس مثلهم رجـــال من الصيد الجحاجحة الضخام

وكان لهيعة القاضي يقول: أنا تاسع تسعة ولواء القضاء من حضرموت، وقيل لعبد العزيز بن مروان: (إن يونس بن عطية من سادات حضرموت) فولاه قضاء مصر سنة ٨٤ هـ[٢١].

وأورد العلامة عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف أدلة على وجود العلم بحضرموت في القرون الأولى للدعوة الإسلامية في كتابه (إدام القوت). وخلال مراحل التاريخ شهدت حضرموت وتريم على وجه الخصوص تطوراً علمياً ونهضات فكرية وثقافية تضعف أحياناً بفعل التغيرات في أنظمة الحكم والتأثير الخارجي عبر قدوم المذاهب والنحل والصراعات الفكرية، وظهرت المدارس العلمية والآراء الفقهية والعلماء في شتى فنون المعرفة وشاركوا بجهودهم في التعليم والفتيا والتأليف ومن المؤرخين الذين أشاروا إلى علماء حضرموت وتحدثوا عن أهلها، البشاري الذي قال عنهم: (أن لهم في العلم والخير رغبة)[٢٢]، ومنهم الجندي والخزرجي والهمداني، وحتى فترة الإباضية التي لم تأخذ حقها من البحث ويعتبرها بعضهم من مجاهل التاريخ الحضرمي فإن آخرين لا يستبعدون أن تكون فيها للعلم راية[٢٣]، ومن أشهر علمائهم إمامهم أبو إسحاق إبراهيم بن قيس الهمداني، ويتوسع المؤرخ ابن سمرة الجعدي في إيراد علماء تريم وحضرموت ومنهم محمد بن عبدالله الحضرمي وهو من تلاميذ الإمام يحيى بن أبي الخير العمراني (ت٥٥٨هـ) وأبا زنيج وأبا جحوش وأبا أكدر قاضي تريم الذي جمع بين القراءات السبع والفقه، وأبا بكير وابن أبي ذئب وابن أبي داوود[٢٤].

كما تتناول كتب أخرى انتشار المذهب الشافعي في اليمن وحضرموت ، وقد برع فيه وفي غيره من العلوم علماء حضرموت وتريم ومنهم، عبدالله بن عبدالرحمن باعبيد (ت ٦١٣هـ) صاحب (الإكمال) في شرح (التنبيه)، ومن العلماء المشهورين في مختلف فروع العلم آل حاتم فقهاء تريم القدامى وآل الخطيب وآل بافضل ومنهم الشيخ سالم بن فضل بافضل (ت ٥٨١هـ) الذي عاد بأحمال من الكتب وأقام نهضة علمية بتريم وسالم بن بصري (ت ٦٠٤هـ)، والمحدث علي بن محمد بن جديد (ت ٦٢٠هـ) ودور العلويين بعد دخولهم تريم، وعلي أحمد بامروان (ت ٦٢٤هـ)، وقرأ سلطان تريم عبدالله بن راشد (ت٦١٦هـ) صحيح الإمام

البخاري على الإمام محمد بن أحمد بن أبي النعمان الهجراني، وسمع الأحاديث بمكة على ابن أبي الصيف وابن المقدسي وابن عساكر، (وبلغت تريم في عهده من العلوم الدينية مبلغاً ليس له مثيل لا في حضرموت و لا في اليمن)[٢٥]، وممن اشتهر بالعلم وكتابة التاريخ محمد بن أحمد بن أبي الحب (ت ٦١١هـ)،وأحمد بن محمد باعيسى قاضي تريم (ت ٦٢٨هـ) وعبدالرحمن بن علي بن حسان (ت ٨١٨ هـ) وعبدالرحمن بن محمد الخطيب (ت ٨٥٥ هـ) وأحمد عبدالله بن علوي المعروف بشنبل (ت ٩٢٠ هـ) ومحمد بن عبد الرحمن بن شراحيل (ت ٩٢٣هـ) والطيب بامخرمه (ت ٩٤٧هـ) ومحمد بن علي خرد (ت ٩٦٠ هـ) [٢٦] وغيرهم، وفي تاريخ تريم العلمي يذكر رباط الشيخ إبراهيم بن يحيى بافضل (ت ٦٨٤ هـ) وبناء جامع تريم سنة ٢١٥ هـ[٢٧]، وعلماء التصوف في مختلف المراحل، وحصل التواصل والتزاور بين علماء تريم وغيرهم، فأقام الإمام محمد بن علي القلعي (ت٥٧٧هـ) علاقات مع علماء حضرموت وخاصة الشيخ سالم بن فضل بافضل ، واتصل نشوان بن سعيد الحميري بهم وخاصة السلطان عبدالله بن راشد والعلامة محمد بن أبي حامد التريمي وكان نزوله عليهم بمدينة تريم وبعد عودته أرسل قصيدة يمدح فيها السلطان ومن أبياتها :-

رعى الله إخواني الذين عهدتهم ببطن تريم كالنجوم العوائم[٢٨]

عليا حليف النجدة ابن محمـــد وابن أخيه الغر من آل حاتم

وكم في تريم من إمام مهـــذب وسيد أهل العلم يحيى بن سالم

والمقصود بهما علي بن محمد الحاتمي ويحيى بن سالم بن أكدر، كما قدم من مكة إلى حضرموت الشيخ عبدالله بن أسعد اليافعي (ت ٧٩٧ هـ) وقال عن علمائها :-

مررت بوادي حضرموت مسلما فألفيته بالبشر مبتسماً رحبـا

وألفيت فيه من جهابذة العـــلا أكابر لا يلقون شرقاً ولا غربا

وتشير الكتب إلى الدور الصوفي، حيث أنكر الفقهاء أول الأمر دخول التصوف، فهذا الفقيه علي بن أحمد بامروان يغضب على تلميذه محمد بن علي باعلوي (ت٦٥٣هـ) لتصوفه[٢٩]، وطغت تدريجياً طرق التصوف وأفكاره لتتشبع بها الحياة العلمية في التربية

والتلقي والتأليف والعبادة (وترك الفكر الصوفي بصماته على الحياة الاجتماعية والفكرية والسياسية بحضرموت)[٣٠]، وكثر التأليف في الكرامات والمناقب والشطحات، يقول المؤرخ صالح بن علي الحامد: (و لا أستبعد أن للروح الصوفية عملها البارز في صرف العلماء والمتنورين من رجال الماضي من الاهتمام بالتاريخ ومن صرف بعض الوقت في تدوينه فقد غمرت الموجه الصوفية الكافة من العلماء والمتنورين)[٣١] وظهر في عصر التصوف بالإضافة إلى ما تقدم علماء في فنون مختلفة وتركوا تراثا معرفيا، كان الفقه أكثره، كما كان للعلوم الأخرى حظها من الاهتمام كعلوم القراءات والتفسير و الحديث وظهر النتاج العلمي من خلال الفتاوى وشرح المتون والمنظومات[٣٢].

النهضة ، مؤثراتها و سيرها و معوقاتها :

كأي وافد جديد لا بد أن يقابل بالتوجس والحذر وربما المواجهة، فكيف إذا كان الوافد يمس مرتكزاً من مرتكزات التحكم في مستقبل الأجيال ومحاطا بسياج من القداسة والرهبة ومحكوماً بعادات متوارثة، ولقد مر بنا ما لاقته الأفكار التحررية من عنت ومحاربة وصلت إلى حد التآمر على أصحابها أو نفيهم .

وقد أشرنا آنفاً إلى تأسيس رباط تريم عام (١٣٠٥هـ/١٨٨٧م)، وما مثله من خطوة في اتجاه التغيير وظهر فيه من يحمل أفكاراً إصلاحية كالعلامة حسن بن علوي بن شهاب ، وتمثل هذا التغيير بانتقاله (من واقعه في المساجد والزوايا إلى التعليم في الأربطة ولكنه ظل مشدودا بمستوى الوعي الاجتماعي السائد خلال سنوات العقد الثالث والرابع من القرن العشرين الميلادي ومحاصراً بإطارها السياسي والاقتصادي والاجتماعي)[٣٣]، وتتابعت المحاولات عبر تشكيل الجمعيات وخاصة في سيئون وتريم ومدارسها التي تعد نوعاً جديداً في تنظيم التعليم بعد الأربطة، ولقد قوبلت بالرفض والتشكيك، وتأسست الأندية الثقافية والصحف، و كثفت الجهود في التعليم وهو محور تطلب الاهتمام به ووضعه في سلم الأولويات باعتباره مدخلاً للتغيير، ولم تتبلور الأفكار الداعية إلى الإصلاح إلا في بداية العقد الثاني من القرن الرابع عشر الهجري كما لم يشتد ساعدها إلا في الأربعينيات منه.

وبالنظر إلى الواقع، حيث عدم الاستقرار السياسي، وسيطرة الفكر الصوفي وثنائية الجهل والفقر كان لابد للرواد من الإمساك بخيوط تقودهم إلى منافذ النور، ولا ينبغي لنا — والحال هكذا — أن نتجاهل البعد الزماني والمكاني ومدى تكيف دعاة الإصلاح مع ذلك الواقع، باستخدامهم أساليب انتقائية أو ترحيل بعض الأهداف، وهذه الأعمال قد تكون تحاشياً للاصطدام مع علية القوم أو منهجاً حددوه لهم، وكانوا يتابعون — بلا شك — مجريات الأمور في محيطهم الحضرمي واليمن عامة وبلدان المهاجرين الحضارم، ودول الشام ومصر ويستفيدون من حركة التطور فيها، وقد تنوعت مؤثرات النهضة من حيث النوعية ومن حيث مصادرها فمنها الفكري والاقتصادي والسياسي والوطني ومنها الداخلي والخارجي، ولن نستخدم أسلوب الفرز الآلي لتلك المؤثرات — ولاحقاً — المعوقات لأن ذلك سيفقدها وحدتها الموضوعية فضلا عن عدم جدوى هذا الأمر في توصيف الظاهرة وتتبعها، ولا بد من التنبيه أيضاً على أن هذه المؤثرات كانت تغذي (شريان التطور) وتنتقل من طور إلى طور.

لقد أخذت قضية الهجرة الحضرمية إلى جنوب شرق آسيا ونتائجها حيزاً كبيراً من كتابات المهتمين بالنهضة في حضرموت وجعلوها سبباً من الأسباب، وقد تكونت هناك جمعيات أهمها جمعية خير (١٣٢١هـ / ١٩٠٣م) وجمعية الإصلاح والإرشاد (١٣٣٢هـ / ١٩١٤م) والرابطة العلوية التي عقدت مؤتمرها الأول عام (١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م) وغيرها، وأنشأت تلك الجمعيات مدارس ومؤسسات وصحفاً وتمكنت من نقل مجتمع المهاجرين إلى مرحلة جديدة من العلم والثقافة، وجاء تكوين تلك الجمعيات تحت تأثير الحركة الوطنية التحررية والثقافية بجنوب شرق آسيا وتأثير الصحف والمجلات العربية[٣٤]، كما كان للمقارنة بين أوضاع بلدهم وما رأوه في المهجر من مدنية وتقدم أثر في شحذ هممهم والبحث عن سبيل للخروج من أسر بعض الأوضاع التي انتقلت معهم، والهجرة في ذاتها لم تكن عاملاً مؤثراً لولا التواصل الذي ربط المهاجرين بوطنهم فأسسوا مشاريع نهضوية تحاكي ما لديهم في المهجر، بل انتقل الصراع الذي نشأ بينهم بشكل جزئي ، فحركة ابن عبدات مثلاً عبرت عن رفضها للوجود البريطاني وحملت معها أفكار الإرشاديين، وفشلت سياسياً لكنها تركت أثراً في الحياة الفكرية والثقافية والاجتماعية في حضرموت، كما أعادت تشكيلها[٣٥]، ومن

المؤثرات، حركة التأليف في العالم العربي والصحف والمجلات (كالمنار) و(العروة الوثقى) و(الوقائع) و(الأزهر)، وأفكار المجددين كابن تيمية وابن القيم والشوكاني ومحمد عبده ومحمد عبدالوهاب ومؤسسي حركة الإخوان المسلمين، والاستشراق والأفكار القومية والأثر الغربي الليبرالي[٣٦]، وهذه المؤثرات شكلت تراكما فكريا، وبعضها عند التحليل يمكن أن يتحول إلى نتيجة كما هو الحال في (الفكر القومي) فإنه ظهر متأخرا، أي بعد إرسال البعثات التعليمية الأولى إلى العراق وسوريا، كما أن الاستشراق لم يكن عاملاً أساسياً، بل رأينا تدخلاته في الصراع الفكري بين المثقفين.

ومن المؤثرات أيضاً التدفقات المالية فالأستاذ جعفر السقاف يرى أن الازدهار الاقتصادي أحدث وعيا ثقافيا وقوميا ونهضة فكرية، ويشاركه الرأي الدكتور صالح باصرة، أما الأستاذ محمد بن أحمد الشاطري فيرى أن مساهمة الثروة القادمة من المهاجرين في بناء المدارس الأهلية والمشاريع الخيرية ليست كما ينبغي[٣٧]، وهناك مؤثرات داخلية، منها وجود أفراد يتطلعون إلى التغيير ويحملون أفكارا ساهمت في التقدم، فالسلطان صالح بن غالب القعيطي (ت١٣٧٥هـ) دفع بحركة التعليم ونشر الثقافة، والأمير علي بن صلاح القعيطي (ت١٣٧٦هـ) كان مثقفا محبا للعلم، والثري أبوبكر بن شيخ الكاف يرى أن التعليم سيذيب الحزازات بين الطبقات.

أما المعوقات فأهمها، تخلف المجتمع ونشر الإشاعات والتهم، وكذا سياسة المستعمر الذي لم يسمح بأي حركة تكون سببا في ظهور أصوات معارضة لسياساته، وصدرت تبعاً للضغوط الاستعمارية توجيهات من سلطنتي حضرموت للحد من وصول الأفكار الوافدة من المهجر والبلاد العربية ومضايقة أصحابها بل وصفهم بأنهم (جراثيم شقاق مثيري أضغان وأحقاد)[٣٨].

وعموماً فقد تظافر الوعي الوطني مع العوامل الأخرى ليشكل دافعاً للنهضة ومقللاً من أثر عوائقها، وتركت تلك المؤثرات بصماتها على النتائج والمخرجات سواءً في نمو الفكر أو تحديث الوسائل مع مراعاة ظروف الواقع.

وفي تريم سارت النهضة بشكل متواز مع مدن حضرموت وحافظت على قدر من التوازن، ورأينا في ملامح النهضة التريمية خصوصية ستظهر لنا عند الحديث عن أفكار الرواد، ولم يظهر في تريم أثر للصراعات المهجرية، ومن العوامل التي تميزت بها تريم تردد

كثير من أبنائها المهاجرين المتأثرين بنهضة الحضارم في مهجرهم فبذروا فيها أساسيات النهضة، كما أن أموال آل الكاف سرعت من بناء المدارس وطباعة الكتب وإقامة المسابقات وجلب الصحف والمجلات، وأصبحت تلك الوسائل مؤثرات في المستقبل، ولا ينقص من قدر وأهمية هذه البدايات كونها كانت في نطاق ضيق من أبناء المجتمع ممن تهيأت لهم أسباب العلم والهجرة والاتصال بالعالم الخارجي.

ركائز النهضة :

أولاً : الجمعيات والوعي الوطني :

كان المجتمع في تريم يخضع للتقسيم الطبقي الموروث عبر المراحل التاريخية السابقة، وبالرغم مما تمتاز به بعض الطبقات من المزايا، ووجود حالات من السخرة والتسلط وحكم القوة، إلا إن حدة التناقضات والضغائن لم تكن موجودة كظاهرة اجتماعية، وعاش الناس بتسامح وعفوية بالرغم من وجود الفجوات الكبيرة من الناحية العلمية والاقتصادية، ولم يجمعهم كيان وطني أو اجتماعي، فمن أفراده من يعيش في انعزال عن المجتمع لايأبهون لما يجري من حولهم ، وبعضهم في تحالفات أسرية وأحلاف قبلية، وآخرون يحكمهم نظام الحويف والحارات وقد وزعت عليهم وظائف يقومون بها في المناسبات تسبب لهم أحياناً فرقة واختلافاً، وقسم يعيش في قرى (وحوط) استهلكت أوقاتهم أعمال الزراعة والكدح فلم يجدوا وقتاً للعلم أو الرقي ، وجاء نشوء الجمعيات ليكون إطاراً جديداً للعمل الجماعي والتفكير الجدي لخدمة المجتمع بشكل منظم، وأعدت الجمعيات أنظمة وقوانين حددت أهدافها ومجال أعمالها ومصادر دخلها، ولوائح داخلية تنظم سير اجتماعاتها، فكان هذا بمثابة وعي قانوني نقل الأفراد إلى مستوى الاهتمام بضوابط مدونة وليست عرفية، ومن المعروف أن السلطة الكثيرية كانت تسيطر على تريم من الناحية السياسية غير أنه لم يكن لها أي نشاط باستثناء القضاء والأمن، فملأت الجمعيات الفراغ الحاصل في الجوانب التعليمية والاجتماعية، وللوقوف على ماهية تلك الجمعيات فإن مبادئها تنص على أنها جمعيات نفع

للمجتمع تهدف لنقله إلى مستوى أفضل، و يرى بعض المؤرخين أن مطالب جمعية الحق (تأسست عام ١٣٣٣هـ /١٩١٥ م) تدل على تدخلات في السياسة، وذلك بسبب مطالبها وإقناعها سلطان تريم بالتخلي عن شؤون تريم السياسية والاقتصادية وإسنادها إليها[٣٩]، ومن أدلة ذلك أنها عقدت اتفاقية في شعبان عام ١٣٣٣هـ مع سلطان تريم محسن بن غالب الكثيري اعترف فيها أن الجمعية تعبر عن لسان حال أهل تريم ، والتزم بتولية نوابه بعد الرجوع إلى الجمعية وإعطائها الحق في انتخاب القاضي وتحصيل الرسوم[٤٠]، كما أن جمعية الإخوة والمعاونة (تأسست عام ١٣٥٠هـ /١٩٣١م) لم تهتم بالسياسة والقضية الوطنية إلا في آخر أيامها ومن ذلك قيام بعض أعضائها بالمساهمة في تشكيل (لجنة وحدة حضرموت) بتريم ، كما نظمت مسيرة أثناء زيارة الحاكم البريطاني بعدن إلى تريم[٤١] وكانت الرؤية الوطنية لدى الجيل الأخير من قادتها أكثر وضوحاً لكنها لم تترجم إلى مطالب شعبية أو استخدام وسائل ضغط لتحقيق تلك المطالب، وفي بداية تكوين الجمعيات لاقتها بعض الصعوبات وأشيعت حولها الشائعات، فجمعية الحق رأى فيها أصحاب المصالح منافساً لهم في الجاه والسلطان فحاولوا الحد من أعمالها، فناصبها العداء منصب آل العيدروس وانتهى هذا الصراع بحصار تريم، كما عارضتها الأوساط (المحافظة)[٤٢]، وعبر بعض الشعراء المتعاطفين مع المناوئين عن مواقفهم تجاهها، منهم الشاعر لشعبي الكبير عبد القادر بن عمر مبارك شيبان المعروف (بابن الشعيرة) في قصيدة ظنها البعض أنه يقصد بها جمعية الإرشاد[٤٣] .

واضطرت بعض الجمعيات كجمعية الأخوة والمعاونة لعدم الإفصاح عن توجهاتها لوجود من يرى أن مثل هذه الأفكار غريبة وأن (أي نشاط حديث الشكل والمضمون بدعة ضارة يجب محاربتها)[٤٤] .أما على صعيد النتائج، فإن جمعية الحق حققت كثيرا من أهدافها خاصة في مجال التعليم والقضاء، أما جمعية الأخوة فقد كانت نتائجها كبيرة، حيث تمكنت من إصلاح القضاء من خلال تعيين قضاة على قدر كبير من العلم والكفاءة والنزاهة من أمثال الشيخ مبارك عمير باحريش (ت ١٣٦٧هـ)، وقد تساءل الأستاذ محمد الشاطري – وهو أحد مؤسسي الجمعية – قبل عملية الإصلاح عن أوضاع القضاة وفيما إذا كانت بريطانيا ترضى أن يظل القضاء الشرعي حراً[٤٥] .

وعلى المستوى القانوني فإن مواد قانون جمعية الحق جاءت ملبية لأحلام المؤسسين الناقدة لأوضاع تريم فنصت على نصرة المظلوم والدفاع عن الحق وفض المنازعات، وهي مواد تمثل الهاجس الأمني والقضائي حيث الفوضى العارمة، ونصت مواد أخرى على تحسين مستوى التربية، وتوافقت أهداف جمعية نشر الفضائل (تأسست عام ١٣٣٨هـ /١٩١٩م) مع طبيعة مؤسسيها، وجلهم من العلماء وانحصر عملهاً في الدعوة إلى الله وبث التعليم الأولي في حارات تريم وقراها وتعليم الداخلين إليها من البادية مبادئ الدين وأطراف العلم، وفي الجانب الاجتماعي نصت موادها على ضرورة التكافل والتضامن، ونصت صراحة على عدم التدخل في السياسة، وقفزت مواد قانون جمعية الإخوة إلى فضاء أوسع وغايات أعظم محددة فئة الشباب بوصفهم مستهدفين أساسيينً ووضحت وسائل التنفيذ من مدارس وبناء مساجد لنشر تعاليم الإسلام، والخطابة والوعظ والكتب والصحف لبث الوعي والثقافة، كما كان الهم الاقتصادي واضحاً في قانونها وذلك ببناء مؤسسات مساهمة وتحسين الزراعة و الحرف، واجتماعياً دعت إلى التكافل والتعاون[٤٦]، وعلى صعيد التمويل اعتمدت الجمعيات على رسوم الاشتراك ونوعت جمعية الأخوة من مصادر دخلها عبر أموال المهاجرين وتبرعات الأعضاء وأسهم المؤسسات و أسهم هذا التنوع في انتشار الأعمال وجدواها ، وقد استمرت جمعية الحق في نشاطها حتى عام(١٣٦٢هـ/١٩٤٣م) وضعفت جمعية نشر الفضائل في عام (١٣٤٠هـ/١٩٢١م)، لتعيد نشاطها في عام (١٣٤١هـ/١٩٢٢م) ، ولم تشر المصادر التاريخية إلى أسباب تأسيس هذه الجمعية مع وجود جمعية الحق، وواصلت جمعية الأخوة إلى عام (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، وبقيت من آثارها مدرسة حملت اسمها إلى اليوم، وتكونت في بداية الستينيات من القرن العشرين (جمعية العمال) وأقامت صفوفاً لمحو الأمية وأصدرت نشرة (صوت العمال) كما أسهمت في النشاط السياسي[٤٧] .

لقد أيقظت الجمعيات الضمير الوطني، وأرست بدايات العمل التعاوني والمؤسسي وأدخلت أشكالاً جديدة في الاقتصاد كالشركات المساهمة ورسوم إصلاح السدود، ونظمت التعليم، فجمعية الحق أسست مدرسة الحق التي احتضنت طلاباً كان لهم الدور الرئيسي في تحديث التعليم وتطوير أساليب الخطابة والتأليف . وفتحت جمعية الأخوة مدارس حديثة،

وأرسلت وفودا إلى اندونيسيا وملايا وعدن والحجاز والحبشة للاتصال بالهيئات والشخصيات وتعريفهم بمبادئ الجمعية وأهدافها، واتصلت بالحكومة المصرية بطلب معلمين عملت السلطات البريطانية على عرقلة صولهم، وفي عهدها أنشئ مجلس للتمرن على الإفتاء، في عام (١٣٦١هـ/١٩٤٢م)، ووصلت في مجال الدعوة إلى الله إلى شبوة ودوعن وأسندت إليها شؤون الأوقاف، وأقامت مشاريع وشركات، ولجان لتعمير السدود، واهتمت بقضية فلسطين من خلال إنشاء (لجنة فلسطين) التي جمعت تبرعات أرسلتها عبر مصر[٤٨]، وأصدرت مجلة (الإخاء) وأنشأت الأندية الثقافية، وفتحت في عام (١٣٦٢هـ/١٩٤٣م) مطاعم للتوزيع على المحتاجين، وتواصل شبابها مع الانبعاث الفكري والثقافي عبر قنوات عدة كالصحافة العربية وقراءة الكتب المعاصرة، وأعادوا إنتاج هذا التواصل من خلال التأليف وصياغة المحاضرات التي أذكت الوعي، وفي عام (١٣٧٧هـ/١٩٥٧م) أسس المعهد الفقهي بمبادرة من بعض العلماء والوجهاء لتأهيل عدد من الفقهاء والمعلمين، وكان للاستقرار السياسي النسبي وإدخال مقدمات النظم الإدارية في بعض الدوائر الحكومية ومؤتمرات إصلاح حضرموت دور في الدفع باهتماماتهم الوطنية لكنها لم تصل إلى تأسيس كيان سياسي واضح الملامح، ومن المآخذ على الجمعيات أنها استبدت بالأمر حين اشتد ساعدها، وخفت الصوت المعارض لرئاستها، ومع مرور الزمن ظهر في بعض قادتها حب الاستعلاء والظهور[٤٩].

ثانياً: التعليم والمدارس :

وصل بنا المطاف في تتبع الوضع التعليمي بتريم إلى وجود الزوايا والكتاتيب وافتتاح رباط تريم وأعقبه دور المبادرات الأهلية والقدرات الذاتية فافتتحت مدارس أهلية دفعت بالعجلة قليلاً إلى الأمام وذلك بإدخال مقررات دراسية جديدة كالتاريخ والجغرافيا، بيد أنها ظلت تفتقر إلى المناهج والتنظيم الإداري والتعليمي، ومن أشهر تلك المدارس مدرسة الحق (١٣٣٤هـ/١٩١٥م) ويتولي الأستاذ محمد بن هاشم إدارتها في عام (١٣٤٦هـ/١٩٢٧م) أدخل عليها تطويراً في الإدارة والمادة العلمية، ثم أسست مدارس جمعية نشر الفضائل

(١٣٣٧هـ/١٩١٨م)، واهتمت بمبادئ التعليم والوعظ ، وفتحت في مدن وقرى حضرموت مدارس شبيهة بتلك المدارس منها، (الخيرات) بتريس (١٣٢٧هـ/١٩٠٥م) و(مكارم الأخلاق) بالشحر (١٣٣هـ/١٩١٨مـ)، و(النهضة) بسيئون (١٣٣٩هـ/١٩٢٠م)، و(الهدى) بالقطن (١٣٣٩هـ/١٩٢٠م)، و(الفلاح) بشبام (١٣٥٨هـ/١٩٣٩م)، و(طرموم) بالغرفة (١٣٤٢هـ/١٩٢٣)، و(المدارس العيدروسية) بتاريه وثبي والريضة[٥٠]، ومدارس الكاف، وظل هذا النوع من التعليم محصوراً في دائرة ضيقة تنقصه الموارد المالية والمعلم المؤهل ، بيد أنه استقطب عدداً من التلاميذ ودفع بالقائمين على الكتاتيب إلى فتح مدارس مشابهة ، وبقيت أساليب التلقين التقليدي وعدم مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ تحد من تطوره ، وحافظ هذا النوع على ربط التلاميذ بالمساجد لتلاوة القرآن الكريم ، وأدخلت فيه بعض الأنشطة والمفاهيم التي لم تعرف من سابق كالأناشيد وإقامة الاحتفالات والمسابقات البسيطة والرحلات .

تميزت (مدرسة الحق) عن غيرها أنها جمعت بين مشايخ العلم التقليديين ورواد النهضة وأصحاب المال، ونتج عن هذا التعاون ثمرة مهمة ألا وهي تخريج عدد ممن ذاع صيتهم في مجالات عدة فمنهم العلامة سالم بن سعيد بكير رئيس مجلس الإفتاء حين تأسيسه، والقاضي مبارك عمير باحريش، والأستاذ التربوي المؤرخ محمد بن أحمد الشاطري، والأستاذ صاحب الجهد الكبير في الثقافة والأدب محمد بن سالم السري، ورجل المشاريع والعمل الاقتصادي عمر المحضار بن علوي الكاف، والقائد التربوي الأستاذ علي بن شيخ بلفقيه، ومن هؤلاء من أسس جمعية الأخوة والمعاونة وشارك في العمل النهضوي، وكان (لمدارس الكاف) سهم في هذا النوع من التعليم وتحسنت أحوالها بتولي التدريس فيها الأستاذ شيخان الحبشي في الأعوام (١٩٤٧ — ١٩٤٨ — ٤٩ ١٩م)[٥١]، وبحلول عام (١٣٥٢هـ / ١٩٣٢م) بدأت دورة جديدة في مسار التعليم وذلك بافتتاح أول مدرسة لجمعية الأخوة والمعاونة بمنهجها الأكثر تطورا حيث اقتبس من المنهج المصري، وفي عام (١٣٥٧هـ/١٩٣٨م) افتتحت مدرسة للبنات ثم أغلقت عام (١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤م). وفي عام (١٣٥٩هـ /١٩٤٠ م) افتتح المستوى المتوسط لمدرسة البنين وأصبح بمقدور الطالب بعد هذا المستوى المشاركة في

الحياة العامة والتأهل لمستوى أرقى وهو ما حصل على أرض الواقع حيث شق كثير من الطلاب طريقهم وحصلوا على وظائف داخل حضرموت وخارجها، وأوكل آل الكاف نظارة مدارسهم للجمعية، ومن أجل تكامل أعمالها وتنفيذ أهدافها أقامت الجمعية معهداً للمعلمين في عام (١٣٦٠هـ/١٩٤١م)[٥٢]، وفي عام (١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م) تم دمج مدرسة الأخوة مع مدرسة الكاف في مدرسة واحدة سميت (مدرسة الأخوة والكاف المشتركة) ثم ألحقت بمعارف الدولة الكثيرية عام (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، وحصل تعاون وإشراف غير مباشر من قبل إدارة معارف السلطنة الكثيرية عن طريق انتداب معلمين لمدارس الجمعية والتنسيق في بعثاتها إلى الخارج[٥٣].

وتجربة مدارس جمعية الأخوة جديرة بالتحليل لرصد أبرز مظاهرها، فهي أولاً حققت الهدف التربوي الذي نص (على الاهتمام بالتربية والجمع بين المقصد الديني وتمكين خريجيها من شق طريقهم في معترك الحياة)[٥٤] ومن ناحية أخرى يعد هذا التوسع انطلاقة غير مسبوقة في مجتمع مغلق، كما أن الاهتمام بالإناث وفتح مدرسة لهن خطوة رائدة، ومن سمات هذه التجربة التدرج والتسلسل في فتح المدارس حسب الظروف، وفي مجال التعرف على تجارب المدارس الأخرى نظمت زيارات إلى مدارس الهدى بالقطن والفلاح بشبام والنهضة والكاف بسيئون، كما أنشأت (جمعية التعارف الحضرمي) في مؤتمر (المشهد) وسعت إلى توحيد مناهج التعليم، ووضعت – ولأول مرة – كتب مدرسية تتفق مع هذا التطور ومن أوائل المعلمين الذين اهتموا بالتأليف المدرسي الأستاذ محمد بن هاشم[٥٥] ، كما – ولأول مرة أيضاً – ترسل الجمعية من تريم بعثات من طلابها إلى الدول العربية، فالبعثة الأولى إلى العراق عام (١٣٥٦هـ/١٩٣٧م) وتكونت من ثلاثة طلاب والثانية إلى سورية عام (١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م) مكونة من خمسة طلاب، وللتواصل مع البلدان العربية ندبت علي بن محمد بن يحيى لتمثيلها في (مؤتمر الطلبة العرب) الذي تقرر عقده بمصر عام (١٣٥٧هـ/١٩٣٧م)[٥٦]، ومن المظاهر الحسنة الاهتمام بالقضاء والفتيا وتدريب المعلمين، وكل هذا يدل على شمولية حركة الجمعية.

وبحلول نهاية الخمسينيات من القرن الرابع عشر الهجري (أربعينيات القرن العشرين الميلادي) نشأ التعليم النظامي الحكومي في حضرموت (وبطلب من انجرامس قام المستر قريفس عميد معهد التربية (بخت الرضا) بالسودان بزيارة إلى ساحل ووادي حضرموت عام (١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م)، وأثمرت الزيارة عن وضع خطة لتنظيم التعليم في حضرموت وحدد انجرامس هذه الخطة بحيث تؤهل أبناء النخبة وكوادر لخدمة المستعمر، أما إدارة معارف السلطنة القعيطية فحددت أهدافها بمحو الأمية في المرحلة الابتدائية وتأهيل كتبه و (ضاربين على الآلة الكاتبة)، وبالنسبة للجماعات ذات (النفوذ الروحي والسلطان) فلا ترى في التعليم إلا التربية الإسلامية ولا يجوز تطاول فئات اجتماعية أخرى على ذلك)[٥٧] .

وبوصول الشيخ القدال سعيد القدال المعلم السوداني وتحمله مسؤولية التعليم في السلطنة القعيطية وتعاونه مع السلطنة الكثيرية بدأت مناطق السلطنة القعيطية تشهد نشاطاً تعليميا معلنة بداية عهد جديد من التعليم الحكومي، وبلغت مدارس السلطنة القعيطية بنهاية عام (١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م) (٢٤) مدرسة ليصل إلى (٣٥) مدرسة عام (١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠م)، وافتتحت أول مدرسة ابتدائية للبنين في المكلا وأخرى للبنات، ثم افتتحت أول مدرسة وسطى للبنين بالمكلا عام (١٣٦٠هـ/١٩٤١م) والمعهد الديني بغيل باوزير (١٣٦٨هـ/١٩٤٩م)، والمدرسة الحربية بالمكلا (١٣٦١هـ/١٩٤٢م)، ومدرسة تدريب الموظفين (١٣٦٣هـ/١٩٤٤م)[٥٨]، وللمدرسة الوسطى بغيل باوزير التي تأسست في العام نفسه شأن كبير في تطور التعليم في حضرموت، وكان من المقرر أن تفتح في سيئون غير أن ذوي الشأن لم يقابلوا الفكرة بالارتياح، واستمرت تستقبل أفواجاً من الطلاب من مدن وقرى حضرموت حيث بلغوا ٢٥ دفعة ابتعث منهم إلى الخارج ١٦٧طالباً ثم عادوا ليصبحوا قادة ومسئولين في المجالات السياسية والتربوية والاقتصادية كافة [٥٩] .

أما في السلطنة الكثيرية فلم تأخذ خطة قريفس حظها من التنفيذ، فالمدرسة الوسطى حولت، وافتتحت أول مدرسة ابتدائية في سيئون في عام (١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م)، وفي (١٣٧٤هـ/١٩٥٤م) افتتحت مدرسة في الردود ومدارس في تريس والحوطة وساه وأعانت السلطنة خلال هذه الفترة التعليم الأهلي، وفي عام (١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م) افتتحت مدرسة

ابتدائية للبنات، أما أول مدرسة وسطى بالسلطنة فقد افتتحت بسيئون عام (١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧م)، وتأخر افتتاح أول ثانوية للبنين إلى عام (١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م)، وفي عام (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) بلغ عدد المدارس الابتدائية (١٠) مدارس و (٥) مدراس متوسطة، وعين الأستاذ علي بن شيخ بلفقيه كأول ناظر لمعارف الدولة الكثيرية عام (١٣٦٨هـ /١٩٤٩م)، وبمقارنة حسابية بين مدارس السلطنتين نجد أنها بلغت في العام (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) (٩٦) مدرسة ابتدائية، و (١٧) مدرسة متوسطة في السلطنة القعيطية أما في السلطنة الكثيرية فقد بلغت (١٠) مدارس ابتدائية و (٥) مدارس متوسطة، (وحصل تنسيق بين معارف السلطنتين في مسائل البعثات وحضور المؤتمرات وتأليف الكتب وتوحيد امتحانات القبول في المدارس المتوسطة وتبادل المعلمين)[٦٠]، وعقد بسيئون عام (١٣٧٤هـ/١٩٥٤م) المؤتمر التربوي لمناقشة أوضاع التعليم الأهلي والحكومي .

كما بعثت السلطنتان وفداً ثقافياً حضرمياً إلى البلاد العربية عام (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) لتتمكن من الحصول على بعض المنح والمساعدات المالية والبعثات التعليمية ، وبعثت معارف الدولة الكثيرية طلاباً إلى عدن وبريطانيا والكويت والسودان ففي عام (١٣٧٤هـ/١٩٥٤م) بعثت (٥) طلاب إلى مصر وآخرين إلى المعهد الديني بغيل باوزير ومدرسة المعلمين وثانوية المكلا[٦١]، ويدل هذا التشجيع على التكامل بين مدن وقرى حضرموت وتجانسها ومثل ضربة قاصمة للحواجز المصطنعة والتجزئة التي فرضتها معاهدات الحماية والاستشارة، ومقدمة لتحسين مستوى الحياة المعيشية التي كان الجهل أحد أسباب تدنيها، وظلت أيادي المستعمر تتدخل في شؤون التعليم سواء من خلال السيطرة على المناهج والمقررات الدراسية، أو بمنع بعض المعلمين العرب من القدوم إلى حضرموت، ووصل الأمر إلى التحقيق مع المعلمين[٦٢] .

وفي تريم الواقعة إدارياً في كنف السلطنة الكثيرية برزت مفارقات غريبة، فهي المدينة التي كان لمدارسها الأهلية قصب السبق في تنظيم التعليم والابتعاث إلى الخارج، وفي التواصل المستمر مع المهاجرين الحضارم، غير أن التعليم الحكومي لم يدخلها إلا متأخراً مقارنة بغيرها من مدن حضرموت، ففي التعليم الابتدائي الحكومي سبقتها قراها المحيطة بها التابعة للدولة القعيطية فافتتحت مدارس حكومية في كل من عينات (١٣٦٦هـ/١٩٤٧م)، ودمون

(١٣٧٨هـ/١٩٥٨م)، وثبي (١٣٨١هـ/١٩٦١م)، والكودة (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، أما في تريم ذاتها فكانت أول مدرسة حكومية في(١٣٨١هـ / ١٩٦١م) بافتتاح المدرسة الوسطى، وفي عام (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) افتتحت مدرسة ابتدائية للبنات ، ثم انضمت مدرسة الأخوة إلى التعليم الحكومي عام (١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م)، وهكذا فإن الفارق الزمني بين أول مدرسة حكومية في تريم وأول مدرسة في السلطنة القعيطية قرابة ربع قرن وبينها وبين أول مدرسة في سيئون قرابة عشرين عاما[٦٣]، والغريب أيضا أن هذا التأخر لم تشر له – مع وضوحه – أي من الكتب التي تحدثت عن التعليم في حضرموت، ويبدوا أن من أسباب هذا وجود عقليتين إحداهما تنظر إلى المستقبل محاولة تلمس طريق يقود المجتمع إلى التطور، وأخرى متشبثة بالماضي تظن أن انتشار التعليم الحكومي سيسحب البساط من تحت أرجلها ويفقدها امتيازاتها، وقد رأينا معارضة شديدة لفتح مدارس حكومية في بعض القرى والتي تصنف على أنها (حوط) لا يجوز إحداث شيء فيها من الأمور العصرية، واستخدم بعض الوجهاء والمسيطرين على الأمور نفوذهم لعدم فتحها، وبتكاثر مخرجات المدارس الابتدائية في القرى اتجه الطلاب إلى المدرسة الوسطى ومدارس السلطنة القعيطية لمواصلة الدراسة ففي المدرسة الوسطى بالقطن (افتتحت عام ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م) وجد الطلاب قسماً داخلياً وأنشطة ثقافية ورياضية، وتوجه آخرون إلى مدينة غيل باوزير حيث المعهد الديني والمدرسة الوسطى.

وأشرفت معارف الدولة الكثيرية بصورة أو بأخرى على مدارس تريم الأهلية والحكومية، وتواصلت مع مبعوثي تريم في الخارج، كما جرت مراسلات بخصوص بعثات تعليمية أخرى وعمل عدد من التربويين والمثقفين والموظفين في دوائر التربية والخدمات في المكلا وسيئون ووصلوا إلى مواقع القرار، وعموماً فإن هذه التأخر لم يشكل عائقاً كبيراً في وجه الجهود الفردية والانطلاق إلى حيث يوجد العلم والمدارس والمعاهد، كما أن تلك المدارس القليلة في المدينة كانت شعلة من النشاط والحيوية في القراءة والثقافة والمسرح.

لكننا في المقابل لم نر بعض الفعاليات التي كانت تعج بها مدارس القطن والمكلا والغيل و سيئون خاصة في النشاط السياسي والطلابي ولم تفلح محاولات الدفعات الأولى من طلبة تريم المبعوثين إلى الخارج في تكوين إطار سياسي طلابي .

ثالثاً : منابر وأنشطة ثقافية :

أ) الأدب والثقافة والتأليف :

طغى الشعر على كل ألوان الإبداع الثقافي والأدبي في فترة ما قبل النهضة الحديثة وذلك تبعاً للجمود الفكري العام، ووجدت كتابات أدبية ومقالات تأملية صوفية (وتغلب الأدب الصوفي على القافلة الأدبية في القرن الحادي عشر وما بعده ولعل للأحداث السياسية والحياة أثرها ... لكن هذا اللون أصيب بالعقم في ثلاثينيات القرن الرابع عشر الهجري وأصبح في خبر كان ... وكان أشياخ التصوف يحذرون من قراءة بعض الدواوين والمجلات)[٦٤]، وعبر هذا الأدب عن الفكر السائد ودار في فلكه .

وحدث انقلاب شعري – بحسب وصف الأستاذ عبد القادر الصبان(ت١٤١٩هـ)– بطرق مواضيع كانت محظورة، ويعد الشاعران أبوبكر بن عبد الرحمن بن شهاب (ت١٣٤١هـ) و عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (ت١٣٧٥هـ) من زعماء هذا الانقلاب ، وأفسحا في قصائدهما مساحة للنقد الاجتماعي خاصة لظاهرة المداهنات والعادات غير الحسنة، كما انتقد الوضع الاجتماعي الشاعر محمد بن علوي السقاف، أما الشاعر صالح بن علي الحامد (ت١٣٨٦هـ) فقد نحا بشعره إلى تصوير الطبيعة والتغني بجمالها متأثراً بما رآه في المهجر، وجاء الشاعر علي أحمد باكثير(ت١٣٨٩هـ) متأثراً بالفكر الإرشادي فكانت روايته (همام أوفي بلاد الأحقاف) التي أصدرها عام (١٣٤٩هـ/١٩٢٩م) ، لتكون صيحة نذير على أوضاع حضرموت الاجتماعية وما آل إليه حال العلم فيها حتى أصبح إرثا يتوارثه الأبناء عن الآباء من غير نظر إلى الجدارة والاستحقاق[٦٥] .

ازدهرت في تريم حالة الأدب والثقافة عبر الجمعيات والأندية الثقافية التي من أهمها نادي الشبيبة المتحدة (تأسس عام ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م) وأقام احتفالات ومحاضرات وأنشطة اجتماعية ورياضية، ونادي الإخاء الأدبي (١٣٥١هـ/١٩٣٢م)، وبذل آل الكاف أموالا لدعم الأدب وكان دعم الوجيهين عبدالرحمن بن شيخ الكاف (ت١٣٦٧هـ) وأبوبكر بن شيخ الكاف (ت ١٣٨٥هـ) عاملا من عوامل التطور وساهما في إقامة مباريات الشعر والإنشاء البلاغي في عام (١٣٥٢هـ /١٩٣٣م)، وكذا تشجيع الشباب على حفظ القرآن الكريم[٦٦]،

وحصل تواصل أدبي وثقافي عبر المراسلات الأدبية والكتابة في المجلات المصرية وزيارات الأدباء كالقاضي أحمد بن محمد الحضراني الذي زار تريم عام (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م)، وانتشر الوعي بسبب الأندية وسانده نشاط المدارس والصحافة ، وهو نشاط خلاف ما اعتاده المجتمع.

وفي تصديره لكتاب (تاريخ الدولة الكثيرية) للأستاذ محمد بن هاشم يقول الأستاذ محمد بن علي الجفري متحدثا عن قادة النهضة : ((لن يستطيع – ولو أراد – أي متصدر لتاريخ النهضة الحضرمية أن ينكر أو يتجاهل هذه الحقيقة الخالدة وهي أن هذا النفر من الأفذاذ هم قادة النهضة الحضرمية الحديثة وواضعو أسسها وأول من أراد إزالة الغشاوة عن أعين قومهم وبالتالي أول من واجه العاصفة التي لا بد أن يواجهها كل مجدد يهدف إمالة قومه عن منهج اعتادوه أو جهالة أنسوا إليها أو تقاليد ابتدعوها فأصبحت فيهم بمثابة الدين الذي لا يأتيه الباطل من أي الاتجاهات))[٦٧] .

ورواد هذه النهضة كثر، ففي ساحل حضرموت يذكر الشيخ عبدالله عوض بكير (ت١٣٩٩هـ) في الإصلاح القضائي والعالم الفقيه محسن جعفر بونمي (ت١٣٧٩هـ) والأستاذ أحمد عوض باوزير في الصحافة والأستاذ سعيد عوض باوزير(ت١٣٩٠هـ) في التربية والثقافة والتاريخ والشيخ عبدالله الناخبي (ت١٤٢٨هـ) في التربية والتعليم، وهو صاحب فكرة إنشاء المكتبة السلطانية بالمكلا، والاستاذ محمد عبدالقادر بامطرف (ت١٤٠٩هـ) في التاريخ والثقافة، وفي سيئون العلامة عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف (ت ١٣٧٥ هـ) في العلم والتاريخ والثقافة والأدب، والأديب علي بن أحمد باكثير (ت ١٣٨٩هـ) في الصحافة والأدب، والشاعر المؤرخ صالح بن علي الحامد (ت ١٣٨٧هـ) في الشعر والتاريخ ، وفي القطن الشيخ محمد بن علي بافضل (ت١٤٠٤هـ) في الدعوة والتعليم، وغيرهم ممن شاركوا في قافلة النهضة .

وأخذ أعلام تريم نصيباً يتفق مع جهودهم الكبيرة، ولن نبخس العلامة حسن بن علوي بن شهاب (ت ١٣٣٣هـ) حقه فهو من أوائل رجال الإصلاح الحضرمي في عهد التنوير[٦٨] ، كان عالماً فقيهاً ملتزماً بالسنة ، وفي كتابه (نحلة الوطن)الذي طبع في سنغافورة عام (١٣٢٣هـ/١٩٠٥م)، آراء إصلاحية وانتقادات (استعنى منها بعض المشهورين بالعلم

وبعض المشهورين بالثروة فأثارت عليه غضباً)[٦٩] وهي رسالة تاريخية قيمة لأنها صدرت من عالم خبير بأحوال حضرموت ومعلم سابق برباط تريم، فجاءت عباراته صريحة ومخارجه عملية، وقد مهد لرسالته بعرض لأسباب أوضاع وطنه، وذكر منها : سكوت العلماء وفقد شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن الحلول الناجعة التي وضعها للإصلاح، تغيير أساليب التعليم وإصلاح أحوال المعلمين، ونشر التعليم بين الناس دون استثناء، ودعوة الأغنياء للإنفاق في سبل العلم وبناء المدارس، وقد حدثت بسبب هذه الرسالة معركة فكرية، بدأها سعيد بن علي الظفاري بـ (إتحاف أهل القبلة بالرد على صاحب النحلة)، فرد عليه أحمد فهمي صدقي الدسوقي من مصر برسالة (الإنصاف بين النحلة والإتحاف) ، ولعلامة حضرموت عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف موقف مساند لصاحب النحلة[٧٠] ، وممن أشاد بالعلامة ابن شهاب الأستاذ ابن هاشم في مقال بعنوان (حتى متى هذا الحال؟)، نشر في صحيفة (حضرموت العدد(٨٩) شعبان١٣٤٤هـ حيث يقول عنه : (لقد كان أول من صدع برسالة (نحلة الوطن) دياجي الجمود المتكاثفة، وأول من صرخ فصرح بالنعي على أبناء تلك البقاع وقوفهم عند حالتهم الحاضرة وعدم تزعزعهم عن ذلك الموقف المشين).

وفي الأدب والشعر فإن الشاعر أبوبكر عبدالرحمن بن شهاب (ت١٣٤١هـ) أحد الرواد في مجال التأليف والبحث، وجاء شعره في فترة فاصلة بين عصرين حيث يحسب له التجديد في معاني الشعر وأغراضه وخاض في أغراض لم يطرقها من في عصره[٧١] ومنها (تغزله المكشوف ووصفه للحمى)[٧٢] وله نزعة رافضية عبر عنها في أشعاره ومؤلفاته، ووصف للخمر وكؤوسها، ومن بديع شعره:

ضحكت أزاهير الحدائق والربى ... وسرت برياها النعامى والصبا

والطير في عذباتها تهدي إلى ... أسماعنا السجع الرخيم المطربا

وفي مرثية قالها في زوجته :

لقد قطفت يد الأيام غضا ... محل غراسه قلبي العميد

أحال الدهر رونقه وأذوى ... نضارة عوده الزمن العتيد

أنشبت المنية فيه ظفرا ... فكاد الحي من جزع يميد

وكشف في قصائده أساليب مدعي الولاية والزهد، يقول عنهم :

معط الذئاب الناطقات هم الأولى جعلوا التصوف صنعة للداجل

ويأتي الأستاذ محمد بن هاشم بن طاهر (ت ١٣٨٠هـ) ليدلي بدلوه في مجالات عدة فقد كسب خبرة علمية تربوية في مدارس جاوه، وعاد إلى تريم مربياً وإدارياً، وعمل بالصحافة المهجرية كاتباً ورئيساً للتحرير وكتب في مجلة (المنار) المصرية فارتفعت مجلة (الإخاء) التريمية بمقالاته رتبة جيدة وحملت نكهة خاصة، أما السياسة فله فيها مشاركة من خلال منصبه كسكرتير للدولة الكثيرية، وكان في مقدمة الصفوف الأولى في تأسيس الجمعيات والأندية الأدبية والصحافة[٧٣]، ويصف لنا الأديب أحمد بن عبد الله السقاف(ت ١٣٦٩هـ) محاولا ت ابن هاشم في إصلاح أوضاع حضرموت فيقول :

رأى ما بوادي حضرموت فســـاءه وأشفق إشفاق الغيور على الحـمى
فهب إلى الإصلاح يدعو رجالـــه فصاح به في الشعب جهل تحكمـا
رويدك إن القوم في سكرة الهـــوى يرون التمادي في الجمود تقـدمـا
فما خلقوا في الأرض إلا ليبتنـــوا قصورا ويفتنوا شرابا ومطعـــمـا

وعن أسلوب كتابته يقول الأستاذ محمد الشاطري: (إن أسلوب ابن هاشم هو الأسلوب البليغ الذي نسجه على منوال أسلوب عبد الحميد وابن المقفع والجاحظ وابن العميد)، وفي (الإخاء) كتب بهذا الأسلوب مقالات في الأدب والثقافة والتربية، ولأن الرجل وضع نصب عينيه مسألة التعليم كهدف أولي له، فإن هذا الميدان تطلب منه صبرا ومجاهدة لما واجهه من عراقيل، ففي المحاولات الأولى في (مدرسة الحق) يتحدث قائلا: ((استطعنا أن نزيد في برنامج التعليم فنونا جديدة منها التوحيد والتاريخ والميقات والجغرافية والإنشاء والمطالعة العربية . فكان لهذا البناء فزعة هائلة في الدوائر العامة والأوساط المحافظة، غير أن الإدارة لم تعبأ بشيء من هذه الزعقات المزعجة))[٧٤]، أما في التاريخ فإن كتابه (الدولة الكثيرية) وثق لمرحلة مهمة من تاريخ حضرموت، فهو يتحدث فيه عن علاقات السلاطين مع المؤثرين في مجريات الحياة من علماء ووجهاء، ويربط هذه العلاقات بروابط سياسية تهدف لإزاحة حاكم

أو تقوية شوكة آخر، وله رأيه في قضايا التاريخ الحضرمي كالحديث عن فترة الإباضية – وهي عقدة أغلب مؤرخي عصره – ووقف مع الرأي القائل بأن من أهداف الدولة الكثيرية محو المذهب الإباضي .

وفي الشعر لا يخطئ القلم قصائد الأستاذ زين العابدين بن أحمد الجنيد (ت ١٣٦٤هـ) الذي قال عنه الأستاذ ابن هاشم : (ولشعر الجنيد رونقه وبهاؤه اللذان ينبعان من سلاسة ألفاظه) ، وجمع في شعره بين التصوير للواقع والدعوة للوحدة الإسلامية ، ومن أبيات قصائده مصورا واقع العلم في حضرموت عام ١٣٥٢هـ : -

وعلى العلم والمعارف أمسى الـ ـ حضرمي يجر ثـوب الحـــداد
يا بني حضرموت هبوا لنفع الشـ ـعب بالقلم والهدى والرشـاد

وفي قصيدة أخرى متحدثا عن أحوال البلاد :

فالعلم دولته تقلص ظلـــها والجهل خيـم في البلاد وصـالا
والجور تمطره سماء مصائـبـاً والعدل أصبح في الزمان خيـالا[٧٥]

وللأستاذ محمد بن أحمد الشاطري (ت ١٤٢٢هـ) مساهمات، فهوا أبرز خريجي مدرسة الحق وأحد مؤسسي جمعية الأخوة والمعاونة، فصال بقلمه وجال في التاريخ، وكتب المقالات والخطب والمحاضرات وله آراء في القضاء والسياسية ، وفي ديوانه اهتمامات بالتربية وإصلاح النشء وتعليم الفتاة، وفي قصيدة (رؤيا) التي قالها وهو في العشرين من عمره متابعة لأحوال وطنه، حيث يقول على لسان حضرموت :

أنتم يا بني ضيعتمونـــي فتأخرت عن جميع البـلاد
في علوم وفي نظام وفي خصب وفي ثروة وفي الاقتصـاد

وفي التاريخ جاء كتابه (أدوار التاريخ الحضرمي) ليضيف للمكتبة الحضرمية أبحاثاً خرجت عن طريقة التأليف السابقة، وشارك كغيره من مؤرخي عصره في المعارك الفكرية الدائرة حول قضايا التاريخ الحضرمي وحاول أن يمسك العصا من الوسط في بعض تلك القضايا.

أما الأستاذ أحمد بن زين بن حسن بلفقيه (ت ١٤١٣هـ) فيعد أكثر تحرراً ووعياً وأبعد رؤية سواء في شعره أو في مقالاته، وإذا كان ابن شهاب حلق في فضاءات عدة واهتم الشاطري بالتربية وأبدع ابن هاشم في كتاباته فإن بلفقيه استوعب الأحداث العربية والإسلامية التي عاصرها من ثورات وحركات إحياء وتجديد وغزو فكري غربي ومذاهب فكريه تؤله (المادة والطبيعة) وهو من الرعيل الأول الذين ساهموا في العملية التربوية والتعليمية في تريم، وقد انضم إلى جمعية الأخوة والمعاونة بتريم بعد إنشائها ببضعة شهور، وانتخب في وظيفة (نائب الكاتب) بالجمعية عام ١٣٥٨هـ، وسافر عدة مرات في مهام تربوية إلى القرن الأفريقي والسعودية ومصر، ومن ضمن تلك المهام جمع تبرعات لبناء مدرسة. وعمل في مجالات تربوية كثيرة حيث كان مدرسا في مدرسة الكاف، ومن الأساتذة الكبار في مدرسة الجمعية كما رحل إلى تنزانيا واشتغل بالتدريس هناك، وفي عام (١٣٥٩هـ/١٩٤٠م) عين في المدرسة الوسطى بتريم وعمل مديرا لها، ولظروف وأسباب مختلفة ترك المدرسة وغادر تريم إلى عدن وشارك بعلمه وتدريسه بالمعهد الإسلامي هناك مع الشيخ البيحاني وبعدها تحول إلى المدارس الحكومية وموجها بقسم التوجيه التربوي بوزارة التربية والتعليم، وجاءت أشعاره ومقالاته مؤيداً ومناصراً لقضايا أمته ومجدديها ومعارضاً ومحذراً من الأفكار الهدامة، وتفيض القصائد بالبعد الإسلامي وتغوص في أعماق النفس البشرية وما يطرأ عليها من تقلبات، ويركز بشكل رئيس على ما يموج به الواقع الصغير (موطنه تريم وحضرموت واليمن) ويحلق في فضاء واسع حيث واقع المسلمين من الجزائر وزنجبار غربا إلى الهند شرقا، ومن أبيات قصائده التي تتطلع للنهضة :

نحـن في حاجـة إلى كـل فهّـا م يـنير العقـول والأذهـان

وله كتاب(تأملات في الدين والاجتماع) ومحاضرات منها، محاضرة ألقاها في تريم عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) بعنوان(الإسلام والإصلاح السياسي)[٧٦].

ومن أوائل المهتمين بنشر الثقافة وتنظيم الندوات والاحتفالات الأستاذ محمد بن سالم السري فهو (من أحسن الأمثلة في تريم بل في جميع حضرموت للشباب الواعي الفاهم

المتحرر المستنير ..... ، كان الفارس المجلي في جميع أوجه النشاط الأدبي والثقافي والاجتماعي الذي كانت تقوم به جمعية الأخوة والمعاونة بتريم في بدايتها)[٢٧]، تولى التدريس في المستوى المتوسط بمدرسة جمعية الأخوة وأحد كتاب مجلة (الإخاء) .

وممن نذكرهم على سبيل المثال لا الحصر الأستاذ حمزة بن عمر العيدروس، وتوفيق فرج أمان (ت١٣٥٩هـ)، ومحمد بن محسن الهادي، وعمر المحضار بن علوي الكاف، والقاضي مبارك عمير باحريش(١٣٦٧هـ)، والعلامة سالم بن سعيد بكير باغيثان (ت١٣٨٦هـ)، فهولاء عملوا بالهيئات والمؤسسات والجمعيات والمدارس، وبعضهم يعد رائداً في تخصصه، وعلما في فنه، كعمر المحضار في جانب الزراعة والاقتصاد، وتوفيق أمان في التربية، والقاضي باحريش في نزاهته وإصلاح القضاء وطريقته في التدريس، والأستاذ علي بن شيخ بلفقيه كأول ناظر لمعارف الدولة الكثيرية .

ومن المعارك الفكرية التي دارت في بدايات النهضة لكنها في المهجر ، ما أثاره كتاب محمد بن عقيل بن يحيى (ت ١٣٥٠هـ) (النصائح الكافية لمن يتولى معاوية) فرد عليه الشيخ حسن بن علوي بن شهاب (ت ١٣٣٣هـ) بكتاب (الرقية الشافية من نفثات سموم النصائح الكافية لمن يتولى معاوية) فند فيه مزاعم بن يحيى وما يحمله من تشيع ، فبادر الأديب الشاعر أبوبكر بن عبد الرحمن بن شهاب (ت ١٣٤١هـ) بالانتصار لتلميذه ابن يحيى متبنيا مسلكه الرافضي وألف (وجوب الحمية من مضار الرقية) ودارت المعركة في بلاد المهجر ، بين فارسين من رجالها من أبناء تريم ، وقد شاركت فيها مجلة (المنار) ووصل أثرها إلى حضرموت.

ولا بد من ذكر شخصية ترتبط بقضايا التأليف والبحث في حضرموت جمعته بأدباء ومؤرخي عصره مناقشات وردود بحثية ألا وهو الأستاذ الباحث عبد الله بن حسن بلفقيه (ت١٤٠٠هـ) من كتاب صحف المهجر، محاضراً، شارك في تأسيس جمعية الحق ونادي الشبيبة المتحدة بتريم ومجلس الإفتاء الشرعي والمعهد الفقهي، كما كان وكيلاً لمجلة (الرابطة العلوية) التي كانت تصدر في اندونيسيا وترسل إلى تريم عبر عدن .

ومما تميز به بلفقيه عن معاصريه أنه دخل في معارك فكرية مع عدد من الباحثين في تلك الفترة التي شهدت تأليف كتب تاريخية خرجت عن الطريقة القديمة في التأليف التي كانت

مهتمة بالحوليات والمناقب والتراجم والكرامات وتاريخ الأسر، حيث ظهرت أبحاث تقسم التاريخ الحضرمي حسب مراحله الزمنية وتتوسع في الحديث عن الجوانب العلمية والثقافية والسياسية والصراعات الفكرية، وأثيرت حينها أسئلة لم تثر من سابق مثل وجود العلم والثقافة بحضرموت قبل دخول المهاجر، وفترات الإباضية، ودخول المذهب الشافعي حضرموت، واحتدم النقاش عبر المجلات والصحف والكتب، ودخل مجال التاريخ سجال فكري وظهرت أقلام لم تسلم بكل ما يقال بل تعرضه على ميزان البحث والتمحيص، وما يهمنا نحن اليوم أن هذا الجدل الثقافي يدل على تحول في مستوى التأليف والتفكير، كما يدل من ناحية أخرى على الاستفادة من الطباعة والاتصال بالعالم الخارجي والصحف والمجلات العربية والمحلية، وهو جزء من التراث المعرفي والنهضة الثقافية، وثمرة هذه الحركة هو في ما أفرزته من معلومات وما فتحته من أبواب هيأت لمن بعدهم دخولها ومواصلة البحث.

ومما كتبه الأستاذ بلفقيه رسالة سماها: (نحو المدخل إلى التاريخ الحضرمي) وهو ردٌ على موضوع للأستاذ أحمد عوض باوزير نشره في جريدة النهضة العدنية بتاريخ ١٦/١٠/ ١٣٧٣هـ، ١٧ / ٦ / ١٩٥٤م بعنوان (المدخل إلى التاريخ الحضرمي) وضع فيه نقاطاً تتعلق بتاريخ حضرموت ودعا إلى ضرورة الابتعاد عن النزعة الطائفية عند التأليف ، وأثار قضية اختفاء تاريخ الأباضية ، وازدهار العلم في حضرموت في دولة كندة ، وقضايا تاريخية مختلفة، وقد ناقش بلفقيه كل نقطة مبينا وجهة نظره المعارضة لما طرحه باوزير، وكتب بحثاً آخر سماه (استدراكات وتحريات على تاريخ حضرموت) وهو مناقشة لما ورد في كتاب الأستاذ سعيد عوض باوزير (تاريخ حضرموت في شخصيات) وقد شكك الأستاذ بلفقيه في شخصية الإمام الإباضي أبي اسحاق الهمداني ، ونفى وجود علم وعلماء بحضرموت عند قدوم المهاجر ، وأطلق عبارته الشهيرة (مجاهل التاريخ الحضرمي) ويعني بها فترة ما قبل دخول المهاجر، ووقف في صف الأستاذ بلفقيه الأستاذ محمد بن هاشم والمؤرخ صالح بن علي الحامد والأستاذ علي بن شيخ بلفقيه ، وجاءت الجولة الثالثة من معاركه الفكرية مع المؤرخ صلاح البكري (ت ١٤١٣هـ) في كتابه (تاريخ حضرموت السياسي) وأسهب في الرد عليه ودخل الحلبة مشارك جديد هو المؤرخ علوي بن طاهر الحداد حيث كتب مقدمة لرد الأستاذ بلفقيه ،

وكرر النقاش مرة أخرى مع الأستاذ باوزير في كتابه (صفحات من التاريخ الحضرمي) فكتب الأستاذ بلفقيه رداً بعنوان : (الحياة الثقافية والمذهبية بحضرموت منذ وقبل قدوم المهاجر) وأعاد فيه قوله : إن فترة ما قبل دخول المهاجر هي من مجاهل التاريخ الحضرمي، وأثارته نقطتان في كتاب باوزير تتعلقان بالحياة الثقافية بحضرموت ، ووجود (المذهب الشافعي) بحضرموت قبل قدوم المهاجر .

وجولة خامسة في كتابه (جلاء الحقائق وتمحيص النقل) وهو مناقشة لما ورد في كتاب (صلة الأهل) تأليف العالم الشاعر محمد بن عوض بافضل (ت١٣٦٩هـ) وحصر النقاش في ترجمة والد العلامة سالم بن فضل بافضل وما أفرزته تلك الترجمة من القول بفضل المترجم له ووجود مشيخة ورئاسة للعلم في آل أبي فضل قبل اشتهار العلويين ، وأن التقبيل والعمامة والمخاطبة بلفظ (الحبيب) إنما كان مختصاً بآل أبي فضل فمحوه عن أنفسهم وجعلوه خاصاً بالأشراف ، فأطال الأستاذ عبدالله في سرد أدلته التي تظهر – حسب قوله – التناقض والتدليس وعدم الدقة في النقل لدى مؤلف (صلة الأهل)، وهناك معركة أخرى ذهب بها بعيداً من حيث الزمان والمكان لكنها تدور حول ما يتعلق بالأنساب – وهو الموضوع الذي شغل حيزا كبيراً من أبحاثه – وأختار هنا العلامة عبدالرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ) وما قرره فيما يسمى (بالقاعدة الخلدونية) التي وضعها لضبط عمود النسب وحاول الأستاذ بلفقيه نقضها ، وبعث في اتجاه آخر برسالة إلى الشيخ محمد بن أحمد الحجري تتعلق بلقب (النفاط) في بني عيسى النقيب، ووقف في صفه هنا العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف والأستاذ محمد بن هاشم والمؤرخ الأديب صالح بن علي الحامد[٧٨].

أما على صعيد التأليف والطباعة فقد نشطت حركة طباعة الكتب المخطوطة وألفت كتب عديدة طبع بعضها في حينه وطبع الآخر بعد سنوات، ومما طبعه الثري عبدالرحمن بن شيخ الكاف (كتاب المجموع للإمام النووي) و(المهذب) و (الوجيز) و(جامع الكرامات) وغيرها[٧٩]، وعلى مستوى حضرموت في هذه الفترة فقد قطع التأليف شوطا كبيرا وخاصة في الشعر والتاريخ، وتفاعل هذا النتاج مع التأليف القادم من المهجر فظهرت كتب المؤرخين والأدباء من أمثال الأستاذ الأديب محمد بن هاشم بن طاهر والمؤرخ العالم علوي بن طاهر

الحداد (ت١٣٨٢هـ) والأستاذ سعيد عوض باوزير(ت١٣٩٨هـ)والمؤرخ صلاح البكري (ت١٤١٣هـ) والباحث عبد الله بن حسن بلفقيه والأديب علي أحمد باكثير والعلامة المؤرخ عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف والأديب أحمد بن عبد الله السقاف (ت١٣٦٩هـ) كاتب رواية (فتاة قاروت) والأديب عبد الله بن محمد السقاف (ت١٣٨٠هـ) صاحب كتاب (الشعراء الحضرميين) والمؤرخ محمد علي باحنان (ت١٣٨٣هـ) والأستاذ محمد عبد القادر بامطرف وغيرهم .

ب : المكتبات :

اهتمت الأسر التريمية وأفرادها بالمكتبات منذ زمن قديم فقد أوقف علي بن أحمد باجبهان (ت٩٧١هـ) كتباً على طلبة العلم بتريم[٨٠]، واهتم كثير من طلاب العلم بالخط ونسخ الكتب حتى وجدت عشرات المكتبات المخطوطة في خزائن البيوت، وتكونت مكتبات في بعض البيوت منها مكتبة آل حداد (١٢٢٥هـ)، مكتبة آل جنيد (١٢٦٨هـ)، مكتبة رباط تريم (١٣٠٥هـ)، مكتبة الكاف (١٣٥٠هـ) أسسها عبد الرحمن بن شيخ الكاف ثم وقفها مع مكتبة سيئون على طلاب العلم[٨١]، وغيرها من المكتبات التي (جعلتها العائلات وقفاً على طلبة العلم وساهمت بذلك في إثراء الفكر البشري)[٨٢]، وأفرد الباحث عبد الله بن محمد الحبشي أبحاثا وإحصائيات لهذه المكتبات ونوعية كتبها[٨٣]، وقد تعرضت بعض الكتب والمخطوطات في فترات مختلفة للتلف والضياع.

وبعد الاستقلال في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧هـ زارت بعثة مصرية جنوب اليمن عام (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) لتضع نواة لمكتبة قومية في الجمهورية، وتكونت لجنة من أصحاب المكتبات عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) لجمع المخطوطات ووحدت تحت مسمى (مكتبة الأحقاف بتريم)، وفصلت المخطوطات عنها في عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) حيث نقلت إلى مكان خاص ملحق بجامع تريم، وكان للشيخ الفقيه علي بن سالم سعيد بكير دور في هذا الأمر، واهتمت وزارة الثقافة بالمكتبة من خلال تشكيل لجان لمسح المخطوطات وإحصائها، وإرسال بعثات من الدول العربية لتصويرها)[٨٤]، واستمرت المكتبتان تؤديان دوراً كبيراً في نشر الثقافة من خلال

القراءة والاستعارة وتوفير المجلات والدوريات ، وتطورت مكتبة المخطوطات بإدخال وسائل البرمجة والصيانة والتصوير، أما مكتبة المطبوعات فقد ساءت حالتها ولم تتم العناية بها مما جعل محتوياتها في حالة يرثى لها من الخزن والتصنيف ، معرضة للأتربة والأرضة، لعدم توافر وسائل التهوية والعناية اللازمة فضلاً عن عدم وجود وسائل حديثة لفهرستها وبرمجتها ليسهل للباحثين الاستفادة منها، وكان لـ (مكتبة الأمل) الأهلية السبق في بيع الكتب والمجلات، وبيعت أيضاً بعض المجلات عبر دكان علي الخطيب.

رابعاً : الصحافة :

كانت صحف حضرموت منبراً مهماً من منابر نشر الثقافة والعلم في بداية النهضة ووسيلة للتعريف بأدوات النهضة ومؤسساتها، وهي امتداد لصحافة المهجر، بل إن من تمرس في صحافة المهجر كاتباً و مؤسساً ورئيساً للتحرير عاد إلى موطنه ليؤسس صحيفة، ومن الصحف التي صدرت في ساحل حضرموت خلال تلك الفترة (النهضة الحضرمية) في عام (١٣٤٦هـ/١٩٢٧م) وتزامن صدورها مع المؤتمرات الداعية لإصلاح أوضاع حضرموت، وصحيفة المنبر في (١٣٥٨هـ/١٩٣٩م)، وصحيفة (الأمل) (١٣٦٦هـ/١٩٤٧م) وكلها صدرت في المكلا، أما صحيفة (الطليعة) التي أصدرها الأستاذ أحمد عوض باوزير – وهو أول صحفي حضرمي يحمل شهادة في هذا التخصص – فتعد أول صحيفة تصدر بشكل مختلف عن سابقاتها من حيث التبويب والإخراج والمواضيع، وهي أول صحيفة سياسية بحضرموت وقد صدرت في عام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م)، وتلتها (الرائد) في عام (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)، وأصدرها الأستاذ حسين بن محمد البار[٨٥] ، وفي داخل حضرموت أصدر محمد بن حسن بارجاء صحيفة (التهذيب) في سيئون عام (١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م) وحررها الأديب علي أحمد باكثير الذي يقول عنها (قبس تألق من سماء حرية ستكون فاتحة النهوض) وكان يكتب فيها (مقالات تنتقد الجمود والابتعاد عن روح الدين الإسلامي)[٨٦] وصدرت صحف أخرى لم تستمر، وفي تريم صدرت مجلة (السيل)أصدرها محمد بن عقيل بن يحيى عام (١٣٢٩هـ/١٩١١م) و(عكاظ) أصدرها عبد الله بن أحمد بن يحيى عام

(١٣٥٨هـ/١٩٣٩م)، وتعد صحيفة (الإخاء) التي أصدرتها جمعية الأخوة والمعاونة عام (١٣٥٧هـ /١٩٣٨م)، من أشهر المجلات وأطولها عمراً في تريم، كما صدرت مجلة (الحلبة) في المسيلة — قرب تريم — عام (١٣٥٧هـ/١٩٣٨م) أسسها موسى الكاظم بن يحيى وعلي عقيل وصحيفة (المجاهد)، ومجلة (التلميذ) التي أصدرها نادي مكتب الطلبة بتريم عام (١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م)، و(الكفاح) أنشأها محمد بن أحمد بلفقيه وعبدالقادر بن عبدالله الكاف عام (١٣٦٧هـ/١٩٤٨م)[٨٧]، وكان إصدار هذه الصحف ضرورياً لتكون وعاء يستوعب أفكار رواد النهضة والمصلحين، وتساهم في نشر المعارف والتراث والتوعية ونقد الأوضاع الاجتماعية ، وتفاوتت مستويات العرض والنقد لتلك الأوضاع فهي في (التهذيب) أشد، وفي (الإخاء) لم تعبر صراحة عن بعض القضايا ، لكنها جميعاً سارت في قافلة النهضة والتبشير بها.

الصحافة التريمية : مجلة (الإخاء) نموذجاً :

لم يغب عن بال مؤسسي جمعية الأخوة والمعاونة وهم يضعون أهدافهم أن يكون لهم صوت يعبر عن آمالهم وأفكارهم ونشر تعاليم الإسلام وتوسيع الثقافة بحضرموت[٨٨] ، وتصنف المجلة بناء على مواضيعها في خانة المجلات الثقافية التي تهتم بإصلاح الواقع، وكانت طبيعتها تحاكي - إلى حد ما - المجلات الثقافية التي صدرت في الوطن العربي وكانت في خط مواز للمكونات الأخرى للنهضة، ومن المعروف أن المجلة الثقافية (تشكل بيئة فكرية كما هي مؤسسة ثقافية تنويرية لا يقل دورها أهمية عن أية مؤسسة ثقافية)[٨٩].

وبأيدينا أعداد السنوات (١٣٥٧هـ - ١٣٥٩هـ) لهذه المجلة، ومن الناحية الشكلية والفنية فقد بدأت المجلة أول أعدادها في محرم (١٣٧٥هـ / مارس ١٩٣٨م) بتعريف عن ماهيتها في صدر صفحتها الأولى بعبارة (مجلة شهرية جامعة)، مبينة الاشتراك في حضرموت والخارج، وفي العدد الرابع السنة الثانية (١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م) أضيف الاشتراك في عدن وتغير نوع خط اسم المجلة ابتداءً من العدد السابع من العام الأول واحتجبت المجلة خمسة أشهر ثم عادت ، وطبعت ابتداء من العدد السادس بآلة الطباعة اليدوية التي استوردت من

سنغافورة، ومن أبوابها الثابتة بالإضافة إلى الافتتاحية ، (ديوان الإخاء) الذي كان فيه (لشاعر الجمعية) علوي بن زين بن حسن بلفقيه النصيب الأكبر، وعمود(محليات)، وتتوزع باقي صفحات المجلة على شكل أعمدة، وقد حددت المجلة أهدافها في افتتاحية العدد الأول ومن ذلك : (أن تكون واسطة التعارف، وأداة التعاضد ، وتوحيد وجهات التفكير)، وأن يصل هذا الصوت إلى (معاقل العروبة وأبناء الضاد) ومن الأهداف أن تنقل المجلة تجارب النهضة في البلاد العربية ليستفيد منها أبناء حضرموت[٩٠]. واتجهت الافتتاحيات اللاحقة إلى مواضيع مختلفة، ففي إحداها أطلق الأستاذ محمد بن هاشم لخياله العنان ليكتب موضوعاً افتراضياً عن حال تريم بعد خمسين عاماً أي في العام (١٤٠٧هـ /١٩٨٦م) وافترض أن كاتبته (فتاة سيئونية) في جريدة سماها (العاصمة)، وتتحدث الكاتبة (المفترضة) عن حال التعليم في عصرها حيث انخفضت نسبة الأمية في البادية إلى ٢٠ ٪ وفي الحضر ٦ ٪ ، ومن الغرائب أن ابن هاشم تنبأ بالهاتف الخليوي (الجوال) قبل ٧٣ عاماً، إذ يقول على لسان الكاتبة وهي تصف التطور وتقارن ذلك بأوضاع السكان عام ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م : ((ولم تكن تعرف لديهم الهواتف الجيبية الأثيرية التي نحملها اليوم في جيوبنا فنخاطب بها البعيد عنا))[٩١]، ووضعت المجلة في أولويات اهتمامها قضية التربية والتعليم فجاءت العناوين متسقة مع هذا الأمر مثل (واجبنا نحو الناشئة)، (التعليم أساس الثقافة)، (نحن والمدارس)، (الشباب) وحملت في ثناياها عرضا للواقع (حيث الألوف المؤلفة من الأنفس الطاهرة البريئة المفطورة على الخير تقتادها جيوش الجهل إلى بؤرة الشقاء) ثم تنتقل إلى الأسباب وتحددها بأنها (أوهام وخيالات فاسدة) وتطالب أن يكون التعليم لكل الطبقات[٩٢]، وفي مقالة بعنوان (سير المعارف بحضرموت) كتب الأستاذ ابن هاشم بحثاً مطولاً تتبع فيه بدايات التعليم مرورا بـ (مدرسة الحق) وتعيينه ناظراً فيها ويصف ما لاقاه من معارضة قائلاً : (فجفل المحافظون جفولاً عظيماً وأثاروا زوبعة ضجيج صرصرية كادت تعصف بالمدرسة وناظرها وبثت العيون والأرصاد حوالي ذلك الناظر فراقبوا عليه حركاته وإشارته وكلماته وعباراته)، وعقدت جلسة استجواب للناظر والمعلمين حول ما يقدمونه للطلاب وطالبوهم باستبدال كلمة (جغرافيا) لعدم رضاهم عنها[٩٣]، أما على الصعيد الاجتماعي فقد حرر

كتاب المجلة مواضيع تهيب بأفراد المجتمع أن يميطوا عنهم غبار الجهل، ففي (مضرات الخرافات) ينتقد الكاتب الطريقة المتبعة في تربية الصغار من خلال التخويف وإفزاعهم بالقصص الخرافية، ويشن موضوع (العادات السافلة) هجوماً عنيفاً على العادات المقيدة لتطور المجتمع، وتعزز هذا الرأي رواية (الغناء) التي تدور أحداثها بين جيلين أحدهما محاصر بقيود وعادات لا يقرها الشرع، وآخر يحاول الفكاك منها، وتندد الرواية (بالتعصب والغرور) بوصفهما من معوقات التطور، والرواية تعد من الألوان الأدبية الجديدة التي دخلت الساحة الثقافية الحضرمية وبسبق إبداعي، وقد مهد كاتبها – الذي رمز لاسمه بالأحرف س م ع – بوصف لمسرح أحداثها حيث تدور في تريم وفي نفس الزمان الذي تصدر فيه المجلة مع وصف لأبطالها ومستوياتهم الدراسية وثقافتهم المتباينة ليعطي انطباعا للقارئ عن حقيقة الصراع الدائر على أنه بين ثقافتين، وظل يذكر بهذا التباين في فصول الرواية التي تداخلت فيها العاطفة مع الأماني وما يقابلها من موانع اجتماعية، وتتخلل الرواية لقطات للوضع الاجتماعي والحالة الاقتصادية وأثر الحياة في المهجر التي أدت إلى تغير نمط العيش والتحول إلى محاكاة أسلوب المهاجرين خاصة لدى الأسر الغنية بتريم، والرواية تحتاج إلى وقفات أخرى من العرض والبحث خاصة أن رواية (فتاة قاروت) للأديب أحمد عبد الله السقاف التي صدرت في عشرينيات القرن الميلادي الماضي في بلاد المهجر تعد عند الباحثين من المحاولات الأولى لكتابة الرواية في اليمن، و لعل رواية (الغناء) متأثرة بها، وفي مقال (المرأة الحضرمية) نقد للنظرة القاصرة تجاه الأنثى وحرمانها من التعليم، وفي (أثر البطالة في حضرموت) يحلل الكاتب أثر المجاعة على حضرموت ويطالب المهاجرين بإرسال أموالهم لتشجيع الزراعة، وجمع المقال بين النظرة الاجتماعية والاقتصادية، وتتابعت العناوين على هذا المنوال مثل (الترف)، (نحن والأخلاق) ونشرت المجلة مواضيع دعوية في المناسبات الدينية وتراجم لبعض الأعلام[٩٤]، أما الأدب فأخذ الشعر فيه نصيب الأسد ، وفي اللغة يناقش أحد الكتاب العلاقة بين الفصحى والدارجة، وتطرق إلى الجدل الدائر بين أنصار الشعر القديم وأنصار الجديد، ووقف في صف المؤيدين للقديم مبيناً مكانة الفصحى، كما أن للمجلة اهتماماً بالشأن العربي والإسلامي من خلال حديثها عن الملوك والزعماء العرب وضياع فلسطين[٩٥]

ونشرت المجلة محاضرة مترجمة للمستشرق(سارجنت) بعنوان:(الأمان بحضرموت)، وموضوعاً مترجماً بعنوان (قمة إفرست).

وغاب الموضوع السياسي عن صفحات المجلة، ولم تتعرض لأحوال الانحرافات الدينية وهي بخلاف مجلة (التهذيب) السيئونية – القريبة منها مكانيا – التي انتقدت تلك الأوضاع، ولعل المنطلقات الفكرية لكل من القائمين على المجلتين هي التي حددت وجهات النظر، وجمعت (المجلة) إلى حد كبير بين المحافظة على الترتيب المتعارف عليه لحياة الناس في تريم، والمطالبة بتطوير نظم التعليم وترك العادات الاجتماعية التي تثقل كاهل الناس في أفراحهم وأحزانهم، ولهذا لم تحدث على صفحاتها مواجهات فكرية أو حوارات متعددة المشارب، لأن الصبغة الفكرية لكتاب المجلة تكاد أن تكون متطابقة، ومن الإنصاف القول إن المجلة حققت أهداف الجمعية بإمكانياتها المتواضعة وفي إطار محدود، وشكلت منبراً فكريا متميزا بمقاييس ذلك الزمان.

لكننا نرى تحولاً لافتاً للنظر في الخطاب الإعلامي لجمعية (الأخوة) في العام (١٣٨٢هـ /١٩٦٢م) عندما أصدرت (نشرة داخلية) شهرية، خصصتها لرصد أخبار الجمعية ومقالات أكثر واقعية، وكانت بمثابة دورية مزودة بإحصائيات عن المدارس والخدمات التي تقدمها الجمعية، غير أن الجديد هنا هو ظهور الاهتمام بالشأن الوطني والسياسي بشكل واضح، ومتابعة ما يجري في الساحة العربية باهتمام، ومن ذلك إقامة احتفال في ١٨ صفر ١٣٨٢هـ /١٩٦٢م بمناسبة استقلال الجزائر، وبعث تهنئة بقيام الجمهورية العربية المتحدة[٩٦]، وعلى صعيد النضال الوطني أرسلت برقية احتجاج إلى (حكومة عدن) لما قامت به من إجراءات تعسفية ضد أبناء الشعب، وفي افتتاحية العدد (٢٥) وقعت مع هيئات أخرى على بيان يشجب (مؤتمر لندن الدستوري) وجميع المؤتمرات الاستعمارية، كما أدانت جميع المنظمات المتعاونة مع الاستعمار، ونوهت الافتتاحية إلى (العمل على تحقيق وحدة الجنوب مع الجمهورية العربية اليمنية في ظل نظام حكم شعبي ديمقراطي جمهوري)[٩٧]، ونشرت خبراً عن (مؤتمر البدع) – منطقة جنوب تريم – الذي عقد لشجب قرارات مؤتمر لندن في ظل التطورات السياسية في جنوب اليمن، واستنكرت الجمعية ما قامت به الشرطة من

استفزازات له ، وحفلت مقالاتها بتحليل الأوضاع وتوحيد الجهود، داعية إلى (إلقاء كل ما يعرقل المشي نحو التطور جانباً)، وفي موضوع يتعلق بحال الوطن خاطب الكاتب المواطنين بأنه : (يجب علينا كشعب يحب الخير لوطنه أن ننظر بمنظار أوسع إلى مصالح وطننا، وأن نجعل هذه المصالح فوق كل شيء فلا عنصرية و لا طبقية ولا قبلية)[٩٨]، و من العناوين الأخرى المهتمة بنضال الشعب ودعوات التحرر: (لمن تقرع الأجراس) وفيه نقاش لمعاناة الشعب والمطالبة برحيل الاستعمار، وفي (الأحداث تصطرع من حولنا) عرض لما يجب أن تسير عليه الأمور، ولم تكتف الجمعية ببيانات التنديد ومقالات التحذير بل اتصلت بالسلطنة الكثيرية أكثر من مرة، فقد قدمت عريضة للسلطان عام (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م) تقترح فيها تأسيس مجلس تشريعي عن طريق الانتخاب الشعبي، وعند ما أشيع أن سلطان حضرموت وقع اتفاقية مع شركة النفط المحدودة أرسلت الجمعية برقية لسلطاني حضرموت، جاء فيها : (إن الشعب يعتبر البترول ملكاً له وللبلاد وكل اتفاقية لا تحقق مصالحه وحقوقه وضمان مستقبله السياسي والاقتصادي لا تعتبر عادلة وشرعية)[٩٩]، ويدل كل هذا التغير في لغة المواضيع على نضج وتحول فكري بعد (٢٥ عاماً) من تأسيس الجمعية، ولعل من أسباب هذا وصول دماء شابة إلى الهيئة الإدارية للجمعية ، ووجود أعضاء متأثرين بحركات التحرر الوطني العربية واشتداد وتيرة الفعاليات الوطنية من أحزاب سياسية ومنظمات مهنية وطلابية مناهضة للاحتلال البريطاني، ولا نستطيع الجزم أن هذا التحول سياسة عامة للجمعية.

آثار النهضة :

يحتاج الحديث عن آثار النهضة إلى مساحة كبيرة، غير أن المقام هنا يسمح باستعراض أهم تلك الآثار التي غيرت مسار التعليم والثقافة على وجه الخصوص، وانتقل التأثير — بالطبع — إلى كل المجالات، ومن تلك الآثار، انتشار الوعي الوطني وبروز ما يسمى (بالظاهرة الجماهيرية)[١٠٠] حيث انتشر التعليم بين جميع فئات المجتمع، وارتفع صوت النقد وظهر التواصل بين المثقفين، والتجديد في الأدب وظهور مجالات لم تعرف من قبل كالقصة والرواية، والتأليف في التاريخ وأحوال المجتمع، وظهرت أشكال جديدة من وسائل وأساليب

التجمع والتعاون كالأندية والشركات والمنظمات الطلابية ودخلت في الجانب الاجتماعي أنماط جديدة من العلاقات نظراً لتغيير مستوى التفكير، وتضييق الهوة في المستويات المعرفية بين فئات المجتمع، وتضاءل الحذر والخوف من المفاهيم والوسائل الجديدة .

إن أهم الآثار من غير منازع هو تواصل هذه النهضة وسيرها، وخاصة بعد الاستقلال الوطني عام ١٩٦٧م، حيث أتاح النظام الجمهوري الجديد الفرصة لجميع أفراد الشعب للتعلم والمواصلة إلى الجامعة ، وأعيد ترتيب المؤسسات الثقافية، وبالرغم من التأثير الكبير للانقلاب الجذري ، الذي عصف بالمجتمع وهز كيانه بفعل ما يسمى (بالتحولات الثورية) و (تجارب النظم الاشتراكية) في كافة مجالات الحياة، والتي أخذ التعليم والثقافة حظاً كبيراً منها عبر سياسات (الثورة الثقافية) المتأثرة بتعاليم الزعيم الصيني (ماوتيستونغ) و (أدبيات كارل مارس ولينين)، وإغلاق المعاهد والأربطة والمدارس الأهلية، مما أدى إلى الانكفاء على الذات أو الهجرة الإجبارية - بالرغم من كل هذا- إلا أن التعليم انتشر كالنار في الهشيم حيث صدرت قوانين للتعليم الإلزامي مع مجانيته فكان لها أثر كبير في التحاق الآف التلاميذ بالمدارس وجندت الطاقات الشعبية لبنائها، وبدأ فصل جديد من فصول التحول الكبير في مستوى العلم، وجاء افتتاح ثانوية تريم عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) لتؤسس لنشاط جديد أعاد للأذهان تاريخ المدرسة الوسطى ومدرسة جمعية الأخوة والمعاونة، حيث نشط المعلمون والطلاب في إحياء الجلسات الأدبية والمسابقات الفكرية وتشجيع الإبداع العلمي والأدبي من خلال المجلات والنشرات والمسرح، وكانت مكتبة الأحقاف للمطبوعات مجالاً آخر للتزود بالمعرفة من خلال ما يصلها من الكتب والمجلات، وانتشرت صفوف محو الأمية للذكور والإناث التي استفاد منها عدد كبير ممن فاتهم قطار التعليم، وواصل المئات من الطلاب دراساتهم الجامعية.

شهدت المرحلة التي أعقبت (التشدد الفكري والتجارب المختلفة) نوعاً من الاستقرار والمراجعة الفكرية، ففتحت للمثقفين نوافذ للإبداعات الفكرية والثقافية نشرت في كتيبات وقدمت في فعاليات المنظمات الطلابية والشبابية، وغلب على بعضها الصبغة السياسية والخط (الأيديولوجي) السائد، لكنها في كل الأحوال أنتجت ثمارا فكرية — تنتظر حقها من التقييم

والتحليل الموضوعي بدلاً من حرق المراحل وإلغاء الفترات كما هو حاصل في تاريخ حضرموت — .

وبقيام (الوحدة اليمنية) في مايو ١٩٩٠م فتح المجال للبناء وتأسيس المراكز والمدارس والمعاهد وحصل تطور وتوسع كمي في عدد المدارس الابتدائية، وتم الفصل بين البنين والبنات، وافتتحت عدد من المدارس الثانوية في القرى واستأنف رباط تريم نشاطه، وفتح معهد (السيدة خديجة) ومعهد (الفاروق) اللذان أغلقا فيما بعد، كما أسست عدد من المدارس الأهلية ومنها (دار المصطفى للدراسات الإسلامية) (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) ، و(دار السقاف) و(مدارس النجاح) و(كلية الشريعة بجامعة الأحقاف) ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، وفتحت مدارس تحفيظ القرآن الكريم في المساجد حيث تخرج منها المئات من حفاظ كتاب الله سبحانه وتعالى، من الذكور والإناث، وامتلأت الساحة بالمنابر الفكرية والثقافية ابتداءً من المنتديات الثقافية التي بدأها (منتدى تريم الثقافي) عام ١٤١١هـ /١٩٩٠م ، برعاية من اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين / فرع سيئون، ثم توالى تأسيس منتديات (حي في قلوبنا)، (وجماعة أدباء تريم) و(منتديات وادي حضرموت) وجمعيات التراث وفرق الإنشاد والتمثيل ، وتحسنت أوضاع مكتبة الأحقاف للمخطوطات، وفتحت مكتبات للبيع ومن أهمها (مكتبة تريم الحديثة) ، كما فتحت مكتبات للقراءة والمطالعة أهمها (مكتبة كلية الشريعة) و (مكتبة خرد) ومكتبات المساجد، ودخلت ولأول مرة مراكز البحث والدراسات والنشر ومنها (تريم للدراسات والنشر) و(مركز النور للدراسات والنشر) و(دار الفقيه للنشر والتوزيع) و (دار الأصول للنشر والتوزيع والدراسات الإسلامية) وغيرها.

وانتعش مجال التأليف وإعادة طباعة بعض الكتب والمخطوطات، وبالرغم من توافر الوسائل الحديثة والتطور التقني في مختلف مراحل التعليم وانتشار العلم والثقافة، إلا أن حجم الإبداع الأدبي وخاصة في مجال الشعر والقصة والرواية تراجع مقارنة بالفترات السابقة، وضعف النشاط الثقافي في المدارس وخاصة في التعليم الثانوي والجامعي، وظل محصوراً في مناسبات موسمية، أما الصحافة فقد صدرت مجلة (أنوار التلاقي) عن دار المصطفى ثم توقفت وظلت صحيفة (الشروق) التي تصدر عن (التجمع اليمني للإصلاح) حاضرة

لتكون الاستثناء في مدينة اشتهرت بالعلم والثقافة، بيد أن البنى التحتية لنشر الثقافة لم تشهد تطورا ملحوظاً، فلا توجد مجمعات أو(دور ثقافية) تحتوي على مكتبات وقاعات محاضرات وبرامج ثقافية، كما لم تشهد المدينة أسابيع ثقافية ومسابقات في البحث وفروع الأدب ورعاية للموهوبين، وانحصر النشاط في محاضرات وندوات تفتقر إلى المكان المناسب و(ألعاب شعبية) مكررة أوعناية بالتراث الشعبي والمعماري، وهي جهود لا غبار عليها لكنها لا تنقل المجتمع إلى النهضة المنشودة والتطور الحضاري والتنافس المعرفي، وللجمعيات الخيرية التي أسست بعد قيام الوحدة اليمنية نشاط ملحوظ في نشر العلم الشرعي والعناية بكتاب الله سبحانه وتعالى ورعاية ودعم الطلاب .

إن النهضة التي بدأها أولئك الرواد شقت طريقها بالرغم من الأعاصير، وأضاءت نور المعرفة، وانبعثت منها نسائم الحرية، فكانت خطوة في طريق الألف ميل و مسيرة متواصلة شارك فيها كثير من الأفراد والمؤسسات، وهي في دربها الطويل تحتاج إلى جهد متواصل ومنهج فكري ينطلق من تعاليم الدين الإسلامي مع الجمع بين أصالة المنهج وعصرية الوسائل، والاستفادة من تجارب الآخرين دون ذوبان أو شعور (بعقدة النقص) تؤدي إلى تسرب للغزو الفكري أو فقدان الهوية، والنهضة المأمولة تحتاج أولاً لتنقية العقيدة الإسلامية مما لحق بها من الانحرافات وتصحيح الوجهة، والتسلح بالعلم وتوحيد الفكرة، ووضع خطط علمية مدروسة تقوم على أساس واقعي، وقبل ذلك إصلاح الخلل في التفكير المقيد بالعصبيات الفئوية والفكرية والانتماءات المختلفة ليكون الهدف أسمى والنتائج مفيدة.

الهوامش :

(١) مالك بن نبي ، شروط النهضة ص (٣١ ، ٣٢ ، ٣٣) .

(٢) المصدر السابق ص ٨٣ .

(٣) بكار ، فصول في التفكير الموضوعي ص ٢٠ .

(٤) بامؤمن ، الفكر والمجتمع في حضرموت ، ص ١٦٩ ، وانظر ابن عبيد الله السقاف ، بضائع التابوت جـ٢/١١٥.

(٥) انظر بامطرف ، المعلم عبد الحق ص ١٣٠ ، والشاطري ، أدوار التاريخ الحضرمي جـ١/١٨١ .

(٦) المصدر السابق ص ١١٦ .

(٧) بامؤمن ، مصدر سابق ص ٣٠٨ ، وانظر أحمد باوزير ، علي أحمد باكثير سنوات في جاوة وحضرموت ، مجلة الحكمة ، عدن العدد (١٣٥) فبراير ١٩٨٧م ص ٢١ .

(٨) مديحج ، المدرسة الأم ص ٣٤ .

(٩) ابن عبيد الله السقاف ، إدام القوت ص ٣٩٦ .

(١٠) داؤود ، حركة ابن عبدات في الغرفة ، وثائق الندوة العلمية التاريخية حول المقاومة الشعبية في حضرموت ص ٣٥ .

(١١) ابن هاشم ، رحلة إلى الثغرين ص ٥٣ .

(١٢) انظر بلفقيه ، تذكرة الباحث المحتاط ص ١٧ .

(١٣) انظر بامؤمن ، مصدر سابق ص ٣٠٦ ، والسقاف ، بضائع التابوت جـ٣/١١٦ .

(١٤) باصبرين ، المهمات ، تحقيق أكرم عصبان ص ١ .

(١٥) داؤود ، مصدر سابق ص ١١٥ .

(١٦) انظر ابن هاشم ، مصدر سابق ص ٥٦ .

(١٧) فان ديرملين ، حضرموت إزاحة االنقاب عن بعض غموضها ، تعريب د.محمد سعيد القدال ص ٦ ، وانظر باصره ، دراسات في تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر ص ٨٧ .

(١٨) أحمد باوزير ، حضرموت الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي ما بين الحربين العالميتين ، وثائق الندوة ص ٢٠ .

(١٩) ابن الأثير ، أسد الغابة جـ٢/٧ ، ١٠٢ ، جـ١/٧٢ ، وانظر ابن القيم ، زاد المعاد جـ٣/٤٤٤ .

(٢٠) الشاطري ، مصدر سابق جـ١/٩٩ .

(٢١) العسقلاني ، رفع الإصر عن قضاة مصر جـ١/٢١٢ .

(٢٢) البشاري ، أحسن التقاسيم ص ٣ .

(٢٣) الشاطري ، مصدر سابق جـ١/١٢٦ ، وانظر باحنان ، جواهر تاريخ الأحقاف ص ٧٣ .

(٢٤) الجعدي ، طبقات فقهاء اليمن ص ٢٠٣ .

(٢٥) البكري ، تاريخ حضرموت السياسي جـ١/ ٨٠ ، وانظر الحامد . تاريخ حضرموت ج٢/ ٤٥١.

(٢٦) انظر الحامد، مصدر سابق ج٢/ ٦٨٦، ٦٩٣، باوزير ، الفكر والثقافة ص ١٢٧ ، ١٢٤ ، ١٢١ ، بكير، مصادر التاريخ الحضرمي ص ١٢ ، ٥ ، عبد النور ، العلوم الشرعية في حضرموت ص ٣٩ ، ٦٧ ،

(٢٧) السقاف ، إدام القوت ص ٤٠٩ ، ٥٠١ .

(٢٨) عمارة ، تاريخ اليمن ص ٢٤٥

(٢٩) بامؤمن ، مصدر سابق ص ٢٢٥ .

(٣٠) انظر المصدر السابق ص ٢٨١ – ٣٠١ .

(٣١) الحامد ، تاريخ حضرموت جـ١/ ٣ .

(٣٢) انظر عبد النور ، العلوم الشرعية في حضرموت ص ٦٢ وما بعدها .

(٣٣) بامؤمن ، مصدر سابق ص ، ٥٦ .

(٣٤) أحمد باوزير ، مصدر سابق، ص ٣٨ .

(٣٥) داؤود ، مصدر سابق ص ٣٨ ، وانظر باصرة ، مصدر سابق ص ١٠ ، وانظر هشام علي ، المثقفون اليمنيون والنهضة ص ١٢٢ .

(٣٦) انظر بامؤمن ، مصدر سابق ص ٣٣١ ، باصرة ، مصدر سابق ص ١٠٩ .

(٣٧) جعفر السقاف ، من تاريخ الحركات الشعبية الإصلاحية في حضرموت ، وثائق الندوة ، ص ٢٦ ، وانظر الشاطري مصدر سابق جـ٢/ ٤١٨ ، وباصرة مصدر سابق ، ص ١٠٩

(٣٨) انظر البكري ، مصدر سابق جـ٢/ ٢٨٦ .

(٣٩) أحمد باوزير ، مصدر سابق ص ٢٢ ، جعفر السقاف ، مصدر سابق ص ٢٦ ، علي عقيل ، حضرموت ، ص٩٦.

(٤٠) السقاف ، بضائع التابوت جـ٣/ ١٤٩ .

(٤١) بامؤمن ، التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن جـ١/ ١١٨ ، علي عقيل ، مصدر سابق ص ٦٩ .

(٤٢) انظر البكري ، مصدر سابق ص ٥٥ ، علي عقيل ، مصدر سابق ص ٦٦ ، ومجلة الإخاء العدد (١١) ١٣٥٧هـ.

(٤٣) السقاف ، مصدر سابق جـ٣/ ١٤٨ .

(٤٤) باصرة ، لمحات موجزة من تاريخ نشوء ونضال حركة التلاميذ والطلاب في حضرموت ، وثائق الندوة ص ١٦٥ .

(٤٥) الشاطري ، صدر سابق جـ٢/ ٢٠٦ .

(٤٦) انظر أحمد بن شهاب ، تريم بين الماضي والحاضر ص ١٨٩ – ٢١٠ .

(٤٧) بامؤمن ، مصدر سابق جـ١/ ٢٧٩ .

(٤٨) انظر (نشرة داخلية) صدرت عن جمعية الأخوة العدد (٣) ربيع أول ١٣٨٢هـ .

(٤٩) انظر السقاف ، مصدر سابق ص ٥٢٦ .

(٥٠) بامؤمن ، مصدر سابق جـ١/ ٦٤ ، التعليم في وادي حضرموت ص ٤٠ ، ٢٢٤ ، وبن شهاب ، مصدر سابق ص ١٨٧ .

(٥١) بامؤمن ، مصدر سابق جـ١/١٣٢ .

(٥٢) ابن شهاب ، مصدر سابق ص ٢١١ .

(٥٣) باحميد ، التعليم النظامي الحكومي في عهد الدولة الكثيرية ص ٥٢ ، ١٢٠ .

(٥٤) انظر النشرة الداخلية مصدر سابق ، ص١ .

(٥٥) بن شهاب ، مصدر سابق ص ٢١١ ، علي عقيل ، مصدر سابق ص ٦٦ .

(٥٦) بامؤمن ، مصدر سابق جـ١/١٥٨ ، مجلة الإخاء العدد (٤) ١٣٥٧هـ .

(٥٧) مديحج ، مصدر سابق ص ٣١ ، ٣٦ .

(٥٨) بامؤمن ، مصدر سابق ص ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٥٩) انظر سعيد باوزير ، الفكر و الثقافة في تاريخ حضرموت ص ١٩٣ ، مديحج ، مصدر سابق ص ٢٢٩ .

(٦٠) انظر بامؤمن ، مصدر سابق ص ٢٢٢ ، التعليم في وادي حضرموت ص ٨٦ ، ١٠٩ ، ١١٨ ، باحميد ، مصدر سابق ص ١٨٤ ، ٢٢٩ ، ٢٥٩ ، ٢٧٠ .

(٦١) باحميد ، مصدر سابق ص ١١٥ .

(٦٢) بامؤمن ، مصدر سابق جـ١/٣١٩ .

(٦٣) انظر التعليم في وادي حضرموت ص ٢٣٢ .

(٦٤) الصبان ، الحركة الأدبية في حضرموت ص ٩٥ ، ١١٣ ، ١٢١ .

(٦٥) باكثير ، همام أو في بلاد الأحقاف ص ١٤ .

(٦٦) الشاطري ، مصدر سابق ص٤٣٥ ، أنيس الكاف ، مختارات من كتابات شيخ الصحافة الحضرمية ص ٩٠ ، ١٢٥ ، أنيس الكاف ، عميد الأسرة الكافية ص ١١٣ ، ١١٥ .

(٦٧) ابن هاشم ، تاريخ الدولة الكثيرية ص ١ .

(٦٨) بامؤمن ، مصدر سابق ص٣٧٠ .

(٦٩) السقاف ، مصدر سابق ص ٥١٣ .

(٧٠) انظر حسن بن شهاب ، (نخلة الوطن) ص ٩ ، ١٠ ، ١٨ ، ٣٠ ، وانظر بكير ، رجال وكتب ص ٧٧ وما بعدها .

(٧١) نجيب باوزير ، المسار التاريخي للشعر في حضرموت ، جريدة الوطن العمانية (نسخة الكترونية) .

(٧٢) انظر الصبان ، مصدر سابق ص ١٤١ .

(٧٣) الكاف ، مصدر سابق ص ، سعيد باوزير مصدر سابق ص ١٧٩ .

(٧٤) علي الفقيه ، مجلة الموقف الأدبي ، دمشق العدد (٣٠١) نسخة الكترونية ، وانظر مجلة (الإخاء) العدد (١١) ١٣٥٧هـ

(٧٥) الجنيد ، ديوان الجنيد ص١ وما بعدها .

(٧٦) أحمد بلفقيه ، ديوان أحمد زين بلفقيه ص٤٤ ، وانظر (النشرة الداخلية) لجمعية الأخوة العدد (٢٤) ١٣٨٣هـ .

(٧٧) سعيد باوزير ، مصدر سابق ص ١٨٦ .

(٧٨) عبد الله بلفقيه ، مجموعة كتب في تاريخ وأنساب حضرموت ، ص ١٥ وما بعدها

(٧٩) أنيس الكاف ، مصدر سابق ص ١٠٨ .

(٨٠) سعيد باوزير ، مصدر سابق ص ٩٧ .

(٨١) انظر إحصائية عن مكتبة الأحقاف للمخطوطات ص ٥٠ ، وانظر الكاف ، مصدر سابق ص ١٠٤ .

(٨٢) انظر الإحصائية ص ٨ .

(٨٣) الحبشي ، فهرست المخطوطات اليمنية ص ١١ .

(٨٤) بكير ، بحث في مصادر التاريخ الحضرمي ص ٨ ، الصبان ، تقرير عن لجنة مسح المخطوطات ص ٩ ، وانظر المكتبات في المحافظة الخامسة حقائق وأرقام ص ١٤ .

(٨٥) سعيد باوزير ، مصدر سابق ص ٢٣٧ وما بعدها .

(٨٦) مقال الحركة الصحفية في حضرموت بعد الحرب العالمية الثانية موقع (ملتقى حضرموت) على الشبكة العنكبوتية .

(٨٧) أنيس الكاف ، مصدر سابق ص ٣٤ ، وانظر بن شهاب ، مصدر سابق ص ٢٦٦ وما بعدها .

(٨٨) انظر ابن شهاب ، مصدر سابق ص ٢٠٦ .

(٨٩) أنظر مجلة العربي نصف قرن من المعرفة والاستنارة ، مجموعة باحثين ، ج ١ / ١٦٨

(٩٠) انظر مجلة الإخاء العدد (١) محرم ١٣٥٧هـ .

(٩١) انظر مجلة الإخاء العدد (٨) رمضان ١٣٥٧هـ .

(٩٢) انظر مجلة الإخاء الأعداد(١ ، ٥ ، ٦ ، ٧) لعام ١٣٥٧هـ .

(٩٣) انظر مجلة الإخاء العدد (١١) ذي القعدة ١٣٥٧هـ .

(٩٤) انظر مجلة الإخاء الأعداد (١ – ١١) لعام ١٣٥٧هـ .

(٩٥) انظر مجلة الإخاء الأعداد (٦ ، ٧) لعام ١٣٥٧هـ .

(٩٦) انظر النشرة الداخلية لجمعية الأخوة العدد (٣) ربيع أول ١٣٨٢هـ .

(٩٧) انظر النشرة الداخلية للجمعية العدد (٢٥) محرم ١٣٨٤هـ .

(٩٨) انظر النشرة الداخلية للجمعية العدد (٣) ربيع أول ١٣٨٢هـ .

(٩٩) انظر النشرة الداخلية للجمعية العدد (٣) ١٣٨٢هـ والعدد (١٩) رجب ١٣٨٣هـ .

(١٠٠) انظر بامؤمن ، مصدر سابق ص ٣٦٩

المصادر والمراجع

أولاً : المخطوطات :

- عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف ، بضائع التابوت

ثانياً : الكتب :

١) ابن الأثير، أسد الغابة، نسخة الكترونية، المكتبة الشاملة

٢) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، نسخة الكترونية، المكتبة الشاملة

٣) أحمد بن زين بن حسن بلفقيه ، مختارات من ديوان أحمد بن زين بلفقيه، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م دار المهاجر، صنعاء

٤) أحمد بن عبد الله بن شهاب ، تريم بين الماضي والحاضر، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، تريم للدراسات والنشر، تريم

٥) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، رفع الإصر عن قضاة مصر، نسخة الكترونية، المكتبة الشاملة

٦) أنيس بن علي الكاف ، مختارات من كتابات شيخ الصحافة الحضرمية، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، تريم للدراسات والنشر، تريم

٧) أنيس بن علي الكاف ، عميد الأسرة الكافية عبد الرحمن بن شيخ الكاف ، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، بدون ناشر

٨) المقدسي البشاري ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، نسخة الكترونية ، المكتبة الشاملة

٩) زين العابدين الجنيد ، ديوان عابدين، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م شركة ومطبعة سرجاي سنغافورة

١٠) سعيد عوض باوزير ، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ/١٩٦١م دار الطباعة الحديثة ، مصر

١١) صالح بن علي الحامد ، تاريخ حضرموت، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م مكتبة الإرشاد، جدة

١٢) د.صالح علي باصرة ، دراسات في تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر ،الطبعة الأولى١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن

١٣) صلاح البكري ، تاريخ حضرموت السياسي ، الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م مكتبة مصطفى بابي الحلبي، مصر

١٤) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف ، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت. الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م تحقيق إبراهيم أحمد المقحفي و عبد الرحمن حسن السقاف. مكتبة الإرشاد، صنعاء

١٥) عبد القادر بن محمد الصبان ، الحركة الأدبية في حضرموت. الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م مكتب وزارة الثقافة م/حضرموت، المكلا

١٦) د. عبد الكريم بكار، فصول في التفكير الموضوعي. الطبعة الخامسة ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م دار القلم، دمشق

١٧) عبد الله بن حسن بلفقيه ، تذكرة الباحث المحتاط في شئون وتاريخ الرباط. الطبعة الأولى، بدون تاريخ، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة

١٨) عبد الله بن حسن بلفقيه ، مجموعة كتب في تاريخ وأنساب حضرموت، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م تريم للدراسات والنشر، تريم

١٩) عبد الله بن محمد الحبشي ، فهرست المخطوطات اليمنية في حضرموت، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م المركز اليمني للأبحاث الثقافية، عدن

٢٠) علي بن أحمد باصبرين ، المهمات الدينية في بعض المرتكب من المناهي الربانية ، تحقيق أكرم مبارك عصبان الطبعة الأولى١٤٢٨هـ ٢٠٠٧/ ، بدون ناشر

٢١) علي أحمد باكثير ، همام أو في بلاد الأحقاف، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، مؤسسة الصبان وشركاه، عدن

٢٢)علي بن سالم سعيد بكير، بحث في مصادر التاريخ الحضرمي، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، المركز اليمني للأبحاث الثقافية، سيئون

٢٣) علي بن سالم سعيد بكير،رجال وكتب ،الطبعة الأولى، بدون تاريخ، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا

٢٤) علي عقيل ، حضرموت ،الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م مطبعة سوريا، دمشق

٢٥) عمارة اليمني ، تاريخ اليمن (المفيد في أخبار صنعاء وزبيد)، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، الطبعة الثالثة١٤٠٦هـ/١٩٨٥م ،المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء

٢٦) عمر بن علي بن سمرة ، طبقات فقهاء اليمن، الطبعة الأولى١٣٧٧هـ/١٩٥٧م، المكتبة الحديثة، القاهرة

٢٧) فان ديرميلين و غ.فون وايزمان ، حضرموت إزاحة النقاب عن بعض غموضها، ترجمة د.محمد سعيد القدال ، الطبعة الأولى١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن

٢٨) كرامه مبارك سليمان بامؤمن ، الفكر والمجتمع في حضرموت، الطبعة الأولى، بدون تاريخ ولا ناشر

٢٩) كرامه مبارك سليمان بامؤمن ، التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن جـ١ الطبعة الأولى١٤١٥هـ/١٩٩٤م مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء

٣٠) مالك بن نبي ، شروط النهضة ، ترجمة عبد الصبور شاهين، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م دار الفكر ، دمشق

٣١) محمد بن أحمد الشاطري ،أدوار التاريخ الحضرمي الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، عالم المعرفة ، جدة

٣٢) محمد عبد القادر بامطرف ، المعلم عبد الحق، الطبعة الأولى١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، دار الهمداني، عدن ٣٣) محمد سعيد مديحج ،المدرسة الأم،الطبعة الأولى١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، دار جامعة عدن للطباعة والنشر ، عدن

٣٤) محمد بن علي باحنان ،جواهر تاريخ الأحقاف، الطبعة الأولى١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م مكتبة النهضة الحديثة ،مكة المكرمة

٣٥) محمد علي باحميد ،التعليم النظامي والحكومي في عهد الدولة الكثيرية، الطبعةالأولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م دارحضرموت للدراسات والنشر،المكلا

٣٦) محمد بن هاشم بن طاهر ،رحلة إلى الثغرين، الطبعة الأولى١٣٥٢هـ/١٩٣٣م، مطبعة حجازي،القاهرة

٣٧) محمد بن هاشم بن طاهر، تاريخ الدولة الكثيرية ،طبعةعام١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م تريم للدراسات والنشر

٣٨) د.محمد يسلم عبد النور،العلوم الشرعية في حضرموت في القرنين السابع والثامن للهجرة ،الطبعة الأولى١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م تريم للدراسات والنشر، تريم

٣٩) هشام علي ،المثقفون اليمنيون والنهضة ،الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م مكتبة الإرشاد، صنعاء

٤٠) لجنة التوثيق ،التعليم في وادي حضرموت،الطبعة الأولى١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م،مكتب التربية والتعليم بوادي وصحراء حضرموت، سيئون

٤١) مجموعة باحثين ، مجلة العربي نصف قرن من المعرفة والاستنارة،الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، كتاب العربي، الكويت

ثالثاً : دوريات ومجلات :

١) أحمد عوض باوزير، الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي بين الحربين العالميتين (١٩١٤ – ١٩٣٩م) ، بحث ضمن وثائق الندوة العلمية التاريخية حول المقاومة الشعبية في حضرموت ط، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، جامعة عدن كلية التربية المكلا .

٢) أحمد عوض باوزير، علي أحمد باكثير سنوات في جاوة وحضرموت . مجلة الحكمة العدد (١٣) ١٩٨٧م، عدن

٣) د.صالح علي باصرة ، لمحة موجزة عن تاريخ نشوء ونضال حركة التلاميذ والطلاب في حضرموت (١٩٣٠م – ١٩٦٧م)، بحث ضمن وثائق الندوة ، مصدر سابق

٤) جعفر محمد السقاف ، تاريخ الحركات الشعبية الإصلاحية في حضرموت، بحث ضمن المصدر السابق

٥) علي الفقيه، مجلة الموقف الأدبي العدد (٣٠١) دمشق، نسخة الكترونية

٦) د.محمد سعيد داؤود، حركة ابن عبدات في الغرفة بحضرموت (١٩٢٤ – ١٩٤٥ م)، بحث ضمن وثائق الندوة، مصدر سابق

٧) د.محمد عبد الكريم عكاشة ، التطور السياسي في حضرموت (١٩١٨ – ١٩٦٧م)، بحث ضمن المصدر السابق

٨) نجيب سعيد باوزير، المسارالتاريخي للشعر في حضرموت، مجلة الوطن العمانية، نسخة الكترونية

٩) مجلة الإخاء، صدرت عن جمعية الأخوة والمعاونة بتريم الأعداد للسنوات (١٣٥٧– ١٣٥٩هـ)، من مصورات مكتبة خرد، تريم

١٠) (النشرة الداخلية)، صدرت عن جمعية الأخوة والمعاونة بتريم، الأعداد للسنوات (١٣٨٢ – ١٣٨٤هـ)، من مصورات مكتبة خرد، بتريم

١١) مقال (الحركة الصحفية في حضرموت بعد الحرب العالمية الأولى) ، موقع ملتقى حضرموت على الشبكة العنكبوتية .

من فقهاء تريم
في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين

د. علوي بن حامد بن شهاب الدين

الحمد لله ولي المتقين، والعاقبة لعباد الله الصالحين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وخاتم النبيين، سيدنا محمد، وعلى آله الغر الميامين، وصحابته الأخيار أجمعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد...

لقد بعث الحق تبارك وتعالى رسله إلى الخلق كافة لإخراجهم من الظلمات إلى النور، فجاء نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بشرعة متكاملة، ختم بها الرسالات، فعلّم الناس أحكام دينهم، ولم ينتقل إلى الدار الآخرة إلا بعد ما بين للأمة ما تحتاجه، فقد روى العرباض بن سارية رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال: (تركتكم على البيضاء؛ ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك)[1] وبيَّن لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أن اليمن من البلاد المباركة فقال مادحًا لها: (جاء أهل اليمن؛ هم أرق أفئدة، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية).[2]

ولما كانت اليمن متميزة بالفقه الإسلامي بشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لها، ظهر في أصقاع اليمن المباركة، فقهاء متميزون، ومن أصقاع اليمن المشهورة بالفقه الشافعي حضرموت، وأخص من حضرموت مدينة تريم التاريخية، التي عُرفت بتاريخها الإسلامي الناصع.

وفي هذا البحث المتواضع سأتناول تراجم بعض الأعلام التريمية التي عُرفت بمشاركتها في علم الفقه في القرون المتأخرة؛ لأن استعراض الفقهاء التريميين على ممر الأعصار يحتاج إلى مجلدات كبار، لا يسعه بحث مختصر كالذي بين أيدينا، وهنا سأتكلم عن بعض المتأخرين من فقهاء تريم الذين لم تسلط عليهم الأضواء، خصوصًا أن بعضهم قد تولى القضاء في تريم أو خارجها، وبعضهم كان مفتيا لمدينة تريم، وسأذكر في نهاية البحث بعضًا من مشاهير فقهاء تريم في سطور مختصرة مكتفيا بشهرتهم التي طبقت الآفاق، فأقول مستعينًا بالله ومتوكلا عليه:

فقيه تريم وقاضيها

القاضي السيد حسين بن أحمد بن محمد الكاف

المتوفى سنة ١٣٣٣هـ [٣]

اسمه ونسبه:

هو السيد العلامة القاضي حسين بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن محمد الكاف ينتهي نسبه إلى الإمام المهاجر أحمد بن عيسى النقيب بن محمد جمال الدين بن علي العُريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

ولادته[٤] ونشأته وشيوخه:

نشأ السيد حسين بن أحمد الكاف نشأة كريمة بين أبوين عظيمين، فوالده عالم وعابد وزاهد، وأمه الصالحة زهراء بنت أحمد بن علوي الكاف، فغرسا في قلب ولدهما حب العلم، فشب على ذلك، فمن أشهر شيوخه:

١. والده العلامة السيد أحمد بن محمد بن عبدالله الكاف.
٢. العلامة السيد حسين بن محمد الحبشي.
٣. العلامة السيد عيدروس بن عمر الحبشي.
٤. العلامة السيد أحمد بن حسن العطاس.
٥. العلامة السيد علي بن محمد الحبشي.
٦. العلامة السيد عبدالرحمن بن محمد المشهور.
٧. العلامة السيد عبدالقادر بن أحمد بن قطبان السقاف.

المناصب التي شغلها السيد حسين بن أحمد بن محمد الكاف:

إن من يتلقى العلم على شيوخ أجلاء مثل المتقدم ذكرهم يتأهل للتصدر في كل مجالات الإفادة والنفع؛ لذلك نجد السيد حسين بن أحمد الكاف تصدر للتدريس والقضاء على النحو الآتي:

أولا: تصدره للتدريس:

تولى الفقيه السيد حسين بن أحمد الكاف التدريس في الأماكن الآتية:

١. رباط تريم العلمي.

٢. مدرسة آل عبدالله بن شيخ العيدروس.

وتخرج به الكثير من مشاهير علماء حضرموت، فمن أشهرهم العلامة السيد علوي بن عبدالله بن شهاب.

ثانيا: توليه القضاء:

تولى القضاء في مدينة تريم بأمر من شيخه السيد العلامة أحمد بن حسن العطاس، فلما علم بذلك شيخه العلامة السيد علي بن محمد الحبشي فرح وقال له: (الله يعينك ويساعدك ويثبتك، أنت نأمنك على أنفسنا وعلى المسلمين، وغيرك لا نأمنه على أنفسنا ولا على المسلمين) وتفيد المصادر التي ترجمت للقاضي أحمد الكاف أنه تولى قضاء تريم مرتين.

وفاته:

توفي السيد حسين بن أحمد الكاف بتريم في الثاني من شهر شوال سنة ١٣٣٣هـ ودفن بمقبرة زنبل، فرحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار.

فقيه تريم وقاضيها

القاضي الشيخ مبارك عُمَيّر باحريش(٥)

(١٣٢٩ - ١٣٦٧هـ)

اسمه ونسبه:

هو الشيخ العلامة القاضي مبارك بن عُمَيّر بن مبارك بن عبيد بن سالم بن سعيد باحريش.

مولده ونشأته:

ولد الشيخ مبارك في شهر محرم سنة ١٣٢٩هـ الموافق ١٩٣٧م بمدينة تريم بمنطقة الخليف، وتوفي والده ولم يتجاوز عمره الحادية عشرة سنة، فتولت والدته الصالحة حليمة بنت عُمَيِّر بن سالم باحريش تربيته.

طلبه للعلم وأشهر شيوخه:

بدأ الشيخ مبارك تعليمه في الكتاتيب ليتعلم الصلاة والكتابة والقرآن الكريم، ولما بلغ من العمر عشر سنوات أراد والده أن يُخرجه من الكتاتيب؛ ليعمل معه في الزراعة، إلا أن الشيخ مبارك قال لوالده: أنا لا أحب هذا العمل وأريد أن أواصل تعليمي، فتشاور والده مع والدته في شأن ولدهم الذي يريد أن يدرس أكثر من غيره من بناء عمومته، فاتفقا على ترك هذا الأمر لمشورة العلامة الحبيب عبدالباري بن شيخ العيدروس، فأشار عليهم بإتاحة الفرصة لولدهم بالتعلم ما دام راغبا في ذلك.

وهكذا استمر الشيخ مبارك في تلقيه للعلم، فدرس في رباط تريم، حتى التحق بمدرسة الحق، ومن أشهر شيوخه:

١. العلامة السيد عبدالباري بن شيخ العيدروس.
٢. العلامة السيد محمد بن حسن بن أحمد عيديد.
٣. العلامة السيد عبدالله بن عمر الشاطري.
٤. العلامة السيد علوي بن عبدالله بن شهاب.
٥. العلامة السيد حامد بن محمد السري.
٦. العلامة الشيخ سالم سعيد بكّير باغيثان.
٧. العلامة الشيخ محمد بن أبي بكر الخطيب.
٨. العلامة الشيخ فضل عرفان بارجاء.
٩. العلامة الشيخ عمر بن محمد الخطيب.
١٠. العلامة السيد عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف.
١١. العلامة السيد محمد بن هادي السقاف.

المناصب التي شغلها الشيخ مبارك عمير باحريش:

بعد أن تلقى الشيخ مبارك حظًا وافرًا من العلوم، رأى شيوخه أنه قد تأهل لإفادة غيره، ولقد عمل الشيخ مبارك في مجال التدريس ومجال القضاء حسب التفصيل الآتي:

أولا: توليه التدريس:

١. عُين مدرسًا في رباط تريم لحلقات المبتدئين في التعليم.

٢. عين مدرسا في مدرسة جمعية الأخوة والمعاونة: ولما كانت هذه المدرسة عصرية وجدت لها نظاماً تعليمياً متميزاً، حتى وجد للشيخ مبارك في مذكراته كيف كان يُحضر لدروس هذه المدرسة، وإليك نموذجا من ذلك.

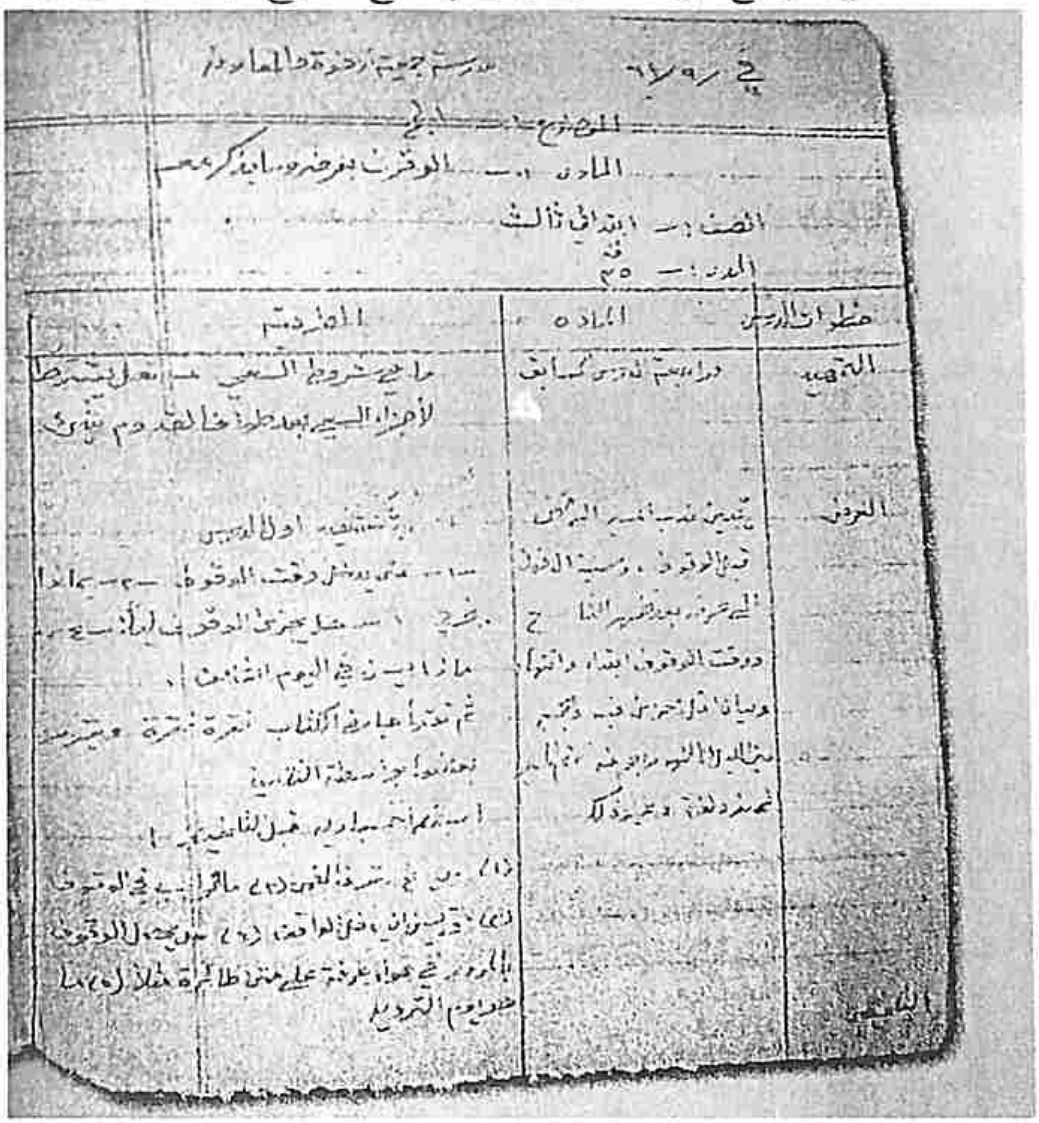
موضوع الدرس: الحج

الوقوف بعرفة وما يُذكر معه

الصف: ابتدائي ثالث المدة: ٣٥ دقيقة

خطوات الدرس	المادة	الطريقة
التمهيد	مراجعة الدرس السابق	ما هي شروط السعي؟ هل يشترط لإجراء السعي بعد طواف القدوم شيء؟
العرض	تبين ندب المسير إلى منى قبل الوقوف، ونية الدخول إلى عرفة بعد ظهر التاسع، ووقت الوقوف ابتداء وانتهاء والجمع بين الليل والنهار بعرفة ثم المسير إلى مزدلفة وغير ذلك.	أسئلة تكشّف أول الدرس ١- متى يدخل وقت الوقوف؟ ٢- بماذا يخرج؟ ٣- هل يُجزئ الوقوف ليلا؟ ٤- ماذا يُسن في اليوم الثامن؟ ثم تقرأ عبارة الكتاب فقرة فقرة، يقرر بعضها بوساطة التلاميذ.
الخلاصة		١. هل يصح وقوف المغمى عليه؟ ٢. ما الواجب في الوقوف؟ ٣. متى يُسن أن يدخل الواقف؟ ٤. هل يحصل الوقوف بالمرور في هواء عرفة على متن طائرة مثلا؟ ٥. ما هو يوم التروية؟

صورة توضح طريقة تحضير درس في الحج للشيخ مبارك باحريش



ثانيًا: توليه القضاء:

تلقت جمعية الأخوة والمعاونة بتاريخ ١٣٦٢/١٠/٢٩هـ كتابًا بإمضاء سلطاني من الدولة الكثيرية والقعيطية يتضمن إسناد أمر القضاء والإشراف على تنظيم أعماله إليها، فعيَّن الشيخ مبارك باحريش قاضيا في مدينة تريم منذ سنة ١٣٦٣هـ وحتى سنة ١٣٦٦هـ، عُرف القاضي باحريش أثناء هذه الفترة بالنزاهة والورع، حتى ذكر من ورعه أنه لم يقبل الهدية من الأضاحي إلا ممن كان يعطيه منها قبل تولِّيه القضاء.

ثم عين قاضيا بسيئون في شهر شعبان سنة ١٣٦٦هـ واستمر قاضيا بسيئون إلى سنة ١٣٦٧هـ.

تلاميذ الشيخ مبارك عمير باحريش:

تقدم معنا أن الشيخ مبارك باحريش درس في مدرسة جمعية الأخوة والمعاونة وفي رباط تريم، ومن مشاهير تلاميذه:

١. السيد حسن بن زين بلفقيه المتوفى سنة ١٣٩٩هـ.
٢. السيد أبوبكر بن عبدالله بن سميط المتوفى سنة ٢٠٠٣م.
٣. الشيخ عبدالله بن محمد بن أبي بكر الخطيب المتوفى سنة ١٤٢١هـ.
٤. الشيخ فضل بن عبدالرحمن بافضل المتوفى سنة ١٤٢١هـ.
٥. السيد أحمد بن ضياء بن علي بن شهاب المتوفى سنة ١٤٢٥هـ.
٦. الشيخ عمر بن كرامه بن سعيد بلدرم.
٧. السيد علي بن محمد بن علي بن شهاب الدين.

وفاته:

توفي الشيخ مبارك باحريش بمدينة تريم في شهر شوال سنة ١٣٦٧هـ ودفن بمقبرة الفريط فرحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار.

الفقيه السيد محمد بن عبدالله العيدروس[٦]
(١٣٠٨ - ١٣٨٠هـ)

اسمه ونسبه:

هو الفقيه العلامة السيد محمد بن عبدالله بن حسين بن عبدالرحمن العيدروس. ينتهي نسبه إلى الإمام المهاجر أحمد بن عيسى النقيب بن محمد جمال الدين بن علي العُريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

مولده ونشأته:

ولد السيد محمد بن عبدالله العيدروس في قرية الريضة سنة ١٣٠٨هـ، وبدأ دراسته في الريضة حتى عزم على الالتحاق برباط تريم.

طلبه للعلم وأشهر شيوخه:

التحق برباط تريم سنة ١٣٢٨هـ وبدأ تحصيله العلمي تحت رعاية وإشراف شيخه العلامة السيد عبدالله بن عمر الشاطري، وهو من جُل مشايخه، ومن مشاهير شيوخه أيضًا:

١. العلامة السيد أحمد بن حسن العطاس.
٢. العلامة السيد أحمد بن عبدالرحمن السقاف.
٣. العلامة السيد حسين بن أحمد الكاف.
٤. العلامة السيد عبدالباري بن شيخ العيدروس.
٥. العلامة السيد عبدالرحمن بن محمد المشهور.
٦. العلامة السيد علوي بن عبدالرحمن المشهور.

المناصب التي شغلها السيد محمد بن عبدالله العيدروس:

بعد أن تضلع من العلوم أذن له أشياخه في التصدر للتدريس، فتولى التدريس في الأماكن الآتية:

١. حلقات مسجد بابطينة التابعة لرباط تريم.
٢. مدرسة آل عبدالله بن شيخ العيدروس.
٣. الحرم المكي في أثناء وجوده بمكة المكرمة.
٤. المعهد الأندنوسي بمكة في أثناء وجوده بمكة المكرمة.
٥. زاوية الفقيه المقدم.
٦. لمدرسة الصلوتية بمكة المكرمة.

ومن مشاهير تلاميذه:

١. العلامة السيد محمد بن سالم بن حفيظ.
٢. العلامة السيد يحيى بن أحمد العيدروس.
٣. العلامة الشيخ عمر بن عبدالله الخطيب.

وفاته:

توفي السيد محمد بن عبدالله العيدروس رحمه الله في السادس من رمضان سنة ١٣٨٠هـ بمدينة تريم وقد دفن بها. وألقيت فيه المراثي المعبرة عن الحزن على فراقه، من قبل السيد العلامة محمد بن سالم بن حفيظ، والشيخ العلامة عاشور الحبشي المكي، ومن أشهر ما قيل فيه:

أبى الله إلا رفعه وعلوه

وليس لما يعليه ذو العرش واضع

ولاذ بآثار الرسول وصحبه

وآلٍ ومن تابع لهم فهو تابع[٧]

فقيه تريم ومفتيها

الشيخ سالم سعيد بكيّر باغيثان[٨]

(١٣٢٣ - ١٣٨٦هـ)

اسمه ونسبه:

هو الشيخ العلامة الفقيه سالم بن سعيد بن سالم بكيّر باغيثان، ينتمي إلى عائلة حضرمية تريمية الأصل تسكن وادي عيديد.[٩]

مولده ونشأته:

ولد بتريم في شهر رجب سنة ١٣٢٣هـ بوادي عيديد، وتربى في أحضان العفة والكرامة بين أبوين كريمين، ونشأ بين زوايا تريم ومساجدها.

طلبه للعلم وأشهر شيوخه:

درس القرآن العظيم في دور طفولته على يد المعلم الشيخ عبدالرحمن بن محمد باحرمي في معلامة بارشيد، وعند ما فتحت مدرسة جمعية الحق سنة ١٣٣٤هـ التحق بها وكان لا يعرف إلا القرآن، فتعلم تجويده على يد الشيخ محمد بن عوض بافضل، كما تعلم قواعد الخط والإملاء. كما درس في جمعية الحق على يد المشايخ:

١. السيد محمد عبدالمولى بن عبدالقادر بن طاهر.

٢. الشيخ حسن بن محمد عرفان بارجاء.

٣. السيد أحمد بن عمر بن عوض الشاطري.

ويعد الشاطري شيخه الذي تخرج به حيث قرأ عليه عددا من الكتب في علوم مختلفة منها (الفقه والنحو والمعاني والبيان والمنطق والجغرافيا) ولم يكتف الشيخ سالم بالدراسة على شيخه السيد أحمد الشاطري في جمعية الحق بل واظب على دروسه التي يعقدها في بيته، وفي جامع تريم، وفي مسجد بابطينه بعد صلاة الصبح.

تدريسه وأشهر من أخذوا عنه:

وفي سنة ١٣٣٧هـ أسس السيد أحمد بن عمر الشاطري جمعية نشر الفضائل، ولها مدارس بتريم، وعين الشيخ سالم مدرسًا في إحدى مدارسها.

كما عين سنة ١٣٤٦هـ مدرسًا برباط تريم[١٠] بطلب من السيد عبدالله بن عمر الشاطري، ولقد قُرأتْ عليه العديد من كتب الفقه مرارا؛ فمن أشهرها (منهاج الطالبين، فتح المعين، شرح المنهج، بغية المسترشدين، كفاية الأخيار، فتح القريب، الإقناع).

كما درَّس في المعهد الفقهي منذ افتتاحه سنة ١٣٧٧هـ. كما درَّس بمدرسة الإقبال بدمون.

تولّيه رئاسة مجلس الإفتاء بتريم:

بعد أن بلغ الشيخ سالم من العلم مبلغا سامقا، مع الإخلاص لله والتواضع لعباد الله عُهد إليه رئاسة مجلس الإفتاء بتريم، وكان أعضاؤه يومئذ هم:

١- الشيخ سالم سعيد بكيّر باغيثان (رئيسا)

٢- السيد الشهيد محمد بن سالم بن حفيظ. عضوا

٣- السيد عبدالله بن علي المشهور. عضوا

٤- السيد محمد بن أحمد الشاطري. عضوا

٥- السيد محمد بن عبدالله بن عيدروس العيدروس. عضوا

٦- السيد عيدروس بن عبدالله بن عيدروس العيدروس. عضوا

آثار المؤلف:

كتب الشيخ سالم سعيد بكيّر باغيثان عددا من المؤلفات النافعة، فمن أشهر كتبه:

١. إقامة البراهين والأدلة وكشف تمويهات الآراء المضلة في حكم تعميم الرؤية وتوحيد إثبات الأهلّة (ط).
٢. تحذير المسلمين من دسائس وضلالات المفسدين في الدين (ط).
٣. تذكير طلاب النجاة بأحكام الإسلام فيمن ترك الصلاة (ط).
٤. تعليقات على (عماد الرضا في أدب القضاء) للشيخ زكريا الأنصاري (خ).
٥. تعليقات على (الياقوت النفيس) للسيد أحمد بن عمر الشاطري (خ).
٦. دفع الاعتراض وتحقيق الحق في صلاة الخمسة الفروض (خ).
٧. فتح الإله المنان مما تم جمعه من فتاوى الشيخ العلامة المحقق والفقيه المدقق سالم بن سعيد بكيّر باغيثان (ط).
٨. القول المبين في تجهيز موتى المسلمين (ط).
٩. وضوح البطلان في الحكم بعدم الفطر بالحقن بالإبرة في نهار رمضان(ط).

وفاته:

بعد حياة علمية حافلة توفي الشيخ سالم سعيد رحمه الله إثر مرض ألم به في تريم، يوم الثلاثاء الثاني عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٨٦هـ، وتكلم في جنازته السيد المؤرخ عبد اللاه بن حسن بلفقيه، وخسرت تريم والعالم فقيها عالما، ولقد رثاه جمع من الشعراء من تريم وعدن وعينات وسنغافورة، ومن تلك المراثي ما ألقاها الأديب الشاعر حامد بن أبي بكر بن حسين المحضار قال فيها:

قضى عالم الغنّا العظيم الذي بنا ... على قمة العليا بنور الهدى صرحا
قضى شيخ فقه الشافعي عميده ... فسحّت عيون الفقه في إثره سحا
قضى بن سعيد سالم فذ عصره ... تقيٌ وعُلا فيها بأهوائه ضحّا
فلم يبق للأهواء فيه معشعش ... وكيف وقد أضحى لمعبوده قحا
سل الليل عن تأويبه متبتلا ... وعن نشره للعلم قم واسأل الصبحا

إمـــام مـــن الأعـــلام لـــست بواجـــد نظـيرا لـه في الفـضل في الهالـة الفيحـا
خـــبير بأســـرار الكتـــاب وســـنة الـــ ـــهدى وبـــآداب المثقفـــة الفـــصحا
لـــه في ديـــاجي المـــشكلات إذا دهـــت زنـــاد هـــدى مـــود إذا ســـامه القـــدحا
فمـــن بعـــده للمـــشكلات ومـــن تـــرى به نكسح التضليل من جونا كسحا
ومـــن ثـــم فلنبـــك عليـــه فإننـــا فقـدنا بـه النـور الـذي يكـشف الجنحـا
فقـــدنا جهـــير الـــصوت غـــير مجمجـــم وقـــورا غيـــورا ألمعـــي الـــذكا سمحـــا
ولـــوع بـــذكر الله أنـــى يكـــن يـــرى بـــه ســـابحا في نـــور أسمائـــه ســـبحا
تملـــى الهـــدى سمتـــا وخلقـــا وســـيرة ولم ينحرف مـا عـاش عـن ذلـك المنحـا
مـــن الـــصفوة الأبـــرار حـــرّاس شـــرعه يـــرون بهـــا الأمجـــاد والـــسعد والربحـــا
يجاهـــد فيهـــا كـــل مـــستهتر بهـــا بـــسن يـــراع يقهـــر الـــسيف والرمحـــا
ولمـــا قـــضى نحبـــا تهلـــل وجهـــه ســـرورا بلقيـــا الله واهبـــه الفتحـــا
طـوى كـشحه عـن كـل فـانٍ وإنمـا يفوز الذي عن كل فان طوى الكشحا

فقيه تريم وعضو مجلس الإفتاء

العلامة السيد الشهيد محمد بن سالم بن حفيظ



اسمه ونسبه:

هو السيد العلامة الفقيه محمد بن سالم بن حفيظ بن الشيخ أبي بكر بن سالم. ينتهي نسبه إلى الإمام المهاجر أحمد بن عيسى النقيب بن محمد جمال الدين بن علي العُريضي بن جعفر

الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

مولده ونشأته:

ولد بمنطقة مشطة — من ضواحي تريم - سنة ١٣٣٢هـ، ونشأ في حجر والده وأدرك جده لأمة العلامة السيد علي بن عبدالرحمن المشهور وأخذ عنه.

طلبه للعلم وأشهر شيوخه:

بدأ العلامة السيد محمد بن سالم بن حفيظ رحلته العلمية على يد والده وجده، فلما شب التحق برباط تريم العلمي، ومن أشهر شيوخه:

١. العلامة السيد عبدالله بن عمر الشاطري.
٢. العلامة السيد علوي بن عبدالله بن شهاب.
٣. العلامة السيد علي بن زين الهادي.
٤. العلامة الشيخ محمد بن عوض بافضل.
٥. العلامة السيد محمد بن هادي السقاف.

آثار المؤلف:

للعلامة السيد محمد بن سالم بن حفيظ عدد من المؤلفات النافعة طبع معظمها، فمن أشهر المطبوع:

١. التذكرة الحضرمية فيما يجب على النساء معرفته من الأمور الدينية.
٢. تكملة زبدة الحديث في فقه المواريث.
٣. دروس في التوحيد.
٤. دليل المسلم (كتيب تكلم فيه عن أهم واجبات المسلم).
٥. الفوائد الثمينة لقارئ المختصر والسفينة.
٦. الفوائد النحوية لقارئ الآجرومية.

٧. قرة العين لجواب أسئلة وادي العين.

٨. المفتاح لباب النكاح.

٩. نظم مولد الحافظ بن كثير الدمشقي.

١٠. نفح الطيب العاطري في مناقب الإمام الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري

١١. النفحة الوردية نظم قصة الميلاد المحمدية.

١٢. النقول الصحاح على العدة والسلاح.

١٣. الوسيلة للوقاية من مضلات الفتن في الإجابة على أسئلة عدن.

أما المخطوطات التي لم تطبع بعد فهي:

١. رحلة الحبيب مصطفى المحضار سنة ١٣٧١هـ

٢. ديوان شعره.

٣. فتاواه الكبرى.

٤. مجموع كلام ومواعظ الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب الدين.

ذكر اختطافه من قبل الشيوعيين:

ألزمت الحكومة الشيوعية بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية (جنوب اليمن سابقا) بعض العلماء ومن ضمنهم العلامة الشهيد محمد بن سالم بن حفيظ بالإقامة الجبرية في حضرموت، وألزموا بالتوقيع في مكتب المأمور لضمان وجودهم بالبلد، وفي يوم الجمعة ١٣٩٢/١٢/٢٩هـ خرج العلامة الشهيد محمد بن سالم بن حفيظ من بيته لصلاة الجمعة مبكرا، فلما حضر وقت التوقيع في مكتب المأمور، ترك رداءه في المسجد، وذهب ليوقع ويعود لصلاة الجمعة كعادته، ولكنه خرج ولم يعد من ذلك التاريخ.

فقيه تريم ومفتيها

الشيخ فضل بن عبدالرحمن بافضل[11]

(١٣٤٧ - ١٤٢١هـ)



اسمه ونسبه:

هو الشيخ العلامة الفقيه فضل بن عبدالرحمن بن محمد بن فضل بن محمد بن حسين بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالقوي بن عبدالوهاب بن أبي بكر بن عبدالرحمن بن عبدالله بن يحيى بن أحمد بن محمد بن فضل بن محمد بن عبدالكريم بن محمد بن فضل بن سعد بن أحمد بن محمد بن الفضل بن أبي الفضل أحمد بن عبدالله بن سعد بن خيثمة بن عبدالرحمن بن أبي سبرة الإمام الصحابي يزيد بن مالك بن عبدالله بن ذؤيب بن سلمة بن عمرو بن ذهل بن مران بن جعفي بن سعد العشيرة بن مالك (ويسمى مذحجا) بن أدد بن يزيد بن يشجب بن عرب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان المذحجي السعدي السبري.[12]

مولده ونشأته:

ولد الشيخ فضل سنة ١٣٤٧هـ الموافق ١٩٢٩م في مدينة شربون[13] في إندونيسيا، وسماه الحبيب علوي بن محمد الحداد (صاحب بوقور) فضلا، وقال لأبيه عند التسمية: إن كبار أجدادكم فيهم الكثير ممن اسمه فضل ونرجو أن يلحق بالسلسلة الولد الجديد إن شاء الله. ونشأ وتربى في بداية حياته بمدينة شربون حيث يقيم والداه، ثم خرج به والده إلى تريم وعمره لم يتجاوز العشر سنوات مع أخيه وشقيقه الأكبر عمر.

طلبه للعلم وأشهر شيوخه:

بدا الشيخ فضل رحلته العلمية بمدارس القرآن مع أخيه عمر، ثم أدخلهما والدهما رباط تريم العلمي، ومن أشهر شيوخه:

١. الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري (ت ١٣٦١هـ).
٢. الشيخ محمد بن عوض بافضل (ت ١٣٦٩هـ).
٣. الشيخ سالم بن سعيد بكيّر باغيثان (ت١٣٨٦هـ).
٤. الشيخ محفوظ بن سالم بن عثمان (ت ١٣٩٦هـ).
٥. الشيخ توفيق بن فرج أمان (ت ١٣٩٩هـ).

تدريسه وأشهر من أخذوا عنه:

كان من سنة السلف الصالح أن يتولى التدريس من تأهل له بعد إذن شيوخه له، والشيخ فضل تولى التدريس مبكرا في عدة مواطن، فلقد تصدر للتدريس في الأماكن الآتية:

١. درس طلاب العلم في بيته.
٢. زاوية الشيخ سالم بافضل.
٣. رباط تريم العلمي.
٤. مسجد فضل بامقاصير.
٥. كلية الشريعة (جامعة الأحقاف).

وبالنظر إلى الأماكن التي تولى التدريس فيها؛ فإنه يعسر حصر طلاب العلم الذين تخرجوا على يديه، إلا أننا يمكن أن نذكر كبار تلاميذه الذين يعدون اليوم من العلماء الذين يشار إليهم بالبنان والذين يشكلون اليوم أبرز أعضاء مجلس الإفتاء بمدينة تريم عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ٢٠١٠م وهم:

١- السيد علي المشهور بن محمد بن سالم بن حفيظ. (رئيسا)
٢- الشيخ محمد بن علي الخطيب. عضوا.
٣- الشيخ محمد بن علي باعوضان. عضوا.

٤- السيد حسن بن محسن الحامد. عضوا.

٥- الشيخ محفوظ بن كرامة سهيل. عضوا.

آثار المؤلف:

من يقرأ عن علماء حضرموت يجد كثيرا منهم يهتم بالعلم ثم العمل والتعليم، ولا يتفرغ أكثرهم للاعتكاف على الكتابة والتأليف، ولعل من أدل الأدلة على ذلك إذا نظرنا إلى شيوخ الشيخ فضل عليهم رحمة الله جميعا، لا نجد لهم مؤلفات تذكر مقارنة بما عرف عنهم من التمكن العلمي الذي أهلهم أن يُخرجوا تلاميذ نجباء كأمثال الشيخ فضل، إلا أننا نجد الشيخ فضل عليه رحمة الله أبقى لنا آثارا تدل على علمه كأنه يقول:

تلكم آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

ومن أشهر آثار المؤلف ومؤلفاته:

١. تعليقات على (مطلب الإيقاظ) للحبيب عبدالله بن حسين بلفقيه.
٢. تقريرات على (زيتونة الإلقاح) للشيخ عبدالله باسودان.
٣. حاشية على (عماد الرضا) للشيخ زكريا الأنصاري.
٤. حاشية على (إيضاح العمدة في مسائل العهدة) للشيخ علي بن عبدالرحيم باكثير.
٥. الفتاوى الفقهية والفوائد وقد طبعت بعنوان (مناهل العرفان من فتاوى وفوائد الشيخ فضل بن عبدالرحمن).
٦. فوائد في النكاح (مختصر في علم النكاح).
٧. الفوائد المحبرة على مسائل الحج والعمرة.

وفاته:

بعد حياة حافلة بالعطاء والعلم والمعرفة، حان انتقال الشيخ إلى دار الجزاء، فمرض الشيخ فضل يوم الخميس، وتوفي بتريم يوم السبت الحادي عشر من شهر المحرم سنة ١٤٢١هـ، الموافق ١٤/٤/٢٠٠٠م ودفن يوم الأحد بعد أن شيع جثمانه أهله وطلاب العلم

والأعيان من نواحي حضرموت، وقبل الصلاة عليه تكلم العلماء منبهين إلى أن وفاة العلماء علامة لانحسار العلم وانقباضه؛ حتى يتيقظ طلاب العلم للاهتمام بالعلم ليكونوا خير خلف لأسلافهم وأشياخهم، ولقد رثاه عدد من الشعراء، فمن أشهرهم الشاعر الأديب عبدالقادر الجيلاني بن علوي الخرد حيث ألقى قصيدة طويلة منها قوله:

فـــضل وإحـــسان وجـــود دائـــم ... مـــن الله يغـــشى الفاضـــل الفـــضلي

أيـــا فـــضل ودَّعنـــاك رحمـــان راحمـــا ... وندعوه أن يجزيك الخير يا فضل بالفضل

أيـــا فـــضل ودَّعنـــاك حـــرّى نفوســـنا ... وكـــل بَنِـــي الغنَّـــا يعـــزون بالفـــضل

أيـــا فـــضل قـــد أنزلـــت ســـاحة رحمـــة ... نزلـــت علـــى مَـــن يُعطـــي الخـــير بالفـــضل

أيا فضل ندعو الربَّ أن يُخلف الورى ... شـــبابا يقيمـــون العلـــوم كمـــا الفـــضل

أيـــا فـــضل تبكيـــك المعاهـــد كلـــها ... وتـــذكر فـــضلا بـــالحنوِّ وبالفـــضل

أيـــا فـــضل تبكيـــك العيـــون دموعهـــا ... ولـــو ســـكب القـــاني لا وفّـــى للفـــضل

أيـــا فـــضل تبكيـــك القلـــوب وجيعـــة ... ومـــن تبكـــي إن لم تبـــكِ للعـــالم الفـــضل

أيـــا فـــضل قـــد فـــضّلت فينـــا بحكمـــة ... وفقـــهٍ وفي الأخـــرى مـــن الله بالفـــضل

أيـــا فـــضل إنـــا حامـــدون لربنـــا ... هـــو الفـــرد محمـــود علـــى الكـــره والفـــضل

وفي الختم صلِّ يـا إلهـي علـى النبي ... وآلٍ وصـــحب والمتـــابع بالفـــضل

فقيه تريم وعضو مجلس الإفتاء

السيد عمر بن أحمد بن عبدالله المشهور القاضي[١٤]

(١٣٣٩ – ١٤٢٥هـ)



اسمه ونسبه وكنيته:

هو السيد العلامة الفقيه القاضي عمر بن أحمد بن عبدالله بن زين المشهور القاضي. ينتهي نسبه إلى الإمام المهاجر أحمد بن عيسى النقيب بن محمد جمال الدين بن علي العُريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

أما عن كنيته فكان يكنى بأبي عبدالله وكان رحمه الله يعتز كثيرا بهذه الكنية، ويُحب أن يُنادى بها.

مولده ونشأته:

ولد السيد عمر المشهور سنة ١٣٣٩هـ الموافق ١٩٢١م في مدينة تريم، ونشأ تحت رعاية والده نشأة حسنة.

طلبه للعلم وأشهر شيوخه:

لما بلغ السيد عمر المشهور سن التمييز ألحقه والده بمدرسة الإقبال بدمون حيث الشيخ عبدالله سعيد باغوث، ثم التحق بعُلمة باغريب بالسحيل، فقرأ القرآن وتعلّم التجويد، ثم

التحق بمعلامة الإمام محمد بن عمر أبي مريم لتحفيظ القرآن الكريم على يد الشيخ سالم بن محمد الخطيب.

ثم التحق برباط تريم سنة ١٣٥١هـ، وانتظم في سلك طلاب العلامة السيد عبدالله بن عمر الشاطري، ولازمه حتى وفاته سنة ١٣٦١هـ، حيث تنقل في دروس الرباط في الفقه الشافعي حتى أكملها، فقرأ الرسالة الجامعة، وسفينة النجا، والمختصر الصغير، والمقدمة الحضرمية، ومتن أبي شجاع وشرحه، وعمدة السالك وعدة الناسك، وفتح المعين، ومنهاج الطالبين. ومن مشاهير شيوخه:

١. الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري (ت ١٣٦١هـ)
٢. الحبيب عبدالباري بن شيخ العيدروس (ت ١٣٥٨هـ).
٣. الحبيب أحمد بن عمر الشاطري (ت ١٣٦٠هـ)
٤. الحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب (ت ١٣٨٦هـ)
٥. السيد زين العابدين بن أحمد الجنيد (ت ١٣٦٤هـ).
٦. الشيخ سالم سعيد بكيّر باغيثان (ت ١٣٨٦هـ).
٧. الشيخ عمر عوض حداد.

توليه القضاء:

استمر السيد عمر المشهور في طلبه للعلم بعد وفاة شيخه الشاطري سنة ١٣٦١هـ وبتشجيع من والده له حتى بعد زواجه رغم الظروف الصعبة والمحنة التي مرت بها حضرموت إبان فترة المجاعة، فلما توفي والده سنة ١٣٦٤هـ، ضاقت عليه السبل، فاضطر للسفر إلى المكلا، ليلتقي هناك بأصحابه من علماء الساحل أمثال:

١- السيد عبدالله بن محفظ الحداد.

٢- السيد عبدالله بن علي بن الشيخ أبي بكر بن سالم.

٣- الشيخ سعيد بن علي با مخرمة.

وأشار عليه أصحابه بالدخول في سلك القضاء؛ لينتفع الناس به من جهة، وليكفي نفسه حاجاتها، فاستأذن والدته، فأذنت له، ولقد تولى القضاء للسلطنة القعيطية في المناطق الآتية:

١- المنطقة الشرقية التابعة للواء شبام.

٢- المنطقة الغربية (حوره).

فلما سقطت السلطنة القعيطية تولى القضاء مع الحكومة الجديدة حيث عين قاضيا في دوعن، ثم نقل إلى محكمة الاستئناف بالمكلا، ثم نقل إلى محكمة الاستئناف بسيئون، وبعدها أحيل إلى التقاعد سنة ١٩٧٣م بعد أن تولى القضاء لمدة سبع وعشرين سنة.

المناصب التي شغلها إلى جانب القضاء:

مر معنا أن السيد عمر المشهور قد اشتغل في سلك القضاء، إلا أنه بعد تقاعده عن سلك القضاء شغل المناصب الآتية:

١- عُيِّن للتدريس بزاوية الشيخ علي بن أبي بكر السكران وذلك سنة ١٤٠٠هـ، وحتى سنة ١٤٢٤هـ.

٢- عين عضوا في مجلس الإفتاء بمدينة تريم.

٣- تولى أمانة عقود الأنكحة بمنطقة دمون وضواحيها.

آثار المؤلف:

كتب السيد عمر المشهور بعض الرسائل المختصرة، لعل أهمها:

١. إيضاح الطريق لسير إجراءات القضاء بالتحقيق.

٢. بغية من تمنى في توضيح بعض معالم تريم الغناء.

٣. ترجمة لسيدنا أبي بكر العدني.

٤. ترجمة لسيدنا الفقيه المقدم.

٥. الدليل الوضاح فيما يجب معرفته لمتولي عقود النكاح.

٦. رسالة في شمائل النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٧. رسالة في الصوم.

٨. شرح الرسالة الجامعة.

٩. فتاوى.

١٠. مقتطف من ترجمة إمام المحدثين أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري.

١١. منحة أهل الإيمان ي شهر رمضان.

١٢. ديوان شعر؛ حيث كان السيد عمر المشهور شاعرا مرحا له العديد من القصائد في المدح والغزل وغير ذلك.

وفاته:

بعد سنوات طويلة من العطاء والخدمة للمسلمين، عاش السيد عمر المشهور بقية عمره قابعا في بيته يستقبل طلاب العلم والمستفتين له، حتى ألمَّ به مرض عضال فتوفي رحمه الله في التاسع من جمادى الآخرة سنة ١٤٢٥هـ عن عمر يناهز ٨٦ سنة، وشُيِّع جثمانه الطاهر إلى مقبرة زنبل بتريم، فرحم الله شيخنا رحمة الأبرار وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار.

من مشاهير فقهاء مدينة تريم

إن حصر فقهاء تريم ليس بالأمر السهل؛ ذلك أن معاهد ومدارس تريم كثيرة، علاوة على أن مشايخ تريم يُدرِّسون في بيوتهم ومساجدهم؛ لذلك كثر الخريجون، وصعب حصرهم، وفيما ذكرت من أعلام الفقهاء إشارة إلى نماذج منهم فقط، ومن مشاهير الفقهاء الترميين:

١. العلامة السيد عبدالرحمن بن محمد المشهور[١٥] مفتي الديار الحضرمية

ولد العلامة السيد عبدالرحمن المشهور بتريم في ٢٩شعبان سنة ١٢٥٠هـ ونشأ بها فحفظ القرآن، ثم أخذ عن شيوخ عصره، وعلى رأسهم العلامة الفقيه عمر بن حسن الحداد، والعلامة السيد محمد بن إبراهيم بلفقيه، والعلامة السيد محسن بن علوي السقاف، والعلامة السيد الحسن بن صالح البحر، والعلامة السيد عبدالله بن حسين بن طاهر، وقد تولى التدريس في رباط تريم، وفي زاوية الشيخ علي بن أبي بكر السكران، توفي بتريم سنة ١٣٢٠هـ.

٢. العلامة الشيخ محمد بن أحمد الخطيب

ولد العلامة الشيخ محمد بن أحمد الخطيب سنة ١٢٨٤هـ، وتضلع في العلوم حتى صار ممن يشار إليهم بالبنان، ومن أشهر شيوخه: العلامة السيد عيدروس بن عمر الحبشي، والعلامة عبدالرحمن بن محمد المشهور، والعلامة علوي بن عبدالرحمن المشهور، ولقد تولى التدريس في زاوية الأوابين، ثم في زاوية مسجد سرجيس، ثم في زاوية مسجد بروم، كما تولى الخطابة في جامع تريم، توفي رحمه الله سنة ١٣٥٠هـ.

٣. العلامة السيد عبدالله بن عمر الشاطري[١٦]



ولد العلامة السيد عبدالله بن عمر الشاطري سنة ١٢٩٠هـ، وتعلم القرآن على يد الشيخين محمد بن سلمان باحرمي وابنه عبدالرحمن، ثم انتظم في مدرسة آل عبدالله بن شيخ العيدروس بالسحيل، ومن أشهر شيوخه بها السيد أحمد بن محمد الكاف والسيد شيخ بن عيدروس العيدروس، ولقد لازم السيد عبدُالله الشاطري العلامة السيد عبدَالرحمن بن محمد المشهور والعلامة السيد علوي بن عبدالرحمن المشهور، ودرَّس في رباط تريم في حياة شيخه العلامة عبدالرحمن المشهور، منذ سنة ١٣١٤هـ، واستمر في إدارة التدريس في رباط تريم حتى وفاته سنة ١٣٦١هـ.

٤. العلامة السيد علوي بن عبدالله بن شهاب الدين



ولد العلامة السيد علوي بن عبدالله بن عيدروس بن شهاب الدين سنة ١٣٠٣هـ بتريم ونشأ تحت رعاية والدته لغياب والده بجاوة، ومن أشهر شيوخه العلامة السيد عبدالرحمن بن محمد المشهور والعلامة السيد عبدالله بن عمر الشاطري، والسيد علوي بن عبدالرحمن بن أبي بكر المشهور. وكان للسيد علوي بن شهاب دور ريادي في قيادة الرباط مع شيخه الشاطري وبعد وفاته، توفي رحمه الله سنة ١٣٨٦هـ.

الهوامش :

(١) المستدرك على الصحيحين برقم [٣٣٣١].

(٢) صحيح مسلم برقم [٥٢] من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) مصادر هذه الترجمة : تعريف الأحفاد بمناقب الأجداد للسيد طاهر بن حسين بن أحمد الكاف (٦٨- ٦٩) تحفة الأحباب (١١٨- ١١٩) وتذكرة الباحث المحتاط في شئون وتاريخ الرباط (٢٢- ٢٣) والخبايا في الزوايا (٥٩) أفادني ذلك الطالب النبيه حسين بن محمد بن أحمد بن عبدالقادر الكاف. ولم أقف على تاريخ ولادته.

(٤) لم أقف على تاريخ ولادته.

(٥) مصدر هذه الترجمة بحث بعنوان (الشيخ مبارك عمير باحريش رجل العلم والقضاء) للطالب خالد محفوظ باحريش.

(٦) ينظر الدليل المشير إلى فلك أسانيد الاتصال بالحبيب البشير صلى الله عليه وعلى آله ذوي الفضل الشهير وصحبه ذوي القدر الكبير للمسند السيد أبي بكر بن أحمد بن حسين الحبشي المتوفى سنة ١٣٧٤هـ.

(٧) التمهيد الكريم في ذكر بعض أخبار تريم.

(٨) مرجع الترجمة مقدمة كتاب (فتح الإله المنان مما تم جمعه من فتاوى الشيخ العلامة المحقق والفقيه المدقق سالم بن سعيد بكير باغيثان) بقلم : السيد عبدالرحمن بن حامد السري.

(٩) لوامع النور نخبة من أعلام حضرموت (١٧٦).

(١٠) تأسس رباط تريم سنة ١٣٠٤هـ.

(١١) مرجع الترجمة مقدمة كتاب (مناهل العرفان من فتاوى وفوائد الشيخ فضل بن عبدالرحمن) بقلم السيد عبدالرحمن بن طه الحبشي.

(١٢) ذكر هذا النسب نجل مؤلف كتاب (صلة الأهل بتدوين ما تفرق من مناقب بني فضل).

(١٣) تبعد شربون عن العاصمة جاكرتا حوالي (٢٥٣كم).

(١٤) أصل هذه الترجمة كتبت بقلم ولده السيد عبدالله بن عمر بن عبدالله المشهور فجزاه الله خيرا.

(١٥) أفرد العلامة علي بن عبدالرحمن بن محمد المشهور والده بترجمة مستقلة أسماها (شرح الصدور بذكر بعض أحوال وسير وإجازات ومناقب المسربل بالنور الحبيب العلامة عبدالرحمن بن محمد بن حسين المشهور) وهي مطبوعة لمن أراد التعرف على مفتي الديار الحضرمية.

(١٦) أفرد العلامة محمد بن سالم بن حفيظ شيخه الشاطري بترجمة مستقلة أسماها (نفح الطيب العاطري في مناقب الإمام الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري) وهي مطبوعة ومتداولة.

مراجع البحث

١- تحفة الأحباب

للعلامة النحوي السيد عمر بن علوي الكاف (ت ١٤١٢هـ) دار الحاوي، بيروت، ط١ ، ١٤٢٣هـ.

٢- تذكرة الباحث المحتاط في شؤون وتاريخ الرباط

للمؤرخ النسابة السيد عَبْدِالله بن حسن بلفقيه المتوفى سنة ١٤٠٠هـ.

٣- تعريف الأحفاد بمناقب الأجداد

للسيد طاهر بن حسين بن أحمد الكاف (مخطوط).

٤- التمهيد الكريم في ذكر بعض أخبار تريم

للشيخ عمر بن عبدالله بن أحمد الخطيب المتوفى سنة ١٤١٩هـ (مخطوط).

٥- الخبايا في الزوايا

للعلامة النحوي السيد عمر بن علوي الكاف (ت ١٤١٢هـ) تعليقات: عيدروس بن عمر بن علوي الكاف، دار الحاوي، بيروت، ط١ ، ١٤٢٢هـ.

٦- الدليل المشير إلى فلك أسانيد الاتصال بالحبيب البشير صلى الله عليه وعلى آله ذوي الفضل الشهير وصحبه ذوي القدر الكبير

للمسند السيد أبي بكر بن أحمد بن حسين الحبشي، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٧- شرح الصدور بذكر بعض أحوال وسير وإجازات ومناقب المسربل بالنور الحبيب العلامة عبدالرحمن بن محمد بن حسين المشهور

للحبيب العلامة علي بن عبدالرحمن بن محمد المشهور، دار الأصول، حضرموت

٨- فتح الإله المنان مما تم جمعه من فتاوى

الشيخ العلامة المحقق والفقيه المدقق سالم بن سعيد بكير باغيشان، عالم المعرفة، المملكة العربية السعودية، ط١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٩- لوامع النور نخبة من أعلام حضرموت

للسيد أبي بكر العدني بن علي بن أبي بكر المشهور، مكتبة دار المهاجر - دار المعالي، اليمن - لبنان.

١٠- مناهل العرفان من فتاوى وفوائد الشيخ فضل بن عبدالرحمن

للشيخ فضل بن عبدالرحمن بن محمد بافضل، دار المنهاج، ط١ ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

جهود علماء تريم
في تفسير القرآن الكريم
(الإمام الحداد نموذجاً)

د. عبدالله محمد بن شهاب

في البدء كلمة :

الحمد لله الذي جعل القرآن الكريم نورا وهدى ورحمة وشفاء للمؤمنين، وحث عباده على التدبر والتأمل في آياته وسياقاته ومضامينه حتى ينالوا الفضل الجزيل ويكتبوا مع الصالحين في أعلى عليين، والصلاة والسلام على سيدي وحبيبي وقرة عيني محمد بن عبدالله الذي أنزل الله عليه القرآن واعظا ومرشدا إلى الصراط المستقيم، وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم نلقى ربنا الرحيم الرحمن .

إن معظم جهود علماء تريم في تفسير كلام الله تعالى اعتمدت في جلها على مجموعة من التفاسير القرآنية ؛ قراءة تأملية أو تحليلا موضوعيا أو بعض الوقفات التفسيرية التي تضمنتها بعض الكتب هناك أو هناك، لكن هذا الأمر لا يعني أن علماء تريم ليست لهم تفاسير قرآنية مستقلة كغيرهم من المفسرين،- صحيح أن المكتبة العربية لم تسعفنا بشيء منها إما لضياعها أو فقدها أو لأنها لازالت محفوظة في بعض المكتبات الأهلية - ،إذ إنه من المعلوم أن علم التفسير تبوأ مكانا سامقا في الدور العلمية التريمية لأنه يمثل أحد الأركان الرئيسة لعلوم الشريعة(علم الفقه - علم الحديث - علم التفسير)، فأخذ العلماء التريميون يدرسون مجموعة من التفاسير، مركزين على تفسيرات قرآنية بعينها كتفسير البغوي ، وتفسير الزمخشري ، وتفسير البيضاوي ، وتفسير الجلالين (المحلي والسيوطي)، متأثرين بهذه التفسيرات القرآنية منهجا وأسلوبا وربما وصلوا إلى أبعد من ذلك وبخاصة في توجيهاتهم الإشارية(الرمزية) لبعض الآيات القرآنية.

وقد اشتهر عدد غير قليل من علماء تريم باهتمامهم بالدراسات القرآنية وبخاصة في علم التفسير منهم: العلامة الإمام أبو يحيى سالم بن فضل بن محمد بافضل (ت٥٨١هـ)، والعلامة الإمام عبدالله بن علوي الحداد(ت١١٣٢هـ)، والعلامة الإمام عبدالرحمن بن مصطفى بن شيخ العيدروس(ت١١٩٢هـ).

وقد وقع اختيار هذا البحث على الإمام الحداد للأسباب الآتية:

أولا: تميز الإمام الحداد بالتوجيهات التفسيرية الاستنباطية الدقيقة.

ثانيا: جمع الإمام الحداد بين التفسير بالمأثور والتفسير بالمعقول، أو الذي يسميه بعضهم بالتفسير الإشاري.

ثالثا: وضوح المنهج العلمي الذي اختطه الإمام الحداد في توجيهه الآيات القرآنية.

رابعا: يعد الإمام الحداد خلاصة لمن سبقه من المفسرين التريميين في عصره ومن قبلهم، فالوقوف عند توجيهاته القرآنية هو وقوف عند من سبقه لتأثره بهم.

وقد حاول هذا البحث جاهدا أن يتتبع جملة من الكتب التي ألفها الإمام العلامة عبدالله بن علوي بن محمد الحداد مستقرئا الآيات القرآنية التي وردت فيها، موضحا تعامل الإمام الحداد مع الآيات القرآنية تارة مفسرا، وتارة مؤولا، ثم عرف بقيمة اللفظة القرآنية ـ دلاليا ـ عند الإمام الحداد، إلى غير ذلك من الأمور التي تتصل بالموضوع ذاته.

ولأجل وضوح الفكرة البحثية لهذا الموضوع، والوصول إلى نتائج مهمة، رأى الباحث أن يضع خطة لبحثه تتكون من النقاط الآتية:

أولا: تمهيد (وفيه نظرة عامة عن اهتمام علماء تريم بالدراسات القرآنية بعامة وعلم التفسير بخاصة).

ثانيا: الآيات القرآنية المفسرة عند الإمام الحداد.

ثالثا: الآيات القرآنية المؤولة عند الإمام الحداد.

رابعا: قيمة اللفظة القرآنية ـ دلاليا ـ عند الإمام الحداد.

خامسا: منطلقات التوجيه القرآني عند الإمام الحداد.

سادسا: المنهج العام في كيفية تناول الإمام الحداد للآيات القرآنية.

سابعا: الخلاصة.

مهاد :

قبل أن ألج في الجهود التفسيرية لبعض الآيات القرآنية عند الإمام الحداد أحببت أن أعرج على بعض الجهود العلمية لعلماء تريم في الدراسات القرآنية ليتبين للقارئ الكريم أن علماء تريم لم يكن اهتمامهم منحصرا في مجالات علمية بعينها، بل خلقوا نوعا من التكامل العلمي بين مجموعة من العلوم ؛ فقها ومنطقا وأصولا وفلكا ولغة وعلوم قرآن، صحيح أن غير واحد من النتاجات العلمية لهذه العلوم لم تصلنا إما لفقدها أو ضياعها في مرحلة تاريخية معينة .

ومن هذه الدراسات التي تبوأت مكانا متميزا عند علماء تريم ما يتصل بخدمة كتاب الله تعالى ؛ تفسيرا وتحليلا وتجويدا ناهيك عن تميزهم العلمي في القراءات القرآنية تأليفا وتصنيفا وتعدد قراءات بالإضافة إلى الجهود الصوتية (علم الأصوات اللغوي) التي برزت ضمن هذه الجهود.

ويمكن إبراز هذه الجهود القرآنية على وفق المسارات الآتية[1]:

أولا : جهود علماء تريم في القراءات القرآنية:

لعلماء حضرموت بعامة وعلماء تريم بخاصة اهتمام متميز بالقراءات القرآنية، وعناية فائقة بتلقيها من المشائخ المسندين لها، إذ درج غير واحد منهم على هذا المنوال، فأخذ القراءات السبع أو العشر قراءة وإسنادا، فإن أتيحت له الفرصة في أخذها محليا أخذها، وإن لم تتح غادر البلاد في سبيل أخذها وتلقيها من مشائخها المسندين.

وقد عرفت بلد تريم قراء مشهورين أخذوا القراءة القرآنية بالسند المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن هؤلاء[2]:

- عبدالرحمن بن محمد السقاف مولى الدويلة، المتوفى سنة (٨١٩هـ).
- إبراهيم بن علي بن علوي الخرد باعلوي، المتوفى سنة(٩٣٨هـ).
- أحمد بن عبدالرحمن بن حسين باعلوي، المتوفى سنة(٩٤٥هـ).

أما مؤلفات علماء تريم في علم القراءات فنحت منحى تخصصيا، وأخذت تطرق مسائل تطبيقية مباشرة إما في قراءة قرآنية بعينها وإما في مسألة صوتية من مسائل القراءات المختلفة، إذ

بلغت هذه التصانيف - من غير مبالغة في القول - مبلغا علميا متميزا في طريقة الأخذ والتناول ما لم تبلغه مؤلفات أخرى.

ومن أشهر هذه المؤلفات ما يأتي[٣]:

- كتاب النهر في قراءة أبي عمرو، تأليف: محمد بن عبدالله بن الحسين بن سهل باعلوي، المتوفى سنة(١٣٣٩هـ).

- كتاب اختصار النهر في قراءة أبي عمرو، تأليف: محمد بن عوض بن محمد بافضل، المتوفى سنة (١٣٦٩هـ).

- كتاب تيسير الأمر لمن يقرأ من العوام بقراءة أبي عمرو، تأليف: أبوبكر العطاس بن عبدالله بن علوي بن زين الحبشي، المتوفى سنة(١٤١٦هـ).

أما المؤلفات التي عالجت بعض المسائل الصوتية في القراءات القرآنية فهي على النحو الآتي[٤]:

- البلابل الصادحة على أغصان سورة الفاتحة، تأليف: عبدالله بن أبي بكر القدري بن أحمد باشعيب الأنصاري، المتوفى سنة(١١١٨ هـ).

- رسالة في علم القرءات، تأليف: جعفر الصادق بن مصطفى بن علي بن عبدالله بن شيخ العيدروس، المتوفى سنة(١١٤٢هـ).

إن هذه الدراسات المتخصصة في علم القراءات لتفتح الباب واسعا أمام الباحثين لدراستها والغوص في مكنوناتها، وذلك لإظهار جملة من الحقائق العلمية البارزة تتجلى في الآتي:

١ - معرفة علماء تريم الواسعة في علم القراءات القرآنية بصورة عامة والدراسات المتخصصة فيه بصورة عامة.

٢ - مشاركة علماء تريم غيرهم في إثراء الدرس اللغوي وبخاصة الجانب الصوتي منه.

٣ - تتبع الجهود العلمية الأخرى لعلماء تريم في مستويات الدرس اللغوي الأخرى؛ صرفا ونحوا ودلالة، والتي تحتاج إلى من ينفض الغبار عنها ويتناولها بالدرس والتمحيص.

ثانيا: جهود علماء تريم في علم التجويد:

اعتنى علماء تريم بعلم التجويد عناية لا تقل شأنا عن عنايتهم بعلم القراءات، وقد انبرى منهم في هذا الميدان العديد من المعلمين المهرة المتقنين الذين مارسوا التجويد تدريسا وتلقينا، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: أحمد بن سالم بامنقر، المتوفى سنة(٧٢٤هـ)، ومحمد بن عمر بن محمد الشهير بأبي مريم، المتوفى سنة (٨٢٢هـ)، وعمر بن عبدالله باغريب، المتوفى سنة (١٢٠٥ هـ)، وغيرهم كثر.

أما النتاج العلمي الذي برز لعلماء تريم في هذا المجال العلمي فهو على النحو الآتي[٥]:

- باكورة الوليد (منظومة في علم التجويد)، تأليف: عبدالله بن أبي بكر بن أحمد باشعيب.
- سلم المريد إلى باكورة الوليد، تأليف: أحمد بن علي بن هارون الجنيد، المتوفى سنة(١٢٧٥ هـ).
- منظومة التحفة والباكورة والزوايد في التجويد، تأليف: علوي بن عبدالرحمن بن أبي بكر المشهور، المتوفى سنة (١٣٤١هـ).
- هداية الصبيان، تأليف: سعيد بن سعد بن نبهان، المتوفى سنة(١٣٥٤هـ).
- الدر النضيد في علم التجويد، تأليف: عمر بن أبي بكر بن علوي المشهور، المتوفى سنة (١٣٦٠ هـ).
- رسالة في علم التجويد، تأليف: محمد بن عوض بن محمد بافضل، المتوفى سنة(١٣٦٩هـ).

إن ما قدمه علماء تريم خدمة لعلم التجويد يعد بحق إسهاما علميا لا يستهان به في ميدان الدراسات القرآنية التي تضاهي غيرها من الدراسات القرآنية الأخرى في بلاد الشام أو مصر أو المغرب أو العراق، إذ يستطيع الباحثون المتخصصون أن يجعلوا من هذه الجهود القيمة منهجا علميا مستقلا خاصا بالمدرسة العلمية التريمية يناظر ويقابل غيره من المدارس العلمية الأخرى في أقطار الوطن العربي والإسلامي.

ثالثا:جهود علماء تريم في أحكام القرآن الكريم:

يقصد بأحكام القرآن التفسير الفقهي للقرآن الذي يعرف بآيات الأحكام ، وقد أولى علماء تريم هذا الجانب المهم بالتآليف والتصانيف المتنوعة ، و التي من أبرزها ما يأتي[٦]:

ـ رسالة في التعوذ والبسملة ، تأليف : علي بن أبي بكر السكران بن عبدالرحمن السقاف ، المتوفى سنة(٨٩٥هـ).

ـ المحرر في التكبير عقب السور ، تأليف : عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن العيدروس ، المتوفى سنة (١١١٣ هـ) .

- رسالة في حكم التكبير بعد الضحى ، تأليف : عبدالله بن أبي بكر بن أحمد باشعيب.

- رسالة عن حكم التكبير في الختم ، تأليف : علوي بن أحمد بن حسن الحداد.

- الدلائل الواضحة من البلابل الصادحة ، تأليف : علوي بن عبدالرحمن المشهور.

رابعا : جهود علماء تريم في تفسير القرآن الكريم:

يشكل علم التفسير عند علماء تريم ركنا أصيلا في الدراسات القرآنية ، فقد تنوعت مصادرهم في أخذ هذا العلم وكيفية تلقيه عن الشيوخ ، فتراهم يعتمدون على مجموعة من التفاسير كتفسير الإمام عبدالرزاق الصنعاني ، المتوفى سنة (٢١١هـ) ، وتفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للمفسر محمد بن جرير الطبري ، المتوفى سنة(٣١٠هـ) ، وتفسير لطائف الإشارات للمفسر عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك بن طلحة القشيري ، المتوفى سنة(٤٥٦هـ) ، وتفسير الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، للمفسر أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ، المتوفى سنة (٤٦٨هـ) ، وتفسير معالم التنزيل ، للمفسر محيي السنة أبي محمد حسين بن مسعود الفراء البغوي ، المتوفى سنة(٥١٠هـ) ، وتفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل لأبي الخير عبدالله بن عمر بن محمد البضاوي ، المتوفى سنة(٦٨٥هـ) ، وتفسير لباب التأويل في معاني التأويل ، لعلي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن ، المتوفى سنة (٧١٤هـ) ، وتفسير الجلالين لجلال الدين المحلي ، المتوفى سنة(٨٦٤هـ) ، وجلال الدين السيوطي ، المتوفى سنة(٩١١هـ) ، وتفسير السراج المنير لمحمد بن الخطيب الشربيني ، المتوفى سنة(٩٧٧هـ)[٧] .

ونظرة فاحصة في هذه التفسيرات المتنوعة تنبئ عن الاتجاهات التفسيرية التي سلكها علماء حضرموت بعامة وعلماء تريم على وجه التحديد في تفسير كتاب الله تعالى ، والتي لا تتعدى اتجاهين هما :

- التفسير بالمأثور ، والذي يسميه بعضهم التفسير النقلي.
- التفسير بالرأي ، والذي يسميه بعضهم التفسير الإشاري ، أوالتفسير بالدراية .

ولهم في كل اتجاه جهود علمية ذات قيمة راقية تجلت في النتاج العلمي لعلماء تريم ، والذي يتلخص في الآتي :

- كتاب ذيل على تفسير القشيري ، لأبي يحيى سالم بن فضل بافضل ، المتوفى سنة(٥٨١هـ).
- كتاب الهداية بنور الولاية ، لعبدالرحمن بن مصطفى بن شيخ العيدروس ، وله أيضا كتاب إرشاد العناية في الكتابة تحت بعض آية.
- كتاب تفسير لموضوعات القرآن الكريم ، لحسين بن محمد بن مصطفى بن الشيخ أبوبكر بن سالم ، المتوفى سنة(١٤٢٣هـ) ، وله أيضا)غذاء الألباب في مواضيع الكتاب)وهي منظومته في تفسير لموضوعات القرآن الكريم ، وله أيضا كتاب هداية الله للإنسان إلى مواضيع أم القرآن .

هذه هي بعض الجهود العلمية البارزة لعلماء تريم في خدمتهم القرآن الكريم والتي استطعنا أن نبرزها بين يدي القارئ الكريم ، وهي بحاجة إلى من يحققها ويظهرها ويشهرها إشهارا علميا يليق بها ، لأنها في حقيقة الأمر تشكل مصدرا في غاية الأهمية لدراسة علم التفسير وتضيف شيئا جديدا إليه لأن بعضها قد تناول بعض كتب التفسير بالشرح والتحليل ، وهي لا تقل شأنا عن التفاسير التي تقدمت منهجا وتأليف وتصنيفا ، وتحتاج هذه التفاسير إلى من يبحث عنها لأن أغلبها قد أخذتها يد الضياع أو الفقدان ، ولم يوجد منها إلا النزر اليسير جدا.

وبعد أن عرجنا قليلا على بعض الجهود العلمية لعلماء تريم في علوم القرآن الكريم نتنقل الآن إلى موضع البحث وهو اعتناء الإمام الحداد بتفسير بعض الآيات القرآنية ، وقد تطرقنا في المقدمة إلى سبب اختيارنا للإمام الحداد أنموذجا للدراسة ، وبينا كذلك الخطة البحثية التي سنتبعها في بحثنا ، وها نحن نشرع في ما نحن بصدده ...

ثانياً : الأنموذج التطبيقي

جهد الإمام الحداد(*)
في تفسير وتأويل بعض آيات القرآن الكريم

توطئة :

الفرق بين التفسير والتأويل:

إذا ما ابتغينا معرفة الآيات المؤولة والمفسرة عند الإمام الحداد فجدير بنا أولا أن نعرف التمايز بين التفسير والتأويل، حتى نقف على الآيات التي تستحق أن توصف بأنها مفسرة، وعلى الآيات التي تستحق أن توصف بأنها مؤولة .

إن التفسير والتأويل مفهومان قد اختلف في دلالتهما اختلافا كبيرا، وإذا ما استقرأنا مجموعة من أقوال العلماء المتقدمين فيهما ظهرت لدينا مجموعة من الآراء المتعددة ذات الاتجاهات المتنوعة، لكننا في هذا المقام لا نروم التوسع في هذه الآراء حتى لا نخرج البحث عن نطاقه والهدف عن مساره، وإنما سيقع اختيارنا على مفهومات محددة تصب في الاتجاه البحثي الذي نخوض غماره[٨].

قال ابن منظور في لسان العرب: ((الأَوْل: الرجوع، آل الشيءُ يؤول أَوْلاً ومآلاً: رجع. وأوَّل إليه الشيء: رجعه، وأُلْتُ عن الشيء: ارتددت ...

وأَوَّل الكلام وتأوَّله: دبَّره وقدره، وتأوَّله: فسَّره ...[٩]

وبالرجوع إلى غير واحد من معاجم اللغة نلفي أن التأويل يحمل دلالاتٍ منها:

الرجوع، والتفسير، والجمع، والإصلاح والسياسة[١٠].

أما التأويل في الاصطلاح فكانت له دلالات متعددة أيضاً، فجاء في بعضها مرادفاً لمعنى التفسير[١١]، وجاء بعضها مخالفاً له، من ذلك يرى بعضهم أن التأويل هو ((صرف الآية إلى معنىً موافقٍ لما قبلها وما بعدها، تحتمله الآية، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط.)) [١٢]

ويرى بعضهم أن التأويل هو: ((حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه، مع احتماله له بدليل يعضده.)) [١٣]

أما التفسير فجاء معناه في اللسان: ((الفَسْرُ: البيان، فَسَرَ الشيءَ يَفْسِرهُ بالكسر، ويَفْسُرُه بالضم فَسْراً، وفَسَّره: أبانه... الفَسْر: كشف المغطى، والتفسير: كشف المراد عن المشكل.)) [١٤]

وقال بعضهم إن التفسيرَ أعمُّ من التأويل، وأكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ، والتأويل في المعاني[١٥].

في حين قال آخرون إن التفسير يتوقف على السماع، والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح[١٦].

وحتى لا يأخذنا الحديثُ في معرفة الفروق الدلالية بين التفسير والتأويل يلزمني أن اعتمد مفهوماً أجعله منطلقاً تأسيسياً لدارستي، أحدد على وَفْقِهِ الآيات المفسرة والآيات المؤوَّلة.

والمفهوم الذي يمكنني أن اعتمده هو قول محمد بن جزي الغرناطي حينما قال: ((التفسير هو الشرح، والتأويل هو حمل الكلام على معنىً غير المعنى الذي يقتضيه الظاهر، بموجب اقتضى أن يُحْمَلَ على ذلك ويخرج عن ظاهره.))[١٧] وعليه يمكننا أن نميز بين الآيات المفسَّرة، والآيات المؤولة عند الإمام الحداد[٥].

أولا : الآيات المفسَّرة :

من الآيات التي يمكن حملها على التفسير عند الإمام الحداد :

قوله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا﴾[١٨].

قال الإمام الحداد: "كلامك ثمرتك، فانظر هل هو خبيث أم طيب، فأنت كذلك وهو جزء منك، فالوعاء الطيب ينضح طيباً، وضده بضده، وكذلك النخلة والشجرة الطيبة تثمر طيباً، والخبيثة تثمر خبيثاً و(كل إناء ينضح بما فيه)".[١٩]

فكلام الإمام الحداد لا يعدو كونه موضحا وشارحاً الآية، عاقداً لتوضيح هذا الإيضاح مقابلةً لطيفة (بين الكلام الطيب والوعاء الطيب)، (والشجرة الطيبة والثمر الطيب)، ثم عقد مقابلةً أخرى بين الآية والمثل القائل: (كل إناءٍ ينضح بما فيه)، حيث إن الآية تجسد معنى هذا المثل، وتقابله دلالة ومفهوماً.

من المواضع المفسَّرة عند الإمام الحداد ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى﴾[٢٠]

حيث قال: "وخُذْ من العمل ما تطيق، ويمكنك المداومة عليه، ولا تكثر حتى تملَّ فتفعلُه مع الملل والتكلف، فإن هذا وصفُ المنافقين، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى﴾ فذمهم بالفعل مع الكسل، لا بعدم الفعل".[٢١]

لفت الإمام الحداد الانتباه إلى مسألة مهمة قد تفهم ضمن طيات حديثه عن هذه الآية وهي التلذذ بالعبادة، فالمنافق لا يحس للعبادة طعما ولا مذاقا مع أنه يقوم بتأديتها، وعدم إحساسه ناتج عن عدم اقتناعه بالعبادة، فيؤديها وهو في حقيقة أمره يكلف نفسه، فيقوم في حالة كسل وملل، فلا يقومون بتأديتها لأجل الله تعالى وإنما لأجل الرياء، ثم لفت الانتباه إلى أمر مهم وهو كيف يتخلص المسلم من هذه الحالة الخطيرة التي قد يشعر بها في مرحلة معينة من قيامه بأي عبادة، حيث قدم الإمام الحداد حلا لهذه المشكلة وهو ألا يكلف المسلم نفسه مالا يطيق من العبادة، فعبادة الله تعالى وإن كانت قليلة لكنها أُديت بإخلاص وإتقان خير من

عبادة كثيرة لكن ليس فيها تلذذ ولا إحساس براحة نفسية لهذه العبادة. ومن هنا نظر الإمام ابتداءً إلى الآية نظرة شاملةً، ثم نظر إليها بعد ذلك نظرةً تحليليةً، وبخاصة في قوله: "فذمهم بالفعل مع الكسل، لا بعدم الفعل" ليؤيِّدَ كلامه السابق. فالقيام هو الفعل والكسل هو حال الفعل وهيئته، فهم يقومون لتأدية الصلاة، ولكن في قيامهم تكاسل، والتكاسلُ علامةٌ لريائهم الناس، قال تعالى بعد ذلك: ﴿يُرَاؤُونَ النَّاسَ﴾.

من المواضع التي كان الإمام الحداد فيها مفسِّراً قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٢٢]:

قال الإمام في مخاطبته لأحد زائريه: "إنما نحن قائمين[*] للناس في مقام الرفق، فتعلم منا الرفقَ واللين، فقد شكا الناسُ من قوة طبعك، ونحن نعرف طباعكم... فلا تتغلظ على أحد، قال الله تعالى لنبيه: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ الآية، وإذا رأيت أحداً يسيء الأدب فإن كان معذوراً في ذلك بأن كان غريباً لم يعرف الحال أو بدوياً فنحن نؤدبه وإن كان غير معذور بأن كان متجرئا فتكفيه القدرة".[٢٣]

فقد وضح الإمام غلظة القلب وقسوته، وإنَّ صاحِبَها لا يَجْني منها إلا نفور الناس وبغضهم له، والاشمئزاز من تصرفاته.

ثم استخلص قيمةً تربويةً في كيفية التعامل مع من يسيء الأدب، مقسماً إياهم قسمين:

- سيء الأدب المعذور بجهله (كونه غريباً أو بدوياً).
- سيء الأدب غير المعذور بجهله.

لذلك نجد الإمام قد وظَّفَ هذه الآيةَ توظيفاً تربوياً صرفاً.

ومن هذه المواضع أيضاً ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾:

فقال رضي الله عنه: "أمور الآخرة إنما هي على قدر المتكلّم بها، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ أي: إنها عند الله تكون قريباً وإنْ بَعُدت".

فبيَّنَ الإمامُ مدلولَ القرب، فالساعة قريبة في المقام الإلهي بعيدة في المقام الإنساني (البشري)، قياساً بالزمن الذي يمر في حياة بني الإنسان، لأجل ذلك أعطى لمحةً لأمور الآخرة على أنها تأتي على قدر المتكلّم بها.

ومن المواضع المفسرة عند الإمام الحداد، ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾:

قال الإمام: "ومن قال: هذا حقنا ومالنا فقد أساء الأدب. إذ لا ملك له، وقد قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ فلم ينسب لهم إلا الاستخلاف في الملك، فمن أين له الملك وهو مملوك".[٢٤]

فالمستَخْلَفُ حقيقةً لا يملك شيئاً، فمن ادعى الملك في هذه الدنيا فادعاؤه ليس في محله؛ لأن ما يملكه ليس له، لانتقاله إلى غيره، فالأمور كلها لله تعالى. مالك الدنيا والآخرة.

وهذا الإيضاح ينطوي على كيفية النظر إلى الدنيا وما يملكه الناس فيها، إذ إنه ينتقل من إنسان إلى آخر مع علم الإنسان أن ما يملكه الآن سينتقل في يوم ما إلى غيره لا محالة.

من مواضع التفسير القرآني عند الإمام الحداد ما ورد في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾:

حيث قال: "ينبغي للإنسان أن يحترز من كل ما تميل نفسه إليه جهده، خوفاً من الوقوع في الحرام من نظرٍ وغيره، وعلامة النظر بلا شهوة أن يكون كنظره إلى شجرة سواء، فإن فرق فهو شهوة، والإنسان في هذا في تعب، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ أي: مكابدة وجهد شديد، مع الداعية له إلى المخالفة".[٢٥]

أوضح الإمام أن الإنسان في حالة صراع شديد مع نفسه الأمارة بالسوء، التي تدعوه إلى ارتكاب المحرمات، لأجل ذلك يكون الإنسان في حالة مكابدةٍ حقيقية بينه وبين نفسه.

ثم بيَّن الإمامُ مسألةً في غاية الأهمية – وأجده متكلماً بلسان عصرنا – وهي مسألة النظر إلى الحرام الذي تفشَّى في عصرنا بوسائل وآليات متنوعة معقّباً على هذا الأمر بأن الإنسان في تعبٍ دائم.

ويبدو أن اختياره لمسألة النظر الحرام لأن هذا المحرَّم متاحٌ لأي إنسان من غير تكلف أو تعب.

بمعنى أنها معصية يقع فيها غير واحد من الناس، فمن السهولة بمكان فعلها بكل يسر وسهولة. فلما كان الأمر كذلك ركز الإمام على ذكرها دون غيرها من المعاصي الأُخر.

من المواضع التي يمكن أن تُحْمَلَ على التفسير ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾.[٢٦]

حيث قال : "إن الإنسان في أول أمره في حال صغره مجبول على كثرة الحركة ضرورةً، حتى قال بعضهم : لو أمسك الصبي عن الحركة لتقطعت كبده، فلم يزل في زيادةٍ من عقله، ونقصٍ في حركته ، كلما ازداد عقلاً ازدادت حركته نقصاً، حتى يبلغ اثنين وعشرين سنةً وهذا بلوغ الأشد ، وآخر ما تنتهي إليه زيادة العقل.

ثم لم يبقَ بعد ذلك إلا التجارب وهي من زيادة العقل فيفهم أن ما يضره يضرُّ غيره، وما ينفعه ينفع غيرَه ، وما يكرهه يكرهه غيره. ويقال: لذلك عقلاً حتى آخر العمر، ثم إذا بلغ الأربعين فقد استوى ؛ بمعنى أنه وقع له من التجارب في نفسه ما يقيس عليه غيره أيضاً، وأكثر الأنبياء لم يرسل إلا بعد بلوغ الأشد والاستواء، إلا ثلاثة عيسى ويحيى [٢٧]، وأوحي إلى يوسف بعد بلوغ الأشد وهو اثنان وعشرون، وقبل الاستواء وهو الأربعون، فلذلك قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ ، ولم يقل : واستوى، في حق موسى عليهما السلام".[٢٨]

نظر الإمام إلى هذه الآية نظرتين اثنتين هما :

أ- نظرة تربوية (أخلاقية ، نفسية).

ب- نظرة تاريخية.

ج - نظرة لغوية.

حيث قدَّم خلاصةً (تربوية – أخلاقية – نفسية)، مبيِّناً كيفية التعامل مع الطفل، وما يمر به من مراحل عمرية حتى يصل إلى درجة الاستواء، اكتمالاً للعقل واتساعاً في التجارب والخبرات.

أما النظرة التاريخية فذكر فيها الأنبياء الذين أُوحِيَ إليهم بعد بلوغ الأشد والاستواء، والأنبياء الذين أوحي إليهم قبل بلوغ الأشد والاستواء.

أما النظرة اللغوية فتتجسد في كلمة (الاستواء)، حيث عقد مقابلة لغوية بين الآية التي ذكرت فيها هذه الكلمة ، والآية التي لم تذكر فيها هذه الكلمة ، مبيناً سبب ذلك، موظفا ما تقدم من نظرات لإيضاح العلة.

من المواضع المفسرة عند الإمام الحداد ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خاصة﴾.[٢٩] حيث قال: "إذا جاء في القرآن الخطابُ لهذه الأمة فهو عام فيها، ولا يختص بالفاعل، كقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ

خاصة﴾ أي: إنها تصيب الظالم وكل من ينسب إليه، ومن يجالسه، أو يؤاكله، أو يميل إليه بأي وجه".

وإذا جاء الخطاب لغير هذه الأمة فيكون لمن فعل مثل فعلهم.[٣٠] استناداً إلى هذه الآية قسم الإمام الحداد الخطابَ القرآنيَّ على قسمين:

أ- خطاب قرآني عام.

ب- خطاب قرآني خاص.

فإذا كان الخطاب موجها لهذه الأمة فهو عام ولا يختص به أحد، فهو خطاب قرآني عام كالآية التي ذكرت؛ لأن الفتنة لا تختص بالظالم – وحده – فهي تصيب من حوله مجالسةً أو مؤاكلةً أو ميلاناً.

أما الخطاب القرآني الخاص فهو الموجه لغير هذه الأمة، فيكون خاصاً لمن فعل مثلَ فعلِ تلك الأمة.

من المواضع التي كان الإمام فيها موضّحاً ومفسّراً قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾.[٣١]

قال الإمام: "أمور الدنيا كالبيوت، لا يثبت بناء القصر إلا بعد إحكام الأساس، كذلك الدين أساسه كلمة التوحيد والتصديق ثم الأحكام الواجبة، ثم قراءة القرآن، ثم ما يندب بعد ذلك، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ فالتأسيس بإثبات العقائد والنيات والصدق ثم البناء يتم لك بعد ذلك، وخُذْ أصلَ العلم الذي لابد لك منه في نفسك ولا تفتن الناسَ بطلب العلم بلا عمل".

بيَّن الإمام مجموعةً من الأسس التي ينبغي للفرد أن يؤسس عليها أعماله.

- فالدين أساسه: التوحيد والتصديق ثم الأحكام الواجبة إلى آخر ما ذكره.
- العلم أساسه: العمل، فلا ينفع علم بلا عمل.
- التأسيس الكلي: بإثبات العقائد والنيات والصدق.

لذا نجد الإمام في النص السابق قد توسَّع في مفهوم الأسس، منطلقاً من الآية المذكورة سلفاً، موظفا دلالتي التأسيس والبنيان توظيفا دلاليا مميزا وفقا لطبيعة السياق التركيبي وملاءمة مع تأسيس : الدين والعلم .

من المواضع التي يمكن حملها على التفسير ما ورد في قوله تعالى: ﴿أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾[٣٢]:

حيث قال رضي الله عنه: "هذا يتحقق في حق الكافر، وأما المؤمن فلا يخلو عن شيء منه، إما نفاق، أو شيء من المعاصي الظاهرة أو الباطنة؛ كرياء وعجب وغير ذلك".[٣٣]

ميز الإمام بين المؤمن والكافر من حيث اتصال كليهما بالحياة الدنيا، فالكافر يشتري الدنيا بكل ما فيها من متاع زائل من غير نظر أبدا إلى الآخرة؛ لأنه في الأصل ليس مؤمنا بها، أما المؤمن - كما عبر بذلك الإمام الحداد - فهو بحمد الله يعتقد الآخرة اعتقادا جازما لكنه مع ذلك لا يخلو من أن يقع في المعاصي والسيئات ظاهرة أو باطنة ، وهذا ما عدَّهُ الإمام الحداد شراء للدنيا ولكن بطريق آخر يختلف عن شراء الكافر إياها قطعا.

فالمؤمن — في نظر الإمام — قد يبيع دينه بدنياه، ولكن ليس كبيع الكافر، فالكافر يكون في حالة بيع كليّ لأنه يعيش في حال فحش دائم، وارتكاب مستمر للمعاصي وبُعْدٍ عن التوحيد، أما المؤمن فبيعه الدين ليس كالكافر ، فإن حصل منه ذلك فلا يكون إلا بارتكاب وزر عظيم قد يصل إلى ارتكاب كبيرة في الدين .

من المواضع التي كان الإمام فيها مفسراً ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[٣٤]:

للإمام الحداد توجيهان للفظة (السبل) هما :

التوجيه الأول:

قال الإمام: "والسُّبُل: هي الأمور الخفية، يكاد من يسلكها أن يقع في البدع"[٣٥].

لقد حقق الإمام في هذه الآية إحدى مدلولات التفسير، وهي النظر في دلالة اللفظة، حيث فسَّر معنى السبل بالأمور الخفية التي تؤدي إلى الوقوع في الشبهات والبدع. وهذا التفسير

يُعَدُّ واحداً من ثلاثة تفسيرات، إذ قال بعضهم: إن السبل: تعني الضلالات، وقال آخرون: إنها تعني الأديان المختلفة كاليهودية والنصرانية.[٣٦]

التوجيه الثاني:

كان للإمام الحداد رؤية أخرى لهذه الآية غير الرؤية السابقة، حيث قال: "إن اتسع لك النظرُ بنفسك فانظر أنت، وكل أمر يُشْكِلُ عليك فهو في القرآن، وإذا لم يظهر لك شيء، فابق على الطريق المسلوكة لمن قبلك، ولا تتبع الطرق فتضل، وهي السبل. قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ الآية".[٣٧]

فتبدو هذه النظرة مختلفةً عن النظرة التفسيرية السابقة، حيث توسع الإمام في نظرته الدلالية إلى معنى (السبل)، وكأنه يشير إلى أن (السبل) هي مجموعة الطرق الفكرية الوعرة التي يسلكها بعضهم، والتي لا يجدون فيها ما يدلهم على الفكر السليم والتوجيه الدقيق، فيظلون في حالة من التخبط والاضطراب، وقد يقعون في ضلالة من الضلالات، فمنقذهم من هذا الوهم الفكري والاضطراب العقلي هو كلام الله تعالى.

ومن نظرات الإمام الحداد التفسيرية، ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.[٣٨] حيث قال الإمام: "والفكر أفضل الأعمال، ولا محل الفكر إلا الدنيا، وأما الآخرة فلا محل له، وإن وُجد فيها فما هو إلا حسرات، كما حكى الله عنهم: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ لأنهم ضيعوا الفكر في وقته".[٣٩] فالسمع والعقل من الآليات الفكرية التي يستعين بها الفرد لإذكاء العملية الفكرية حتى يصل إلى درجات الفكر العليا إذا أحسن استخدامهما، فإذا فُقِد أحدهما فإن الفكر يصاب بشيء من الاختلال وعدم الاتزان، ولهذا يشير الإمام الحداد إلى أهميتهما واستغلالهما في الحياة الإنسانية التي يحياها الإنسان في هذه الدنيا، ومن هذا المنطلق ميز الإمام بين نوعين من الفكر:

أ. فكر في الدنيا وهو أفضل الأعمال.

ب. فكر في الآخرة، فإن وجد فيها لم يكن إلا ندماً وحسرات.

وقد كان الإمام الحداد دقيقا في تعبيره ، حيث اختار كلمة (الفكر) وليس (التفكر) ، فالأول هو ((قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم))[٤٠] ، أما الثاني فهو((جولان تلك القوة بحسب نظر العقل . وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب .))[٤١] ، فهذا الاختيار اللفظي ينبئ عن دراية واسعة لمفهوم الفكر والتفكر، ومن هنا إذا وجد الفكر وجد التفكر ، لأن الثاني يقوم على الأول.

ومن التوجيهات التفسيرية المتميزة للإمام الحداد ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾.[٤٢]

قال الإمام في هذه الآية : في حديث : ((إذا دخل رمضان صفدت الشياطين ، أي: ما عدا الشيطان الكبير، وهو إبليس فلم يرد فيه نص، ولو كان كذلك لما تعرض لهم يوم بدر، حيث أخبرنا الله عنه بقوله : ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ الآية.))[٤٣]

حيث وجَّه الإمام هذه الآية ، مبيِّناً أن إبليس لا يصفَّدُ في رمضان، بدليل تزيينه أصحابَ بدر أعمالهم ؛ حيث ألقي في روعهم، وخيَّل لهم أنهم لا يُغْلبون لكثرة عَدَدهم وعُدَدهم. وغزوة بدر كما هو معروف وقعت في شهر رمضان، فالشياطين هم أعوان إبليس وجنوده ، فهؤلاء يصفدون ، لكن إبليس لا يقيد بل يمارس مهامه الإبليسية في رمضان وفي غيره، وقد استنبط الإمام هذه النتيجة من الآية المباركة.

ما تقدم من آيات قرآنية يمكن أن تكون في إطار الآيات التي فسرها الإمام الحداد وفقا لمفهوم التفسير الذي سبق ذكره.

o وتأسيساً على ما تقدم من الآيات المفسَّرة ينبغي أن أسجل الملحوظات الآتية:

أولاً : اتخذت المواضيع التفسيرية عند الإمام الحداد منّاحي متعددة، منها ما هو تربوي أخلاقي ، ومنها ما هو وعظي إرشادي، يتخلل ذلك تحليل لطبائع النفس الإنسانية بما يتوافق والتفسيرين السابقين.

ثانياً : يستعين الإمام الحداد في تفسيره الآيات بشيئين مهمين:

- إما بتفسير آية بآية أخرى.
- وإما بمَثَلٍ يُضْرَب.
- وإما بعقد مقاربة دلالية بين شيئين متقاربين دلاليا.
- وإما بعقد ثنائية لفظية بين لفظتين مختلفتين دلاليا.

الأمر الذي يعين على فهم الآية وبسط معناها وإيضاح مدلولها.

ثالثاً: يستخدم الإمام الحداد المنهجين الوصفي والتحليلي لتفسير غير واحدةٍ من الآيات، فنلفيه في غير موضع واصفاً الآية مكتفياً بشرحها وإيضاحها. وفي أحيان أخرى نلفيه محلّلاً الآية مستنبطا منها مجموعة من الأحكام.

ثانياً: الآيات المؤولة عند الإمام الحداد:

أجد نفسي في هذه النقطة مضطرا لبيان مدلول كلمة (تأويل) حتى أكون دقيقا في توجيه الإمام الحداد للآيات المؤولة.

إن لفظة تأويل وردت في القرآن الكريم سبع عشرة مرة، وأول موضع وردت فيه كان في سورة آل عمران وهو قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾.[٤٤]

وقد نقل الطبري (ت٣١٠هـ) في تفسيره اختلاف المفسرين في المراد بـ(تأويله) المذكور في الآية، حيث قال: "اختلف أهل التأويل في معنى (التأويل) الذي عنى الله جل ثناؤه بقوله: ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: الأجل الذي أرادت اليهود أن تعرفه من انقضاء مدة أمر محمد صلى الله عليه وسلم، وأمر أمته، من قِبَلِ الحروف المتقطعة من حساب الجمل كـ(الم، والمص، والر، والمر)، وما أشبه ذلك من الآجال... عن ابن عباس: أما قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ يعني: تأويله يوم القيامة إلى الله".[٤٥]

فقد ذهب إلى أن معنى ﴿تَأْوِيلَهُ﴾هو محاولة اليهود معرفة الأجل الذي تنقضي عنده مدة بقاء أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والأجل هو العاقبة والمصير الذي تنتهي إليه المخلوقات.

والعلماء يعلمون تفسير المتشابه من القرآن، ويؤمنون بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ويقولون آمنا به.

❖ ومعنى التأويل في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[٤٦]:

قال مجاهد في تفسير كلمة ﴿تَأْوِيلاً﴾: "معناه: وأحسن جزاء"[٤٧]. وقال آخرون معناه: "وأحسن ثواباً وعاقبة"[٤٨].

أما العلماء الذين عُنُوا بـ(الوجوه والنظائر في القرآن الكريم)، فقد ذكروا أن لفظة (تأويل) جاءت في القرآن الكريم على خمس دلالات:

الدلالة الأولى: فوجهٌ منها (تأويله)، يعني: منتهى كم يملك محمد وأمته، فذلك قوله في آل عمران ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾[٤٩] يعني: منتهى كم يملك محمد وأمته، وذلك أن اليهود أرادوا أن يعلموا من قبل حساب الجمل كم يملك محمد وأمته، ثم ينقضي ملكه ويرجع الملك إلى اليهود.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾[٥٠] يعني: وما يعلم تأويل كم يملك محمد وأمته إلا الله.

الدلالة الثانية: (تأويله)، يعني: عاقبة ما وعد الله في القرآن من الخير والشر يوم القيامة، فذلك قوله في الأعراف: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ﴾[٥١]، يعني: ما ينظر كفار مكة إلا تأويله، يعني: عاقبته وما وعد الله في القرآن على ألسنة الرسل من الخير والشر.

الدلالة الثالثة: (تأويل)، يعني: تعبير الرؤيا، فذلك قوله في يوسف: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾[٥٢].

الدلالة الرابعة: (تأويل)، يعني: تحقيق، فذلك قول يوسف: ﴿يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ﴾[٥٣].

الدلالة الخامسة: (تأويله)، يعني: ألوانه، فذلك قول يوسف في صاحبي السجن: ﴿لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾.

إن هذه الدلالات المتعددة لكلمة (تأويل)، والتي تتنوع دلالاتها من سياق لآخر تختلف عما عنيته بالتأويل في الآيات المؤولة عند الإمام الحداد، لأن التأويل الذي أعنيه هو **حمل السياق القرآني على معنىً غير المعنى الذي يقتضيه الظاهر، أو هو العدول عن المعنى الظاهر من اللفظ إلى معنى خفي يحتمله.**

لأجل ذلك نجد أن التأويل له مدلولات متعددة عند اللغويين والمفسرين والأصوليين.

وعلى أساس ما مر تكون الآيات المؤولة عند الإمام الحداد ليست من باب قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ لأن التأويل في هذا السياق القرآني يعني: الأجل والمدة التي تنتهي إليها المخلوقات، فلا يعلم ذلك إلا الله تعالى - وحده - .

فمن الآيات التي يمكن أن تحمل على التأويل عند الإمام الحداد ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا﴾[٥٤]:

قال الإمام الحداد: "أي: ماء القناعة والزهد، والزاهد في الدنيا المتجرد عنها أخف تعباً وأكثر راحةً من غيره".[٥٥]

أما معنى الآية الظاهر فهو: لو آمن هؤلاء الكفار واستقاموا على شريعة الله لأسقيناهم ماءً غدقاً.

أي: لبسطنا لهم الرزق، ووسعنا عليهم في الدنيا، زيادةً على ما يحصل في الآخرة من نعيم دائم.

لذلك خرج توجيه الإمام عن هذا المعنى الظاهر مؤوِّلاً (الماء) بأنه ماء القناعة والزهد.

ومن هذه الآيات المؤولة عند الإمام ما ورد في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾.[٥٦]

فقال رضي الله عنه: "وأخبر(*) رضي الله عنه بصبي صغير أنه يريد الحج في تلك السنة، فقال له نفع الله به: لا تحج هذا العام، وصحح أولاً أركان دينك التي هي عليك ألزم من الحج، لأن الحج إنما هو تكميل للأركان، قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعد ما تمت حجتهم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فمن لا يصحح الأركان الأُوَل، ولم يأت بها على الوجه الأكمل فما يصنع بإتمامها قبل إحكامها".[٥٧]

هذا هو المعنى التأويلي لهذه الآية عند الإمام الحداد، أما المعنى الظاهر فهو: أكملتُ لكم الشريعة ببيان الحلال والحرام، ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بالهداية والتوفيق إلى أقوم طريق.

أما المعنى الخفيّ فهو حينما دلّل الإمام على الحج بأنه تكميل للأركان الخمسة، فلا يحج المسلم إلا بعد تصحيح الأركان الأُوَل، مستدلاً بسبب نزول الآية. وهذا توجيه بديع للآية.

من الآيات التي يمكن أن تحمل على التأويل عند الإمام الحداد، قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.

قال الإمام: "قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ وهو لا إله إلا الله، ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ وهي الهمة ترفعها إلى أن تبلغ بها إلى عند الحق تعالى".

أما المعنى الظاهر للآية فهو: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ أي: إليه جل وعلا يرتفع كلُّ كلام طيب من ذكر ودعاءٍ وتلاوة قرآن وتسبيح وتمجيد ونحوه.

أما الكلم الطيب عند الإمام الحداد فقد خصه بكلمة الإخلاص (لا إله إلا الله) بوصفها تمثل أعلى الكلام وأطيبه على الإطلاق، ويبقى أيُّ كلام بعدها منبثقاً منها، مستمداً نورُه من ضيائها.

استناداً إلى الآيات التي حملت على التأويل عند الإمام الحداد ينبغي أن أسجل ملحوظتين مهمتين هما:

الأولى: إن عدد الآيات المؤوَّلة قليلٌ، إذا ما قورنت بالآيات المفسَّرة، ويبدو أن هذا الأمر راجع إلى طبيعة التفسير نفسه الذي تتعدد مناحيه وأغراضه، فتارة يكون غرضه تربوي أخلاقي، وتارة يكون وعظي إرشادي، بما يتوافق وبغية الإمام الحداد السلوكية والتربوية.

أما التأويل فيغلب عليه الرمز والإشارة، وهذا يتوافق كثيراً للخواص ولخواص الخواص من أهل المعرفة والإدراك الذين أوتوا سعة في البيان وامتلاك ناصية اللغة غوصا واتقان.

الثانية: يبدو أن ما يعرف بالتفسير الإشاري يقربُ إلى حدٍّ كبير من مفهوم (التأويل)، لأن التفسير الإشاري يتحقق بحمل الكلام على غير ظاهره إما بالإشارة أو بالرمز، وهذا يتطابق مع مفهوم التأويل السابق.

ثالثاً: قيمة اللفظة القرآنية – دلالياً – عند الإمام الحداد:

حفل النص القرآني بلغةٍ قرآنيةٍ بلغت القمة في التميز، وتجلى هذا التميز في مستويين اثنين هما:

أ- مستوى المفردة القرآنية.

ب- مستوى التركيب القرآني.

والذي يهمنا في هذه النقطة المستوى الأول - وهو مستوى المفردة القرآنية - من حيث كيفيةُ وضعها في السياق، تقديماً أو تأخيراً، ومن حيث كيفية أدائها التعبيري، وتضافرها مع أخواتها الكلمات في ذلك السياق.

ومن خلال ذلك كله نستطيع أن نقرر باطمئنان أن للفظة القرآنية قيمتها الدلالية المتفردة، حيث إنه إذا حصل أدنى تغيير - ولو كان يسيراً - في طبيعة الكلمة، أو تقديمها أو تأخيرها في سياقها الواردة فيه لأحدث ذلك تغيراً في طبيعة السياق نفسه أداءً ومضموناً، ولخرج عن مقصده الأساسي، وهذا هو سر التحدي الذي عجز عنه فصحاء قريش عن أن يأتوا بسورة من مثله.

وإذا حاولنا أن نتتبع بعض المواضع القرآنية التي التفت إليها الإمام الحداد من حيث وضع اللفظة القرآنية ألفينا أن الإمام قد أولى اهتماماً فائقاً بهذه القضية، حيث سيتبين لنا - من خلال ما سيأتي - أن الإمام يمتلك عقلية تحليلية واسعة.

وقد استطاع الإمام بهذه العقلية إعطاءَ صورةٍ واضحةٍ لأهمية الكلمة القرآنية من خلال سر التعبير بهذه اللفظة دون غيرها من الألفاظ، لتؤدي مهمتها الدلالية في السياق القرآني المحدد.

من ذلك قوله تعالى: ﴿لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾.(٥٨)

قال الإمام: "ينبغي للإنسان في هذا الزمان أن يهتم بأمر نفسه جداً، ولا يقصر في ذلك... ويلزم نفسه ما به نجاتها، ويجنبها ما لا ينبغي، بل يكون كراكب سفينة حصل عليه ما يخشى الغرق، فإنه لا يهتم إلا بأمر نفسه، ولا يعرج على غيره. ومن لا يهتم بأمر نفسه، فلا عقل له، وهو كمن هو في معركة القتال مع عدوه، فطرح سيفه في الأرض وجلس، فلا محالةَ يوشك أن يُسْرَعَ إلى قتله، لكنه يراعي مع غيره ما يلزمه شرعاً، قال الله تعالى: ﴿لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ فقيدها بالهداية، وما قال إلى ضللتهم".(٥٩)

فالإمام نظر إلى لفظة (الهداية) غيرَ منفصلةٍ عن سياقها، فقد أعرب عن اعتداده بهذه اللفظة بدليل قوله: (وما قال إذا ضَللتم)، وقوله "فقيدها بالهداية" إشارة واضحة إلى ما تحمله اللفظة من قيمة دلالية دقيقة ومحددة.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾.(٦٠)

قال الإمام: "..... دائرة العقل أوسع من دائرة السمع، وقد ذم اللهُ سبحانه بعدم العقل أبلغ مما ذم بعدم السمع، فقال الله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ الآية. فلو قال: ويعقلون لكان أهون، فلما نفى عنهم العقل أيضاً مع نفي السمع كان ذلك في أقصى غاية من الذم".(٦١)

في الآية التي قبل هذه الآية وقف الإمام عند لفظة (الهداية)، وهي من حيث تقسيم الكلام تدخل في إطار الاسم، أما في هذه الآية فوقف الإمام عند (أو) الذي يدخل في إطار حرف العطف، حيث عطف جملة ﴿يَعْقِلُونَ﴾ على جملة ﴿يَسْمَعُونَ﴾، وتظهر أهمية هذا الحرف بقول الإمام: "فلو قال: ويعقلون لكان أهون" لأنه لو قال كذلك لتساوت دائرتا السمع والعقل في الذم، ولكن لما استعمل (أو) دلَّ ذلك على رجحان كفة الذم العقلي على كفة الذم السمعي، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ فهم كالأنعام في عدم امتلاكهم عقلاً يفكرون به، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل ﴿هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ يعني: بل هم أضل من الأنعام؛ لأن الأنعام تسبح بحمد الله، وتسجد له، وهم كما قال الله تعالى عنهم: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾.

ومن مواضع النظر إلى قيمة اللفظة، ومكانتها التعبيرية والدلالية عند الإمام الحداد ما ورد في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾.(٦٢)

حيث قال: "لم يقل نُبيِّضُ وجوهاً، ونسوِّدُ وجوهاً؛ لأنه أحال ذلك إلى أعمالهم؛ لأن أعمالهم هي التي بيضتها وسوَّدتها، والله سبحانه وتعالى بعد ما أعلمهم أنه خالق للخير والشر أحالهم إلى أعمالهم، ولو شاء لخلقهم بيضاً وأدخلهم الجنة، أو خلقهم سوداً وأدخلهم النار".(٦٣)

وعلى هذا يكون التقدير: (يوم تبيِّضُ الأعمالُ الوجوه، وتُسوِّدُ الأعمالُ الوجوه)، فصيغة الفعل لها مكانتها الدلالية في أداء التعبير المقصود. فالفعل المبني للمعلوم له وظيفة سياقية تختلف عن وظيفة الفعل المبني للمجهول.

من مواضع الاهتمام باللفظة عند الإمام الحداد ما ورد في قوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام موجِّهاً خطابه لموسى عليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٦٤].

قال الإمام: "إذْ لم يعيِّنْ على موسى ما شق عليه بل ما هان وخفَّ، ولو قال من الصابرين لدل على أنه ما يراعي في الأمر أحداً"[٦٥].

فاستعمال كلمة (الصالحين) دليل على حسن المعاملة، ولين الجانب، والوفاء بالعهد. ولو استعمل (الصابرين) لدل على أن الأمر شديد وصعب وإنه سوف يصبر على ما يُناطُ به من أعمال شدةً وصعوبةً.

ومن مثل هذه المواضع ما ورد في قوله تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء﴾.[٦٦]

قال الإمام: "سبحان الله الذي علَّق الأشياء بالمشيئة، فقال: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء﴾، فكيف لو علقها بالمحبة، فلو كان كذلك لما أعطاها إلا من يحب". فالتعليق بالمشيئة عام لكل من شاء الله تعالى، ولو علقها بالمحبة لكان الأمر خاصاً لكل من يحب فقط، ولكنْ رحمةُ الله تعالى وَسِعَتْ كلَّ شيء.

فهذه التقابل الدلالي (الثنائي)(من يشاء/ من يحب) وضح مظهرا ومبينا سر التعبير القرآني في هذا التركيب.

من مواضع النظر اللفظي للإمام الحداد ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٦٧].

قال الإمام: "والسكون فيه خير من الحركة، وقد ذكر اللهُ السكونَ في عدة مواضع من القرآن ولم يذكر معه الحركة، منه قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ الآية، كل ذلك للأمر بالسكون وترك الحركة"[٦٨].

وقف الإمام الحداد عند لفظة (السكون) وقفة تأملية، فأدرج الحركة تحت السكون، وجعل السكون أصلاً، والحركة فرعاً عنه.

قال القائل:

إذا هبتْ رياحُك فاغتنمها فإن لكلِّ خافقةٍ سكونُ

وإنما ذكر السكون دون الحركة؛ لأن السكون أكثر وجوداً، وعاقبةُ كلِّ متحرك السكون؛ ولأن السكون يكون في الغالب نعمةً لكونه راحةً، ولا كذلك الحركة.

وقال بعضهم: إن ما سكن يعم جميع المخلوقات، إذ ليس شيء منها غير متصف بالسكون[٦٩].

ومن تلك الوقفات أيضاً ما ورد في قوله تعالى: ﴿لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا﴾[٧٠].

حيث قال الإمام: "ومن طبيعة الشمس الحرارة، ومن طبيعة القمر البرودة، فإذا كان يوم القيامة يكورهما الله تعالى، ويسلبهما نورَهما، فيجعله في الجنة زيادةً في نعيم أهلها، ويجعل حرَّ الشمس وبرد القمر في النار زيادةً لعذاب أهلها، وإنما ذكر اللهُ الشمسَ في قوله تعالى: ﴿لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا﴾ لكون الشمس عنصر الحر، كما أن القمر عنصر البرد، فزيادة حر النار من الشمس، وزيادة بردها من القمر وهو الزمهرير"[٧١].

فالشمس والزمهرير لفظتان دلتا على أن الجنةَ هواؤها معتدل، لا حرَّ شمسٍ يحمي، ولا شدةَ بردٍ تُؤذي، وفي الحديث: ((هواء الجنة شجْشجٌ، لا حرَّ ولا قُرٌّ))، وقيل: الزمهرير: القمر.

والمعنى: أن الجنة ضياء فلا يحتاج فيها إلى شمس وقمر[٧٢].

لأجل ذلك وجدنا الإمام كان مركّزاً على هاتين اللفظتين لما تحمله من دلالتين متميزتين، ومن هذا التركيز نستطيع أن نظفر بمجموعة من الثنائيات الدلالية الآتية:

ثنائية: (الشمس / القمر).

ثنائية: (الحر /البرد).

ثنائية: (العذاب/ النعيم).

ثنائية: (الحر/الشمس).

ثنائية: (البرد/القمر).

ثنائية : (الشمس/العذاب).

ثنائية : (القمر/النعيم).

ومن تلك النظرات اللفظية عند الإمام الحداد ما ورد في قوله تعالى : ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾[٧٣]، وقوله تعالى : ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾[٧٤].

قال الإمام : "ولم يذكرِ اللهُ تعالى في القرآن شيئاً من الخير إلا ذكر البركة معه، وإني تأملتُ في القرآن، فرأيتُ كثيراً ما يصف القرآنَ بالبركة، كقوله تعالى : ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾، ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾"[٧٥].

فنظر الإمام للقيمة الدلالية للفظة (مبارك)، والبركة : اسم مأخوذٌ من البِرْكة الذي هو مجتمع الماء ومحبسه، وسميت البركةُ بركةً لثبوت الخير الإلهي في الشيء، وسمي بذلك لثبوت الخير فيه ثبوت الماء في البِرْكة، المبارك ما فيه ذلك الخير[٧٦]، فربط الإمام الدلالة اللغوية للفظة(البركة) ربطا دلاليا بالقرآن الكريم، وإن لم يذكر هذه الدلالة تصريحا فقد ذكرها تلميحا.

ومن تلك النظرات أيضاً ما ورد في قوله تعالى : ﴿سخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ﴾[٧٧].

حيث قال الإمام : "إن الله تعالى قال : ﴿سخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ﴾ في غير موضع، ولم يقل : وسخر لكم الأرض في موضع، والتسخير : إنما يكون في ما يعظم ويهول، وقد قيل : البَرُّ بكم أَبَرُّ. وحسن حال البحر نادر، والأغلب فيه الاضطراب، ثم إنِ اضطربَ أشغل"[٧٨].

يظهر من هذا التوجيه أن لفظة التسخير تدل على ما يعظم ويهول، لذلك ألفينا الراغب الأصفهاني قائلاً : "التسخير: سياقه إلى الغرض المختص قهراً "[٧٩].

وبيان ذلك أن الإمام قد ذكر أن البَرَّ بنا أبرُّ، ولذلك قال تعالى : ﴿سخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ﴾ ولم يقل : سخر لكم الأرض. للسبب المذكور سلفاً.

ومن مواضع النظر اللفظي عند الإمام الحداد ما جاء في قوله تعالى : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٨٠].

جاء في (تثبيت الفؤاد) : "وقيل لسيدنا(يعني الإمام الحداد) : ما يحصل من البحر هذا الوقت قليل : فقال : سبحان الله هذا لأمرٍ، وإلا فسكان البحر لا تقصير منه، وإنما ذلك من سكان البر، إلا إن كان لما كان ذلك نصيباً لأهل البر، ومن رحمته ولطفه إلى أن قال تعالى:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ إلى أن قال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، ولم يقل لعلهم: يهلكون أو يذهبون، إنما ذلك استجرار منه لعبَاده إلى طاعته"[٨١].

يظهر من النص شيئان:

١. كيفية استعمال (لعل) في النص القرآني.

٢. كيفية استعمال الفعل (يرجعون).

أما الأول فـ(لعل) تأتي بمعنى الرجاء، أي: رجاء توبتهم ورجوعهم.

أما الثاني فالفعل (يرجعون) يؤكد دلالة (لعل) في رجاء حصول توبتهم ورجوعهم، ولهذا قال الإمام: "إنما ذلك استجرار منه لعباده، لأجل ذلك لم يقل (يهلكون) أو (يذهبون).

يظهر مما تقدم أن الإمام الحداد تعددت عنده مستويات النظر في القيمة الدلالية للفظة القرآنية، وكان ذلك على ثلاث مستويات:

- مستوى القيمة الدلالية للاسم.
- مستوى القيمة الدلالية للفعل.
- مستوى القيمة الدلالية للحرف.

وفي كل مستوى دلالي استطاع أن يوجه النص القرآني توجيها محددا على وفق ما يتناسب والسياق الذي هو فيه، لذلك كان الإمام الحداد مفعلا السياق التركيبي تفعيلا حقيقيا من خلال دلالة اللفظة.

رابعاً: منطلقات التوجيه القرآني عند الإمام الحداد:

من خلال استقراء الكتب المتنوعة للإمام الحداد نلفي أن الإمام يوجه الآيات القرآنية في كتبه منطلقاً انطلاقين رئيسين هما:

١. <u>الاستدلال:</u> فمعظم الآيات القرآنية التي استدل بها الإمام في كتبه جاءت لغرض الاستدلال والاستشهاد بها في مَعْرِضِ حديثه عن موضوعٍ معين، تقويةً لذلك الموضوع، وإقامةً للحجة والدليل.

وهذا الاستدلال يأخذ اتجاهات مقصودة، يمكن أن تكون على النحو الآتي:

أ- استدلال غرضه الوعظ والإرشاد.

ب- استدلال غرضه التربية الخلقية والنفسية والسلوكية.

ج- استدلال غرضه إيضاح الموضوع وتفصيله.

٢. الاستنباط:

كثر الاستنباط عند الإمام في كثيرٍ من الآيات القرآنية، والاستنباط بحد ذاته يدل على عقلية تحليلية، وإدراك علمي واعٍ.

وقد مرَّت معنا آيات قرآنية متعددة وجدنا الإمام الحدادَ فيها محللاً من خلال الإجراءات التفسيرية والتأويلية، ومن خلال التركيز على قيمة اللفظة دلالياً.

والاستنباط عند الإمام ينتج عنه ما يأتي:

أ- استنباط ينتج عنه حكم شرعي فقهي.

ب- استنباط ينتج عنه معرفة سر اللفظة القرآنية وقيمتها الدلالية.

ج- استنباط ينتج عنه حكم تربوي أخلاقي.

علماً أن الإمام قد تفرَّد باستنباطات بديعة تؤكد قدرته على التعمق في فهم النص القرآني، ومعرفة أسراره البيانية البديعة، والغوص في سياقاته التركيبية.

خامساً: منهج الإمام الحداد في كيفية تفسيره وتأويله آي القرآن الكريم:

اتبع الإمام الحداد منهجاً وصفياً تحليلياً في كيفية تناوله للآيات القرآنية وقد توزع هذا المنهج على حسب الآتي:

أ- اتبع الإمام الحداد منهجاً وصفياً يكاد يكون غالباً في كتبه المعروفة بكتب سلسة الإمام الحداد. واتِّباعه هذا المنهج في هذه السلسلة تحديداً ليس بمحض الصدفة بل كان نابعا من طبيعة

الموضوعات المتحدّث عنها كيفيةً وأداءً وأسلوباً، فتجده في هذه الكتب يستدل واصفاً الآية، واضعاً إياها في المكان الذي يناسبها، لأن الموضوعات التي وردت في هذه السلسلة اتخذت طابعاً تربوياً، أخلاقياً، سلوكياً، والذي يدل عليها عنواناتها(النصائح الدينية، الدعوة التامة، رسالة المظاهرة والمؤازرة...إلخ).

ب- اتبع الإمام الحداد في الاتجاه الآخر منهجاً تحليلياً استنباطياً في كتبه التي يمكننا وسمها بكتب الأمالي أو كتب الإملاءات، حيث يلقي الإمام الحداد دروساً معينة وفي أثنائها نلفيه محلّلاً ومستنبطاً. وقد جاء ذلك بصورة واضحة في كتاب (تثبيت الفؤاد) الذي جمعه الشيخ أحمد عبدالكريم الحساوي.

خلاصة البحث:

أ- استطاع البحثُ أن يعطيَ صورةً جليةً عن كيفية تمكُّنِ الإمام الحداد من سبر أغوار النص القرآني، ومعرفة وجوهه الإعجازية الخالدة، مما يدل على أن مدرسة حضرموت وبخاصة علماء تريم، تمتلك رجالاً تميزوا بطابع الموسوعية في علومهم فقهاً ومنطقاً وتصوفاً وتفسيرا ولغةً.

ب- يظهر من خلال طبيعة التناول وكيفيته أن الإمام الحداد بدا متأثراً كثيراً بالإمام الغزالي، وبخاصة في نظراته وخطراته الإشارية (الرمزية) لكثير من الآيات القرآنية.

ج- امتلك الإمام القدرة على التحليل والاستنباط، ويبدو أنه كان متأثراً بالزمخشري في (الكشاف)، وبالغرناطي في (ملاك التأويل)، وبالإسكافي في (درة التنزيل).

د- يوصي البحث بالقراءة التأملية في كتب السلف عموماً، وكتب رجالات مدرسة حضرموت خصوصاً لما تمتلكه بين ثناياها من علم غزير ينبغي أن يُكْشَفُ النقابُ عنه لكي يستفاد من معينه الذي لا ينضب.

الهوامش :

(١) للمزيد من التفصيلات في هذا الاتجاه ينظر : جهود علماء حضرموت في الدراسات القرآنية ، وهي رسالة ماجستير تقدم بها الباحث : أمين عمر باطاهر إلى مجلس كلية التربية بالمكلا (جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا) ، ٢٠٠٧م.

(٢) ينظر : جهود علماء حضرموت في الدراسات القرآنية : ٢٠ . ٤٠ .

(٣) ينظر : جهود علماء حضرموت في الدراسات القرآنية : ٣٤.

(٤) ينظر : المرجع السابق : ٥٩.

(٥) ينظر : جهود علماء حضرموت في الدراسات القرآنية : ٤٢ .

(٦) ينظر : جهود علماء حضرموت في الدراسات القرآنية : ٥٥ .

(٧) ينظر : جهود علماء حضرموت في الدراسات القرآنية : ٦٠ . ٦٥ .

(*) أعني به الإمام العلامة : عبدالله بن علوي بن محمد الحداد باعلوي ، المتوفى سنة (١١٣٢ هـ)

(٨) لمزيد من التفصيلات في الفرق بين التفسير والتأويل ينظر : رسالة التفصيل بين التفسير والتأويل ، لحامد بن علي بن العماد الدمشقي ، تحقيق : حازم سعيد يونس البياتي.

(٩) لسان العرب ، مادة (أ.و.ل).

(١٠) ينظر : القاموس المحيط ، مادة (أ.و.ل)، أساس البلاغة ، مادة (أ.و.ل).

(١١) ينظر : مجاز القرآن (٨٦/١)، تفسير الطبري (٧/٥- ٢٦)، الإتقان في علوم القرآن(١٦٩/٤).

(١٢) البرهان في علوم القرآن (١٥٠/٢).

(١٣) الإحكام في أصول الأحكام (٥٠/٣).

(١٤) لسان العرب ، مادة (ف.س.ر).

(١٥) ينظر : مفردات غريب القرآن.

(١٦) ينظر : تفسير الخازن (١١/١- ١٢).

(١٧) التسهيل لعلوم التنزيل(١١/١).

(*) سأوضح بشيء من التفصيل معنى(التأويل) في موضع الآيات المؤولة عند الإمام الحداد حتى نتبين على وجه الدقة طبيعة هذه الآيات وفقا للمفهوم الدقيق للتأويل.

(١٨) من سورة الأعراف آية (٥٨).

(١٩) تثبيت الفؤاد (٢٧/١).

(٢٠) من سورة النساء :

(٢١) تثبيت الفؤاد (٤٦/١).

(٢٢) من سورة آل عمران (١٩٥).

(*) هكذا وردت ، و الصحيح (قائمون).

(٢٣) تثبيت الفؤاد (٥٠/١).

(٢٤) تثبيت الفؤاد (١/٩٣- ٩٤).

(٢٥) المرجع السابق(١/٩٥).

(٢٦) من سورة يوسف (٢٢)، ومن سورة القصص (١٤).

(٢٧) هكذا في تثبيت الفؤاد.

(٢٨) تثبيت الفؤاد (١/٩٦- ٩٧).

(٢٩) من سورة الأنفال (٢٥).

(٣٠) تثبيت الفؤاد (١/١٢٠- ١٢١).

(٣١) من سورة التوبة: (١٠٩)

(٣٢) من سورة البقرة (٨٦).

(٣٣) تثبيت الفؤاد (١/١٩٥).

(٣٤) من سورة الأنعام (١٥٣).

(٣٥) تثبيت الفؤاد (١/١٩٧).

(٣٦) ينظر: روح المعاني (٨/٤١٦).

(٣٧) تثبيت الفؤاد (١/٢٣٦).

(٣٨) من سورة الملك: (١٠).

(٣٩) تثبيت الفؤاد (١/٢٨٢).

(٤٠) المصدر نفسه.

(٤١) المصدر نفسه.

(٤٢) من سورة الأنفال: (٤٨).

(٤٣) تثبيت الفؤاد (٢/٣١).

(٤٤) من سورة آل عمران: (٧).

(٤٥) تفسير الطبري (٣/١٢١)، وينظر: التأويل اللغوي في القرآن الكريم، دراسة دلالية(١٢).

(٤٦) من سورة النساء (٥٩).

(٤٧) تفسير مجاهد (٢٢/٠).

(٤٨) تفسير الطبري (٥/٦٩).

(٤٩) من سورة آل عمران: ٧.

(٥٠) من سورة آل عمران: ٧.

(٥١) من سورة الأعراف: ٥٣.

(٥٢) من سورة يوسف: ٦.

(٥٣) من سورة يوسف: ١٠٠ .

(٥٤) من سورة الجن (١٦).

(٥٥) تثبيت الفؤاد (١/٩٤).

(٥٦) من سورة المائدة (٣).

(*) الكلام للشيخ الحساوي الذي ينقل كلام الإمام الحداد.

(٥٧) تثبيت الفؤاد (١/٢٢٦).

(٥٨) من سورة المائدة (١٠٥).

(٥٩) تثبيت الفؤاد (١/١٠٢).

(٦٠) من سورة الفرقان (٤٤).

(٦١) تثبيت الفؤاد (١/١٣٣)

(٦٢) من سورة آل عمران (١٠٦).

(٦٣) تثبيت الفؤاد (١/١٣٨).

(٦٤) من سورة القصص (٢٧).

(٦٥) تثبيت الفؤاد (١/٢٦٥).

(٦٦) من سورة البقرة (١٠٥) ومن سورة آل عمران (٧٤).

(٦٧) من سورة الأنعام (١٣).

(٦٨) تثبيت الفؤاد (٢/٩٩).

(٦٩) ينظر: روح المعاني (٧/١٣٩).

(٧٠) من سورة الإنسان (١٣).

(٧١) تثبيت الفؤاد (٢/٢١٤).

(٧٢) الكشاف (٤/١٩٧).

(٧٣) من سورة ص (٢٩).

(٧٤) من سورة الأنبياء (٥٠).

(٧٥) تثبيت الفؤاد (٢/٢٣٢).

(٧٦) مفردات غريب القرآن (٤٩).

(٧٧) من سورة الجاثية (١٢).

(٧٨) تثبيت الفؤاد (٢/٢٩٢).

(٧٩) مفردات غريب القرآن (٢٣٤).

(٨٠) من سورة الروم (٤١).

(٨١) تثبيت الفؤاد (٢/٢٩٢).

ثبت المصادر والمراجع

أولا:القرآن الكريم.

ثانيا :الرسائل العلمية:

١ - التأويل اللغوي في القرآن الكريم، حسين حامد الصالح، رسالةدكتوراه، الجامعة المستنصرية (العراق) ـ كلية الآداب ، ١٩٩٥ م.

٢- جهود علماء حضرموت في الدراسات القرآنية، أمين باطاهر، (رسالة ماجستير) ، جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا، كلية التربية ـ المكلا، ٢٠٠٧م.

ثالثا : الكتب المطبوعة :

١. الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة المصرية، بيروت : ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

٢. الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي، دار الكتب العلمية، بيروت : ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٣. أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري، دار صادر، بيروت : ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٤. تثبيت الفؤاد : مجموع كلام الإمام الحداد، جمعه : الشيخ أحمد عبدالكريم الحساوي، د.ط ـ د.ت .

٥. التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل لابن العماد الدمشقي،

٦. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١ ، القاهرة : ١٣٧٦م ـ ١٩٥٧ م.

٧. جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري)، طبعة القاهرة، ١٣٢٣هـ ـ دار المعرفة ، بيروت : ١٩٨٧م.

٨. تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر، تحقيق : عبدالرحمن الطاهربن محمد السورتي، ط١ ، قطر : ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م

٩. التسهيل لعلوم التنزيل ، محمد بن جزي الغرناطي ، د.ت ، د.ط ، القاهرة.

١٠.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود الآلوسي البغدادي ، تحقيق : محمد احمد الأمد و عمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي ـ مؤسسة التاريخ العربي ، ط١ : بيروت ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١١.القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، شركة مصطفى البابي الحلبي ، دار الجيل : بيروت : ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م.

١٢.الكشاف ، محمود بن عمر الزمخشري ، تصحيح : مصطفى حسين أحمد ، نشر : دار الكتاب العربي ، ط٣ـ بيروت : ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م..

١٣.مجاز القرآن ، أبوعبيدة معمر بن المثنى ، تحقيق : د.محمد فؤاد سزكين ، الناشر : محمد سامي الخانجي ، ط١ـ القاهرة : ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٤م.

١٤.مفردات غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق : محمد أحمد خلف الله ، الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٠م.

١٥.لسان العرب ، ابن منظور الإفريقي ، دار صادر ، بيروت ، د.ط ، د.ت.

جهود الفلكيين الحضارمة في التراث الفلكي

سالم عمر الجعيدي

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله الطاهرين وأصحابه الطيبين أجمعين ، وبعد :

فإن من أخص حقوق العلماء على عاتق الأبناء أن ينشروا لهم مآثرهم العلمية، ويحفظوا مكانتهم العلمية ، أداءً لواجب الوفاء ، وحفظا للتراث من الضياع ، فإن حقهم علينا تضارع حقوق أهل الفضل ممن أوجب الشرع لهم الشكر والدعاء لسابق معروفهم التليد ، وسابغ أياديهم البيضاء .

وقد جرت عادة الأمم المتقدمة في بذل المهج واسترخاص الغالي والنفيس في سبيل الحفاظ على آثار علمائها ، وتتبارى بشتى الأساليب في تخليد أسمائهم وذكراهم ، وتنفق أموالا طائلة لربط الأمة بذلك ، وخصوصا أولئك العلماء الذين أسهموا في إثراء التراث ، فتعقد لهم المؤتمرات العلمية والفكرية لمناقشة آثارهم واستخراج كنوزهم المعرفية

وهم لا يقصدون من وراء صنيعهم هذا التباكي على أمجاد الماضي أو الجمود على كل ما هو قديم ، فعجلة العلم التي تتسارع في إيقاعها لا تلتفت مطلقاً للوراء ولا ترجع القهقري ، وإنما جلّ سعيهم عندما يشيدون بعظمائهم هو إقامة الدليل على أن نهضتهم الحديثة هي امتدادٌ واضح لمنجزات ومكتشفات قدمائهم ، وتواصلٌ غير منقطع في سلسلة التطور العلمي، فالأمم حين تنهض من غفوتها إنما تلوذ بتراثها لتستمد منه همة استشراف المستقبل وروح التطوير.

والحقيقة أن تراثنا الحضرمي - التاريخي والمعرفي والثقافي والمدني - وهي تكتنز في باطنها موروث أكثر من عشرة قرون غنية بالمقومات الأساسية للحضارة ربما لا نراها ماثلة

للعيان إلا في هجراتهم نحو الشرق والغرب ، وهذه الثروة الهائلة من الموروث تستلزم واجباً ثقيل الحمل ، وأمانة عظيمة على أبنائها المثقفين في تكثيف الجهود لخدمة تراث الآباء والمساهمة في إحياء كتبهم .

وإن لعلم الفلك رصيداً لا يستهان به في زادنا التراثي والتي تزخر - في ضمن ما تزخر به - بموروث من جلائل الأعمال الفلكية نجدها مبثوثة هنا وهناك ما بين نثر وشعر ومساجلات ورسائل وبحوث علمية وفتاوى ، ولا تزال – للأسف - جميع تلك الأعمال عبارة عن مخطوطات رهينة النسيان و حبيسة الرفوف والمكتبات ، وقد اتسعت الهوة بين أبناء جيلنا وبين تراثهم الأصيل ، لجهلهم بمصطلحاتهم ، واستغلاق ألفاظهم على الفهم ، فصارت مخطوطاتهم تكتنفها الغموض وتتهيب النفوس من النظر فيها ، ولا شك أن كل ذلك يعود إلى قلة الباحثين والمشتغلين في مجال التراث الفلكي ممن ينهض بالآثار نهضة طيبة ، تقرب مآخذها إلى الناس ، وتمهد السبيل أمام طلاب العلم .

ويهدف العبد الفقير – كاتب هذه السطور- في موضوع البحث إلى إماطة اللثام عن آثار علماء حضرموت ممن لم يحظوا بعد بما يستحقون من البحث والدراسة والتقدير وبالتالي تعريفهم للأجيال ، وأيضاً تسليط الضوء على جهودهم التطبيقية في الجانب الفلكي وعلى وجه الخصوص ما يسمى في عصرنا الحديث بالفلك الشرعي ، وقد اختزلت البحث فيه على ثلاثة أبواب ، أولها :النجوم ، وثانيها : أدلة القبلة ، وثالثها : التوقيت والساعات ، ولم أكتف في الدراسة على مجرد السرد وذكر التراجم ، وإنما أوليت مزيد العناية لشرح الطرق والأساليب ومعالجة نصوص القدماء بألفاظ سهلة التناول على القارئ العادي ، و مستعيناً بوسائل توضيحية مصورة لأجل الاستيعاب .

ولا أدعي أنني أحطت بالموضوع من جميع جوانبه ، أو استوفيت لتراثنا الفلكي كل حقه، أو استقصيت كل مسائله ، لكن حسبي أني أتيت فيه بجهد المقل ، وجئت بقطرة من بحر ، وأرجو أن تكون خطوة تستتبعها خطوات آخر تغني مكتبتنا التراثية وتسلط الضوء على جهود القدماء .

توطئة

إن من يستقرئ تاريخ حضرموت ، ويجوب بفكره في صفحات العهود القديمة التي شهدت تميزاً علمياً وإضاءات ثقافية كبيرة ، فستكتحل عيناه بأسماء ورموز لامعة كالدرر من العلماء الجهابذة الأفذاذ الذين كانت تزخر بهم ساحة حضرموت ، ممن تركوا بصمات خالدة كالشمس في رابعة النهار لا يمكن التغاضي عنها ، وسيدرك الباحث – أي باحث – للوهلة الأولى أنهم أسهموا بنصيب واسع في إمداد المعارف الإسلامية بزاد ثقيل ، وأثروا المكتبة العلمية بتراث ثقافي عظيم في شتى الفنون والمجالات ، ويكفي أن يسجل لنا صاحب (الجوهر الشفاف) صورة مصغرة عن الحالة العلمية بحضرموت في القرن السادس الهجري في عهد العلامة الشيخ سالم بافضل بقوله (حتى أنه اجتمع في عصره بتريم ثلاثمائة مفتي ، ومصنفون كثيرون ..)[1] أي إن عددا من بلغ به العلم إلى رتبة الإفتاء في مدينة تريم فقط ٣٠٠ مفتي ، ورغم الانبهار الذي قد يقف أمامه المطّلع إزاء الكم الهائل من الكثافة العددية إلا أنهم فوق كل ذلك قد امتازوا بما يستحق معهم أن يوصف عصرهم بعصر الموسوعات العلمية ، لما نجده في تعدد وشمولية عقلية العالم الواحد منهم لعدة علوم وفنون ، فعلى سبيل المثال تجد المفتي فيهم فقيهاً ، وأصولياً ، ونحوياً ، وفلكياً ، وأديباً ، ومؤرخاً ، ولغوياً ، ومفسراً ..الخ ، وتجده في كل باب قد ألّف فيه كتاباً ، وفي كل فن أنشأ له مصنفاً ، فعصرهم هو بحق عصر موسوعات علمية ، فجمعوا في زمنهم بين حسنيين قلما تجود الزمان بعدهم : الكثرة في العلماء ، والتوسع في المعلومات ، وهذه هي الخاصية الأولى التي أردنا الإلحاح عليها في هذه التوطئة ، أما الخاصية الثانية التي نود التأكيد عليها فهي أن دراسة علم الفلك في نظر القدماء تعد من المسائل التي لا يسع الفقيه جهله ، وعلى الأخص أساسيات هذا الفن ، وقد كانوا يضعون دراسة علم الفلك في إطار علم الآلة ، وهو بهذه النظرة ترقى أهميته عندهم إلى مقام علم النحو و الصرف ، وحكمه من الناحية الشرعية حكم فروض الكفايات ، إذ أن القدماء اصطلحوا على تقسيم العلوم إلى قسمين : علم غاية ، ويقصد به علم الفقه والشريعة ، وعلم آلة ، أي علم يرتبط في بعض جوانبه بعلم الشريعة وتحقيقه تعين على فهمه ، ويشمل

اللغة العربية والحساب والفلك والمنطق وغيره ، لذلك لا نستغرب أن نجد بحوثاً مطولة في مجال الفلك أو شذرات مقتضبة في طيات فتاوى العلماء أو بطون كتب الفقهاء ، كفتاوى مشهور[٢]، وفتاوى بلفقيه [٣] بل إن من يسبر سير علماء حضرموت سيجد أن أكبر المشتغلين بعلم الفلك هم من الفقهاء الذين بلغوا رتبة الاجتهاد .

و رغم تقريرنا السابق عن كثرة العلماء المشتغلين بعلم الفلك والأرصاد إلا أن النصوص والمخطوطات التي تبلغنا عن عهود ما قبل القرن التاسع الهجري من تراث الفلكيين تكاد تكون شحيحة وقليلة ، رغم إيماننا الراسخ بوجود علماء فلك أفذاذ في تلك العهود المبكرة من تاريخ حضرموت والتي تسبق القرن التاسع الهجري ، ولم تصلنا منهم سوى شذرات مقتضبة وإشارات ضئيلة في بطون الكتب ، ولا زال الأمل يحدونا للعثور على نصوصهم ومصنفاتهم لينتظم للباحث من خلالها التحقيق والتحليل في أساليب القدماء .

الباب الأول

النجوم

في البداية أود أن أنبه إلى حقيقة المصطلح في معنى النجم والكوكب ، فالعرب القدماء ما كانوا يفرقون تفريقاً وظيفياً بين النجم والكوكب، فكأن أحدهما مرادف للآخر في المعنى ، فكل ما يلمع في السماء فهو نجم وهو كوكب ، فالكوكب هو نجم ، والنجم هو كوكب ، بل قد يطلقون الكوكب على النيازك و المذنبات والكويكبات ، ويدرك ذلك كل من له اعتناء بنصوص القدماء ، فقد فسر الأمام علي بن أبي طالب قوله تعالى (لا أقسم بالخنس)[٤] قال: هي خمسة أنجم ، زحل وعطارد والمشتري وبهرام والزهرة[٥] ، وعن علماء اللغة كابن سيده وغيره قالوا : الكوكب والكوكبة : النجم[٦] ، قال الأزهري : وسمعت غير واحد يقول للزهرة من بين النجوم ، الكوكبة

أما أهل الحساب والفلك في عهد الحضارة الإسلامية فقد غلب عليهم استخدام لفظ الكوكب لكل ما يرى في السماء ، وقد مر أن الصوفي سمى كتابه (صور الكواكب الثمانية والأربعين) رغم أنها صوراً للأبراج والنجوم ، وفرقوا بين الاثنين بأن قالوا : الكواكب الثابتة ، ويقصدون بها ما نسميه نحن الآن نجوما ، والكواكب السيارة ، أي الكواكب التي تسير وتنتقل بين البروج ، وجعلوا عدد الكواكب سبعة ، وهي الشمس والقمر وعطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل ، ويؤخذ عليهم أنهم جعلوا الشمس والقمر من ضمن الكواكب السيارة .

أما في العصر الحديث فقد جاء التفريق بينهما من حيث الوظيفة ، فكل ما يضيء بذاته فهو النجم ، ولذلك جعلوا الشمس من جنس النجوم لأنها تضيء بذاتها ، وكل ما يدور حول النجم فهو الكوكب ، وبهذا صارت الكرة الأرضية من ضمن الكواكب ، وكل ما يدور حول الكوكب فهو قمر ، وكل ما يدور حوله النجوم فهو المجرة .

والفرق بين النجم والكوكب من حيث الرصد البصري ، أننا لو رصدنا كوكباً على خلفية نجوم معينة فسنجده يغير موقعه بالنسبة لهذه النجوم ليلة بعد أخرى ، أما النجوم فتحافظ على وضعيتها بالنسبة لبقية النجوم ، ضوء الكواكب هادئ ، أما ضوء النجوم فمتلألأ ، وينشأ هذا التلألؤ من تفرق الأشعة الضوئية وانكسارها داخل الطبقات الجوية ، كما أن الكواكب تظهر من خلال المنظار على شكل أقراص مستديرة ، أما النجوم فتظهر كنقط لامعة حتى بأقوى المناظير .

أما النجم في مصطلح لغة أهل حضرموت فيعنون به المرادف لمعنى (منازل القمر) أو (الأنواء) في لغة العرب ، والنوء في اللغة هو : النجم [٧] ، وقال أبو عبيد : الأنواءُ ثمانية وعشرون نجماً معروفة[٨] .

إذن فالنجم في عرف الحضارم لا يقصدون به عموم النجوم التي على صفحة السماء وإنما هو من ألفاظ العموم التي يراد بها الخصوص ومقصودهم هو (منازل القمر). ولذلك اشتهر عندهم (بالنجوم الشبامية) .

جدول أسماء النجوم مقارنة بالاسم الأصلي

الرقم	منازل القمر في لغة العرب	النجوم الشبامية
١	الهنعة	الهنعة
٢	الذراع	الذراع
٣	النثرة	النثرة
٤	الطرف	الطرفة
٥	الجبهة	الجبهة
٦	الزبرة	الزبرة
٧	الصرفة	الصرفة
٨	العواء	العوى
٩	السماك	السماك
١٠	الغفر	الغفر

١١	الزباني	الزبان
١٢	الإكليل	الإكليل
١٣	القلب	القلب
١٤	الشولة	الشولة
١٥	النعائم	النعايم
١٦	البلدة	البلدة
١٧	سعد الذابح	المرزم
١٨	سعد بلع	سهيل
١٩	سعد السعود	باعريق
٢٠	سعد الأخبية	الخباء
٢١	فرغ الدلو المقدم	الفرغ
٢٢	فرغ الدلو المؤخر	الدلو
٢٣	الحوت	الحوت
٢٤	الشرطان	النطح
٢٥	البطين	البطين
٢٦	الثريا	الثريا
٢٧	الدبران	البركان
٢٨	الهقعة	الهقعة

يلاحظ من مقارنة الجدول بالأعلى أن الحضارم استقوا للنجوم الشامية نفس مسميات نجوم منازل القمر المعهودة عند العرب ، إلا نجوم السعود كما هو مشار إليها بالأسهم ، وكذلك نجم الدبران ، ونجوم السعود هي : سعد الذّابح ، سعد بلع ، سعد السعود ، سعد الأخبية ، أما بقية النجوم فلم تطرأ عليها تغييرات جوهرية في الاسم سوى تغييرات طفيفة جرت بمثلها العادة في اللهجات المحلية كتأنيث المذكر في نجم (الطرف) فصارت (الطرفة) .

وكذلك الحذف أو القلب لأجل التخفيف في النطق في مثل نجم العواء صارت (العوى) استثقالاً للهمزة في آخر الاسم ، و (الزباني) بحذف آخر حرف الياء فصارت (الزبان) ، ومثل (النعائم) بقلب الهمزة ياء ، ومثل هذا التحوير مشهور وكثير في لهجتنا المحلية ، كاسم (عائشة) ينطق (عايشة) أو اسم (أحمد) ينطق (حمد) .

وكذلك الاختصار في الأسماء المركبة تركيبا طويلاً مثل(فرغ الدلو المقدم ، وفرغ الدلو المؤخر) اختصرا إلى (الفرغ ، والدلو).

أما نجم (النطح) في النجوم الشبامية فليس تغييراً لنجم (الشرطان) وإنما هو الاسم الثاني له ، فبعض النجوم تشتهر عند العرب بمسميين (كنجوم الجبار) والذي يسمى عند بعض العرب (نجوم الميزان) ، فنجم النطح هو الاسم الآخر لنجم الشرطان ، ففي لسان العرب (ويقال للشرطين النطح وهما قرنا برج الحمل ، وقال ابن سيده : النطح نجم من منازل القمر)، إذن فليس (النطح) تغييراً لمسمى نجم (الشرطان) كما قد يتوهم ذلك من أول وهلة ، وإنما هو اختيارا للاسم الآخر له .

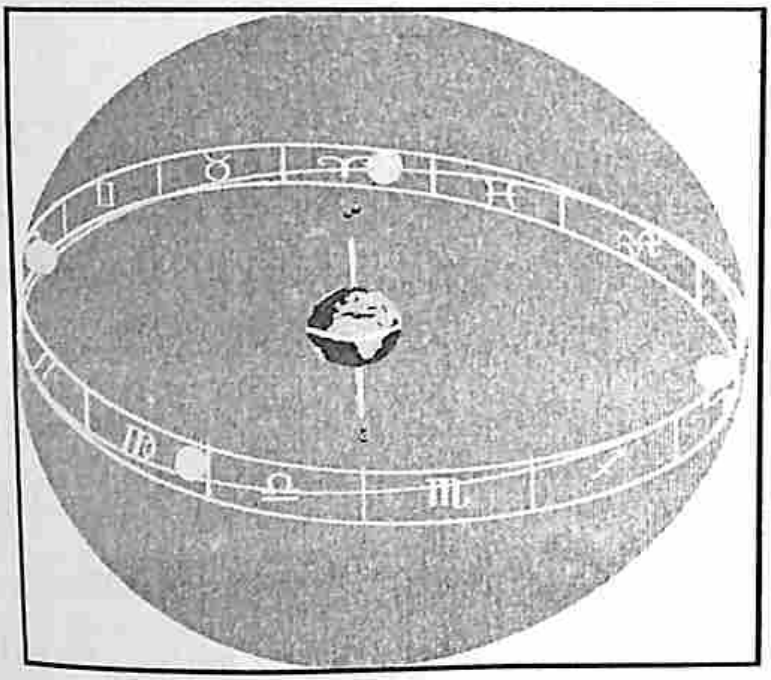
أما التغيير الجوهري فقد وقع في نجم (الدبران) ليصير (البركان) ولا يخفى تقارب مخارج الحروف بينهما ، خاصة وأن وزنيهما على وزن (فعلان) ، وكذلك نجوم السعود التي أشرنا إليها آنفاً ، وأقرب التعليلات لتغيير نجوم السعود هو البعد عن عادة سيئة اشتهرت لدى عرب الجاهلية ، بالتطير إما بالتفاؤل أو التشاؤم من مواسم بعض النجوم ، فكان لهم إعتقاد باطل في بعض النجوم بالسعود ، وفي بعضها الآخر نحوس ، لنهي الشريعة السمحاء عن خرافة التشاؤم والتطير الملازم لنفي التوكل على الله .

سبب اختيار الحضارم لهذه النجوم :

إن النجوم الثمانية والعشرين السالفة الذكر المسمى (النجوم الشبامية) لا تمثل جميع ما في السماء من نجم ، وإنما هي جزء بسيط من نجوم صفحة السماء ، نشأ الاهتمام بها لكونها تمثل سلسلة مترابطة من أجزاء البروج الاثنا عشرة الممتدة حول السماء من الغرب إلى الشرق، فلم يأت اختيار النجوم الشبامية اعتباطاً دون بقية نجوم السماء ، وإنما لكون جميع الأجرام

السماوية المتحركة كالشمس والقمر وبقية الكواكب السيارة ، إذا تحركت في أفلاكها على خلفية النجوم فإنها تسير متخللة لنجوم الأبراج الاثنا عشرة المعروفة ، ومقترنة غالباً بالنجوم الشبامية ، فمن السهل إذن - والحالة هذه - أن يميز الإنسان العادي ويلاحظ تكرر تموضع القمر على صفحة السماء أثناء دورانه حول الأرض في مواضع ثابتة في السماء ، على مدى السنين وكر الدهور ، ومن ثمّ توهم القدماء لهذه المواضع شكلاً معيناً ، واتخذ لها اسماً معيناً يتعرف عليها ، ومن خلال توارث هذه المعارف عبر الأجيال المتلاحقة جاءت تسميتها بالنجوم الشبامية حفظاً منهم للموروث .

ووأضح أنه إذا كان عدد منازل القمر ٢٨ ، وكانت موزعة بالتساوي حول البروج الذي عددها ١٢ برجاً ، فإنه بعملية حسابية بسيطة سندرك أن كل برج يحوي منزلتين وثلث .



كيف يحفظ القدماء نجوم السماء ؟

لا شك أنه في مثل ظروف القدماء ، حيث لا أضواء ولا تلوث في الجو ، فإن المرء لا يكاد يرى شيئاً على وجه البسيطة إذا غربت الشمس سوى نجوم السماء ، ولا تأنس العين عندهم إذا حل الظلام غير بالتطلع على صفحة السماء ، حتى أضحى النجم سميرهم في سفرهم وحضرهم ، ونديمهم في بحرهم وبرهم ، فإذا كان الدهر - كل الدهر - هو عبارة

عن ليل ونهار ، فنصف عمر المرء يكون فيها لصيقاً وملازماً لنجوم السماء ، فلا عجب إذن أن يحفظوا صور السماء عن ظهر غيب ، مثلما يحفظ المرء منا دروب الضواحي وشوارع مدينته من كثرة التردد فيها .

الفائدة العملية والجدوى العلمية من النجوم الشبامية :

كان للقدماء أغراضاً متعددة في تعاملهم بالنجوم استفادوا منها في ميادين شتى أهمها :

١ – معرفة التوقيت والأزمان .

٢ – معرفة الاتجاهات الجغرافية .

٣ – معرفة موقع الجرم السماوي على صفحة السماء .

أولاً : التوقيت :

تمكن القدماء من خلال الاستعانة بالنجوم من تحديد لحظة نصف الليل أو ربعه ، ومعرفة الماضي من ساعات الليل أو الباقي من الساعات إلى وقت الفجر ، وكذلك تحديد ساعات الليل وأجزاؤه بدقة مقبولة ، وأبرز من كانوا يستعينون بالنجوم في تحديد ساعات الليل هم المؤذنون لصلاة الفجر ، والفلاحون الذين يراقبون ليلاً توزيع سقي المزارع والري في الغيول والعيون والجداول المائية .

وطريقتهم في ذلك هو بمراقبة السماء بمجرد حلول الظلام ، فإن النجوم الثمانية والعشرين تكون موزعة كاملة على دائرة البروج حول كامل الأرض ، وبناء على ذلك يكون ١٤ نجماً ظاهراً للعيان على صفحة السماء و١٤ نجماً في السماء المقابل للجهة الأخرى من الأرض ، فإذا حل المساء فسيشاهد ١٤ نجماً ظاهراً ممتداً من سماء الأفق الشرقي إلى سماء الأفق الغربي ، ومع مرور الوقت يلاحظ على الدوام طلوع نجم جديد من تحت الأفق الشرقي ، وغروب مقابل له من الأفق الغربي ، والذي يتسبب ذلك عن دوران الأرض حول نفسها ، ثم يمكن هنا اختيار أحد ثلاثة أنجم كعلامة على بدء العدّ والحساب وذلك حسب الظروف الجوية للسماء ، فإما أن نختار النجم الذي على الأفق الشرقي أو الذي على الأفق الغربي أو النجم المتوسط الذي على سمت الرأس ، وبناء على هذا فإن النجم الذي يظهر بعد

غروب الشمس بالأفق الشرقي لا يطلع رابعه إلا بربع الليل ، ويظهر خامسه بثلث الليل، وسابعه بمنتصف الليل ، وتاسعه بثلثي الليل وعاشره بالربع الأخير من الليل[1] ، ولا يطلع الثالث عشرة له إلا وقت حلول الفجر ، ولا يغرب الثامن من النجم الذي بالمغرب إلا بمنتصف الليل ، وهكذا دواليك يمكن تقسيم وتحديد أجزاء الوقت بمقدار حركة النجوم ، وأن متوسط الفترة الزمنية ما بين طلوع النجم الأول والثاني له هو إحدى وخمسين دقيقة زمنية ، ومن أول غروب الشمس إلى طلوع الفجر يمكن مشاهدة ٢٥ نجماً تقريباً من أصل ٢٨ أما الباقي فيكون داخلاً في حيز شعاع الشمس .

ثانياً : الأزمان :

معلوم أن أغلب المصالح المعاشية والأعمال الدنيوية ترتبط مواعيدها بالتقويم الشمسي ، كالتقويم الميلادي ، أو التقويم الرومي ، أو التقويم القبطي ، كمعرفة مواعيد الفصول الأربعة ، وأوقات الحصاد والبذر ، ومواسم رحلات الصيد والتجارة ، ومواسم هبوب الرياح البحرية .

ولم يكن الحضارم يعرفون أياً من أنواع التقويم الشمسي ، وإنما استعاضوا عنه بتقويم النجوم الشبامية ، فإنهم قد أدركوا من خلال تعاقب الأجيال وتراكم الخبرات أن أي موسم إذا حلّ مع غروب نجم معين بالفجر فإن موعد الموسم يترافق حلوله دائماً بغروب نفس النجم للأعوام المتلاحقة ، حتى لكأن النجم يصير علامة على حلوله دائماً وأبدا ، وتفسير ذلك من الناحية الفلكية ، أن النجم إذا غرب فجراً في يوم ما فإن غروبه يتكرر بنفس موعد التقويم الشمسي ، لأن السبب في اختفاء النجوم بوقت الفجر هو حركة الشمس المدارية (الظاهرية) في فلكها حول الأرض ، فإذا تحركت الشمس بمقدار ١٣ درجة في مدارها اختفت من النجوم مقدار منزلة واحدة في الجهة الشرقية ، وظهرت لسكان الأرض منزلة أخرى من الجهة الغربية ، وحيث أن الشمس ترتبط في موقع مدارها بتاريخ معين من التاريخ الميلادي فاختفاء النجم كذلك يمكن ربطه بأي نوع من أنواع التقاويم الشمسية ، لذلك ، إذا كان غروب نجم باعريق مثلاً يوافق الأول من شهر أكتوبر فسيقع غروبه في السنوات اللاحقة في نفس التاريخ ، ومثله

إذا وافق موسم الحصاد في نفس يوم غروب نجم البطين فجراً ، فإن الحصاد التالي سيكون في نفس يوم غروب نجم البطين ، والخلاصة مما سبق أن التقويم النجمي عند الحضارم يقوم نفس مقام التقويم الشمسي في أغراضه وأهدافه .

معرفة الاتجاهات الجغرافية :

ربما لا يعدو الأمر غريباً على من حفظ صور منازل القمر أن يهتدي بالنجوم على الاتجاهات الجغرافية ، كمعرفة الشمال والجنوب والشرق والغرب ، ولهم في ذلك طرقاً متعددة من أبسطها أنه إذا شوهد عدة منازل في أي بقعة من السماء فالمتقدم في الترتيب يشير دائماً إلى الأفق الغربي ، والمتأخر يشير لجهة المشرق ، فعلى سبيل المثال ، إذا شوهدت النجوم : القلب والشولة والنعايم بكبد السماء ، فالقلب يشير إلى جهة المغرب لأنه متقدم على الشولة ، والنعايم تشير إلى جهة المشرق لأنه متأخر ، وهذه تعتبر من البديهيات التي يجيدها القدماء ، وقد استفادوا بذلك في الاهتداء في ظلمات البرو البحر

وقد جعل فقهاء المذاهب الأربعة لنجمة القطب الشمالي أولوية في الاستدلال على الشمال ، ويسمونه (نجمة الجدي) ، ثم يأتي بعده من حيث الترتيب نجم سهيل للاستدلال به على جهة الجنوب .

العصر الذي يرقى إليه بداية العمل بالنجوم الشبامية :

سبق أن ذكرنا صفاتا عامة للنجوم الشبامية ، وذكرنا أنها ترتكز على المنازل الغاربة فجراً بالأفق الغربي ، وأنها تبدأ بالهنعة وتنتهي بالهقعة ، وأن مقدار كل منزلة ١٣ يوماً ، إلا الهقعة ، فعددها ١٤ يوماً في البسيطة و ١٥ يوماً في الكبيسة ، وأن مسميات بعض النجوم خاصة نجوم السعود منها تم تغييره إلى أسماء أخرى كما سبق ، ومن خلال هذه المعطيات توجه هاجس من التساؤلات لدى بعض الباحثين في التاريخ والمشتغلين في التراث عن بدايات العصر التي اعتمدت فيها العمل بالنجوم الشبامية في القطر الحضرمي ، ولا شك أنه من اليسير جداً على أي أحد أن يجازف في القول فيطرح أمام ذلك الآلاف من السنين بل

وعشرات الآلاف المؤلفة من الأعوام ، لكن تبقى مجازفاته مجرد أوهام ودعاوى لا يعجز أي شخص آخر أن يدعي مثلها في أي قضية أخرى ، ومثل هذه تأباها مناهج البحث العلمي ، ما لم يقم صاحبها عليها دليلاً صحيحاً

لكن المقطوع به أن أشهر من تكلم بإسهاب من القدماء في النجوم الشبامية هو العلامة عبد الله بن عمر بامخرمة[١٠] ، وهو بدوره قد أشار في بعض نصوصه إلى محققين سبقوه في حساب النجوم ، كما أشار بشكل واضح إلى قضية زحلقة الفلك[١١] في النجوم الشبامية بقوله (لكن حساب الشبامي قد دخل فيه الخلل بسبب طول الزمان فإذا أردت أن ترده إلى الصحة فأنقص من أيام منزلة الشبامي التي أنت فيها عشرة أيام فما بقي فهو الذي مضى من تلك المنزلة على الصحة)[١٢] ، وقد أيد المتأخرون مسألة الزحلقة في النجوم[١٣]

إذن فمقدار الزحلقة من الزمن الأول إلى عصر العلامة بامخرمة هو عشرة أيام ، والمعروف عند علماء الهيئة أن الفلك تتزحلق بمقدار درجة واحدة في كل اثنين وسبعون عاماً قمرياً ، وبالتالي فإذا ضربنا ١٠ أيام في ٧٢ كان الحاصل هو ٧٢٠ عاماً وحيث أن العلامة عبد الله بامخرمة قد صنف جداوله الفلكية عام ٩٥١ للهجري فإذا رجعنا القهقرى من هذا التاريخ بمقدار ٧٢٠ عاماً فإننا نصل إلى العام ٢٣١ للهجري ، أي أن النجوم الشبامية ترقى في استخدامها بحضرموت إلى القرن الثالث الهجري .

ويؤكد ذلك بوضوح ما ذكره صاحب كتاب مختصر الخصال[١٤] بقوله : ومعرفة ذلك أن دخول الهنعة عند رجوع الشمس يكون الفيء في ذلك خمسة أقدام ونصف إلا قيراطي قدم ، وينقص كل يوم قيراط حتى تقوم الشمس دخول الزبانان على غير شيء)

وهذا النص لصاحب مختصر الخصال هو أقدم ما بلغنا من النصوص التي تتحدث عن النجوم الشبامية بحضرموت ، إذ أن وفاة أبي اسحاق كان في القرن الخامس الهجري ، أما قوله (حتى تقوم الشمس دخول الزبان على غير شيء) فمقصوده : أن أول الزبان في التقويم الشبامي تكون الشمس فيها مسامتة للرأس فلا يظهر للفيء أي ظل ، وبإجراء عملية حسابية بسيطة يمكن معرفة موقع الراصد ومنطقته التي أقام فيها عملية رصد ظل الشمس ، إذ أن رجوع الشمس عند دخول أول الهنعة توافق دائماً وأبداً ٢٤ ديسمبر من كل عام ، ومن أول

الهنعة إلى أول الزبان يمضي فيها عشرة أنجم ، وكل نجم يحوي ١٣ يوماً أي أن مجموع أيام الأنجم العشر هو ١٣٠ يوماً ، فإذا سرنا بمقدار ١٣٠ يوماً ابتداء من ٢٤ ديسمبر فسنصل إلى تاريخ ٣ مايو الذي هو أول مدخل نجم الزبان في عصر أبي إسحاق إبراهيم الحضرمي في القرن الخامس الهجري والذي يكون فيه الشمس مسامتة على رأس الراصد ، وإذا حسبنا عرض البلد بنفس التاريخ والذي يكون فيه الشمس مسامتا لها فسنجده ١٥ درجة و ٣٣ دقيقة وهذا هو نفس عرض مدينة الهجرين وأجزاء من وادي العين كالبويرقات والسفيل .

الباب الثاني

أدلة القبلة بحضرموت

معلوم أن تحديد القبلة وطرق الاستدلال عليها يندرج في نفس إطار التطبيقات الميدانية للأعمال الفلكية ، ويبرز فيه أثر الجهود الفلكية بجلاء .

ويجدر بنا قبل الاسترسال في هذا الباب أن نذكر أقوال المتقدمين من فقهاء المذهب الشافعي من غير الحضارمة في أدلة القبلة لنقارن مدى التقارب بينهم وبين مشاركة علماء حضرموت الفلكية في ذات المجال ، فقد ذكر الإمام ابن حجر الهيتمي (١٥) ، والإمام الرملي (١٦) نقلا عن الشيخين قولهما(١٧) : (وأدلة القبلة كثيرة ، وأقواها القطب ، وهو يختلف باختلاف الأقاليم ، ففي العراق يجعله المصلي خلف أذنه اليمنى ، وفي مصر خلف اليسرى ، **وفي اليمن قبالته مما يلي جانبه الأيسر**) ، وفي حاشية القليوبي على شرح المحلى قال : (والقطب وهو أقوى الأدلة وأعمها لأنه يستدل به في جميع الأماكن لملازمته مكانه ، فيجعل في اليمن قبالته)(١٨)

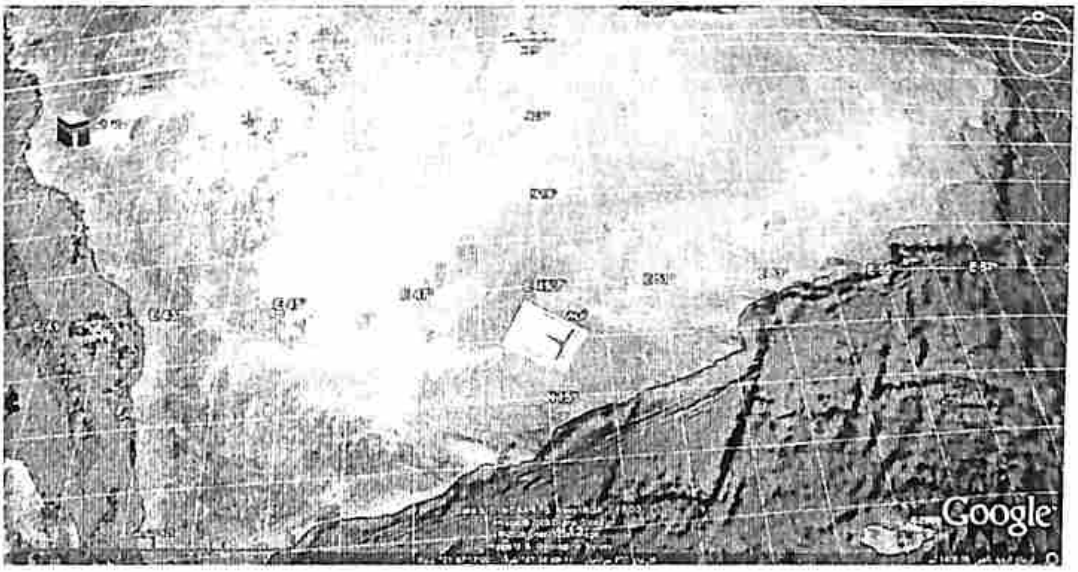
أي أن قبلة اليمن – كل اليمن – حتى حضرموت هي باستقبال القطب الشمالي ، وربما يستدلون في ذلك بما قاله الإمام البخاري في صحيحه (١٩) من أن اليمن سميت باليمن لأنها على يمين الكعبة ، ولكي تتضح في الأذهان الصورة التطبيقية لما ذكره الفقهاء في قبلة اليمن فقد وضعنا وسيلة توضيحية في الشكل التالي وهو لمن يستقبل القطب من سكان مدينة حضرموت .



الشكل في الأعلى هو عبارة عن صور الأقمار الاصطناعية لمن يقف في مدينة تريم مستقبلاً القطب الشمالي ، ويتضح في الصورة بجلاء أن الواقف إذا استقبل القطب الشمالي بحضرموت فإنه يكون منحرفاً عن الكعبة بمقدار ٥٧ درجة كما هو واضح في الشكل .

وربما أن البعض قد يجد بعض مساجد تهامة متجهة للشمال تطبيقاً لقول الفقهاء السالف الذكر وبالتالي فقد يتبادر لذهن القارئ لأول وهلة عدم استبعاد أن تكون مساجد حضرموت كذلك متجهة للقطب الشمالي بناء على أن علماء حضرموت يعتمدون المذهب الشافعي ، **لكن الواقع أن جميع مساجد حضرموت وعلى الأخص مساجد تريم متجهة صوب الكعبة المشرفة بصورة تبعث على الدهشة .**

ولأجل التأكيد فقد ألحقنا في الشكل التالي صورة الأقمار الاصطناعية المأخوذة من البرنامج الشهير google earth بعد تكبير وإبراز موقعي الكعبة المشرفة و مسجد المحضار ليتبين للقارئ جهة القبلة في تريم .



وهكذا نجد أن علماء حضرموت ورغم اعتمادهم في المذهب الشافعي على كتب النووي والشربيني وابن حجر الهيثمي إلا أن حصيلة ما لديهم من زخم علمي في الأعمال الفلكية وحسابات النجوم دفعهم إلى عدم الالتفات إلى أقوال السابقين في جانب الاستدلال على القبلة في اليمن ، وحملهم ذلك إلى التحقيق الدقيق في هذه القضية خاصة عند القول بأن الفرض في الاستقبال هو عين الكعبة لا مطلق الجهة .

وسنكتفي في هذا الباب بعرض جهود ثلاثة من جهابذة علماء حضرموت ممن تكلموا في قبلة حضرموت ([٢٠]) وهم :

١) الشيخ العلامة المحقق عبد الله بن محمد باقشير (مؤلف كتاب القلائد) .

٢) الإمام العلامة الشيخ عبد الله بن عمر بامخرمة (الشافعي الصغير) .

٣) العلامة السيد عبد الرحمن المشهور .

أولاً : ذكر العلامة عبد الله بن محمد باقشير دلائل قبلة حضرموت بواسطة الشمس والنجوم وبأسلوب تقريبي تحقق الكفاية ، فقال رحمه الله [٢١] : (قبلة حضرموت على مغيب الشمس في آخر الميل الشمالي ، وفي الميل الجنوبي تكون على الخد الأيسر ، ثم على مآق العين الأيسر ، ثم وسطها بين الميلين ، ثم تميل إلى وسط الوجه قليلاً ، قليلاً ، حتى ينتهي الميل كما سبق ، وعلى مغيب السماك الرامح ، والثريا ، وبين النسرين ، وبين الفرغين مع الميل إلى الشمالي ، وعلى النجمين الشاميين من الجبهة ، وكل هذا على التقريب عند الغروب). انتهى

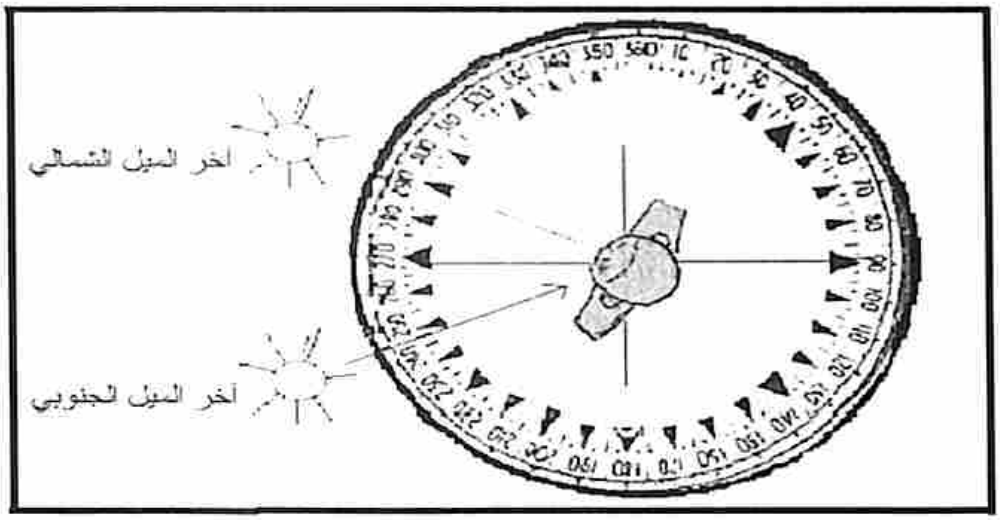
معلوم أن الشمس على مدار العام لا تلتزم موقعاً محدداً لنقطة غروبها ، وإنما تغيب تارة في جهة الشمال الغربي وذلك بفصل الصيف ، وتارة تغيب بجهة الجنوب الغربي بفصل الشتاء ، وتغرب مرتان في العام من نقطة المغرب الحقيقي وذلك بأول الاعتدالين الربيعي والخريفي ، وقد قسم العلامة باقشير استقبال القبلة بحسب ميل الشمس إلى ثلاثة أقسام :

١ — استقبال نفس نقطة مغيب الشمس في آخر الميل الشمالي وذلك يكون بتاريخ ٢١ يونيو ، حيث تسقط الشمس على الزاوية السمتية ٢٩٤.٥ درجة

٢ - جعل الخد الأيسر على/آخر الميل الجنوبي ، أي أن تجعل الخد الأيسر مواجهاً لنقطة مغيب الشمس في آخر الميل الجنوبي وذلك يكون دائماً بتاريخ ٢١ ديسمبر

٣ — جعل الشمس على وسط العين اليسرى إذا كان الشمس بين الميلين ، والمقصود بين الميلين أي بين آخر الميلين الشمالي والجنوبي وذلك يكون يومي الاعتدالين الربيعي والخريفي أي بتاريخ ٢١ مارس ، و ٢١ سبتمبر من كل عام .

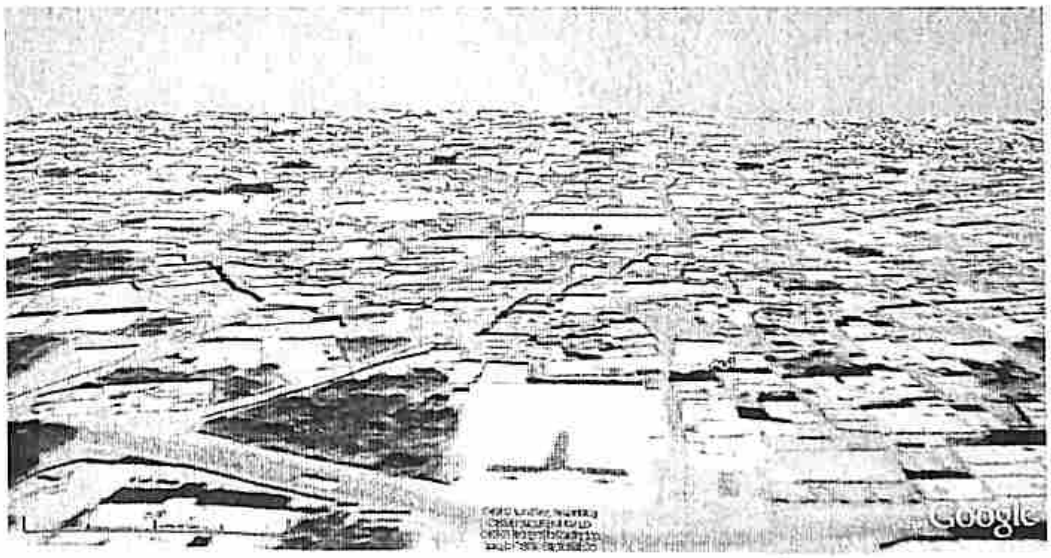
والرسم التالي يوضح المقصود :



الرسم التقريبي السابق يؤكد لنا صحة المعيار الذي ذكره العلامة باقشير ، فلو أن أحداً استقبل بوجهه نقطة مغيب الشمس بآخر الميل الشمالي في مناطق حضرموت ، فإن خده الأيسر سيكون مواجهاً لنقطة مغيب الشمس بآخر الميل الجنوبي ، وتكون كذلك وسط العين اليسرى مقابلة لنقطة مغيب الشمس بمدار الاستواء .

ووأضح من الرسم أن علامتي مغيب الشمس في الميلين الشمالي والجنوبي ، وكذلك مغيبها وسطهما ، أي على دائرة الاستواء ، هي من المعالم الواضحة ، التي يمكن الاستدلال بها في تحديد القبلة .

وفي الشكل التالي منظر لنقطة غروب الشمس بآخر الميل الشمالي لمدينة تريم على الزاوية السمتية ٢٩٤.٥



أما طريقة النجوم التي استدل بها العلامة باقشير على القبلة فقد ذكر التالي :

١ – استقبال مغيب نجمة النسر الواقع ، أي أن هذا النجم يغرب بنفس اتجاه قبلة حضرموت ووفقاً للمراجع الفلكية الحديثة فإن تصنيف النسر الواقع هو (Arcturus . Alpha Bootis)

وإحداثياته الفلكية كالتالي :

المطالع المستقيمة (Right Ascension) = ١٤ : ١٦

الميل (Declination) = ١٩ درجة و ٩ دقائق شمالي

وبناء على هذه المعطيات فإن حساب الزاوية السمتية لنقطة غروب نجمة السماك الرامح بمدينة تريم تحسب وفق القانون الشهير المستنبط من قانون المثلثات الكروية

Sin (declination) = Cos (Latitude) Cos (Azimuth)

الحاصل من الحساب هو ٧٠ درجة من الشمال للغرب

أي أن الزاوية السمتية هو ٢٩٠ درجة وفق البوصلة الهندسية

٢ – استقبال مغيب نجم الثريا وتصنيفه هو (Alcyone)

مطالعه المستقيمة : ٣ : ٤٧

ميله : ٢٤ درجة و ٦ دقائق

وزاويته السمتية لحظة غروبه بمدينة تريم ٢٩٥ درجة

٣ – قوله (وبين النسرين) ومقصوده بالنسرين أي نجم النسر الواقع ونجم النسر الطائر أي أن قبلة حضرموت تقع في الوسط بين مغيب النسر الطائر والنسر الواقع

النسر الطائر (Altair . Alpha aquilae)

مطالعه المستقيمة : ١٩ : ٥١

ميله : ٨ : ٥٢

زاوية مغيبه السمتية بحضرموت = ٢٧٩ درجة

وزاوية مغيب النسر الواقع بحضرموت = ٣١١ درجة

إذن فمقدار الوسط ما بين النسرين هو ٢٩٥ درجة

٤ – قوله (بين الفرغين ، مع ميل إلى الشامي) أي : أن القبلة وسط بين نجمة الفرغ المقدم ونجمة الفرغ المؤخر مع ميل يسير عن الوسط إلى جهة الفرغ المؤخر (وهو شامي بالنسبة للمقدم).

وزاوية مغيب المقدم على الدرجة ٢٨٦ ، وزاوية مغيب المؤخر على ٣٠١ والوسط بينهما هو ٢٩٣ درجة وإذا تحركنا قليلاً إلى المؤخر فإننا نصل إلى الدرجة ٢٩٥ وهذا هو مقصوده من الميل إلى الشامي .

٥ – قوله (وعلى النجمين الشاميين من الجبهة) المقصود بالجبهة أي جبهة برج الأسد ويحتوي جبهة الأسد على أربعة أنجم ، اثنان جنوبيان أنورهما يسمى رجل الأسد .

واثنان شاميان أحدهما يسمى الجبهة والأخر يسمى الضفيرة

الجبهة Algieba

مطالعه المستقيمة ١٩ : ١٠

ميله : ١٩ درجة و ٤٨ دقيقة شمالي

زاوية مغيبه : ٢٩١ درجة

الضفيرة Adhafera

مطالعه المستقيمة ١٧ : ١٠

ميله : ٢٣ درجة و ٢٣ دقيقة شمالي

زاوية مغيبه : ٢٩٦ درجة

الوسط ما بين الجبهة والضفيرة هو ٢٩٣.٥ درجة

مما سبق ذكره يمكننا أن نصنع جدولاً يحوي أدلة القبلة التي ذكرها العلامة باقشير

مغيب الشمس / النجم	الدرجة
الشمس في آخر الميل الشمالي	٢٩٤.٥
مغيب السماك الرامح	٢٩٠
مغيب الثريا	٢٩٥
بين النسرين	٢٩٥
بين الفرغين	٢٩٥
على النجمين الشاميين من الجبهة	٢٩٣.٥

ويجدر هنا أثناء المقارنة في الجدول أن نذكر أن العلامة باقشير رحمه الله كان يراعي التسهيل الذي يحقق الكفاية ، و التقريب الذي يداني التحقيق، ولم تكن حاجته إصابة اليقين، ولو شاء ذلك لعين نجمة واحدة فقط ، دون بقية نجوم تختلف معها في المغرب كما هو ملاحظ في الجدول ، ويكاد يكون الأرجح لديه – والله أعلم - هو الدرجة ٢٩٥ لكثرة تكرره في الجدول بين النجوم ولقربه من درجة الشمس في آخر الميل الشمالي .

ثانياً : العلامة السيد عبد الرحمن بن محمد المشهور :

قام العلامة عبد الرحمن المشهور بقياسات ميدانية لمدينة تريم لتحقيق سمت القبلة فيها فقال رحمه الله في بغية المسترشدين([٢٢]) (قلت : والذي شاهدناه وتحققناه في غالب مساجد تريم التي هي أعظم بلدة بحضرموت ، وأشهرها ، ومحط العلماء والأولياء وأهل الكشف ، أن القبلة في المساجد المذكورة ، كمسجد الجامع ومسجد لأبي علوي ومسجد السقاف الذي يقول فيه ما بنيته وأسسته إلا والنبي صلى الله عليه وسلم في قبلته والأئمة الأربعة بأركانه ، وغيرها ، على مغيب النسر الواقع) انتهى .

إذن فالعلامة السيد عبد الرحمن المشهور يميل إلى ترجيح مغيب النسر الواقع قبلة لتريم ، وإذا أجرينا حسابات الزاوية السمتية لموقع غروب نجمة النسر الواقع بمدينة تريم فسنجد أن زاويته السمتية هي ٣١١ درجة ، لكن تبقى هناك إشكالية ترد في هذه القياسات ، فإن من يزور المساجد الثلاثة التي ذكرها العلامة المشهور رحمه الله يجد أن أفق القبلة تحتجزها الجبال على امتداد الشمال والغرب و يتراوح الارتفاع فيهما ما بين ١٣ درجة إلى ١٧ درجة ، مما يستحيل معه رؤية غروب نجمة النسر الواقع من على أفق مدينة تريم لمن يرصد ذلك من فوق مسجد باعلوي أو الجامع أو مسجد السقاف ، ولا يمكن ذلك إلا بتوجيه المعنى في قول العلامة (شاهدناه وتحققناه) بأحد معنيين اثنين لا ثالث لهما ، إما مشاهدة حقيقية بصرية ، أو مشاهدة مجازية حكمية من واقع الحسابات ، فإن كان الأول وهو المشاهدة البصرية ، فهذا يعني أن نجم النسر الواقع يغرب على قمة الجبل ، وبناء على هذا فزاوية النجم السمتي لحظة غروبه على رأس الجبل هي ٣٠٦ درجة ، وإن كانت المشاهدة مجازية حكمية من واقع الحسابات فالزاوية السمتية هي ٣١١ كما سبق ذكره .

ثالثاً : الإمام العلامة عبدالله بن عمر بامخرمة

قال رحمه الله ([٢٣]) : (الذي نعتمده ودلت عليه القوانين الفلكية المرجوع إليها في ذلك أن قبلة الشحر وما قاربها بمغيب النسر الواقع ، وأهل حضرموت قريباً من نير الحوت)

فالعلامة عبد الله بامخرمة يرى أن قبلة مدينة الشحر تقع على نقطة مغيب النسر الواقع ووفقاً للمراجع الفلكية الحديثة فإن تصنيف النسر الواقع هو (vega . Alpha Lyra) وإحداثياته الفلكية كالتالي :

المطالع المستقيمة (Right Ascension) = ١٨ : ٣٧

الميل (Declination) = 38 47 شمالي

طول الشحر الجغرافي = 49 35 شرقاً

عرض الشحر = 14 45 شمالاً

وبناء على هذه المعطيات فإن حساب الزاوية السمتية لنقطة غروب نجمة النسر الواقع بمدينة الشحر هي ٣١٠ درجة وفق البوصلة الهندسية

وقبلة الشحر وفق الحساب الدقيق هو ٣٠٧ درجة

والفرق هنا من حيث المقارنة ضئيل جداً وهو ٣ درجات وهذا يدل على دقة حسابات العلامة بامخرمة رحمة الله .

ونجمة نير الحوت هي ما يسمى في بعض الخرائط الفلكية نير الفكة ، وقد أوردناها في جدول النجوم ، ونقطة مغربها ٢٩٨ درجة .

قياس الوقت و الساعات

يحتاج الإنسان في كثير من شؤونه العامة والخاصة إلى قياس مقدار الوقت في تنظيم أعماله وترتيب جهوده ، فهو مرتبط دائماً بالوقت أينما كان وعلى أي حال ، ويمثل إدراكه بتغير المكان في مشيه وسفره فهو يشعر كذلك داخلياً بمرور الوقت .

وعندما نتعرض إلى تعريف الزمن فأول ما يستهل بنا في ذلك خطبة المصطفى صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع و الذي أخرجه البخاري في صحيحه (ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض) ففي الحديث ربط واضح بين السموات والأرض الذي هو الأفلاك وبين الزمان ، لذلك كان التعريف المشهور بين العلماء والفلاسفة أن الزمن هو مقدار حركة الفلك ، وتطبيقات هذا التعريف على الواقع واضحة جداً ، فالتقويم الميلادي يعتمد في قياسه على دورة الشمس حول الأرض دورة كاملة ، والتقويم الهجري يعتمد على دورة القمر حول الأرض اثنا عشرة مرة ، والشهر القمري الشرعي هو من ظهور الهلال إلى ظهوره مرة أخرى ، فهو دورة فلك كذلك ، وكذلك قياس ساعات الليل تعتمد على دورة النجوم من المشرق إلى المغرب وبمثله أيضاً ساعات النهار فإن قياسها تعتمد على دورة الشمس من طلوعها من المشرق إلى غروبها بالأفق الغربي ، لكن من يمعن النظر في طلوع الشمس من المشرق إلى غروبها بالأفق الغربي سيجد أن للشمس حركتين ، يصلح كل واحد منهما أن يقوم مقام مقياس للوقت .

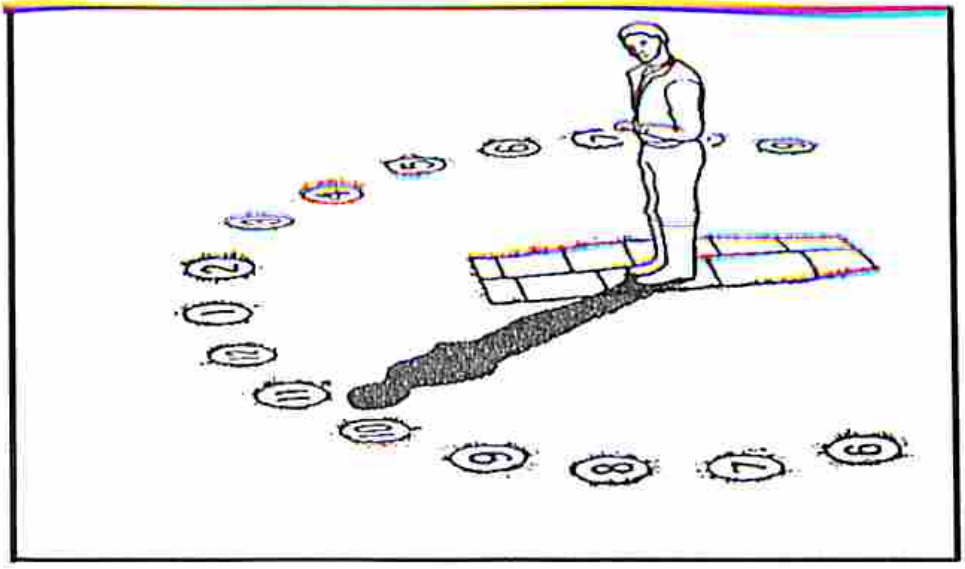
الأولى : حركة رأسية ، من الأسفل للأعلى ، أو العكس ، وفيها تظهر تطاول طول الظل وتناقصه

الثانية : حركة أفقية من الشرق للجنوب أو من الشرق للشمال ثم لجهة المغرب

وعلى أساس هاتين الحركتين تنوعت الساعات التي تقيس وقت النهار بتنوع حركة الشمس إلى نوعين :

١) ساعات زمانية : تعتمد على تزايد طول الظل و تناقصه .

٢) ساعات معتدلة : تعتمد على الزاوية التي تصنعها ظل الشاخص ، والساعات المستخدمة حديثاً كساعات الجيب أو ساعات المعصم تعتمد في فكرة إنشائها أساساً على الساعات المعتدلة .



ويمكن ملاحظة أن حركة اتجاه عقرب الساعات هو نفس اتجاه حركة الشمس التي يشاهدها سكان حوض الأبيض المتوسط وسكان أوربا ، فإن هؤلاء لا تبلغ الشمس في أقصى ميلانها للشمال مسامته رؤوسهم أبداً ، لذلك فهم يتوجهون للأفق الجنوبي لمشاهدة واستقبال الشمس ، فيشاهدون الشمس تطلع من جهة جانبهم الأيسر وتغرب من جهة جانهم الأيمن ، لذلك جعلوا حركة عقارب الساعة تشير مع نفس اتجاه حركة الشمس عند طلوعها .

أما الساعات الزمانية والتي ترسم على المزاول والظلال ، فهي أقدم أنواع الساعات استخداماً على وجه الأرض وذلك لبساطتها ويسر إدراك الوقت بها ومن أهم خصائصها :

١) تقسم ساعات النهار إلى ١٢ ساعة دائماً وأبداً سواء زادت درجات النهار على الليل أو قصرت

٢) لحظة شروق الشمس هي الساعة صفر

٣) وقت غروب الشمس تكون دائماً وأبداً في الساعة ١٢

٤) وقت الزوال دائماً الساعة ٦

٥) ربع النهار الأول دائماً الساعة ٣

٦) ربع النهار الأخير دائماً الساعة ٩ وهو نفس وقت أذان العصر

ويعرف الساعات بواسطة الظل (بعد حذف ظل الاستواء دائماً) كالآتي :

الوقت	نسبة الظل إلى الشاخص	الوقت
الساعة الواحدة صباحاً	٥	الساعة ١١
الساعة ٢	٢	الساعة ١٠
الساعة ٣	١	الساعة ٩
الساعة ٤	النصف	الساعة ٨
الساعة ٥	الخمس	الساعة ٧
الساعة ٦	صفر	

ويجدر الانتباه هنا إلى أن القدماء يقيسون طول الظل بالأقدام ويعتبرون الشاخص بمقدار قامة الإنسان والمقدرة عندهم بستة أقدام ونصف (بقدم نفسه) وكل قدم اثنا عشرة أصبع أو ٢٤ قيراط ، وعليه فإن قياس كل شخص للظل بتقدير قدم نفسه وبقامته تعطي نتائج متطابقة لساعة الوقت حتى لو كان القائمون على القياس مختلفي الأطوال ، إذ أن طول الظل يتناسب مع طول القامة ، وقياس قدم الشخص كذلك يتناسب مع طول القامة ، لذلك كان الاعتبار في القياس عند القدماء بالأقدام هو الأضبط والأنسب لعصرهم .

وقاعدة معرفة الساعات بواسطة الظل قد ذكرها أغلب الفلكيين القدماء في مصنفاتهم ، وقد نقل مثلهم صاحب نصب الشرك عن العلامة عبد الله بن عمر بامخرمة قوله : (إذا أردت الماضي والباقي من يومك فانظر كم ظلك في وقتك ، فما كان زد عليه مقدار القامة وهو ستة أقدام ونصف ، فما اجتمع اطرح منه ظل الاستواء بقدمك لذلك اليوم ، فما بقي اقسم عليه تسعة وثلاثين ، فما خرج يعني بالقسمة فهو ساعات ماضية من الطلوع إن كنت قبل الزوال وإلا فباقيه إلى الغروب)[٢٤]

لذلك وضع القدماء جداول على النجوم لمعرفة ظل الاستواء لكل يوم ليطرح من الظل لمعرفة الوقت ومن أقدم هذه الجداول المحققة جداول العلامة عبد الله بن عمر بامخرمة التي بناها لعرض مدينة الشحر .

النجم	ظل الاستواء بالأقدام	النجم	ظل الاستواء بالأقدام
الهنعة		النعايم	
الذراع	خمسة أقدام إلا سدس	البلدة	قدم إلا خمس
النثرة	٤ أقدام وثلث	سعد الذابح	نصف قدم
الطرفة	٤ أقدام إلا خمس	سعد بلع	ثمن قدم
الجبهة	٣ أقدام وثمن	سعد السعود	ثلث قدم
الزبرة	٢ قدم ونصف	الأخبية	قدم إلا سدس
الصرفة	٢ إلا سدس	الفرغ المقدم	٢ قدم وخمسين
العوا	قدم وخمس	الفرغ المؤخر	قدمان
السماك	ثلثا قدم	الحوت	٣ أقدام إلا ثلث
الغفر	سدس قدم	النطح	٣ أقدام وثلث
الزبان	ربع قدم	البطين	٤ أقدام
الإكليل	ثلثا قدم	الثريا	٤.٥ قدم
القلب	قدم إلا ثمن	الدبران	٥ أقدام إلا عشر قدم
الشولة	قدم واحد فقط	الهقعة	٥ أقدام وسدس

وقد ذكر العلامة بامخرمة أن الشمس تتسامت على الرأس في يومين من السنة الأول في السادس من الغفر ، والثاني في الخامس من سعد بلع[٢٥] .

ولقدم استعمال الساعات الزمانية فقد جاء ذكرها في نصوص السنة النبوية كحديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**الجمعة اثنا عشرة ساعة لا يوجد عبد مسلم يسأل الله فيها شيئا إلا آتاه الله إياه ، فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر**)[٢٦]

ومثله من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية**

فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر) [٢٧]

وقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري عن القاضي حسين قوله (أن المراد بالساعات هنا ما لا يختلف عدده بالطول والقصر فالنهار اثنتا عشرة ساعة لكن يزيد كل منها وينقص وهذه تسمى الساعات الآفاقية عند أهل الميقات وقد روى أبو داود والنسائي وصححه الحاكم من حديث جابر مرفوعا يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة وهذا وإن لم يرد في حديث التبكير فيستأنس به في المراد) .

وفي عمدة القارئ شرح صحيح البخاري (قلت الحاصل أن الجمهور حملوا الساعات المذكورة في الحديث على الساعات الزمانية كما في سائر الأيام وقد روى النسائي أنه قال يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة وأما أهل علم الميقات فيجعلون ساعات النهار ابتداءها من طلوع الشمس ويجعلون الحصة التي من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس من حساب الليل واستواء الليل والنهار عندهم إذا تساوى ما بين المغرب وطلوع الشمس وما بين طلوع الشمس وغروبها فإن أريد الساعات على اصطلاحهم فيكون ابتداء الوقت المرغب فيه لذهاب الجمعة من طلوع الشمس وهو أحد الوجهين للشافعية وقال الماوردي إنه الأصح ليكون قبل ذلك من طلوع الفجر زمان غسل وتأهب .

الهوامش :

١) صلة الأهل : ٤٢

٢) فتاوى مشهور المسمى (بغية المسترشدين)

٣) فتاوى العلامة السيد عبد الله بن حسين بلفقيه (لا زالت مخطوطة)

٤) التكوير : ١٥

٥) فتح القدير ، (٥ / ٣٩٣)

٦) لسان العرب (١ / ٧٢١)

٧) انظر تاج العروس باب (نمأ)

٨) لسان العرب (١ / ١٧٦)

٩) كتاب نصب الشرك ، مخطوطة

١٠) الإمام العلامة عبد الله بن عمر بامخرمة من أقران الإمام ابن حجر الهيتمي وأحد عباقرة فقهاء الشافعية ، ولد عام ٩٠٧ بالشحر، ورحل إلى زبيد والحجاز ونبغ في عشرين فرعاً من العلوم من ضمنها علم الفلك والحساب والمساحة

١١) ويسمى في مصطلح علم الفلك الحديث مبادرة الاعتدالين

١٢) نبذة في علم الفلك ، مخطوطة الشيخ الإمام عبدالله بن عمر بامخرمة

١٣) نقل صاحب بغية المسترشدين حساب الزحلقة عن العلامة عبد الله بن حسين بلفقية والعلامة عبد الله بن عمر بن يحي ، وذكر ذلك العلامة أحمد بن حسن العطاس عن شيخه العلامة عبد الرحمن بن محمد المشهور في كتابه رسالة في معرفة الأوقات

١٤) المصنف هو الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن قيس الهمداني الحضرمي ، شاعر وفقيه من فقهاء الأباضية بحضرموت توفي عام ٤٧٣

١٥) تحفة المحتاج (١/ ١٧٦) دار الكتب العلمية ، طبعة ٢٠٠١ م

١٦) نهاية المحتاج (١ / ٤٤٢) دار الفكر ، طبعة ٢٠٠٤ م

١٧) أسنى المطالب لأبي زكريا الأنصاري (١ / ٣٩٣)

١٨) وفي حاشية التحفة نقلاً عن الكردي ما يفيد أن اليمن هو ما يشمل حضرموت وعدن وزبيد وأن قبلتهم بجعل القطب بين العينين .

١٩) الفتح (٧/ ٢١١) بعد الحديث رقم ٣٤٩٩

٢٠) ولمن أراد الاستزادة في ذلك فعليه بمطالعة كتابنا (أدلة القبلة بحضرموت) فقد أسهبنا فيه الحديث ، وأطلنا فيه الشرح بما يفي بالغرض

٢١) نقل عنه هذا النص العلامة عثمان بن أبي بكر العمودي في كتابه نصب الشرك (مخطوطة) ، والعلامة السيد عبد الله بن حسين بلفقيه في الفتاوى (مخطوطة) ، والعلامة عبد الرحمن المشهور في كتابه (بغية المسترشدين) ص : ٣٨

٢٢) بغية المسترشدين ، ص : ٣٩

٢٣) نصب الشرك لأقتناص ما تشتد إليه الحاجة من علم الفلك ، تأليف العلامة عثمان بن أبي بكر بن عيسى العمودي (مخطوطة) ، وانظر كذلك فتاوى العلامة عبدالله بن حسين بلفقيه ، مخطوطة

٢٤) نصب الشرك

٢٥) نبذه في علم الفلك (مخطوطة) للشيخ الإمام عبد الله بن عمر بامخرمة

٢٦) أخرجه أبوداود ١٠٤٨ ، والنسائي ١٣٨٩ ، وصححه النووي في المجموع ٤/ ٥٤١

٢٧) أخرجه مالك برقم ٢٢٧ ، والبخارى (برقم ٨٤١) ، ومسلم (٢/ ٥٨٢ ، رقم ٨٥٠)

الابتهالات والمدائح في حضرموت

الابتداء والانتشار

(مدينة الشحر نموذجاً)

عبد الله صالح حداد

المقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبعد ...

لا أظن أن أحداً يكتب بحثاً دون أن يكون له هدف يسعى لتحقيقه أو للتأكد من صحته أو لاقناع الآخرين بصحة ماكتبه أو غير هذا . ومحاولتي هذه لا تخرج عن هذه الفكرة ، فقد قرأت عن التصوف ، خاصة السماع فيه ، وذلك من خلال اهتمامي بالشعر العامي وشعر الأغنية ، فاجتمع لدي بعض من معلومات حاولت جمعها في ملف واحد أعانني في محاولتي الكتابة تحت عنوان هذا البحث : ((الابتهالات والمدائح في تريم ، الابتداء والانتشار ، الشحر نموذجاً)) .

لقد تتبعت مسيرة النشاط الصوفي الغنائي المعروف بالسماع في بغداد منذ ابتداعه وحتى تطوره في المغرب ثم وصوله إلى حضرموت وخاصة مدينة تريم ، ثم انتشاره في حملات مقصودة ومنظمة لغرض تصديره إلى أماكن عديدة ، وخلق الفرص واستغلال المتاح منها للقيام بهذا النشر . وجعلت مدينة الشحر نموذجاً لهذا الانتشار .

مدخل

الغناء في حضرموت : أسلم أهل حضرموت في العام العاشر للهجرة ، حيث وفدت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وفودهم فيما عُرف بعام الوفود ، لكن الرسول لقي ربه في العام الذي يليه ١١ هجرية .

ثم مرت مايعرف بالردة ، واتهمت قبائل من كندة بذلك ، ودارت رحى الحرب بين المسلمين بقيادة المهاجر بن أمية ، وكان عاملا للنبي ، ثم استخلفه خليفة الرسول الصديق لقتال أهل الردة .

وبعد معارك طاحنة لاذت كنده بقيادة الاشعث بن قيس ومن معه إلى حصن (النجير) الواقع شرقي مدينة تريم ، وهو حصن لقبيلة حضرموت استولى عليه أولئك الأفراد من قبيلة حضرموت الذين انحازوا إلى المرتدين .

وبصرف النظر عن تسمية هذه الحرب ، وهل هي حرب ردة أم أن هناك تشنجاً قبلياً أدى إلى ماكان من تلك الحرب في حضرموت . لننظر في كتاب الفتوح لابن أعتم (ج١ / ٤٧ – ٦٠) وكتاب عبدالقادر الصبان ، جهاد شعب (صدر بالرونيو) .

وهناك إشارات وردت في مصادر هامة أفادت بأن نساءً من قبيلتي حضرموت وكندة تغنت بهجاء المسلمين ، قال البلادري في تاريخه ((كان بالنجير نسوة شمتن بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ...)) وقال ابن حبيب في كتابه المحبر ((وضربن بالدفوف ..)) ، وذكر الطبري في تاريخه رسالة الصديق إلى المهاجر : ((بلغني الذي سرت به في المرأة التي تغنت وزمرت بشتيمة رسول الله ...)) .

المصادر الثلاث تفيد بأن الغناء كان مصحوباً بالزمر والدفوف ، لكن إشارة البلادري تفيد بأنه حدث بالنجير ، فلربما كان الغناء تشجيعاً للمحاصرين بالنجير وتخلله سب وشتم للذين يحاصرونهم ، فإن أحد المستشرقين يقول أن العقوبة وقعت بعد أن أخمد المهاجر بن أمية ثورة المرتدين [1] .

نحن في مقامنا هذا يهمنا ذكر التغني المصاحب للدف والمزمار ، وأنه يثبت لنا أن القوم كانوا يمارسون الغناء بالآلآت الموجودة عندهم ، أما إذا قلنا أن هذه من أخبار محمد بن حبيب وهو معروف بكذبه [2] ، فأن لدينا أكثر من دليل على ممارسة الغناء في حضرموت ومن ذلك :

إشارة الشاعر الأعشى إلى إحدى قيان حضرموت في قصيدة قال :

وصدوح اذا يهيجها الشر ب ترقت في مزهر مندوف

ومثل ذلك في مدحه لقيس بن معدي كرب الكندي ، ومدحه لمسروق بن وائل الحضرمي ، والشاعر الأعشى نفسه كان يتغنى بشعره وقد سمي بصناجة العرب ، ونجد عند الاصفهاني أن الأعشى اتخذ أحمد النصيبي مغنياً لأشعاره .

وعلى هذا فأن الغناء إذا كان وسيلة أفراح فإنه على الصعيد الشعبي منتشر في المناسبات وهو على الأقل في الزواجات وعادات أخريات كاحتفالات الختان مثلا ...

الأباضية والأغنية :

لابد من أن الفكر الأباضي قد سبق يوماً من أيام عام ١٢٨هـ ، الذي بايع فيه ابن عوف وأهل حضرموت عبدالله بن يحي الكندي بالخلافة الأباضية في حضرموت ولقبوه بطالب الحق، ويظهر أن ابن يحيى قد انضم إلى الحركة الأباضية قبل ذلك العام ، وأن السرّية والكتمان التي تبناها الأباضيون في عملهم التنظيمي ، هي التي جعلته يدعو في السر ويعمل على نشر الدعوة والمبادئ الأباضية حتى لايتعرض لأذى ولاة الأمويين القيسيين .

ويرى البعض أن هذا كان سبب عدم معرفة انتمائه إلى الأباضية عند أغلب المؤرخين السنيين كالطبري وابن الاثير [٣] .

ويكفي للوقوف على حالة الغناء في تلك الفترة ذكر ماجاء في كتاب السالمي فيما يتعلق بالفروع الفقهية والتي تختص بآلات الغناء ، فهو يقول : ((يجب أن تتلف وتكسر آلات اللهو التي لاتصلح لغيره ولايرخص حتى بضرب الطبل في أي معنى من معاني اللهو ، ويجوز استعماله في الحرب وإجابة الصريخ المستغيث :

وآلة اللهو التي لاتصلح لغيره تكسر حين تلمح
ولم يرخصوا بضرب طبل للهو لكن لمعاني العدل
وذلك كالإرهاب للاعداء وكإجابة الصريخ النائي [٤]

ورغم أننا لانستطيع القول بأن الحضارمة توقفوا عن ممارسة الغناء ، لكن ربما كان التوقف في الحواضر أما في رؤوس الجبال وأعالي الوديان وعند القبائل ورجال البادية وعلى الأقل في الاحتفالات والعادات فإن الأمر كما يبدو لنا مستمراً . ثم إن البشاري المقدسي صاحب كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) قد زار حضرموت ووضع كتابه في عام ٣٧٧هـ ، وقال في فقرات متباعدة منه عن أهل حضرموت : ((لهم في العلم والخير رغبة إلا أنهم شراة شديدة سمرتهم)) وقال في موضع آخر : ((وأهل حضرموت نواصب غتم)) وقال ((هجر للقرامطة وعلى الاحقاف أمير منهم)) .

إن هذا ليؤكد أن حضرموت لم تكن كلها أباضية ، وأن القول بأن الإمام أبا إسحاق الهمداني إمام الاباضية في حضرموت ، ولم يحكمها كلها به بعض من الصحة إذ أن بعض القبائل تخرج عليه لأسباب مختلفة ، ثم إن القرامطة نزلوها ((في أوائل القرن الرابع الهجري مدة ثم تركوها)) [٥]، ولم نستطع معرفة سبب الترك هذا ، زهداً كان فيها ، أم أنهم وجدوا مقاومة من سكانها .

الصليحيون :

قال إمام الأباضية في حضرموت أبو إسحاق :

وأمـــا نـــواحي حـــضرموت فأنهـــا بحـــول إلهـــي طـــوع أمـــري كخـــاتم
ســـوى نفـــر كـــانوا عـــصاة فأصـــبحوا من الخوف في روس القرى كالحمائم
ولم يبـــق لـــي إلا الـــصليحي قائمـــاً وهـــاهو أيـــضا ســـعده غـــير قـــائم . [٦]

ويظهر أن هذا لم يكن إلا في أزمان متباعدة وتبعاً لقوة وضعف الدولة ألاباضية في حضرموت .

إن الـــصليحي الـــذي يـــذكره الهمـــداني في قـــصيدته ، هـــو صـــاحب الدولـــة الـــصليحية الإسماعيلية ، وهي امتداد للدولة الفاطمية في المغرب ثم في مصر . وليس لدينا تفصيلا عن استيلاء الدولة الصليحية على حضرموت ، وكل الذي يذكره المؤرخون لايزيد عن قولهم ، وامتدت أيدي الدولة الصليحية إلى حضرموت . قال أحدهم : ((ولما قامت الدولة الصليحية سنة ٤٢٩ هـ بسطت نفوذها على الشحر سنة ٤٥٥ هـ)) [٧].

ولقد ذكر محمد بن مالك الحمادي في كتابه ((كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة)) قائلا : ((إنه مذهب الراحة والاستباحة ، يريح اتباعه مما تلزمهم الشرائع من طاعة الله ويبيح لهم ماحظر عليهم من محارم الله)) فكيف لنا أن نتصور حدوث هذا مع الشراة المتشددين في إسلامهم .

أن القول بأن الصليحية امتداد للفاطمية ليس في السياسة والإستراتيجية ولكن أيضا في الأيدلوجية ، وأن الذي نقرأه عند الدكتور محمد عنان في كتابه ((الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية)) خاصة فيما يتعلق بالمراسيم الاجتماعية والدينية والاحتفالات بالأعياد والرسوم الفاطمية ، نجد البعض منه مطابقاً لما هو ممارس عندنا وإلى اليوم . ولهذا لابد من معرفة مايلقي ضوءاً على النشاط الفني لدى الفاطميين في المغرب ومصر .

الدولة الفاطمية :

بدأت الدعوة الفاطمية في عهد إمارة الادارسة بالمغرب ، وتولى الدعوة لهم أتباع المذهب الإسماعيلي الباطني ، الذين يقولون ويدعون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق ، الذي توفي في حياة والده ... وقد سخر أنصار الشيعة الإسماعيلية العقائد الإسلامية لخدمة أغراضهم السياسية ، كما فعل القرامطة في أيران ، وفسروا القرآن تفسيراً مجازياً باطنياً ، وكانوا يختارون الدعاة الأكفاء لنشر دعوتهم ومذهبهم في مختلف الأوطان الاسلامية . وأرسلوا إلى المغرب داعيتين هما : السفياني والحلواني ، وأخذا يدعوان الناس لفكرة الإسماعيلية حتى توفيا ، فخلفهما أبو عبدالله الشيعي الصنعاني الذي جعل يدعو للمهدي المنتظر ظهوره من ذرية علي وفاطمة . وكان عبيدالله بن أحمد بن إسماعيل الثاني بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، قد ولد في قرية السلمية ببلاد الشام عام ٢٦٠هـ - ٨٧٣م ، واختلف في نسبه هذا حتى قيل أنه مجوسي من سلالة ميمون القداح المجوسي . لكن هذا الطعن لايمكن الأخذ به لأنه صادر عن خصومه وخاصة العباسيين الذين لايريدون أن يشاركهم أحد في الخلافة ، كما لايمكن إثبات كونه من سلالة فاطمة بسهولة ، فالأمر يحتاج إلى تحقيق ، وقد تعرض عبيدالله المهدي لمزيد من الضغط والاضطهاد من طرف العباسيين ، فاضطر إلى الاختفاء عن الأنظار وكلف داعيته الكبير أبا عبدالله الصنعاني في أن يقوم بالدعوة لفكره في بلاد المغرب النائية عن مركز الخلافة ، وعن أعين العباسيين . وأمره أن يبدأ عمله هناك بالدعوة للمهدي المنتظر حتى لايتعرض للمقاومة [٨] .

وقد عقدت البيعة لعبيدالله بإمارة المؤمنين يوم الجمعة ٢١ ربيع ثاني ٢٩٧ (٩/١ / ٩١٠م)، فأعلن في الحال انفصاله عن الخلافة العباسية .... وبعد أن سيطر الفاطميون على أقطار المغرب من طابخة إلى طرابلس ، أخذوا يوجهون أنظارهم إلى مصر [٩] .

ثم انتقل مركز الدولة الفاطمية إلى مصر وحكم هناك عشرة خلفاء ، وانفصل المغرب عنهم في عهد المنتصر بالله بن الطاهر (٤٢٧ – ٤٨٧ هـ = ١٠٣٦ – ١٠٩٤م) . وانتهت دولتهم بموت العاضد في شهر محرم عام ٥٦٧ (١١٧١م) . وكان وزيره صلاح الدين قد حوّل الدعوة إلى العباسيين والخليفة الفاطمي لايزال على فراش الموت [١٠] .

وقد ازدهرت الحركات الفكرية والثقافية في عهد الفاطميين ووجدت الأفكار الشيعية طريقها إلى الناس عن طريق حلقات الدروس التي كان ينظمها دعاة الفاطميين في مختلف المدن المغربية خاصة رقادة والقيروان وتلمسان وبجاية وغيرها .

الغناء والموسيقى :

كانت تونس وبخاصة عاصمتها القيروأن قد عرفت نشاطاً فنياً ملحوظاً ، فامّها المغنون والموسيقيون من كل حدب وصوب ، وضمت بلاطات الملوك الاغالبة (١٨٤ — ٢٩٦ = ٨٠٠ — ٩٠٩ م) حاشية من الجواري المغنيات ومن الموسيقيين الملحنين . وهذا سبق فني بلاشك ساعد على تحقيقه ماعرفته القيروأن أنذاك من استقرار نسبي في الحكم [١١] .

والطبيعي أن تؤتي هذه الحركة الفنية أكلها في الاعوام التي تلت في كل أجزاء المغرب . على أن غناءاً رافق هذه الحركة الفنية وهو الذي عرف بالغناء الصوفي . ويقول مؤلف كتاب (الاغنية العربية) لقد ((دخلت الموسيقى إلى الطرق الصوفية منذ بدأيتها على يدي الحلاج))[١٢] ، ولكن الإمام محمد بن ادريس الشافعي (١٥٠ — ٢٠٤ = ٧٦٧ - ٨٢٠) بعد أن غادر بغداد إلى مصر تحدث عن لون من الغناء أحدثه الزنادقة في بغداد اسمه (التغبير) . أحدثوه ليصدوا به الناس عن القرآن الكريم ، ونص عبارة ابن تيمية : ((قال الشافعي — رضى الله عنه — خلفت ببغداد شيئاً أحدثه الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن)) على هذا فأن ماجاء عند صميم الشريف ليس صحيحاً ، حيث أن الحلاج قد عاش الفترة مأبين (٢٤٤ — ٣٠٩ = ٨٥٨ — ٩٢٢ م) . وكان الإمام الشافعي صاحب المذهب قد غادر بغداد إلى مصر عام ١٩٩هـ . وكان قد زار بغداد للمرة الاولى عام ١٨٤هـ متهماً بالعلوية أي الدعوة إلى خلافة العلويين خصوم العباسيين ، وقد نجا من الموت ، ومكث بها زهاء تسع سنوات لطلب العلم وعاد إلى مكة . ثم زار الإمام الشافعي بغداد عام ١٩٥هـ ومكث بها ثلاث أو أربع سنوات لطلب العلم ، ثم غادرها إلى مصر ، وبها تحدث عن (بدعة التغبير) .

ومن هنا يلاحظ أن الإمام الشافعي توفي قبل أن يولد الحلاج بأربعين سنة ،لكن ربما يكون الحلاج قد نظم هذه البدعة أو أكثر منها أو نشرها وخرج إلى الاسواق وعند العامة ومارسها جهاراً ونهاراً .

أمر الحلاج :

والحلاج من أصل فارسي، لايمت للعروبة بأية صلة نسب ، وهو الحسين بن منصور بن محمى، الحلاج أبو الغيث، كان جده مجوسياً اسمه (محمي) من أهل فارس، ولد عام ٢٤٢- ٨٥٨م ، في بلدة (طور) وهي إلى الشمال الشرقي من مدينة البيضاء في كورة (صطخر) اعدم ببغداد لسبع بقين من ذي الحجة عام ٣٠٩هـ بعد أن صدر في حقه حكم الاعدام .

وفي شرح العقيدة الاصفهانية يقول الإمام ابن تيمية : ((لما دخل بغداد كانوا ينادون عليه ، هذا داعي القرامطة ، وكان يظهر للشيعة أنه منهم))[١٣] وفي (الفتأوي الكبرى) له ، قال عن الحلاج : ((هذا داعي القرامطة ، أقام في الحبس مدة حتى وجد من كلامه الكفر والزندقة واعترف به))[١٤] .

ويضيف الدكتور شوقي ضيف ((ومن الممكن أن يكون دعا سراً للقرامطة وأن تكون هذه الدعوة من الاسباب في سجنه وصلبه)) .

لكن الدكتور توفيق الطويل يقول في كتابه (في تراثنا العربي الاسلامي) مانصه : ((والمعروف أنه اعتنق دعوة القرامطة ، وكانوا من ألد أعداء الخلافة الاسلامية ، وتصدى للتبشير بها في خرسأن وفارس والهند وغيرها)) ويقول : ((أما قضيته الاخيرة فقد بدأت بهربه من رجال الشرطة الذين ألقوا القبض عليه بعد ثلاث سنوات ، وصلبوه ثلاثة أيام ، لانه كان داعية من دعاة القرامطة)) .[١٥]

لقد أحدث الحلاج بدعاً خالفت حتى ماورد صريحاً في محكم أيات الله سبحانه وتعالى ، فقد رفع الرسول صلى الله عليه وسلم مرتبة فوق جميع الخلق ، ويبدو أنه أول من اعد لفكرة الحقيقة المحمدية، وأن محمداً بتلك الحقيقة لابصورته الجسدية يُعد مبدأ العالم، إذ هو النور الذي تفجرت في ينأبيعه جميع النبوات بل هو الوجود كله ونبعه الفياض السابق لكل موجود[١٦] .

وبهذا فهو قد أحاط الرسول عليه الصلاة والسلام بهالة قدسية ، تشبه الهالة التي يحيط بها المسيحيون المسيح عليه السلام ، وكان ذلك أثر في حياة التصوف وتطوره على مر الاجيال .... فلم يكد العصر العباسي الثاني ينتهي حتى تأصلت في التصوف المعرفة الالهية ومحبة الله ، كما تأصلت فكرة أن الصوفية أولياء الله [١٧] .

استغلال التصوف :

بعدما شاع التصوف وكثرت جماهيره بعد شيوع المواريث الاشراقية الفارسية في ثقافة المسلمين ، عرف هذا الفن لونا متميزاً من الغناء وهو الذي اسموه ((السماع)) وهو عنوان فصل من كتاب الإمام أبو حامد الغزالي (٤٥٠ – ٥٠٥ = ١٠٥٨ – ١١١١ م) المشهور (إحياء علوم الدين) ثم شاع مصطلحه – السماع – في الكتابات التي مثلت أدبيات الصراع بين المتصوفة والفقهاء بهذا الميدان منذ ذلك التاريخ)) [١٨] . وعندها ظهر تأثير الحلاج في المغرب ثم بمصر ثم في اليمن ومنها حضرموت .

ولما وضح التصوف في الحياة الاسلامية ، وشكل تأثيراً في اجتداب النفوس والتأثير فيها ((فقد استغل العلويون هذه الناحية لمواجهة العباسيين ، وسرعان ماظهرت آثار هذا الاستغلال ، فأصبحت تعاليم الصوفية قائمة على تعاليم الشيعة وترتيباتهم)) [١٩] . وقد فطن العلاقة ابن خلدون لهذا القصد إذ يقول في المقدمة : ((ثم حدث عند المتأخرين من الصوفية الكلام في الكشف وماوراء الحس ، وظهر من كثير منهم القول بالحلول والوحدة فشاركوا فيها الإمامية والرافضة لقولهم بألوهية الائمة وحلول الالهية فيهم ، وظهر منهم أيضا القول بالقطب والابدال وكانه يحاكي مذهب الرافضة في الإمام والنقباء واشربوا أقوال الشيعة وتوغلوا في الديانة بمذهبهم حتى جعلوا مستند طريقتهم في لبس الخرقة أن علياً – رضى الله عنه – ألبسها الحسن البصري ، وأخذ عليه العهد بإلتزام الطريقة ، واتصل ذلك عنهم بالجنيد من شيوخهم ، ولايعلم هذا عن علي من وجه صحيح ... [٢٠])) .

ويسترسل الاستاذ محمد فهمي عبد اللطيف في كتابه (السيد البدوي ودولة الدراويش في مصر) قائلا : ((هكذا اصطبغ التصوف بمقاصد الشيعة وبتعاليمهم ، وهكذا صار المتصوفة أداة لبث الدعوة للعلويين تحت هذا الستار فكانوا يحدثون الناس أحاديث الزهد والورع ... ويفيضون في ذكر مناقب آل البيت وفضائل الانتساب إليهم . ولقد كان لهذا أثره في تكوين العصبيات للعلويين . كما كان له أثره في توجيه التصوف هذه الوجهة ، حتى تضاءل آخر الأمر فلم يعد إلا سرداً لمناقب آل البيت وخرقة تربط المتصوف بالانتساب إليهم .

ومهما يكن من شئ فأن العلويين قد وصلوا إلى مقاصدهم في الملك والحكم من هذا الطريق . فعلى أساس التصوف قامت دولة المرابطين والموحدين والادارسة في المغرب ثم الدولة الفاطمية بالمغرب وبمصر والشام . فلما ذهبت ريح تلك الدول ، وأنتهى أمر الفاطميين في مصر وغلب على ملك المسلمين الاعاجم وأوزاع الامم الاخرى ، عاد العلويون وأنصارهم يعتمدون على التصوف في تربية العصبيات وإثارة النفوس لطلب المجد الذاهب ، والحرص على أن تكون خلافة المسلمين علوية قرشية ، فكان أبو مدين الغوث في المغرب يبث هذه التعاليم تحت ستار التصوف ، ويربي عليها المريدين ، فيرسلهم بها إلى الافاق والامصار [٢١] .

وكان أبو الغوث قد ((استغل الألحان على نطاق واسع وصار يؤدي الموشحات الصوفية على أيقاعات ومقامات معينة)) [٢٢] وقد شجع تلاميذه على فعل ذلك . فالشاذلي (٥٩١ – ٦٥٦ = ١١٩٥ – ١٢٥٨) وهو علي بن عبدالله ..... بن هرمز الشاذلي ، هو منشئ الطريقة الشاذلية وكان ضريرا . أنتسب إلى الادارسة اصحاب المغرب ، أخبره بذلك أحد شيوخه عن طريق (المكاشفة) . قال الذهبي : نسب مجهول لايصح ولايثبت ، كان أولى به تركه ، وتوفي في صحراء عيذاب بمصر ، قال خليفته ومريده أبو العباس المرسي . ومن اتباعة أبو بكر بن عبدالله العيدروس العدني وشيخ الازهر عبد الحليم محمود .

ولعل أوضح طريقة لذكر اهتمام المتصوفة بالغناء تنظيرا وممارسة ابا الحسن على النميري المعروف بالششتري المتوفي قرب دمياط (٦٦٨هـ = ١١٦٩م) فلقد قدم هذا الصوفي الشهير والوشاح الاندلسي إلى المغرب أواسط القرن السابع ، فلقي ابن سبعين وأراد أن يتتلمذ عليه ، فأشترط عليه شروطاً كان من بينها أن يأخذ بندير (إطار / دف) ويدخل السوق ، وبالفعل فقد امتثل الششتري لتوجيهات أستاذه وراح يتجول في أسواق المدن المغربية ، قبل أن يشد الرحال إلى الديار المشرقية . وكان خلال تجواله في الاسواق ينشد أزجال أستاذه وأزجالا أخرى نظمها بنفسه . ومما يدل على تحلية هذه الاشعار بالألحان الموسيقية قوله في مطلع أحدى أزجاله :

شويخ من أرض مكناس وسط الاسواق يغني
إش عليا من الناس وأيش على الناس مني .

الغناء في آخر أيام الاباضية :

لقد تطور الأمر لدى كل الفرق الصوفية فيما يعرف لديهم بحلقات الذكر أو الموالد وغير ذلك في المساجد والاضرحة وغيرها ، وتغنوا بالاشعار واستعملوا الآلآت الموسيقية المتنوعة وهي في المغرب أوضح . وفي هذا المقام يحسن بنا أن نذكر أبا عبدالله محمد العبدري الفاسي المشهور بابن الحاج المتوفي بالقاهرة عام ٩٣٧هـ . فقد ألف كتاباً طار ذكره في الامصار هو كتاب (المدخل) وعقد فيه فصلا خاصا بالسماع ، والكتاب كما وصفه ابن فرحون (كتاب ..... ، جمع فيه علماً غزيراً ، والاهتمام بالوقوف عليه متعين ، ويجب على من ليس له في العلم قدم راسخ أن يهتم بالوقوف عليه)) أما موضوع الفصل الخاص بالسماع فهو الانكار على ماأحدثه الناس من الاهواء التي تميل اليها النفس من البدع والغناء بالآلآت المحرمة كالعود والطنبور عند عمل المولد الشريف [٢٣]

وهذا عينه ماأخبرنا به الإمام الاباضي أبو اسحاق الهمداني ، ونظن أنه في نهاية إمارته وأنكسار قومه أمام الدولة الصليحية . إذ تشير أبيات من قصائده التي يحتويها ديوانه (السيف النقاد) بأن حروباً طاحنة قد حدثت مع الصليحي وجنوده ومع الذين خذلوه بتعاونهم مع العدو أو بوقوفهم على الحياد كما يخيل لهم . ولهذا نجد في أشعاره الحزن والاسى بل واليأس ، ولكننا في سبيل ذكر الابيات التي وردت في قصائده وهي التي أشارت إلى ما نحن بسبيله من التغني داخل المسجد ، فهو كأباضي يرفض الغناء من أساسه وفي أي مكان فمابالك بالمسجد .

فمن قصيدة خاطب بها الخليل بن شاذان إمام عمان الاباضي الذي تولى الإمامة بعد الإمام راشد بن سعيد المتوفي عام ٤٤٥هـ ، وبقي إماماً حتى عام ٤٧٤هـ حيث توفي وقبر بمدينة نزوى ، قال فيها

ياخير خل مابقى من بعدنا اضحى لدى المحراب ضرب طبول [٢٤]

وفي قصيدة أخرى يطلب النجدة فيها من أحد أعوانه ، وهو أبو الحملات فارس بن إبراهيم الوائلي ، ويذكره بالحالة التي آلت إليه مساجد الله ، فقال :

أضحت بقاع الراكعين مزاهرا [٢٥]

ووجه قصيدة أخرى لاحد المناصرين له ، وهو أبو الفضل عباس بن معن بن حوشب الكندي سلطان آل عامر وارضه حضرموت ، وبنو عامر من كندة فقال :

أبا الفضل مات الدين وأنطمس الهدى وصارت بيوت الله مأوى المزامر [٢٦]

ومن قصيدة أخرى يذكر عبد العزيز اليعمري وهو من الشخصيات التي لم نستطع التعرف عليها، غير أنه من آل حيوه الذين كان لهم نشاط حربي مع الإمام أبو اسحاق واليوم حسبما يقول:

ولا الدين لدى عبد العزيز لهم في صحن مسجده القينات والزجل [٢٧].

إن الذين مارسوا هذا الغناء أو قل السماع ، خاصة هذا اللون الذي يقدم داخل المسجد هم الذين جاءوا مع استيلاء الدولة الصليحية ، وهم كما نعتقد جنودها ومأيصاحبهم من سياسيين ودعاة المذهب وتجار الحروب والمتكسبين والفضوليين . ولاشك عندنا أن الدولة الفاطمية قد أنتهت على أيدي الايوبيين في مصر وهم أيضا الذين كنسوا وإلى الابد الدولة الصليحية ، ثم استولت على حضرموت . لكن الذين لهم صلة بالصليحيين سوف يتوارون في مناطق نائية أو سيستكينون برهة من الزمن أو سيندسون بين الاهالي لحين الفرصة المناسبة أو سيتخذون طريقاً آخر...

الايوبيون :

في سنة ٥٧٥هـ غزا قائد الايوبيين في اليمن حضرموت ، وقوض أركان السلطات الحضرمية الثلاث ، وهي التي نشأت عندما ضعف شأن الصليحيين لكن الحضارم أنتفضوا ضد الايوبيين في العام الذي يليه ، فعاد الايوبيون لاخضاعهم ، وفي النهاية اضطروا لابقاء الحكام المحليين نواباً عنهم ... ثم مالبث الايوبيون أن دبّ الوهن فيهم فقامت قبيلة نهد وطردتهم من حضرموت وحلت محلهم في الداخل والساحل ، أما ابن مهدي قائد الايوبيين فكان بين القتلى ، وكان ذلك سنة ٦٢٢هـ [٢٨] .

وعلى الرغم من تعصب الدولة الايوبية للمذهب السني فأنهم لم يروا بأساً من إنشاء العمائر التي عرفت بإسم الخانقاوات ، وهي التي أنتشرت في القرن الرابع الهجري ، والتي جعلت لايواء الصوفية المنقطعين للعبادة .

فمنذ أن تولى صلاح الدين عمل هذه الديار برسم الفقراء الصوفية الواردين من خارج البلاد ، ووقفها عليهم في سنة ٥٦٧هـ ورتب لهم معاشهم .

وإذا كان الشيعة هم أول من أنشأ العمائر الثقافية وهم أول من أطلق عليها اسم المدرسة، فأن الغرض الاساسي من أنشائها هو تدريس ونشر المذهب الشيعي وكان ذلك في القرن الرابع الهجري .

فلما جاء صلاح الدين إلى مصر نشر هذه المنشآت الثقافية وجعلها عامة ، وكانت خاصة ، وكان غرضه الاول هو القضاء على المذهب الشيعي مذهب الفواطم وذلك بنشر المذهب السني عن طريق هذه المدارس .

ومن العمائر التي أنتشرت في العصر الايوبي الاضرحة والتي اتخذت شكلا معينا ، وهو مربع مغطى بقبة ، على أن إقامة الاضرحة ليست حدثاً في العصر الايوبي ، فقد أقامت الدولة الفاطمية الكثير من الاضرحة وقصرتها على أهل البيت وكبار رجال الدولة من الشيعة، فرأت الدولة الايوبية أن تحول الانظار عن أضرحة الشيعة وذلك ببناء أضرحة لائمة السنة ، فأقامت أم السلطان قبة الإمام الشافعي [٢٩].

ومن الاضرحة الهامة التي اقيمت في العصر الايوبي ، ضريح السادات الثعالبة ، والخلفاء العباسيين وضريح شجر الدر ، ثم الصالح نجم الدين أيوب ، الذي يمكن أعتباره أول ضريح ألحق بمدرسة ، ثم اصبحت القاعدة بعد ذلك الحاق القباب بالمدارس والمساجد والخانقاوات .

ونحن إذا أمعنا النظر في هذه الاعمال وغيرها وجدنا أن هذه الدولة لم تشهد الاستقرار في اليمن كله وبالاخص في حضرموت ، لكنها ساهمت بقدر كبير في إنتشار التصوف ، وليس أدل على ذلك من أنها أول من أدخل بعض فصول كتاب (الاحياء) للغزالي .

مبعوث أبي الغوث :

في هذه الفترة عاش الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي ، فقد وصله الشيخ عبدالله صالح المغربي بتكليف من الشيخ عبدالرحمن الحضرمي المقعد ، وهو مبعوث شيخ الشيوخ أبو الغوث التلمساني حيث كان محملا رسالة أبي الغوث : ((إن لنا فيها أصحاب ، سر إليهم وخذ عليهم عقد التحكيم ولبس الخرقة)) .

والفقيه المقدم (٥٧٤ — ٦٥٣ = ١١٧٨ — ١٢٥٦م) هو الشيخ محمد صاحب مرباط إلى آخر النسب ، ولد بمدينة تريم وتوفي بها ليلة الاحد ٣٠ الحجة ٦٥٣ الموافق ٣٠ يناير ١٢٥٦م . وكان يدرس على الفقيه علي بن أحمد بامروان الكندي عندما وآفاه منذوب التلمساني ، فأعلن الفقيه المقدم تصوفه ، وذلك بأن ((لبس لباس الصوفية وأعلن موقفه على الجميع وكسر السيف)) ، ويعلق أبو بكر العدني المشهور في كتاب أفرده في ترجمة الفقيه المقدم ، بقوله: ((كان اعلان هذا الموقف بدأية جديدة لمدى قوة آل البيت النبوي على إتخاذ موقفهم في كل مايرونه مناسباً لمصلحتهم الدينية والدنيوية ، وعدم أنصياعهم للواقع ولا الذوبان فيه ، ولو كان هذا الواقع يحمل افضل الوسائل الفكرية في وجهة نظر غيرهم ، وهذا مأيؤكد حقيقة قيادتهم للامة ... إتخذ القرار لينفصل مع أهله وبني عمومته عن منهجهم الفكري بأدب ولطف)) [٣٠]

ويضيف المشهور العدني بعد أن أشار إلى الحوار الذي أجراه الشيخ عبد الله المغربي مع الفقيه ، فقال : ((واخبره بما أتى لاجله وأعلمه بجميع أمره ، فرغب الاستاذ بالانحياز إلى جنابه والانتظام في سلك اصحابه ... ومن هذا الحوار والتعليل المثبت بنصه في كتب التراجم ، يستفاد زهد الفقيه المقدم في كافة مظاهر الحياة الفكرية والسياسية القائمة في الواقع ، وشعوره منذ مجئ المبعوث المغربي بلحظة الفرج لابراز ماكان يعتلج في صدره من تحويل أسرته وجماعته وأبنائه من حالة فكرية وإجتماعية إلى حالة أخرى هي أمله ورغبته منذ أمد بعيد لم ينقصها غير وجود السند الذي يناصره ويدفع معه بالرغبة من الصدر إلى حيز الواقع ، لقد كان يوم التحول موقفاً عظيماً وحدثاً جسيماً [٣١] .

وليس علينا الاستمرار في ذلك ، رغم أنه من المهم أن نعرف أن هذه الفئة قد استلمت فكرة أبي الغوث التلمساني .

السماع في حضرموت :

ولكن ماذا بشأن السماع الذي يهتم به هذا البحث ، بعدما رأينا أن الدولة الايوبية قبلت التصوف بكل شؤونه وممارساته ؟

في الحقيقة أن كل مابين يدي لايفيد بأن الفقيه المقدم قد أقام السماع ، لكن المؤرخ عبد الله محمد باحسن يقول في تاريخه : ((إن الشيخ سعد الدين الظفاري شيخ الفقيه المقدم)) وكان سعد هذا قد أقام السماع [٣٢] . ولايرى المؤرخ الشاطري أن الفن بدعٌ في متصوفة حضرموت ((فأن الصوفية في كل مكان في العراق وفي مصر والمغرب والحجاز يمزجون التصوف بالفن ويتذوقون المعاني الغزلية ويفسرون الالفاظ ويطبقونها على المحبة الالهية ... وقد بلغ الأمر ببعض شيوخ التصوف بحضرموت أن يدور بالسماع)) [٣٣] . وهو يقصد كما جاء في هامش نفس الصفحة (أبوبكر السكرأن بن عبدالرحمن السقاف) . على أن فكرة (السكر) هي التي أدخلها البسطامي (ت : ٢٦١هـ) إلى جانب فكرة العشق الالهي ، كما يشير إلى ذلك الدكتور شوقي ضيف [٣٤].

ثم إننا لم نستطع معرفة ماكان يتغنى به متصوفة حضرموت خاصة الرعيل الاول إلا على سبيل الظن ، لكن الامور تقاس بمثيلاتها ((فمنذ أواخر القرن الثالث الهجري تلقانا ظاهرة جديدة في بيئات المتصوفة ، فقد كان السابقون منهم لاينظمون الشعر بل يكتفون بإنشاد ماحفظوه من أشعار المحبين وهم في أثناء ذلك يتواجدون وجداً لايشبهه وجد ، أما منذ أبي الحسين النوري المتوفي سنة ٢٩٥هـ ، فأن صوفيين كثيرين ينظمون الشعر معبرين به عن التياع قلوبهم في الحب آملين في الشهود مستعطفين متضرعين مصورين كيف يستأثر حبهم لربهم بأفئدتهم أستئثارا مطلقا ...)) [٣٥] .

ويظهر أن الأمر تكرر عندنا في حضرموت فقد اعتمد من هم فيها على شعراء الصوفية السابقين لهم في شتى الاقطار ، ومن هذه القصائد التي رددها المتصوفة كثيراً ثم أنتقلت إلى دائرة الطرب . ولنضرب امثلة على ذلك :

قصيدة الحسين بن منصور الحلاج ، وقد استبدلت بعض الفاظها واضيف إليها بعض الابيات :

يامن فتنت به ياأحسن الناس يامن محبته تاجاً على رأسي

ومطلع القصيدة لايرد بالديوان وينسب بيتأن منها لابي نواس

قصائد أبي الغوث التلمساني وقد سبق الحديث عنه ، ونكتفي بذكر مطالعها ، فالقصائد مشهورات :

- احب لقاء الاحباب في كل لحظة لان لقاء الاحباب فيه المنافع
- تملكتموا عقلي وطرفي ومسمعي وروحي وأحشائي وكلي باجمعي
- متى ياكرام الحي عيني تراكمُ واسمع من تلك الديار نداكمُ

وقصيدة الششتري ، الحسن بن علي النميري ، وقد سبق الحديث عنه ، وهو من أوثق علماء أواخر العهد الموحدي وأوائل العهد المريني صلة بالموسيقى وأكثرهم إهتماماً بالغناء تنظيراً وممارسة :

شويخ من أرض مكناس وسط الاسواق يغني

وقصيدة عمر بن الفارض (ت : ٦٣٢ = ١٢٣٥) :

غيري على السلوأن قادر وسوأي في العشاق غادر .

((فإذا كانت القصيدة لابن الفارض كما تعتقد بعض الجهات اليمنية ، فأن مأورد فيها من الغزل ليس في الحقيقة إلا غزلا صوفياً ... أما إذا نظرنا إلى هذه القصيدة على أنها لشاعر غير صوفي هو البهاء زهير لجاز لنا القول بأن غزلها الجنسي هو الذي حببها إلى قلوب المشتغلين بتأليف الألحان))

ذلك مايقوله الدكتور محمد عبده غانم في كتابه (شعر الغناء الصنعأني) [٣٦] .

وهذا التعليل يمكننا أن نطبقه على قصيدة محيي الدين بن عربي (ت ٦٣٨ = ١٢٤٠م) ومطلعها :

مرضي من مريضة الاجفان عللاني بذكرها عللاني .

ومن قصائد المتصوفة الاوائل الذين ردد صوفية حضرموت قصائدهم ملحنة بموسيقى وضربات أيقاعية ، قصائد الشاعر الصوفي عبد الغني بن إسماعيل النابلسي (١٠٥٠ — ١١٤٣هـ = ١٦٤١ — ١٧٣١م) وهو الفقيه الحنفي الدمشقي الصوفي الشاعر الرحالة العالم بالدين والادب وهو مؤلف مكثر ومن كتبه (جواهر النصوص في شرح فصوص الحكم)

لابن عربي وكتاب (أيضاح الدلالات في سماع الآلآت) وغيرها . ومن قصائده المرددة والتي كما أشرنا أنتقلت إلى دائرة الطرب بعد تعديل وتبديل وأحيانا إضافات :

(١) :

عـــيني لغـــير جمـــالكم لاتنظـــرُ وســـواكم في خـــاطري لايخطـــرُ
وجميع فكري فيكموا دون الورى وعلـى محبـتكم أمـوت وأحـشر
ياســـادتي قلـــبي بكـــم متعلـــق ابـــداً وعـــنكم ســـاعة لا أصـــبرُ
إن نمـت كنـتم في المنـام معـي وإن في يقظتي قد كنت فيكم أبصر
لافـــرق مـــابيني وبـــين خيـــالكم أن غاب غبتم وأن حضرتم أحضر
اثنـــأن نحـــن وفي الحقيقـــة وأحـــد لكـن أنـا الادنـى وأنـت الاكبر.

إلى آخرها وقد تعمدت كتابة القصيدة من ديوانه وعندها سيتمكن الاخرون من معرفة التعديل والاضافة عند أهل الطرب .

(٢) وقصيدته الثانية هي التي يقول النابلسي فيها :

أرســـــل الله إلينـــــا بالكرامـــات العظـــام
أحمـــد المختـــار طـــه ســـيد الرســـل الكـــرام
فتهنـــــوا يارفـــــاقي نلتمـــوا كـــل المـــرام
والـــذي جـــاءكم يـــد عـــو إلى دار الـــسلام
قالـــت أقمـــار الـــدياجي قـــل لارربـــاب الغـــرام
كـــل مـــن يعـــشق محمـــد ينبغـــي أن لاينـــام ... الخ

هكذا هي في الديوان ، وعند أهل الطرب :

أن جبرتـم كسر قلبي فأنتم أهل الذمـام
وإن هجرتم ياحبايب فعلى الدنيا سلام
قالت أقمار الدجاجي قل لأرباب الغرام

• • •

لكن في القرن التاسع ومابعده ظهر شعراء صوفيون محليون يقرضون الشعر بنوعيه الفصيح والدارج (العامي) ومنهم :

- عبدالرحيم علي الهاجري (البرعي) توفي عام ٨٠٣ هـ .
- عمر المحضار بن عبد الرحمن السقاف توفي عام ٨٣٢ هـ .
- سعد بن علي مدحج (السويني) توفي عام ٨٥٧ هـ .
- علي بن أبي بكر السكران ، توفي عام ٨٩٥ هـ .
- أبوبكر بن عبد الله العيدروس (العدني) توفي عام ٩١٤هـ .
- محمد بن علي السودي توفي عام ٩٣٢ هـ .
- عمر بن عبد الله بامخرمة توفي عام ٩٣٢ هـ .
- سعيد سالم الشواف توفي عام ٩٩٠ هـ .
- أبوبكر بن سالم العلوي توفي عام ٩٩٢ هـ .

وكان شعر البعض منهم جيداً والبعض الاخر ((له نظم ليس بشيء)) [٣٧] .

فن التغني بالمدائح النبوية :

يذكر أحمد الناصري في كتابه (الاستقصاء لاخبار المغرب الاقصى) عن فن التغني بالمديح النبوي ، بقوله : ((أنه ظهر على عهد الموحدين (٥١٥ — ٦٦٨ = ١١٢١ — ١٢٦٩م) نوع جديد من الغناء بالسماع ، شاع أواخر العهد، وتولع به الخلفاء مثل المرتضي، من أواخرهم))[٣٨] .

ومديح الرسول قديم ، منذ ابن دريد في مطلع القرن الرابع الهجري .

وأبن دريد (٢٢٣ — ٣٢١ هـ = ٨٣٨ — ٩٣٣م) محمد بن الحسن بن دريد الازدي ، من أزد عمأن من قحطان ، أحد ائمة اللغة وهو صاحب (المقصورة الدريدية — خ) ومن كتبه (الاشتقاق — ط) ولد في البصرة وتوفي ببغداد .

وقصيدة ابن دريد هذه لم تنل حظوة قصيدة البوصيري أكبر مداح للرسول ، الذي زار المدينة ، وفي الرسول نظم همزيته في نحو أربعمائة وخمسين بيتاً سماها (أم القرى في مدح

خير الورى) ، وكذلك ميميته المشهورة بإسم (البردة) وقد تناقلها الناس في مشارق العالم الاسلامي ومغاربه إعجابا وإفتتانا .

والبوصيري (٦٠٨ – ٦٩٦ = ١٢١٢ – ١٢٩٦م) محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري ، شاعر حسن الديباجة مليح المغأني ، نسبته من بوصير من أعمال بني سويف بمصر وأمه منها . وأصله من المغرب من قلعة حماد من قبيل يعرفون ببني حبنون ، والقلعة عاصمة الامارة الحمادية التي أنشأها حماد بن بلكين الصنهاجي ، الذي أنشأ عاصمته (القلعة) عام ٣٩٨هـ واستمرت الامارة حتى عهد يحي بن عبد العزيز تاسع امرائها سنة ٥١٥هـ .

والبوصيري مولده في بهشيم من أعمال البهنساوية ووفاته بالاسكندرية ، له (ديوان شعر – ط) واشهر شعره البردة ، ومطلعها : أمن تذكر جيران بذي سلم) وقد شرحها وعارضها كثيرون ، والهمزية مطلعها : (كيف ترقى رقيك الانبياء) وعارض (بانت سعاد) بقصيدة : (إلى متى أنت باللذات مشغول) .

الاحتفال بالمولد :

ويبدو أن عصر الموحدين ، كان عصر إبداع وابتداع فقد استحدث بالمغرب فن جديد هو التغني (بالمولوية) وهو أنشاء بعض فصول السيرة النبوية التي تتعلق بظروف ولادة النبي صلى الله عليه وسلم . ويرجع أصل ذلك إلى مارواه الاستاذ عبدالله كنون في كتابه : (النبوغ المغربي) إذ يقول : ((استحدثت أسرة العزفيين التي كان رجالها من أعلام سبته ورؤسائها ، عادة الاحتفال بالمولد النبوي على عهد الموحدين ، وقد ألف كبيرهم العلامة أبو العباس أحمد بن محمد المتوفي سنة ٦٣٩هـ ، على عهد المرتضى كتاب (الدر المنظم في مولد النبي المعظم) الذي أكمله فيمابعد ولده الرئيس أبو القاسم . وفي مقدمة الكتاب يشير أبو العباس إلى سبب أحداثهم ذلك ، ويقارن بين احتفال النصارى بعيد الميلاد المسيحي ومشاركة المسلمين لهم في ذلك ، واهمالهم المولد النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو مع إقراره بأن هذا العمل بدعة لم تكن على عهد السلف الصالح رضوان الله عليهم . فأنه يجعله من البدع المستحسنة)) [٣٩] .

والعزفيون بطن من لخم والنسبة إليهم (عَزَفي) والمشهور أنهم من سلالة النعمان بن المندر ، منهم أمير سبتة ، والعزفيون والجداميون من كهلان القحطأنية اليمأنية .

هذا مانقله لنا الاستاذ عبد العزيز بن عبد الجليل في كتابه : (مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية) ويضيف : ((ولعل تبني أعلام سبتة العزفيين للاحتفال بالمولد النبوي ، أن يكون نابعاً من طبيعة المغاربة الذين شبوا على التعلق بالحضرة النبوية ، وأن يكون مؤشراً لرفض الاراء المذهبية التي ابتدعها ملوك الموحدين الاوائل وسادت في ظلها النزعة المهدوية التي كانت تزعم العصمة لغير الانبياء)) [٤٠]

ومهما يكن فقد أنفرجت الازمة في عهد الخليفة الموحدي المرتضى الذي حكم فترة مابين (٦٤٦ – ٦٦٥هـ) والذي أصبح ((يقوم بليلة المولد خير قيام ويفيض فيها الخير والانعام)) ووضعت الاسس لاقرار ماابتدعه الغزفيون من الاحتفال بالمولد النبوي وتهيأت أسبابه ... ويصبح معها فن التغني بالمدائح النبوية من أبرز صنوف الموسيقى المغربية .

القيام عند ذكر الرسول :

وبهذه المناسبة نشير ((إلى أحد شعراء (المولوديات) في هذا العصر ، وهو أحمد الصباغ الجدامي الاندلسي الذي عاصر الخليفة المرتضى ، فقد كان شاعراً مجيداً ، أنشد في مناسبة المولد النبوي قصائد رائعة ، منها السينية التي مأيزال أحد أبياتها يردد حتى اليوم بمثابة لازمة يرجعها المسمعون في امداحهم ، وهو قوله :

وقوفاً على الاقدام في حق سيد تعظمه الاملاك والجن والانس .

وعادة ماينشد المسمعون هذا البيت بعد الانتهاء من سرد قصة المولد النبوي ثم تتلوه الصلاة على النبي العربي)) [٤١] . هذا مااضافه ابن عبد الجليل في كتابه المشار إليه ، ويضيف في هامش الصفحة ، قائلا :

((وقد نسب أبو عبدالله محمد العابد الفاسي في كتابه (روض الامنية والاماني في مطلوبية القيام عند ذكر ولادة المصطفى (صلعم) للتعظيم والتهاني)) نقلا عن سيدي محمد بن عبدالسلام بنائي شارح (الاكتفاء) ببيت ((وقوفا على الاقدام ...)) إلى ابن رشد

البغدادي ، المتوفى سنة ٦٦٣هـ)) ، ونحن نلاحظ الاختلاف الكبير فيما يشيعة البعض هنا في حضرموت ، عند القيام في منتصف الاحتفال بالمولد إلى حضور النبي صلى الله عليه وسلم .

ويشاع في محيطينا عن تاريخ الاحتفال بهذه المناسبة ماجاء عند العلامة جلال الدين السيوطي في بحثه (حسن المقصد في عمل المولد) بأن الملك المظفر صاحب أربل ، أبو سعيد كوكبري بن زيد الدين علي بن بكتكين ، كان يعمل المولد الشريف في ربيع أول ، ويحتفل به احتفالا هائلا ، وقد صنف له الشيخ أبو الخطاب بن دحية مجلداً في المولد النبوي أسماه (التنوير في مولد البشير النذير) فأجازه على ذلك بألف دينار ، وقد طالت مدته في الملك حتى مات وهو محاصر للفرنج بمدينة عكا سنة ٦٣٠ هـ . قال ابن خلكان في ترجمة الحافظ أبي الخطاب بن دحية ، كان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء ، قدم من المغرب فدخل الشام والعراق واجتاز باربل سنة ٦٠٤ هـ ، فوجد ملكها مظفر الدين يعتني بالمولد النبوي ، فعمل له كتاب : (التنوير ....) وقرأه عليه بنفسه فأجازه بألف دينار . قال وقد سمعناه على السلطان في سته مجالس في سنة خمس وعشرين وستمائه))[٤٢] .

ومن هذا يتضح لنا أن أبن دحية قد نقل من المغرب ماابتدعه العزفيون أصحاب سبته .

الاحتفال بالمولد في حضرموت :

ومع اعتقادنا بأن المولد إنما جاءنا عن طريق الدولة الفاطمية ولم يكن نقلا لما جرى في الموصل عند سلطانها كوكبري ، فإن هذا الاحتفال تأخر كثيرا ، وان الطريقة التي نراها بيننا اليوم ، ربما أبتدأت في القرن الثاني عشر الهجري وربما بعد ذلك . ولدينا مايثبت هذا ، فقد ذكر الشلي في (عقد الجوهر والدرر في اخبار القرن الحادي عشر) أنه ((في سنة ١٠٧٠هـ استولى إمام الزيدية اسماعيل بن القاسم على حضرموت كلها وأمرهم بأن يزيدوا في الاذأن ، حي على خير العمل ، وترك الترضي على الشيخين أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – ومنع الدفوف واليراع في راتب السقاف))[٤٣] .

وقد كرر ابن عبيد الله السقاف في كتابه (بضائع التأبوت – خ) ماجاء عند الشلي ولم يزد على ماذكره شيئا . وفي أنفسنا شيئا من القول : ((وترك الترضى على الشيخين)) ، ففي

ديوان أبي عبيدالله و قسم بعنوان الإماميات وهو الذي افرد لها الشاعر ديواناً مستقلا جاء بعنوان (كتاب الإماميات) وقد طبع على نفقة أحد الوجهاء بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر دون تاريخ ، واحتوى هذا على القصائد المتبادلة بين مولانا أمير المؤمنين يحي بن حميد الدين ملك اليمن وبين السيد العلامة عبد الرحمن بن عبيد الله ، وقد أعيد نشر القصائد بالديوان المطبوع . ومن ذلك قصيدة كتبها عندما كان بسنغافورا سنة ١٣٣٠هـ وشفع بها رسالة تشيد بالغمام بغمضاء السادة محمد بن عقيل ومحمد أحمد المحضار ومحمد الحبيد ، قال أبي عبيد الله في تلك القصيدة :

علنـا نـسب عـداكم فعلـيهم لعـن الالـه علـى الـدوام مكـررا
لاينطـوىّ قلـب علـى بغـضائكم الا وقـد شـنئ الـنبي الاطهـرا
كيف النجاة لخصمكم إن جيتم يـوم الحساب مـع البتـول المحشرا

وقد كتب أمير المؤمنين الإمام يحي قصيدة جواباً وأرسلها لابن عبيد الله في ٢٩ جماد الاولى سنة ١٣٣٠ هـ ومنها قوله :

والسنة الغراء يقفـوا إثرهـا أكرم بسنة خير من وطئ الثرى
لايرتضى نحل الروافض مذهباً وكذاك لم يك مثل جهم مُجبرا .

والروافض طائفة من الشيعة رفضوا زيد بن علي وأنفضوا عنه حين ابى عليهم التبرأ من الشيخين [٤٤] ، وعلى ذلك فأن عبارة (ترك الترضي على الشيخين) غير مستساغة .

ثم إن المؤرخ محمد بن هاشم ذكر في كتابه (تاريخ الدولة الكثيرية) قائلا : ((وضعت الزيدية راتب الحداد ونودي بأن يزاد في الاذان ، حي على خير العمل)) [٤٥] . وهو في الحقيقة خطأ وقع فيه ، إذ أن عبدالله بن علوي الحداد من مواليد ١٠٤٤هـ . ونحن نلاحظ عدم ذكر الاحتفال بالمولد في تلك الفترة ، ولم يأت خبر بمنعه ولا الابقاء عليه ، مما يدل على ممارسة الاحتفال بالمولد إلا إذا كان بطريقة غير التي نعرفها من التغني مع القصة بالمدائح النبوية والابتهالات المصحوبة بموسيقى وآلات موسيقية ، علاوة على النفوذ الإمامي استمر بحضرموت حتى عام ١٠٩٣هـ حيث اخرج السلطان علي بن بدر عامل الإمام الجديد

السلطان حسن بن عبد الله الكثيري عامل الإمام السابق في أول القعدة من بحر تلك السنة . ومن الشهر المذكور لم ينفذ للامام أمر ولاعزل ولا تولية في حضرموت وظفار ، غير الخطبة له في جميع الممالك ، فإذا وصل رسول الإمام أقاموا به وأكرموه ولاينفدون أمره لا في عزل ولاتولية . وتوفي السلطان علي بن بدر الكثيري بالشحر سنة ١١٠٧هـ.

وقد اقتصر مبتدعوالاحتفال بالمولد النبوي في حضرموت على مؤلفات من سبقهم في تأليف مختصرات قصيرة لقصة مولده صلى الله عليه وسلم ومنهم : البرزنجي [٤٦] والديبعي [٤٧] ونعتقد أن أول من كتب قصة المولد من أهل حضرموت بهذه الطريقة هو العلامة محمد عمر بحرق المتوفي بالهند عام ٩٣٠ هـ والذي كتبه في أحدى عشر ورقة بعنوان (مولد سيد الاولين والاخرين) ثم كتب شيخ بن عبد الله العيدروس المتوفي بالهند سنة ٩٩٠ هـ (المولد النبوي) .

الحضرة :

سبقن أن قلنا أن شيوع التصوف وكثرة جماهيره سبباً في إستغلال العلويين له ، لكن سرعان ماظهر هذا الاستغلال الذي جعل تعاليم الصوفية قائمة على تعاليم الشيعة وترتيباتهم . واشرنا إلى ماكتبه العلامة ابن خلدون في مقدمته تحت عنوان (علم التصوف) ولابأس من تكرار مانقلناه من كتاب محمد عبد اللطيف (السيد البدوي ودولة الدراويش) وهو مانصه : ((هكذا إصطبغ التصوف بمقاصد الشيعة وبتعاليمهم ، وهكذا صار المتصوفة آداة لبث الدعوة للعلويين تحت هذا الستار ، فكانوا يحدثون الناس احاديث الزهد والورع ... ويفيضون في ذكر مناقب آل البيت وفضائل الانتساب إليهم . ولقد كان لهذا أثره في تكوين العصبيات للعلويين، كما كان له أثره في توجيه التصوف هذه الوجهة ، حتى تضاءل آخر الأمر ، فلم يعد إلا سرداً لمناقب آل البيت وخرقة تربط المتصوفة بالانتساب إليهم ...)) إلى آخر مانقلناه سابقاً ، والملاحظ أنه لابد من ذكر المناقب ، كيف لا والمذهب الشيعي ومعه التصوف يؤهل أفراد آل البيت إلى سدة الحكم وإلى خلافة المسلمين لتكون علوية قرشية وإلى قيادتهم الدينية ، فلابد من ذكر المناقب وتكرارها ...

((وقد اعتد الحضرميون بالسماع وأنشأوا له المجالس التي تسمى (حضرات) وحضرها أكابر شيوخهم كالشيخ عبد الرحمن بن محمد السقاف (ت ٨١٨ هـ) وهو كما قال الشلي عن السماع في ترجمته في كتابه المشرع الروي ((أحبه وكان يعمله في مسجده وكان يرد عليه حال السماع واردات ، وإذا ورد عليه حال تعظم صورته وتدخل الحاضرين هيبة عظيمة منه وربما دار وتواجد فيه)) [٤٨] وعُرف بعضهم بطريقته في السماع كالشيخ أبي بكر بن عبد الرحمن (ت ٨٢١ هـ) . وقد ترجمه أيضا الشلّي في المشرع ، وقال : ((إذا ظهر عليه الحال منعه النوم ليلا ونهاراً ويدور بالسماع من العصر إلى المغرب وهو كالسكران لايشعر بشيء))[٤٩]

وحضرة كلمة يستعملها الصوفية على إتساع في معناها مرادفة لكلمة (حضور) أي المثول في حضرة الله .

وابن عربي وهو بسبيل وضع مذهبه القائم على وحدة الوجود يستعمل كلمة (حضرة) في معنى أكثر اتساعاً . وقد أورد ابن خلدون الحضرة في مقدمته . ويطلق الدراويش على الحفلات التي يحيونها بإنتظام كل يوم من الايام اسم (الحضرات) ، وتستعمل كلمة (حضرة) أيضا على أنها تعبير يدل على التشريف والاجلال في التوجه لله والالولياء والانبياء وأي شخص مثقف . وتستعمل كلمة حضرة (وبالتركية حضرة) لقباً يدل على الاحترام [٥٠].

ويلاحظ أن المسألة متشابكة جداً بل وياخذ بعضها بتلابيب البعض الاخر ، فأن من مدائح العلويين ذكر مناقبهم ومنهم من أوغل في المحضور وادعى ماابتدعته الدولة المهدية وساد في ظلها النزعة المهدوية وقد سبق الاشارة إليه ، وهي التي تزعم العصمة لغير الانبياء. ونحن نعتقد أنها سرت مما عرف عن الحكيم الترمذي الذي يعد أول من عمل على إشاعة فكرة الاعتقاد بولاية الصوفية وماجرت إليه من تصور الكرأمات [٥١].

والترمذي (توفي نحو ٣٢٠ هـ = ٩٣٢ م) محمد بن علي بن الحسن بن بشر ، أبو عبدالله ، باحث صوفي ، عالم بالحديث ، واصول الدين . من أهل ترمذ . نفي منها بسبب تصنيف كتاب خالف فيه ماعليه أهلها ، فشهدوا عليه بالكفر ، وقيل اتهم باتباع طريقة الصوفية في الاشارات ودعوى الكشف . وقيل فضل الولاية على النبوة . ورد بعض العلماء هذه التهمه عنه ، وقيل كان يقول : للاولياء خاتم كما للانبياء خاتم . وقال السبكي ، فجاء إلى بلخ —

بعد إخراجه من ترمذ – فقبلوه لموافقته أياهم على المذهب ... وفي لسأن الميزأن : أن أهل ترمذ هجروه في آخر عمره لتأليفه كتاب (ختم الولاية وعلل الشريعة) وأنه حُمل إلى بلخ فأكره أهلها . وكان عمره نحو تسعين سنة[٥٢] .

حضرة السقاف :

ولعل اقدم حضرة في حضرموت ، هي حضرة عبد الرحمن السقاف حيث يعقد لها ((جلستان أو حضرتان في الاسبوع ، خاصتان بأنشاء الاناشيد الصوفية ، بعد اداء العشاء مباشرة ، ليلتي الاثنين والخميس بمسجده ، مع الدفوف والشبابات . يتولى ذلك بنوه واحفاده . ثم ارتأى حفيده أحمد بن الحسين العيدروس (ت ٩٦٨ هـ) جلب منشدين ومطربين من مصر ومن عرف وألف منهم جوقة ، عدد أفرادها سبعة حيث استوطنوا تريم ، وقاموا واحفادهم بهذه المهمة بإستمرار إلى اليوم ..)) [٥٣] .

وهناك حضرات كثيرة ، لكنها دون حضرة السقاف . وقد صدر كتابان مصوران لمخطوط من نسختين يحمل كل منهما عنوان (المنهل العجيب الصاف في فضيلة وكيفية حضرة الشيخ عبد الرحمن السقاف) جمع إحداها عبد الرحمن بن محمد المشهور والثانية من جمع حسين بن سالم بافضل والاختلاف أنما في القصائد حيث تغفل أحداها بعض القصائد . ويحتوي الكتاب على ترجمة صاحب الحضرة ثم في فضل الحضرة وماقيل عنها . ثم كيفية الحضرة . ويليها القصائد التي تقدم بمصاحبة الطيرأن والدفوف والشبابات ، وكلها لشعراء حضارمة غير أن أكثرهم من العلويين ، وتبدا الحضرة بالابيات التالية :

فليتـــك تحلـــو والحيـــاة مريـــرة ... وليتـك ترضـى والانـام غـضاب
وليـت الـذي بـيني وبينـك عـامر ... وبـيني وبـين العـالمين خـراب
إذا صـح منـك الـود ياغأيـة المنـى ... فكـل الـذي فـوق الـتراب تـراب

وينسبونها كما جاء في (المنهل العجيب الصاف...) النسخة المصورة للشيخ أحمد الرفاعي (٥١٢ – ٥٧٨ = ١١١٨ – ١١٨٢) أحمد بن علي بن يحي الرفاعي الحسيني ، أبوالعباس ، الإمام الزاهد ، مؤسس الطريقة الرفاعية . ولد في قرية حسن (من أعمال واسط بالعراق)

وتفقه وتأدب في واسط وتصوف فأنظم إليه خلق كثير من الفقراء كان لهم به إعتقاد كبير . وكان يسكن قرية ام عبيدة بالبطائح بين واسط والبصرة وتوفي بها . وقبره الان محط رحال سالكي طريقته . وقد صنف كثيرون كتباً خاصة به وبطريقته وأتباعه ... وينسب إليه شعر ليس له ... مات ولم يخلف أما العقب فلاخيه .

ويقول السبكي : أصله من المغرب وسكن البطائح [٥٤]. ولكن في شرح العينية (قصيدة عبد الله بن علوي الحداد) للحبشي : ((وكذا الرفاعي الرفيع مقامه .....

فالرفاعي ، بكسر الراء نسبة إلى رجل من المغرب يقال له رفاعة ، نقل هذا عن أهل بيته اليافعي عن ابن خلكان . وقول الشعرأني في الطبقات ، منسوب إلى بني رفاعة ، قبيلة من العرب ، وقيل في نسبه أنه سيد حسيني ، رأيت ذلك عن بعض أهل حضرموت ... ثم رأيت الشيخ علي بن أبي بكر علوي جزم بذلك ، وتبعه صاحب العقد النبوي ، اعني أنه سيد حسيني ، ورجحه الناظم والحمد لله))[٥٥] .

لكن هذه الابيات تنسب لرابعة العدوية ، وتعد من اشعارها في الحب الالهي ، كما تنسب أيضا للشاعر أبو فراس الحمداني ، وقد وردت في ديوانه ، [٥٦] وينسب البيت الثالث للشاعر الشهير المتنبي ، وقد جاء في ديوأنه وديوأن أبي فراس هكذا :

إذا نلت منك الود فالمال هين .....

ومأيحويه كتاب المنهل من المقدمة وحتى نهأيته ، إبتهالات ومدائح في النبي صلى الله عليه وسلم ، وأهل بيته ، ومنهم السقاف صاحب الحضرة نفسه . وهي لاتخرج عما جاء عند ابن خلدون التي ذكرناها سابقاً وعند غيره ، وقل مثل ذلك في الكثير من مدائح أهل البيت جدداً وقدماء.

المدائح الرمضانية :

وتتنوع الوسائل لتقديم السماع الصوفي وتخترع له المناسبات و قال الشاطري : ((وهناك قصائد ومدائح نبوية ووعظية تنشد بأزجال خاصة في ليالي رمضان عند الترأويح والوتر))[٥٧] فيتقدم لادائها اصحاب الاصوات الحسنة والشجية ، وتتكون أعمال هذه الجلسات المسائية من الاتي :

١ = التشهد =٢= الوترية =٣= الفززية =٤= القوافي =٥= المآخذ

=٦= الدعاء =٧= الفاتحة ، وهي الختام .

فبعد التشهد يتم التغني بالابيات التالية وهي :

ياخلد من دفنت في الترب أعظمه	فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه	فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت الحبيب الذي ترجى شفاعته	على الصراط إذا مازلّت القدم
لولاك ماخلقت شمس ولاقمر	ولاسماء ولا لوح ولا قلم

إلى آخر ماتم اختياره من أبيات القصيدة وتقدم على ألحان جميلة جداً وهي على سبعة أضرب .

ومع ذكر هذه الابيات تساق حكاية باطلة وقصة واهية ، وقد استدل بها بعض الناس بجواز التوسل بالرسول صل الله عليه وسلم بعد وفاته ، مع أن الله سبحانه وتعالى يقول في محكم أياته : ((وَلَوْ أنهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (٦٤))) سورة النساء . وقد ذكرها النووي واستحسنها . أما ابن كثير فقد نقلها في تفسيره دون راوية ولااستحسان .وفي سبيل الرد عليها كتب الشيخ صالح آل الشيخ في كتابه (مفاهيمنا) أربعة أمور ، رأيت من الافضل أن أنقل هنا الاول منها :

((مادام أنها ليست من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ولافعل خلفائه الراشدين وصحابته المكرمين ولامن فعل التابعين ، والقرون المفضلة ، وإنما هي مجرد حكاية عن مجهول نقلت بسند ضعيف ، فكيف يحتج بها في عقيدة التوحيد ، الذي هو أصل الاصول ، وكيف يحتج بها وهي تعارض الاحاديث الصحيحة التي نهى فيها عن الغلو في القبور ، والغلو في الصالحين عموماً ، وعن الغلو في قبره ، والغلو فيه صلى الله عليه وسلم خصوصاً ، وأما من نقلها من العلماء واستحسنها فليس ذلك بحجة تعارض بها النصوص الصحيحة وتخالف من اجلها عقيدة السلف ، فقد يخفى على بعض العلماء ماهو واضح لغيرهم ، وقد يخطئون في نقلهم ورأيهم ، وتكون الحجة مع من خالفهم .

ومادمنا قد علمنا طريق أصواب ، فلا شأن لنا بما قاله فلان أو حكاه فلان ، فليس ديننا مبنياً على الحكأيات والمنامات ، وأنما هو على البراهين الصحيحة)) [٥٨] .

الوترية والقوافي :

وهي تشتمل على تسعة وعشرين قصيدة مرتبة على حروف المعجم ، أنشاها أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن رشيد البغدادي الواعظ الشافعي ، الذي اشتهر بها فعرف بالوتري البغدادي (ت ٦٦٢ هـ = ١٢٦٤م) . وهو من شعراء بغداد وسماها (القصائد الوترية في مدح خير البرية) وجعل لكل حرف من حروف الهجاء قصيدة منها . ويبدو لي أنه هو من نظم أبيات القوافي .[٥٩]

وقد قام محمد بن عبدالعزيز الوراق بن عبد الملك ابن شعبأن اللخمي ، وهو شاعر أندلسي قرطبي من أهل الاسكندرية (ت نحو ٧٥٧ = نحو ١٣٥٦م) بتخميس الوترية ، وبتخميس القوافي الشهيرة بمطلعها : (تبارك ذو العلا ....)[٦٠] ، وللقوافي هذه (جواب) ينشد بالتناوب مع تخميس الوراق . والجواب منسوب لمحمد بن أحمد بن أبي الحب التريمي ، وقد ترجمه الكثيرون ، أي أنه قام بتخميس القوافي . لكن ابن عبيد الله يشير في كتابه (إدام القوت ...) إلى كتاب (سفينة الارباح ونزهة الارواح) لاحمد بن حسن بن عبدالله الحداد (١١٢٧ – ١٢٠٤) وهو كتاب في مختلف العلوم الذي ورد فيه ، أن أبي الحب هو ناظم القوافي التي أولها :

تبارك ذو العلا والكبرياء تفرد بالجلال والبقاء [٦١]

وابن عبيد الله لم يعلق على ذلك لكن بما أننا نعلم أن ابن أبي الحب توفي في ٢٤ الحجة ٧١١هـ ، [٦٢] فلا يمكن أن يكون هذا الأمر صحيحاً .

الفزازية :

والنوع الثالث من المدائح هي المعروفة (بالفزازية في مدح خير البرية) ونجد على غلاف مخطوطة مسجد علي بن أحمد عيديد بالشحر (كتاب تخميس الفزازية للحبيب عبد الله بن جعفر مدهر والشيخ أحمد بن عبد الله الاحسائي) ، ومدهر (ت ١١٦٠ هـ = ١٧٤٧م) صوفي من أهل الشحر ، درس على الصوفي عبد الله بن علوي الحداد بتريم ، واقام بالهند

عشرين سنة ثم استقر بمكة إلى أن توفي . ولكن الاحسائي ربما يكون غيره ، فقد لاحظت أن مطبوعة للفزازية صدرت عن دار المهاجر للنشر والتوزيع عام ١٩٩٥ وعلى غلافها إنها للامامين مدهر وعبد القادر بن محمد الشجار ، وعند الشاطري ، عبد الكريم الشجار الاحسائي ، وفي شرح راتب الحداد ، أحمد بن عبد الكريم وينسب إلى الاحساء ، وقد جاء منها لتلقى العلوم عن الحداد ، فكان من أخص تلاميذه ، وقد سجل كلام شيخه في كتاب أسماه (تثبيت الفؤاد بكلام القطب الحداد) وعلى ذلك فالاثنان درسا معاً على الحداد .

المآخذ :

ويتلوا هذا أنشاد المآخذ وهي قصائد لشعراء الصوفية من حضرموت ومن غيرها ، كلها ابتهالات ومدائح ... وهي تنشد بدون آلات لكن على ألحان جميلة ، ويتقدم لانشادها أصحاب الاصوات الجميلة . ويتم كل ذلك داخل المسجد وفي بيت الصلاة منه .

الختاميات أو الختوم :

بعد مرور عشرة أيام أو خمسة عشر يوماً من شهر رمضان أو أقل أو أكثر على اختلاف بين مدن وبلدات من حضرموت ، يحتفل في ليالي رمضان بما يسمى الختامي أو الختم أو الختوم هكذا ، وتعني تتمة أيامه الاخيرة ووداعه والتحسر على أيامه . وقد أخذ الاسم من إتمام ختم القرآن العظيم في صلاة التراويح ، ورغم أنهم لايقومون بذلك ، فقد جرت العادة أن تكون سور القرآن لصلاة الترأويح ليلة الختم ، من سورة (الضحى) إلى سورة (الناس) مع قول المصلين أثر كل سوره (لا إله الا الله والله اكبر) ، وفي هذه الليلة وبعد أن يتم أداء المدائح المعتادة (الوترية والقوافي والفزازية) يتقدم اصحاب الطارات والمطارق وهي آلات موسيقية أيقاعية ، ويتصدرون المكان في المسجد وعند محرابه ويؤدون مأيعرف بالختامي ، ويتكون من خطبة وعظية ، ثم تنشد القصائد المختلفة المحتوى والهدف من إبتهالات وادعية واستغاثات وتمنيات بنزول الخير ورفع الشر ، ومدائح نبوية ومدح للائمة من آل البيت والأولياء عموماً ، ثم الزف إلى اقرب ولي (قبر أو مشهد) وتتكرر الادعية والاستغاثات

وطلب رفع الشر وإنزال الخير من الله والنبي والولي ، وكل ذلك مع الألحان لهذه القصائد وإنشادها مشاركة مع الحداة وضاربي الطيران (إثنان) والمطارق من (٦ – ٨) ويتناوب المنشدون بالقاء قصائد لايختلف محتواها عن السابقات لكنها تنشد دون آلات .

تطورات مثيرة :

في العقد الأول من القرن الواحد والعشرين رأينا تطوراً ملحوظاً ومثيراً للجدل في أنشاء العديد من الفرق الانشادية الخاصة بتقديم القصائد المتنوعة ، وهي في المقام الأول إبتهالية ومدائح متنوعة ، وقد ادخل إليها قصائد أخريات ، فرائحية ومناسباتيه ، ولهؤلاء كسابقيهم بعض قصائد الغزل البشري والمحبة والعشق ، إلى مأيعتقده المتصوفة من أنها تأويلات في الذات الالهية والعشق الالهي ...

هذه الفرق قد طورت وسائل الموسيقى عندها بإدخال آلات أخرى قديمة وحديثة وقامت بالسطو على الألحان ذات الموسيقى والايقاعات الراقصة ، وهي في الأصل موسيقى أغنيات مشهورة ومن أنتاج ملحنين معروفين ومطربين مشهورين ، ولايبقى في ذهن المستمع إليها إلا هذه الحركات الراقصة مع تناقضها لما يسمعه من أدعية وابتهالات ومدائح ، إلا إذا كان الهدف الرئيس لواضعي هذه الألحان أيصال ماتتضمنه القصائد وبتكرار متعمد ومقصود ، فتم اختيار هذه الموسيقى لتخليد مأيراد منها في الذاكرة إلى الابد .

أن هذا التطور قد أثار الذاكرة التاريخية لدى الجميع وقد أرجعني إلى مسألتين :

الأولى : صدق مانقله لنا الإمام الاباضي أبو اسحاق الهمداني لما حدث في زمانه ربما من قبل دعاة الدولة الصليحية ، وهي دولة باطنية نقلت الكثير من الابتداعات التي مورست أيام خلفاء الدولة الفاطمية بمصر وخاصة النشاط الايدلوجي .[٦٣] ومنه التغني بمشاركة الآلآت الموسيقية داخل المسجد ، وقد سبق أن سجلنا رأي أبي اسحاق في أبيات من شعره كنماذج ، بإعتباره أباضياً له رأي في مسألة الغناء كله ، إضافة إلى كونه شاهد على عصره . وعلينا ألانستغرب إذا اتفقنا على أن الأصل في الموسيقى هذه ، أنما أنتشرت بالمغرب العربي وأنتقلت مع الدولة الفاطمية إلى مصر ، ثم إلى حضرموت عبر الدولة الصليحية الاسماعيلية .

وبهذا الصدد علي أن اسجل شكراً للأستاذ عبد العزيز عبد الجليل الذي نقل إلينا الكثير من المعلومات عن كتب مخطوطة مطبوعة ، منها كتاب (الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون) لابن غازي المكناسي ، الذي أفاد بأن الموسيقى : ((أصبحت مادة تلقن ببعض المساجد)) وأضاف ((وظهر بين المقرئين أساتذه للغناء امثال أبي العباس الغمارى الذي كان في أن وأحد يعلم القراءة وصناعة الغناء بمكناس أيام بني مرين ، وكان من تلاميذه من يحسن الصناعتين))[٦٤] . وبنو مرين سلالة بربرية حكمت المغرب (٥٩١ – ٨٧٣ هـ = ١١٩٥ – ١٤٦٨م) وقامت على أنقاض دولة الموحدين ، وازدهر بلاطهم بفاس ، ونبغ في عهدهم ابن خلدون والخطيب وابن بطوطة ، ومن آثارهم جامعة القرويين بفاس[٦٥].

وعلى هذا فلم يكن عجيباً أن تؤتي هذه الحركة ثمارها أنى توسعت الدولة الفاطمية ومن أنضوى تحت حكمها وكان نصيبنا في حضرموت ماذكره شاهد العصر الشاعر الغمام الاباضي أبو اسحاق إبراهيم بن قيس الحضرمي .

ثانيا : تؤكد لنا القنوات التلفزيونية والمواقع الاليكترونية ، أن مايسمى بـ(الأناشيد الدينية) في شمال افريقيا العربية ، من أكبر الاخطاء . إذ أنه لا أناشيد ولا أغانٍ في الدين الإسلامي ، وليس لهذين الضربين من الغناء أية علاقة بالدين الإسلامي . وأن هذا شكل من أشكال التأليف الموسيقي الكنسي ، يكتب غالباً للكورال بمصاحبة آلة موسيقية أو دون مصاحبة ، وقد تظهر فيه فقرات لمغنين منفردين ذكورا وأناثا .

إن هذه الأنشطة الغنائية أو مايعرف عند الصوفية بالسماع، لازالت تمارس إلى يوم الناس هنا ، وهي آخذة في التطور والنماء . وأنه كان في نية من أدخلها إلى حضرموت أن يسعى إلى أن تكون نسخة مما يوجد إلى اليوم في أكثر بلاد المغرب العربي ، وبجميع الآلآت الموسيقية ، لكن الوسط الأباضي في ذلك العهد ، أي وقت إستيلاء الصليحيون على حضرموت ، وقف حجر عثره في سبيل ماأراد تحقيقه هؤلاء في المساجد، رغم استفحال أمر الصليحيين ومن خلفهم، فقد اضطروا إلى الاقتصار على بعض الآلآت التقليدية في المنطقة ، كالآلآت الايقاعية : الطار والدف والمطرق ، وآلة النفخ الشبابة (القصبة) في حالات نادرة . بقيت إلى اليوم في حضرة السقاف وأنتهت من حضرة سالم عمر العطاس بالشحر ، وكانت على شبابة واحدة فقط .

لكن هؤلاء المتصوفة أدخلوا هذه الآلآت وجميعها عندما حانت لهم الفرصة ، وقد تمثلت في موسيقى المهاجرين من الحضارمة في شرق آسيا ، وكانت أكثر وضوحاً ، فقد وصلت إلينا أغنيات للعديد من الفنانين كالسقاف وباحشوان وغيرهما ، وهما يؤديان أغنيات هي في الأساس إبتهالات وأدعية وأذكار وصلوات ومدائح بمصاحبة الآلآت الموسيقية في شبه تكامل من العود والكمانات والنايات والآلآت الحديثه كالاورغ والاكورديون إضافة إلى الايقاعات المتنوعة .

لقد نشر رجال التصوف كل ذلك في كن بقاع العالم التي يهاجرون إليها كحضارم ، إلى بلاد الشرق الفريقي وسواحل بلاد الهند والشرق الاسيوي . وهي فيه أكثر وضوحاً ، كما اشرنا ، لكننا لن نذهب بعيدا ، ولنختار مدينة الشحر كنموذج حاضر وفيها تم نقل الفكر الصوفي إن لم نقل تم تصديره وفي شكل شبه كامل .

السماع الصوفي بمدينة الشحر :

لقد تزعمت مدينتا تريم والشحر اتجاهين مختلفين ، فقد تزعمت مدينة تريم الاتجاه الصوفي واكتمل نشاطه في القرن العاشر ، بينما تزعمت مدينة الشحر الاتجاه السني وعضت عليه بالنواجد ، وقد تمثل ذلك في :

١- معاملة السلطان بدر بن عبد الله الكثيري أبو طويرق لبعض رموز التصوف ، ومنهم الشيخ معروف باجمال (٨٩٣ – ٩٦٨ هـ) نفذ أمر السلطان بدر أن يربط حبل في عنق الشيخ معروف وأن يطاف به في أزقة مدينة شبام وينادي به ((هذا معبودكم يا أهلشبام)) وكان المشائخ المشهورين بالتصوف والجاه والنفوذ بين عامة الشعب . ويذكر بعض المؤرخين ((أن مافعله بدر كان بسبب عقيدة العامة فيه وفي قداسته)) [٦٦] ، ومن ذلك العنت الذي لقيه الشيخ عمر بن عبد الله بامخرمة (٨٨٤ – ٩٥٢ هـ) فقد بلغ تصرف السلطان بدر في حق ذلك الصوفي والشاعر الشعبي الشهير مبلغا لاحد له من القسوة وانعدام روح المسئولية ، فقد طارده من قرية إلى قرية وبعد أن ظفر به زج به في سجن سيؤون مدة طويلة . ثم أبقاه في سيؤون بعد اعتلال صحته فيما يعرف اليوم بالإقامة الجبرية حتى وفاته . [٦٧]

٢- افتتاح المدرسة التي نسبت إليه (المدرسة البدرية) وانتخب لها مديرا هو علي بن علي بايزيد التولبي الدوعني (ت ٩٧٥هـ) وكان سُنياً ، تشهد بذلك فتاويه وهي في طريقها للنشر هذا العام أن شاء الله . ويشهد بذلم كؤلفه بعنوان : (عقد اللآلي والنكت الغوالي فيما يتعلق بإرشاد الغاوي) .

٣- انتشار الفقه السني في المدينة ومن ذلك إقرار مدير البدرية الشيخ بايزيد تدريس كتاب (الغاوي إلى مسالك الحاوي) والمشهور بالإرشاد وهو من تأليف علامة اليمن إسماعيل بن أبي بكر المقري (٧٥٤ – ٨٣٧ هـ) وعليه شروح كثيرة ونكت وللحضارمة عليه مشاركات منها مؤلف بايزيد المذكور آنفا ، ومنها مؤلف الشهيد أحمد بن عبد الله بلحاج بافضل (ت ٩٢٩ هـ) بعنوان (النكت على الإرشاد) وكذلك كتابه (النكت على الروض) وهو لابن المقري أيضا . ومنها مؤلف الشيخ محمد بن عبد الرحمن سراج باجمال (نظم الإرشاد وشرحه) وباجمال من خريجي المدرسة البدرية .

والمقري فقيه سني لايختلف على سنيته أحد ، وقد أسفر عن وجهه في الكثير من قصائده المنشورة في ديوانه المطبوع كقوله :

برغم سنة خير العجم والعرب ... أمست مساجدنا للهو واللعب
ماكان صلى الله عليه يأمرنا ... بضرب دف ولا زمر ولا طرب
يارب منيتك البيضاء قد وقعت ... في ورطة أشرفت منها على العطب
ومابقى الحق إلا مايقول به ... الحلاج وابن التلمساني وابن العربي [٦٨]

٤- وقوف الفقيه القاضي عبد الله بن عمر بامخرمة المعروف بالشافعي الصغير (٩٠٧ – ٩٧٢ هـ) موقفاً صلباً تجاه كل الدعوات الصوفية ورجالها وكتبهم ، بمن فيهم والده الصوفي عمر عبدالله بامخرمه الذي لم يذكره في الذيل الذي وضعه لطبقات الأسنوي مع منزلته الفقهية . وفي هذا وضع مؤلفا أسماه (حقيقة التوحيد وصحيح الاعتقاد في تكفير طائفة الوحدة والإتحاد) وهو في الرد على طائفة ابن عربي ، ولعل مواقفه من التصوف ودعاته هي التي جعلت ممن يملك زمام الأمر في حضرموت آنذاك أن يذهب إلى اعتماد ماجاء عند ابن حجر في (التحفة) مع الاعتراف بسعة علم بامخرمة .

وفي مثل ذلك يذكر محمد عوض بافضل في كتابه (صلة الأهل ...) عند ترجمة الفقيه عبد الله عبد الرحمن بافضل ، الذي تدير مدينة الشحر وتولى الخطابة بجامعها والتدريس بمدرسة الجامع وتوفي بها عام ٩١٨هـ ، وذلك نقلا عن حديث لمحمد بن حكم بن سهل باقشير الكندي ، قال سمعت الشيخ عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر علوي في رجب الحرام عام ٩١٥ هـ ، يقول : ((ماعندي أحد مثل الفقيه عبد الله بلحاج ، وأطنب في ذكره وذكر مناقبه وأحواله ... فهو مع سلامته وعدم تأنيه عند كلامه ، لايخرج كلامه إلا موزونا بالسنة ... وذكر عبادة الفقيه عبد الله ويقينه ورضاه عن الله في البر والبحر ، في العسر واليسر ، وحسن خلقه مع جميع الخلق وكماله معهم حتى لايغيروا من حسب صفته شيئاً ، قال : حتى أنه حل عند الشحارية ، الذين قال فيهم القطب الرباني عمر بن عبد الرحمن علوي ، كوافي آل الشحر زبد بول الحمار)) .[٦٩]

وعبد الرحمن بن علي بن أبي بكر السكران (٨٥٠ – ٩٢٣ هـ = ١٤٤٦ – ١٥١٧م) ولد بتريم وتلقى على علمائها ثم رحل إلى عدن فكان مع عمه العيدروس العدني، وتوفي بتريم . وبكتاب (المنهل العجيب الصاف) عدد من قصائده وله ديوان مخطوط بمكتبة الأحقاف للمخطوطات وترجمته بالمشرع الروي .

ولنا الحق وكل الحق أن نتساءل عن السبب الذي جعل الشيخ عبد الرحمن يحدث بمدحه أهل مدينة الشحر وأنهم لم يتمكنوا من تغيير صفة الشيخ بافضل ، ويزكي رأيه فيهم بما جاء على لسان جده لأمه الشيخ عمر المحضار بن عبد الرحمن السقاف من أن ((كوافي أهل آل الشحر زبد بول الحمار)) . إنها إساءة كبيرة ، نبعت من الاختلافات المذهبية أو عدم قبول علماء الشحر وطلاب مدارسها والمتفقهين بها المنهج الصوفي الذي أظهره وتشيع له الصوفية ودعاتها في تريم وإحباطها . وكان أهل الشحر قد رفضوا اتباع تعاليم الشيخ سعد الدين الظفاري الصوفي الذي تدير الشحر وتوفي بها سنة ٦٠٧هـ . وإذا قيل أن موكب جنازته تعرض للاضطراب على يد الجنود الغز ، وأنه ذو مكانة كبيرة عند أهالي الشحر) كما يشير إلى ذلك الأستاذ محمد بامطرف ، فإننا لم نر إلا قليلاً من الأتباع والمريدين له . ونعتقد أن أمر المكانة هذه لم تتعد الاحترام والتقدير ، ولقد كره العلويون طريقته وتمثل الكره في تلميذه محمد علي

باطحن الظفاري . الذي كتب ترجمة في شيخه جاءت بعنوان (تحفة المريد) ، قال ابن عبيد الله ((أن غلوه في شيخه أوقعه في إساءة الأدب على الفقيه المقدم فكرهه العلويون)) ، ونحن لانعلم شيئا عن هذه الإساءة ولا حجمها ، فقد تعرض كتاب باطحن للضياع . أما الصوفي عمر عبد الله بامخرمة . فإنه رغم مكوثه بالشحر وزواجه بها ثم افتتاحه مدرسة بها أيضا ، لم يستطع أن يكون له كبير الأثر فيها بل أصبح يضيق من المكوث فيها ، جاء ذلك في قصائده ومنها قوله :

ياجبير إنها ضاقت خلاق الذي حب
ضاقت الشحر حد الضيق وأمسيت مذهب
دور فيها وشرق في حوطها وعرب

وقوله :

فضت أن هبت الجاية إلى نجد هبي
إن لقيتي كرا وإلا تحذي وخبي
ويش بغينا بدا المقعد في الشحر نصبي

وقوله في قصيدة أخرى :

آه .. أنا يافضيضة دقت ماليس يندق
من هوان الهوى ذي به تدانين الأعناق
فاستريحي ونوحي به ولو منه لحراق
فإن بي شغب لو بعضه على الحيد ماطاق
ضاقت الشحر بي والحال بعد النفس ماطاق
والتظين الحواني من لضى حر لشواق

نعم لم يستطع الصوفي عمر بامخرمة أن يكون له مريدين وأتباع في الشحر حتى يحافظون على طريقته وبلغ أن قال عنه العلويون ((للشيخ بامخرمة تخريفات حتى قال بعض منتقديه ، لو أن حضرموت استولى عليها حاكم نصراني لكان ذلك ضررا مما أحدثه فيها بامخرمه من البدع)) [٧٠] .

إن دعاة صوفية اليوم هم أحفاد صوفيي القرن السابع وحتى العاشر ومابعده وهم الذين أختلف اتجاههم الصوفي عن طريقة سلكها سعد الدين الظفاري وأخرى سلكها بامخرمة وغيرهما ، وكان لهم ما أرادوا !

ولقد كان أهل مدينة الشحر هم المتسامحون والمتناسون لمثل هذه الاساءات ، وكان المتصوفة منهم

والذين يدورون معهم أو من يحبهم ويحضر مجالسهم يرددون وإلى يومنا هذا النشيد الصوفي :

ياعمر ويو عمر واخوه عمر شئ لله .

وهو يردد عشر مرات مع ختام حضرة الشيخ أبوبكر بن سالم .

ويقدم النشيد الذي منه :

معنا الوسيلة عمر محضار يدرك عجول

تفتح باسم المعنى مغلقات القفول

بانشرح الحال للمحضار فحل الفحول

ونشيد آخر :

ياحبيبنا عمر شئ لله يالشجاع المشتهر شئ لله

ياشجاع الدين غارة شئ لله ينجلي عنا الكدر شئ لله

غارة تأتي سريعة شئ لله ياحبيبنا عمر شئ لله ..الخ

ويبدو لي بأن اختلاف أبناء وأحفاد أبي طويرق على كرسي الحكم هو الذي أخل بماكانت عليه مدينة الشحر ، فانتصرت الصوفية ، وذلك بعد أن غادر بعض علمائها هذه الفانية وذهب آخرون إلى خارج البلد إلى عدن وزبيد وأفريقيا والهند ، بعد أن فقدوا النصير والمؤازر لمواقفهم فتعطلت المدارس أو كادت ، إذ أن الفكر السني يتطلب درس وعلم للفقه وقضاياه ، بينما يعتمد التصوف ودعاته على العامة والأميين ، ومنهم من وصل إلى مرحلة القطبية وهو أمي ويمكننا أن نعد أكثر من واحد منهم ، ولهذا كثر جمعهم دون تفكير ولا دراية .

ومر زمن لم يكن طويلا ، إلا والمدينة والكثير من سكانها يدورون في فلك التصوف ، يقودهم دعاته بشكل من التبعية والتسليم ، لم يكن مثله حتى في تريم نفسها ، وهي رائدة التصوف في حضرموت كلها .

السلطان علي بن بدر وقاضيه باحسن :

تولى السلطان علي بن بدر أبي طويرق الحكم بحضرموت بعد أخيه عيسى بن بدر المتوفي سنة ١٠٨١هـ (١٦٧٠م) وذلك بأمر الإمام الذي استولى على حضرموت ، لكن السلطان الأمير حسن بن عبدالله بن عمر بن بدر أبو طويرق متولي الشحر بأمر الإمام أيضا ، خلع طاعة الإمام ، فتوجه إليه السلطان علي بن بدر بجيش كثيف وهجم على مدينة الشحر براً ، وأخرج منها حسناً ، ويبدو أن أفكار الأمير حسن داعت وانتشرت بين الناس ، لكن السلطان علي بن بدر تنقصه الكياسة في الآراء السياسية ، فهو مع شفقته على الرعية وحبه لها ، كثيرا مايفشل في مجاري السياسة ويعجز عن معالجة مشاكلها ، فقد كان الزيدية قد منعوا قراءة راتب الحداد في المساجد ، وبقي ممنوعاً ، فأعاد السلطان علي قراءته ، ذكر ذلك ابن هاشم في تاريخ الدولة الكثيرية .[٧١]

ويذكر باحسن في مخطوطته أن السلطان علي بن بدر قد طلب الشيخ علوي بن عبد الله بن محمد علوي بن عبد الله بن محمد باحسن جمل الليل من بلدته ليوليه قضاء الشحر وإمامة الجامع والخطابة فيه حتى توفي عام ١١١٧هـ (١٧٠٥ م) ، ويذكر الحبشي شارح العينية عند ترجمة القاضي علوي باحسن أنه قرأ على ناظم العينية الصوفي الكبير عبد الله بن علوي الحداد كتاب (الإحياء) وكتاب (الأربعين الاصل) وهما للغزالي . والحداد معروف بفرط محبته للغزالي وكتاب (الإحياء) وقد قال في (النصائح) : ((وجميع مافي الإحياء لم يؤلف في الإسلام مثله في فنه)) وجميع متصوفة حضرموت يعظمونه كثيراً وعبارة السقاف ((من لم يطالع الإحياء مافيه حياء)) مشهورة على لسان كل منهم .

وقد انعكست تعاليم الغزالي والحداد وغيرهما على باحسن القاضي والخطيب وعلى أنشطته في التدريس والخطابة والسلوك بالشحر .

إننا هنا سوف نقتصر على السماع الصوفي ولانتعداه إلى نشاطات صوفية في مجالات أخرى ، فعنوان البحث لايسمح لنا إلا بالاقتصار على أمكنة وأزمنة تقديم هذه الابتهالات والمدائح ، ولمتابعة دعاة التصوف الحضارمة في نقل ونشر وتصدير هذه الأنشطة الفنية إلى كل بقاع الأرض التي اعتادوا أن يهاجروا إليها ، كالبلدان التي تقع في شرق أفريقيا وسواحل الهند وشرق آسيا ، وقد اخترنا مدينة الشحر كنموذج لهذا النقل بل التصدير المتعمد من مدينة تريم . ولسوف يطول البحث لو وقفنا عند كل واردة وشاردة ، لذا رأينا أن من الأفضل التركيز على الأهم من هذه الانشطة :

الحضرات بالشحر :

إن هذه الحضرات قد كثرت في مدينة الشحر وحدها مع الاقتصار عليها دون أن نتعداها إلى مايحدث في قرى تابعة لها ومن أعمالها كقرية تبالة والواسط وشعب النور والجرادف وزغفة والمعيان وقرى واد عرف ، فإن بمدينة الشحر مايزيد على ثلاثة وأربعين حضرة أسبوعية ، وهذا ما استطعنا جمعه والتأكد من صحته . وربما سقطت منا بعضها بعد أن انتهى أمرها ولم تعد تمارس في أيامنا . ففي كتاب (أنس السالكين) وهو من تأليف عبد الله بن عبد الرحمن باهارون ، وهو من أهل القرن العاشر ، ما نصه : ((أن للعارف بالله الشيخ فارس باقيس الدوعني مسجداً بالشحر ، وكان صاحب سماع وتواجد وله راتب في مسجده ليلة الجمعة وليلة الاثنين)) ومسجده هذا مندرس كما يشير إلى ذلك المؤرخ عبد الله محمد باحسن في باب (المساجد المندرسة) في كتابه المخطوط (النفحات المسكية ...) وقد اندرست حضرته مع مسجده المندرس . وهذا ثبت إحصائي بالحضرات التي بقيت إلى زمن متأخر وتمارس أسبوعيا بمدينة الشحر :

الرقم	صاحب الحضرة	زمنها	ملاحظات
١	أحمد أبوبكر بن سالم	عصر الجمعة	مسجده في حي عقل باعوين
٢	سالم بن عمر العطاس	صباح الخميس	بضريحة ويضاف إليها شبابة
٣	فضل بن عبد الله بافضل	ليلة المغرب الجمعة	بضريحة الملاصق لمسجده بالخور

٤	عبدالله عبدالرحمن بافضل	ليلة السبت	بضريحه بعقل باعوين
٥	عبدالله محمد باهارون	عصر الخميس	بضريحة الملاصق للجدار الشرقي لمسجده
٦	أحمد بن أبي بكر مول الغربان	عصر الثلاثاء	ضريحة على ساحل البحر بحي المجرف
٧	أحمد باعوين	بعد عشاء الاثنين	بمسجده بحي باعوين
٨	أحمد غبطه	بعد عشاء ليلة الخميس	بمسجده بعقل باعوين
٩	سعدالدين بن علي الظفاري	بعد مغرب ليلة الاثنين	بالمسجد لاتستعمل الدفوف ولكن التصفيق
١٠	علي بن أحمد عيديد	يوم الاثنين	بمسجده صباح يوم الثلاثاء
١١	عبد القادر الجيلاني	ليلة السبت	بمشهده بحي القرية
١٢	عمر المحضار بن عبدالرحمن السقاف	عصر الخميس	بمسجده بحي عقل باعوين
١٣	علوي بن محمد بن حامد المحضار	ليلة السبت	بضريحه المجاور لمسجد المحضار عقل باعوين
١٤	أحمد باجوبان	ليلة الاثنين	عصرا بالمسجد
١٥	سالم عسكول باوزير	عصر الأربعاء	عصر الخميس بحائطه بحي المحط
١٦	عبد الله بن يعقوب	صباح الجمعة	بمسجده (صبح فيما بعد ضريحا (قبه)
١٧	شيخ بن إسماعيل	صباح الجمعة	إنشاد فقط دون دفوف بمسجده
١٨	عبد الله باسويدان	صباح الثلاثاء	في مسجد الشيخ أحمد يوم الثلاثاء
١٩	علي بن محمد مزاحم	بعد صلاة العشاء	عند قبره بحي القرية
٢٠	محسن بن عمر بأوزير	بعد صلاة العشاء	عند قبره بحي باغريب
٢١	سعيد سالم باهبري	بعد عشاء	سعيد بن سالم باهبري بجانب مسجد بقشه
٢٢	أحمد بن صالح مول الشعب	بعد عشاء السبت	ببيته القديم بحي عقل باعوين
٢٣	عبد الله بن أبي بكر العيدروس		بمسجده بعقل باغريب
٢٤	أبوبكر عبدالله صالح العطاس		بيت عمر أبوبكر باشميله
٢٥	علي بن حسن العطاس		
٢٦	علي بن محمد الحبشي	ليلة الاثنين	بمسجد الروضة بحي الحوطه

٢٧	عبد الرحيم بن سعيد باوزير	صباح الثلاثاء	
٢٨	الشهداء السبعة		بضريحهم بحي عقل باعوين
٢٩	علي بن حسن البيض		
٣٠	شيخ بن عبدالله العيدروس		
٣١	علي بن محمد بن طالب	بعد عشاء الثلاثاء	قبره في ساحة حي المجوره
٣٢	عمر محضار السقاف		بمسجده بحافة الخور
٣٣	مكنونة ويقال أنه من آل السقاف		بحائطه وسط مقبرة بلحاج بافضل
٣٤	الاحمدية (زأوية طرائقية)	ليلة الاثنين وليلة الثلاثاء	بالزاوية نفسها
٣٥	أحمد باصليب	بعد عشاء الأحد	أي ليلة الاثنين (لايعرف مكانه)
٣٦	أبوبكر عبدالله العيدروس (العدني)		بمسجده بالرملة
٣٧	مول العقائد		على قبره خلف مول المحطه (مستشفى الشحر)
٣٨	عبدالله سالم بن إسماعيل	بعد صلاة المغرب	بحي القرية بجانب بيت ال بن جازع
٣٩	سعيد عمر بلحاف		
٤٠	إسماعيل بن ابراهيم السقاف مول الطار		
٤١	عبدالرحمن بن الشيخ أبوبكر بن سالم		قبته مهدمة اليوم
٤٢	سعيد بن عيسى العمودي		بمشهده بحي المجرف ملاصق لمنزل آل مبروك
٤٣	عبدالرحيم بن عمر باوزير		محفوظ باعكابة

الموالد بالشحر :

يتحدث أهل الشحر على أن حامد محمد سالم السري (١٣١٠هـ - ١٣٩٦هـ) (١٨٩٠ - ١٩٧٦م) هو الذي أسس الاحتفال بالمولد، أي منذ ابتدأت بالشحر في ربيع أول، وقد جاء هذا مكتوباً عند جمعان سالم عماني الشحري في مقال تحت عنوان (تأسيس المولد في مدينة الشحر) نشره (بالرباط) نشرة تصدر عنه [٧٢] ، ونقلها عنه عيدروس محمد الحبشي (عادات شحرية ...)[٧٣] . ولكنه تغافل عن ذلك في كتيبه المطبوع بعنوان (التوضيحات ...) . والعبارة ليست دقيقه ، فهل كان ترتيب السري لهذه الاحتفالات ، يقصد به تأسيسها في شهر ربيع أول من كل عام ، أو الطريقة التي نشاهدها إلى اليوم ، أو الصيغة المتناسقة من حيث الطريقة المتبعة لقراءة الفصول والكورال والأناشيد والفواتح وغير ذلك مما هو معروف لدى الجميع ، ثم إن الإضافة إلى هذه العبارة لاتزيدنا إلا إرباكا ، فقد جاء إن علوي بن عبد الرحمن المشهور والمتوفي بتريم ١٣٤١هـ (١٩٢٣م) مدير / مشرف المدرسة الأهلية ، مكارم الأخلاق ، عند الافتتاح عام ١٩١٨م و هو الذي طور هذه الاحتفالات بأن جعلها في أحدى عشرة ليلة بمساجد معينة ابتداء من أول يوم من شهر ربيع أول ، ثم الاحتفال كل في مسجده ليلة الثاني عشر ، ليلة مولد الرسول صلى الله عليه وسلم على أرجح الأقوال . فما الذي أسسه السري من هذه الاحتفالات ؟ .

ثم قام مؤسس رباط الشحر ومدير مدرسة مكارم الأخلاق اللاحق ، الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن الشيخ أبو بكر ، بتعميم هذه الاحتفالات بمساجد الشحر كلها على ترتيب موضوع ابتداء من مسجد عمر محضار السقاف بحي عقل باعوين وحتى مسجد الشيخ فضل والجامع . وقد بلغ تعدادها وقت المؤسس الشيخ عبد الله ثلاثة وأربعين مسجداً ، وزاد عددها إلى واحد وخمسين بعد أن زاد تعداد المساجد ابتداء من عام ١٩٩٠م . غير أن عدداً من المساجد المبنية حديثاً وبعض من القديمة لم يعد يمارس بها هذه الاحتفالات ولايرغب أصحابها في القيام بها .

إن الاحتفال بهذه الطريقة يمارس في أغلب مساجد الشحر مساء كل أحد ومساء كل خميس من كل أسبوع، وكان بكمال عدته، أقصد الاحتفال المصحوب بالآلآت الإيقاعية الطار والمطارف، لكنهم اليوم اقتصروا على استعمالها في الاحتفالات الموسمية السنوية كالزيارات الحولية والاحتفالات بالمولد التي أسسها أشخاص معروفون محددون، نذكر منهم على سبيل المثال :

مولد أسسه محمد بن علي الحبشي بعد صلاة مغرب آخر جمعه من ربيع أول بمسجد الروضة (روضة والده الداعية الشاعر الصوفي علي بن محمد الحبشي) .

مولد أسسه مجهول يقام عند مشهد الشيخ سعيد بن عيسى العمودي المقبور بحافة المجرف عصر آخر جمعة من ربيع أول من كل عام وللشيخ مشاهد كثيره في بقع من منازل أهل الشحر أعرف منه ثلاثه :١- بمنزل (المدعوة باعوده) ٢- منزل سعيد عوض رويعي ، ٣- منزل عبد الرحمن بخضر .

وتقيم النساء احتفالات عند مشاهد سلطانة بنت علي الزبيدية المنتشرة أيضا بمنازل أهل الشحر .

مولد أسسه الشيخ الداعية الصوفي عبد الكريم عبد القادر الملاحي بمسجد بن عتيق عصر أول اثنين من شهر صفر من كل عام .

وتقام الاحتفالات بقراءة قصة المولد ومايتبعها من ترتيب في الزيارات الحولية الكبيرة عند أضرحة وقبور ومشاهد البعض مثل :

١- زيارة الشيخ باحميد مول مرضحين ثم المخاضة بوادي عرف .

٢- زيارة يمعوض وعاجبات والعينية بقرية يمعوض .

٣- زيارة الست بقرى شعب النور والواسط وتبالة ومايليها .

٤- زيارة ناصر والصبار بالجرادف .

٥- زيارة المسجدي بقرية معيان المساجدة .

٦- زيارة الشيخ سعد باثقيلي ومول خلفان بقرية زغفة .

٧- زيارة الشيخ سالم بن عمر العطاس بمدينة الشحر ومايتبعها من زيارات ومايسبقها كزيارة (رقوان) حفيدة العطاس صاحب الزيارة، وليلة الغيلي ثم زيارة الشيخ فضل بافضل، ثم زيارة الشيخ أحمد بن الشيخ أبي بكر ثم زيارة مشهد عسكول وكلها في ليالي متوالية .

وهذه الأخيرات تعد زيارات صغيرة لم تسعد بالشهرة وهي كثيرةوبعضها اندثرت ، ومنها :

١ - زيارة عبد الله محمد باهارون ، عند ضريحة الملاصق لمسجده في ١٧ محرم .

٢ - زيارة عبد الله عبد الرحمن بافضل عند ضريحه القريب من مسجد ابنه المعروف، في ١ محرم.

٣ — زيارة عمر المحضار السقاف في ساحة مسجده بحي باعوين ، عصر ١١ شوال .

٤ - زيارة بن جوبان بجانب مسجده بحي عقل باعوين عصر ١٢ شوال .

٥ - زيارة أحمد باعوين عند مشهده بحي عقل باعوين عصر ١٥ شعبأن .

٦ - زيارة الشيخ فاضل بحي القرية عصر ١٦ شعبأن .

٧ - زيارة عمر بن أحمد بدفيقة عصر يوم ٢٢ شعبان .

٨ - زيارة مول غربان بحي المجرف عصر ليلة آخر أربعاء بشعبان .

٩ - زيارة مزاحم بحي القرية عصر آخر جمعة من شعبان .

١٠ — زيارة أبو بكر عبد الله العطاس عصر ومغرب ٥ شوال بمسجد عمرو .

١١ - زيارة السبعة ، عند ضريح الشهداء السبعة بحي عقل باغريب عصر ٧ شوال .

ونكتفي بهذه ، وإلا فهناك زيارات أخرى لم نذكرها خوف الإطالة .

وبكل هذه الزيارات يقام الاحتفال بالمولد وتمارس الألعاب الشعبية المختلفة كالزوامل لقبائل حضرموت ولقبائل يافع وزوامل القرويين بجانب رقصات العدة والشوّاني ورقصات للبادية وللقرويين الفلاحين . وكلها المذكورة هنا ذات شقين الأول منها شعر حيث يتبارى الشعراء فيها في مساجلات لاتخلو من الابتهالات والمدائح النبوية ومدائح آل البيت النبوي والأولياء والحكام .

المدائح الرمضانية والختاميات :

أما في ليالي رمضان ، ففي كل مساجد الشحر تقام المدائح التي سبق الحديث عنها وهي : الوترية والقوافي والفزازية ، وفي كل المساجد القديمة أيضا يقام بما يقال له (الختامي) وقد كفانا الأستاذ جمعان سالم عماني (الشحري) موؤنة البحث لإحصاء المساجد التي يتم بها هذه الاحتفالات من أهل الطرق الصوفية لما يعرف عندنا بالختامي ويقال لها البعض الختاميات أو الختوم أو الختم ، وهي في كل الأحوال تفيد خاتمة الشيء أي نهايته وتمامه . ذكر

ذلك عماني في كتيب تحت عنوان (التوضيحات في الحول والحضرة والزيارات) غير أنه أخطأ في ذكر أسماء المساجد التي يقال لها (المناصب) والتي يتم الاحتفال بالختامي بها ليلة السابع والعشرين من رمضان ، والصحيح هي :

١- مسجد جامع الشحر ٢- مسجد الشيخ سعد الدين الظفاري

٣- مسجد الشيخ أحمد بن قضيمتي ٤- مسجد الشيخ فضل بافضل .

٥- مسجد الشيخ عبد الرحيم سعيد باوزير ٦- مسجد الشيخ شيخ بن إسماعيل

٧- مسجد الشيخ أحمد بن الشيخ أبي بكر .

ويقال لهم المناصب ، وتعني الذين تم تنصيب كل واحد منهم نقيباً ليحافظ على حقوق فئته ، وهذه معروفة لدى العلويين هنا في حضرموت وفي البلاد الأخرى . وكان أول نقيب للعلويين في حضرموت هو الشيخ عمر بن عبد الرحمن السقاف الشهير بلقبه المحضار . ولكننا لاندري شيئا عن نقابة بن قضيمتي والظفاري وبافضل وباوزير ، ثم إننا ماذا سنقول بشأن مسجد الجامع ، فهل كان نقيباً معنوياً على بقية مساجد مدينة الشحر ، من يدري ؟ .

ويبدأ أصحاب الطرق في الختامي بالمسجد الذي خصصت له هذه الليلة مثلا ، بعد الانتهاء من المدائح ، حيث يتصدرون محراب المسجد وقبلته ببيت الصلاة فيه ويضربون الدفوف (الطارات) والمطارق ، يتغنون بالقصائد الصوفية التي لاتختلف عن التي تقدم في الحضرات والموالد وغيرها إلا بإضافة قصائد وداع رمضان ، ثم تتناوب هذه مع إنشاد بعض القصائد دون تلحين وغناء وتكثر بهذه الاحتفالات الفواتح والأدعية والأماني والاستغاثات والتوسل بالأولياء وآل البيت الأموات والمقبورين قرب المسجد وكذلك البعيدين عنه . ثم يتم التحرك جماعيا فيما يعرف (بالزّف) مصطحبين الطارات والمطارق وهم ينشدون القصائد المشابهة للأول وقد أدخلت حديثا مصابيح الكيروسين ، حيث يحمل بعض الشباب (٦ – ٧) هذه المصابيح (الاتريكات) ويتحركون في شكل راقص حتى يصلون إلى أقرب ولي اعتادوا أن يقفوا عنده وتزيد الأدعية وتتركز ويعلو أصواتهم وأصوات طبولهم وتنتهي بالدعاء بعد أن ينشدوا في غناء جماعي موشح الصوفي عبد الله بن علوي الحداد ومطلعها :

ألا ياالله بنظرة من العين الرحيمة

التي تنتهي بقوله :

منازل خير ساده لكل الناس قاده محبتهم سعاده

ألا يابخت من زارهم بالصدق وأنذر

إليهم معتني كل مطلوبه تيسر ....

الروحات :

هناك نوع آخر من هذه المجالس التي تعرف بالروحات وهي على ثلاثة أنواع فيما أظن . وهذه تعقد بالمساجد كما تعقد أيضا بالمنازل ويختار لها فترة بعد صلاة العصر أو بعد صلاة المغرب ، لكنها لم تنتشر كثيراً وعرف منها :

روحة خاصة : كالتي أنشأها محمد علي الحبشي [٧٤] والتي تعقد بعد مغرب يوم السبت بمسجد الروضة وهي خاصة بمناقب والده علي بن محمد الحبشي صاحب رباط سيؤون والمتوفي بها في ١٣٣٣هـ (١٩١٥م) ويقرأ بها مناقبه وشيئاً من حديثه المدون في مخطوط باسم (المنثور) وتنشد البعض من قصائده التي جمعت في ديوانين فصيح وعامي كل على حدة .

روحة عامة : وقد أسسها بمنزله الوجيه الشيخ علي سعيد باغريب المتوفي في شهر رجب ١٣٧١هـ الموافق مارس ١٩٥٤م وقد ذكر هذه الروحة المؤرخ خميس كرامة حمدان فقال : هو له في الخير يد ، فقد جعل إحدى غرف منزله مأوى لطلبه العلم وأسس بها روحة تعقد مابين العصر والمغرب ، ويقرأ بها طلبة العلم بعض الكتب ومنها كتب المناقب وغيرها [٧٥] .

روضة فنية : وهي التي أسسها المؤرخ الفنان عبد الله محمد باحسن المتوفي بالشحر عام ١٣٤٧ هـ = ١٩٢٨م ، وقد أشار إليها الأستاذ محمد عبد القادر في بحث نشر بكتاب الرائد باحسن ، ولكنه اقتصر على المجلس الفني حيث تدور فيه الأنشطة الفنية من أدب وطرب ومنها النقد البناء المتجرد عن الحساسيات والأضغان ، نقدا نزيهاً ومن وحي الساعة ومن فيض الخاطر علاوة على الطرب . أما الشق الآخر من هذه الروحة فكان على طريقة أهل التصوف في استعمال الآلآت الشعبية التقليدية كالطار والمطرق ، وديوان شعره يضم العديد من القصائد الابتهالية والمدائح [٧٦] .

مناشط غنائية أخرى :

أشـرنا فيماسـبق إلى الرقـصات الـشعبية الكـثيرة والمتنوعـة ، الـتي تمـارس في محافظـة حـضرموت ومنهـا بطبيعـة الحـال مدينـة الـشحر . ونـضيف بـأن هـذه الرقـصات الرجاليـة منهـا والنسائية والمختلطة ، ذات شقين فنيين ، شعرا ورقصا مـع الغنـاء الفـردي والجمـاعي ، وهـذا يحدث فيها جميعاً ، عدى رقصة أو رقصتين يقوم فيهما المزمار (المجوز) بدور الشعر والغناء .

ونحن نستطيع أن نقسم هذه الرقصات إلى نوعين :

الأول : يكون القصيد المغنى فيها ، وقد كتبت قبل الرقص ، ومهما كان بزمن يسير . ومثل هذه القصائد / الأغاني المقدمة من قبل الفنانين في أية مناسبة أو أية نوع من الرقصات المصاحبة للغناء : كالتي تقدم في الطرب أو على أيقاعات الزربادي أو زفة العريس (إستمـاع) وغناء المطبـل (المسحراتي) وأغنيات رقصات القناصة ، قفزان أو المثلوثه ويسمى الاحتفال بالقناصة وغناء زفة العروس (الأنثى) وغناء الهداني والخيبعان وغناء دقاقة البهارات وغيرها ، ولممارسة واحدة من هذه الرقصات يتم اختيار قصيدة من العديد من القصائد التي سبق أن تم اختيارها ووضع لها قالباً موسيقياً معيناً ، وقد استغل دعاة الصوفية بإدخال العديد من القصائد ذات الطابع الصوفي والتي تحمل مضامين صوفية كالتي سبق أن أشرنا إليها من الابتهالات والمدائح المتنوعة وأضيف إليها أخيراً قصائد ذات أغراض فرائحية ومناسباتية .

الثاني : من هذه الرقصات هي التي يسبق أداء الرقص مساجلات الشعراء في حلبة تترك لهم ويقابلهم المغني (وأحياناً أكثر من مغن) . ويتبارى الشعراء في قول ماعندهم ارتجالاً ، وبعض هذه المساجلات تبدأ بالحمد لله والصلاة على رسول الله ، ثم تتلوها المدائح لصاحب المقام والحكام والشخصيات الحاضرة ثم يأتي على ذكر رأيه في أحداث المنطقة وأحيانا يهرب إلى الأولياء والصالحين ويطالبهم في الحل .

وهناك قصائد تقدم ارتجالاً أو من ذاكرة الرواة لعدد من قصائد المهن اليدوية ، وهي تقال على أوزان متفق عليها وهي على ألحان موسيقية تساعد في التخفيف من عناء المهن الصعبة ، كالمجانة وهي آلة خشبية لحمل الأثرياء أو المرضى إلى مناطق بعيدة ، ومهنة الرعه وهي أداة

خشبية بسيطة لنقل الطين المعجونة بالماء لصنع اللبن ، ومهنة السقاءين وهم يحملون صفائح من الماء تتدلى من طرفي عود يحمل بين الكتفين ، وكذلك مهنة درس الحبوب وضرب النورة (الكلس) وغير هذا كثير . ولكننا لانستطيع أن نقف عند كل رقصة من هذه الرقصات الكثيرة والمتنوعة . وهي في الحقيقة معروفة لدى أهل حضرموت ساحلها وداخلها . ولكن لابأس من ضرب بعض الأمثلة الصغيرة لاثبات مدى تغلغل الفكر الصوفي فيها بواسطة الأشعار التي تغنى وترقص عليها ، من ذلك :

أن تتغنى النساء جماعياً في رقصة الدقاقة :

ياسلطانة يابت علي كل حاجة باتنقضي

أن تزف الطابلة (فنانة شعبية) النساء والعروس من العلويين بقولها :

والحمد لله ملك ماتمنيت ياخيبعان

والجنة الخضراء الحلال حليت ياخيبعان

ظليت فيها النهار وامسيت ياخيبعان

وأن تزف طابلة النساء للعروس من المشائخ :

على أهل الشيخ واقي

ومن هم في حماهم

عليهم مجاب الله

حياطة دروب الله

ويرتجز اليافعيون في زاملهم (المرفع) في مثل قولهم :

ياحمد بن صالح ياقرط الذهب والعمامه مصفا والرادي ذهب

وفي رقصة (العدة) يرتجز الراقصون في مثل قولهم :

وياحضار جينا بانزورك ومن زارك بغا منّك كرامه

ومن الأأيات المغناه في مهنة السناة ، أي رفع الماء من الآبار :

تريم من عارى تريم يندم فيها الخضر واليأس والمقدم

تريم لي فيها الفقيه المقدم فيها عبيد الله وعلوي الجم

ولسوف نكتفي بالمهمة التاسعة من رسالة الشيخ علي بن أحمد باصبرين الدوعني (ت ١٣٠٤ هـ = ١٨٨٧م) التي كتبها بعد عودته من الحجاز في رمضان ١٢٩٤ هـ (١٨٧٦م) تحت عنوان (المهمات الدينية في بعض المرتكب من المناهج الربانية) [٧٧] والرسالة مخطوطة وتقع في اثنين وعشرين ورقة ، ومن مخطوطات مكتبة تريم. ويقول في مقدمتها :

((نظرت إلى ماعليه الناس من المناهي الربانية وعليه بتقدير العزيز العليم من المخالفات عاكفون ....)) ومن هذه المهمات وهي التي تحمل الرقم التاسع قوله ((مما يحرم مايقال عند إقبال الزائرين إلى المزار :

ياولي الله جئنا إليك وحططنا الذنب بين يديك

لما في ذلك الغلو في المزور بإيهام أن له دخلا في غفر بعض الذنوب فضلا عن كلها ، وقد قال تعالى : ((ومن يغفر الذنوب إلا الله)) ولما في ذلك من الجزم للمزور بالولاية وهو غير معصوم ولاملحق به كمن ثبت له بشرى من المعصوم بالجنة كالعشرة الكرام . ولقد قلت لبعض العوام ونحن في ذلك المقام ، لو يقول الزائر :

يا إله الخلق جينا إليك وحططنا الذنب بين يديك

فكان أولى ....))

ولقد اعتنى بالرسالة الأستاذ أكرم مبارك عصبان وعمل على تحقيقها ونشرها وجاء في تعليقه على هذه المهمة قوله : ((ومما يردده بعض الزوار في زيارة قبر هود المزعوم بأسفل حضرموت شبيهاً بما ورد :

يانبي الله جينا إليك بانطرح الذنب بين يديك

وفي بدل المجهود ((عن السقاف أن هود يتحمل ذنوب زواره حتى يرفعها إلى الله .)) [٧٨]

وفي كتاب (الشامل) للمؤرخ علوي بن طاهر الحداد ، تفصيلاً للمقام ومناسبة قول باصبرين لأولئك العوام ، قال الحداد : ((ومما يدخل في قالب الفكاهة أنه ذكر في رسالته تلك أن الناس هنا إذا دخلوا لزيارة ولي من الأولياء أخذوا ينشدون بقولهم : (ياولي الله جينا إليك وطرحنا الذنب بين يديك) فقال أن هذا لايجوز ، والأولى أن يقولوا : (واستغثنا الله بين يديك) فإن الله عز وجل يقول (ومن يغفر الذنوب إلا الله) وقد أثر نهيه في مايلي

آعلاه من دوعن من البلدان وبقي الناس فيما دونه على ماكانوا عليه ... فقد وقع من المصادفات الغريبة أن جاء إلى بلد قيدون وقصد ضريح الشيخ الصالح الكبير سعيد بن عيسى العمودي يزوره . وبينما هو قائم يدعو إذ اقبل أهل البلد راجعين من الاستسقاء ينشدون بقولهم السابق ذكره . فما كان منه إلا أن وعظهم ونهاهم وقال لهم أن هذا مخالف للشرع ولما في القرآن ولايغفر الذنب إلا الله ، فسكتوا على مضض ، ولم يظهر له أنهم قبلوا نصحه وخرج راجعا إلى بلده بعد أن أتم زيارته ، فلما وصل إلى طرف البلد قدم إليه حماره ليركبه ، فلما وثب زاغ الحمار فسقط هو على الارض ، وهناك من يراه من أهل البلد ، فقام ينفض ثوبه من التراب ويقول : الآن كفروا الآن كفروا ! أي أنهم سيصرون على ماهم عليه ويقولون : لو كان على الحق لماسقط ، وأن هذا من تصريف الشيخ سعيد ..)) .

وفي كتاب (رجل وكتب) للشيخ علي سالم بكير ، فصلا عن الشيخ باصبرين ، حياته وآثاره وكتبه وعلى الخصوص رسالته هذه .

ولم يقتصر الأمر على استغلال هذه المواقف للتغني بالابتهالات والذكر والصلوات والمدائح ، بل يتم ذلك حتى عند تشييع الموتى ، وجعلوه خاصاً لموتى العلويين ، وتبعهم في ذلك بعض المشايخ خاصة آل باوزير . جاء ذلك عند المؤرخ الشاطري مانصه : ((أما الجنائز بتريم منذ أوائل القرن العاشر ، حيث ابتدع هذا الذكر السيد عبد الرحمن بن عبد الله مولى خيلة ، لكن العلامة أحمد بن حسين العيدروس خالفه ، فلم يستحسن العمل به لنفسه ولا لأتباعه من بعده ، ولعل وجهة نظره أنه يرى في هذا شيئاً من الابتداع بالنسبة لهذا الموقف))[٧٩].

والغريب إن العيدروس رأى في هذه بدعة ولم ير في حضرة جده شيئاً بل زينها بجلب المنشدين من عرف ومن مصر كما يقول الشاطري أيضا . ومع ذلك لم يلتفت إلى رأيه هذا واستمر العمل بهذا النشيد الجنائزي الحزين إلى يومنا هذا ، وخص به العلويين وشاركهم في ذلك بعض المشايخ ، ورأيت بنفسي جنائز الشيخ محمد عوض باقوي باوزير ، والشيخ سقاف صالح الهدار والشاعر حسين أبوبكر المحضار .

الخلاصة :

أننا وجدنا أن دعاة التصوف وخاصة الشعراء منهم لم يدخروا جهداً في استغلال الفرص السانحة والمتاحة في صور شتى وخاصة شعر الأغنيات وشعر الرقصات الشعبية وأغاني العمل وغير ذلك فدخلوا إليها وملؤوها بأفكارهم وأيدلوجياتهم . ومر زمن طويل والناس في فلكهم يدورون وهم لايدرون عن الخلافات الحادة والمتباينة حول الغناء وتحريمه وتحليله والتي لاتصل إلى العامة .

ونستنتج أن للتصوف الدائر أنشطته هنا في حضرموت فكراً واقداً ولم يكن بأي حال من الأحوال مدرسة حضرمية كما يدعي البعض ، فهو في الأصل فكر نشأ بالمغرب العربي وصدر إلينا في حضرموت .

وفي مقامنا هذا يجب أن لاننسى رسالة المولى سليمان (١١١٨ – ١٢٣٨ هـ = ١٧٦٦ – ١٨٢٢ م) وهو سليمان بن محمد بن عبد الله ، الشريف العلوي ، من سلاطين دولة الأشراف العلويين في مراكش ، بويع له بفاس سنة ١٢٠٦هـ كان عاقلا باسلا محباً للعلم والعلماء ، له آثار في عمران فاس وغيرها . قال الكتاني : كان من نوادر ملوك البيت العلوي في الاشتغال بالعلم وإيثار أهله ... [٨٠]

المولى سليمان هذا وجه رسالة شهيرة جاءت بعنوان (آلات الموسيقى) وجهها إلى أرباب الطوائف وأشار فيها إلى أن السماع ابتداع من أهل الأهواء الذين أحدثوا في الدين مايستوجب نار جهنم ، ونصحهم قائلا : ((طهروا من دنس البدع إيمانكم ... كل ذلك بدعة شنيعة ، ونعلة فظيعة ، ووصمة وضيعة ، وسنة مخالفة لأحكام الشريعة ... زينه الشيطان لأوليائه فوقتوا له أوقاتا ... فلاتميلوا بالناس يمينا وشمالا ، فليس في دين الله ولا في شرع نبي الله أن يتقرب إلى الله بغناء ولاشطح)) .

سامحنا الله فيما قصدناه فبراير ٢٠١٠م .

ثبت المراجع والإحالات

باهارون ، عبد الله عبد الرحمن ، أنس السالكين – خ ، مكتبة سالم عبد الله حمدون – الشحر.

باحسن ، عبد الله محمد ، النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية – خ ، نسخة مصورة لدى الكاتب.

الحبشي ، عيدروس محمد ، عادات شحرية على مدار الأيام والشهور والسنين – خ ، بحث لم ينشر، لدى الكاتب نسخة منه .

خميس كرامة حمدان ، أعلام شحرية لها تاريخ – خ ، بقلم المؤلف انتهى من تبييضه بجده بتاريخ ٣٠ رجب ١٤١٢هـ (٣ نوفمبر ١٩٩٢ م) .

الصبان ، عبد القادر محمد ، جهاد شعب ، صدر الجزء الاول منه بآلة النسخ الرونيو بسيؤون في نوفمبر ١٩٨١ م .

فرقة الوفاء لأحياء الحفلات الدينية بالإنشاد والزربادي ، (جمع وترتيب) ، كتاب روائع من الحد والدان الحضرمي بذوق فن الزربادي (نسخة مصورة) . توزيع مكتبة تريم الحديثه للطباعة والتوزيع، حضرموت ، ط٢ ، ٢٠٠٨م .

المشهور ، عبد الرحمن محمد ، المنهل العجيب الصاف في فضيلة وكيفية حضرة السقاف (نسخة مصورة).

ابن أعثم ، أبو محمد أحمد الكوفي ، الفتوح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦ م ، ج١ .

ابن خلدون ، عبد الرحمن محمد ، المقدمة ، الجزء الاول من تاريخه ، دار العودة ببروت ، ١٩٨١ م (علم التصوف) .

ابن كثير ، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي ، تفسير القرآن ، تحقيق سامي محمد السلامة ، دار طيبة ، الرياض ، ط٢ ، ١٩٩٩ م ، ج٢ .

ابن عقيل ، زين بن سالم ، الشعر الصوفي في حضرموت في القرنين التاسع والعاشر الهجريين ، رسالة ماجستير لم تنشر ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، العراق ، أيلول ١٩٩٩ .

ابن المقري ، عني بطبعة ونشره عبد الله إبراهيم الأنصاري ، طبع على نفقة دار إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر ، دون تاريخ .

ابن حبيب ، أبو جعفر محمد ،

- المحبر، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، عاصمة الدولة الاصفية ، حيدر آباد الدكن عام ١٩٤٢م.
- المنمق في أخبار قريش ، تحقيق خورشيد أحمد فاروق ، عالم الكتب بيروت صورة على نسخة مطبعة حيدر أباد بالهند .

الأسد ، د .ناصر الدين ، القيان والغناء في العصر الجاهلي ، دار المعارف بمصر ط٢ / ١٩٦٨م.

باصبرين ، علي بن أحمد ، المهمات الدينية في بعض المرتكب من المناهي الربانية ، تحقيق أكرم مبارك عصبان ، مطبعة وحدين المكلا ، دون تاريخ .

بامخرمة ، الطيب عبد الله
قلائد النحر ، تحقيق محمد يسلم عبد النور ، إصدار وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ط١ ، ٢٠٠٤ م ، الجزء الثالث .
باوزير ، سعيد بن عوض ، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ، دار الطباعة الحديثه ، ط١ / ١٩٦١م.
بامطرف ، محمد عبد القادر ،
- الشهداء السبعة ، دار الحرية للطباعة ، مطبعة الجمهورية بغداد ، ط١ / ١٩٧٤ م .
- باحسن الرائد والفنان ، دار الهمداني للطباعة والنشر ، عدن ، ط١ / ١٩٨٥ م .
بكير ، علي سالم ، رجال وكتب ، دار حضرموت للنشر ، دون تاريخ .
البلاذري ، أحمد بن يحي ، فتوح البلدان ، تحقيق عبد الله وعمر أنيس الصباغ ، منشورات مؤسسة المعارف ، بيروت ، لبنان ١٩٨٧م .
بو عزيز ، يحي ، موجز تاريخ الجزائر ، المطبوعات الجزائرية ، إشراف دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط١ / ١٩٦٥م .
جوبان ، محمد محفوظ ، اليمن والخوارج حتى نهاية العصر الأموي ، رسالة ماجستير ، جامعة عدن ودار الثقافة بالشارقة ، ط١ / ٢٠٠٢م .
الحبشي ، أحمد بن زين ، شرح العينية ، قصيدة عبد الله بن علوي الحداد ، مطبعة كرجاي المحدودة ، سنغافورا ، ط١ / ١٩٨٧ م .
الحداد ، عبد الله بن علوي ، الدر المنظوم (ديوان) مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ط٣ / ١٩٥٧م.
الحداد ، علوي بن طاهر ، الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها ، مطبعة أحمد برس ، سنغافورا ط١ / ١٩٤٠ م .
الحمادي ، محمد بن مالك ، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ، تحقيق محمد زينهم محمد العزب ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، مصر ، ط١ / ١٩٨٦ م .
دائرة المعارف الإسلامية ، مطابع دار الشعب ، القاهرة ، مجلد ١٥ ، مادة (حضرة) .
الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ط١٢ / ١٩٩٧ م .
السالمي ، أبو محمد عبد الله بن حميد ، جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام ، طبع على نفقة حفيدي المؤلف ، مطبعة الألوان الحديثه ، ط١٢ / ١٩٨٩ م . الجزء الثالث .
سعاد ماهر محمد (دكتورة)، مساجد مصر وأولياؤها الصالحين ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ، ط١ / ١٩٧١ م ، الجزء الأول .
السقاف ، عبد الرحمن بن عبيد الله ، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت ، تحقيق محمد أبوبكر باذيب ، دار المنهاج ، جدة ، ط١ / ٢٠٠٥م .

الشاطري . محمد أحمد ، أدوار التاريخ الحضرمي ، عالم المعرفة ، جدة ، ط٢ / ١٩٨٣ م .
الشريف . صميم ، الأغنية العربية ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد ، دمشق .
شوقي ضيف (دكتور) ، تاريخ الأدب العربي ، دار المعارف بمصر ، دون تاريخ .
الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الطبري ، تحقيق أياد بن عبد اللطيف القيسي ، دار ابن حزم ، ط١ /٢٠٠٥م.
الطويل . توفيق (دكتور) ، في تراثنا العربي الإسلامي ، عالم المعرفة الكويت عدد ٧ ، ٨ ، مارس ١٩٨٥م .
سركيس . يوسف اليان ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٢٨م.
عبد اللطيف ، محمد فهمي ، السيد البدوي ، ودولة الدراويش بمصر ، المركز العربي للصحافة ، القاهرة ط١ /
عبد العزيز عبد الجليل ، مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية ، عالم المعرفة ، الكويت ، عدد ٦٥ ، مايو ١٩٨٣ م .
عماره ، محمد ، الاسلام والفنون الجميلة ، دار شروق ، بيروت ، ط١ / ١٩٩١ م .
عماني ، جمعان سالم ، التوضيحات في الحول والحضرة والزيارات ، مطابع وحدين ، المكلا ، محافظة حضرموت ، دون تاريخ .
عنان ، محمد (دكتور) الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ط٣ / ١٩٨٣م .
غانم ، محمد عبده (دكتور) ، شعر الغناء الصنعاني ، دار العودة بيروت ، ط٥ / ١٩٨٧ م .
فارمر ، هنري جورج ، تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادي ، ترجمة جرجس فتح الله المحامي ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، دون تاريخ .
المشهور ، أبو بكر العدني ، الأستاذ الاعظم الفقيه ىالمقدم ، أعلام حضرموت ، فرع الدراسات والمناهج وخدمة التراث ، ط١ / ١٩٩٩ م .
المقدسي ، البشاري ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، طبع في ليدن ، ١٩٠٩م .
المقريزي ، أحمد بن علي ، المواعظ والاعتبار (خطط المقريزي) تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي ، مكتبة مذبولي ، ١٩٩٨م .
بن هاشم ، محمد ، تاريخ الدولة الكثيرية ، قام بالإشراف على طبعة محمد علي الجفري ، ط / ١٩٤٨م.
الهمداني ، أبو إسحاق ابراهيم ، السيف النقاد (ديوان شعر) تحقيق بدر بن هلال اليحمدي ، شركة العالم للإعلام والنشر ، سلطنة عمان ، روي ، ط١ / ٢٠٠٢م .
مجلة الحكمة (عدن) عدد ٢٩ ، يوليو ١٩٧٤م .
نشرة (الرباط) يصدرها رباط المصطفى بالشحر ، عدد ١٥ ، يونيو ٢٠٠١ م .

الهوامش :

(١) فارمر ، هنري جورج ، تاريخ الموسيقى العربية ، ترجمة جرجيس فرج الله ص ٩٠ .

(٢) أنظر مقدمة محقق كتاب (المنمق) لابن حبيب .

(٣) جوبان ، محمد محفوظ ، اليمن والخوارج حتى نهاية العصر الاموي ، رسالة ماجستير ، جامعة عدن ، دار الثقافة بالشارقة ، ط١ ، ٢٠٠٢م ص٢٤١ .

(٤) السالمي ، جوهر النظام ج٣ / ١٩٤ وبأوزير ، الفكر والثقافة ص٧٢ .

(٥) شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، عصر الإمارات ، وزارة المعارف بمصر ج١ / ٢٧ .

(٦) أبو إسحاق الهمدأني ، ديوان السيف النقاد ، ص٣٩٩ .

(٧) بامطرف ، محمد عبد القادر ، الشهداء السبعة ط٢ ص٢٩ .

(٨ يحي بو عزيز ، موجز تاريخ الجزائر ، ص٩٩ .

(٩) نفس المصدر ص١٠٠ .

(١٠) نفس المصدر ص ١٠٢ .

(١١) عبدالعزيز عبدالجليل ، مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية ، ص٢٥ .

(١٢) صميم الشريف ، الاغنية العربية ، ص١٤١ .

(١٣) ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ، شرح العقيدة الاصفهأنية ، تحقيق ابراهيم سعيدأي ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٥

(١٤) ابن تيمية ، الفتأوى الكبرى ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٨ / ١٩٨٧م .

(١٥) د . الطويل ، توفيق ، في تراثنا العربي الاسلامي ، ص١٧٢ .

(١٦) د . ضيف ، شوقي ، تاريخ الادب العربي ، ص٤٨١ .

(١٧) د . عماره ، محمد ، محمد والاسلام والفنون الجميلة ص٨١ .

(١٨) د . عمارة ، محمد ، الاسلام والفنون الجميلة ص٨١ .

(١٩) عبداللطيف ، محمد فهمي ، السيد البدوي .... ، ص٢٦ .

(٢٠) أنظر ماكتبه ابن خلدون في المقدمة عن التصوف والفاطمي المنتظر .

(٢١) محمد فهمي عبد اللطيف ، السيد البدوي ودولة الدرأويش ، ص٢٨ .

(٢٢) صميم الشريف ، مرجع سابق ، ص١٤١ .

(٢٣) عبد العزيز عبد الجليل ، مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية ص٤٥ .

(٢٤) الديوأن المحقق صَ٣٨٥ .

(٢٥) الديوأن المحقق ص٣٥٢ .

(٢٦) الديوأن المحقق ص٢٣٥ .

(٢٧) الديوأن المحقق ص٣٥٧ .

(٢٨) أنظر كل ذلك في الصفحات ٢٩ – ٣٠ من كتاب الاستاذ بامطرف (الشهداء السبعة) .

(٢٩) أنظر المقريزي في الخطط وكتاب (مساجد مصر وأولياؤها الصالحون) د . سعاد ماهر محمد ، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية . مطابع الاهرام التجارية . القاهرة ج١ / ١٩٧١ .

(٣٠) المشهور . أبو بكر العدني . الاستاذ الاعظم الفقيه المقدم ط١ ص٢٧ .

(٣١) المصدر نفسه ص٣٤ .

(٣٢) باحسن . النفحات المسكية . مخطوط .

(٣٣) الشاطري . محمد أحمد . أدار التاريخ الحضرمي ج٢ / ٢٦٥ .

(٣٤) د . شوقي ضيف ، تاريخ الادب العربي ج٤ / ١١١ .

(٣٥) نفسه ص١١٤ .

(٣٦) دار العودة بيروت ط٥ ١٩٨٧م ص٦٢ – ٦٣ .

(٣٧) الزركلي ، الاعلام ، ج٢ / ٦٤ ، عند ترجمة الشيخ أبوبكر بن سالم .

(٣٨) عبد العزيز عبد الجليل ، مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية ص٤٠ .

(٣٩) عبد العزيز عبد الجليل ، مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية ، ص٤٠ .

(٤٠) عبد العزيز عبد الجليل ، مرجع سابق ص٤١ .

(٤١) المرجع السابق ، ص٤٢ .

(٤٢) الحاوي للفتاوي ، جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٢ / ١٩٨٢م ص١٨٩ .

(٤٣) تحقيق ابراهيم المقحفي ، مكتبة الارشاد ، صنعاء ، ط١ ، ٢٠٠٣م ص٣٠٠ .

(٤٤) ديوأن ابن عبيد الله ، مطبعة لجنة البيأن العربي ، بمصر ، ط١ ، مارس ١٩٥٩م .

(٤٥) محمد بن هاشم ، تاريخ الدولة الكثيرية ، ص٧٣ .

(٤٦) البرزنجي ، جعفر المدني ت : ١١٧٧ هـ (١٧٦٣ م) خطيب الحرم المدني .

(٤٧) الديبعي ، عبد الرحمن بن علي ، من أهل زبيد (٨٦٦ – ٩٤٤ = ١٤٦١ – ١٥٣٧ م) .

(٤٨) المشرع الروي ج٢ ص١٤٣

(٤٩) المشرع الروي ، ج٢ ص٣٣

(٥٠) مختصرا لما جاء بدائرة المعارف الاسلامية ، مادة حضرة .

(٥١) د . شوقي ضيف ، تاريخ الادب العربي ج٤ / ١١٣ .

(٥٢) الزركلي ، الاعلام ، ج٦ / ٢٧٢ .

(٥٣) الشاطري ، أدوار التاريخ الحضرمي ، ج٢ ص ٢٦٤ .

(٥٤) الزركلي ، الاعلام ١ / ١٧٤ .

(٥٥) شرح العينية ، أحمد بن زين الحبشي ، ص ١٠٣ .

(٥٦) أبو فراس الحمدأني ، ديوأنه ، شرح خليل الدويهي .

(٥٧) الشاطري ، ادوار التاريخ الحضرمي ج١ ص ١٩٠ .

(٥٨) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق سامي محمد سلامة ، ج٢ ص٣٤٨ .

(٥٩) الزركلي ، الاعلام ج٧ ص٢٩ ، وسركيس ، معجم المطبوعات ج٢ ص١٩٠٩ .

(٦٠) الزركلي ، الاعلام ، ج٦ ص٢٠٨ ، وسركيس في معجم المطبوعات ج١ ص٢٨٢ .

(٦١) ابن عبيد الله ، ادام القوت ، ص٨٨٠ .

(٦٢) الطيب بامخرمه ، قلائد النحر ، ج٣ ص ٢٦٥٧ .

(٦٣) من يريد الاستزاده فعليه الرجوع إلى خطط المقريزي وصبح الاعشى وكتاب الحاكم بامر الله وأسرار الدعوة الفاطمية للدكتور محمد عنأن ، ففيه يذكر المراسيم الاجتماعة والدينية ص١٢٤ والاعياد والرسوم الفاطمية ص٣٤٩.

(٦٤) الموسيقى المغربية (مرجع سابق) ص٥٨

(٦٥) الموسيقى المغربية ص .

(٦٦) الشهداء السبعة ط١ ص١٠٢ .

(٦٧) الشهداء السبعة ص٩١ .

(٦٨) ديوان ابن المقري (القرن الثامن الهجري) ، عني بطبعه ونشره عبد الله بن ابراهيم الانصاري ، وطبع على نفقه إدارة إحياء التراث الاسلامي بدولة قطر ، دون تاريخ .

(٦٩) ص١٥١ .

(٧٠) حسن عبد الله السقاف ، الحكمة ، عدد ٢٩ يوليو ١٩٧٤ ص٦٧ .

(٧١) ابن هاشم ، محمد ، تاريخ الدولة الكثيرية ص٦ ، ٧ ، ٨ .

(٧٢) نشرة (الرباط) العدد الخامس ربيع أول ١٤٢٢ هـ (يونيو ٢٠٠١م) .

(٧٣) لدى الكاتب نسخه منه .

(٧٤) توفي محمد بن علي الحبشي السبت ١٢ ربيع ثاني ١٣٦٥ هـ / ١٦ مارس ١٩٤٦ م .

(٧٥) أعلام شحرية لها تاريخ – خ ، لخميس حمدأن .

(٧٦) باحسن الرائد والفنأن ، قدم له الاستاذ محمد عبد القادر بامطرف ، دار الهمدأني ، عدن ط١ ١٩٨٥م .

(٧٧) لدى الكاتب نسخة مصورة منها .

(٧٨) باصبرين ، علي بن أحمد ، المهمات الدينية ، تحقيق أكرم مبارك عصبان ، مطبعة وحدين دون تاريخ ص ٥٠.

(٧٩) ادوار التاريخ الحضرمي ص٢٦٤ .

(٨٠) الزركلي ، الأعلام ، ج٢ ص١٣٣ .

المحتويات

- تقديم ..... د. عبدالقادر علي باعيسى ٥
- خصائص مدينة تريم التاريخية ..... محمد عبدالله الجنيد ٧
- الهوية الثقافية لمجتمع تريم وأثرها في مجتمعات المهجر الإفريقي..... أ. عبدالرحمن الملاحي ٥٥
- مجتمع تريم في مكاتبات السيد عبدالله بن علوي الحداد..... د.عبدالله سعيد الجعيدي ٩١
- الجديد في تاريخ تريم القديم ..... أحمد صالح الرباكي ١١٧
- المعالم الأثرية والسياحية بمدينة تريم ..... عبد الحكيم صالح العامري ١٩٧
- مدى ملاءمة المباني الطينية للعمارة البيئية دراسة حالة مدينة تريم .... د. محمد عبدالله السقاف ٢٢٣
- مدى استجابة تجمعات تريم عيديد ودمون لتعريف المدينة في حضرموت وخصوصية تجمعها الحضري ..... د. علي حسين البار ٢٥١
- الرحلة العلمية إلى حضرموت من القرن السادس إلى القرن الخامس عشر الهجري ..... محمد علوي عبدالرحمن باهارون ٢٨١
- الهجرة والحوار الحضاري مدخل للسلام العالمي دراسة في تأثيرات الهجرة الحضرمية ..... د. رزق الجابري ٣١٧
- ريادة النهضة العلمية والثقافية في تريم في القرن الرابع عشر الهجري..... صالح مبارك عصبان ٣٤١
- من فقهاء تريم في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين.... د. علوي بن حامد بن شهاب الدين ٣٨٩
- جهود علماء تريم في تفسير القرآن الكريم (الإمام الحداد نموذجاً)..... د. عبدالله بن شهاب ٤١٥
- جهود الفلكيين الحضارمة في التراث الفلكي ..... سالم عمر الجعيدي ٤٤٩
- الابتهالات والمدائح في حضرموت الابتداء والانتشار (مدينة الشحر نموذجاً)..... عبدالله حداد ٤٧٧



طبع بمطبعة وحدين الحديثة للأوفست
حضرموت ـ المكلا ـ ت : 316615